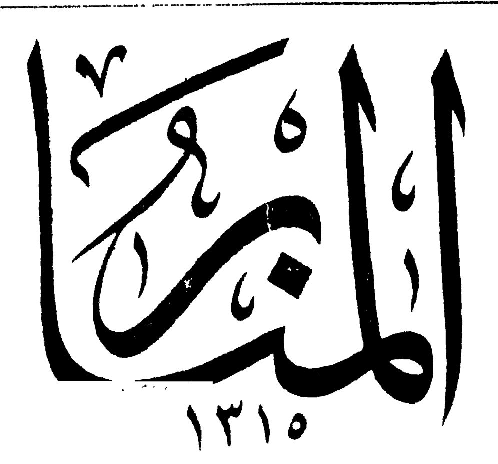
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر — الخميس ٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦ — ٢٤ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم .

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

قد علم مما تقدم أن التوكل إنما يكون مع الاخذ بالاسباب وان ترك الاسباب بدعوى التوكل لا يكون إلا عن جهل بالشرع ، أو فساد في العقل ، فالتوكل محله القلب ، والعمل بالاسباب محله الاعضاء والجوارح ، والانسان مسوق اليه بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها « لا تبديل لخلق الله » ومأمور به في الشرع قال تعالى (٦٧ : ١٥ فامشوا في منا كبها وكلوا من رزقه) وقال (٤ : ٧١ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) وقال (٨ : ٦٠ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل) وقال (٢ : ١٩٧ وتزودوا فان خير الزاد التقوى) — راجع تفسيرها — وقال لنبيه لوط عليه السلام (١١ : ٨١ فأسر بأهلك بقطع من الليل) وقال لنبيه موسى عليه السلام (٤٤ : ٢٣ فأسر بعبادي ليلا) وقال في الحكاية عن نبيه يعقوب لنبيه يوسف عليهما السلام (١٢ : ٥ قال يا بني لا تقصص رؤياك



وجاء ذكر التوكل في مقام ذكر الحرمان من الرزق أو من سعته كما جاء في مقام الصبر على إيذاء المعتدلين كقوله تعالى (٦٥:٣ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقوله في مقام وجوب نبذ الاغترار بسعة الرزق خشية الغفلة عن الآخرة (٤٢:٣١ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

وحسبنا هذه الآيات في هداية القرآن وتحقيقه في مقام الجمع بين الاسباب والتوكل

وأما الاحاديث الشريفة فأصح ماورد في التوكل منها حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب وقد رواه احمد والشيخان وغيرهم من حديث ابن عباس مرفوعا وقد روي بعده ألفاظ منها «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، هم الذين لايسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون »رواه الشيخان معا عن عمران بن حصين والبخاري عن ابن عباس ومسلم عن ابي هريرة والطبراني عن خباب وكذا الدارقطني في الافراد وزاد بعد قوله: ولا يتطيرون. «ولا يعتافون» ذكره في كنز العمال. وانت ترى انه قرن التوكل بترك الاعمال الوهمية دون غيرها فهو لم ينف من الاعمال الا الاستشفاء بالرقية وهي ليست من الاسباب الحقيقية للشفاء وإنما يطلبها طلابها عند الجهل بالاسباب والعجز عنها على انها من المؤثرات الغيبية وإنما المطلوب شرعا وطبعا ونقلا وعقلا أن يطلب الشيء من سببه الحقيقي الذي يستوي فيه كل من تعاطاه — وإلا التطير وهو التيمن والتشاؤم بحركات الطير ونحوه الاعتياف وهو التفاؤل والتشاؤم بالالفاظ كقول الشاعر

ألا قدها جني فازددت وجدا   بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمي   على غصنين من غرب وبان

الى أن قال

فكان البان أن بانت سليمى   وفي الغرب اغتراب غير دان

والطيرة والعيافة من سنة الجاهلية التي نسختها السنة النبوية ، لأنهما من مفسدات الفطرة البشرية ، وكذلك الرقية كانت معروفة في الجاهلية فكان اناس معروفون يرقون اللديغ — والا الكي بالنار وهو مما كانوا يتداوون به في الجاهلية وكان النبي صلى

على إخوتك فيكيدوا لك كيدا) وقال حكاية عنه أيضا (١٢ : ٥ يابنيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ، وما أغني عنكم من الله من شيء ، ان الحكم إلا لله ، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) فأمرهم بالحذر مع التنبيه على انه متوكل على الله، والتذكير بوجوب التوكل عليه فجمع بين الواجبين و بين انه لاتنافي بينهما ، ولا غناء للمؤمن عنهما ،

ذلك بأن الانسان إذا توكل ولم يستعد للامر ويأخذ له أهبته بحسب سنة الله في الاسباب والمسببات يقع في الحسرة والندم عند مايخيب ويفوته غرضه فيكون ملوما شرعا وعقلا كما قال تعالى في مسألة الاسراف في المال (١٧ : ٢٩ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) واذا هو استعد وأخذ بالاسباب واعتمد عليها غافلا قلبه عن الله تعالى فانه يكون عرضة للجزع والهلع اذا خاب سعيه ولم ينل مراده فيفوته الصبر والثبات اللذان يهونان عليه الامر حتى لايدري كيف يستفيد من الخيبة ويتدارك أمره فيها ، وربما وقع في اليأس الذي لامطمع معه في فلاح ولا نجاح ، ولذلك قرن الله الصبر بالتوكل في عدة آيات من كتابه — قال تعالى حكاية عن الرسل عليهم السلام في محاجة أقوامهم (١٤ : ١٢ وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) ذكروا ان الله هداهم سبله وهي سننه في الاسباب وانهم موطنون أنفسهم على الصبر لانهم متوكلون عليه تعالى . ووصف الذين هاجروا من بعد ماظلموا بقوله (١٦ : ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقال (٢٩ : ٥٨ نعم أجر العاملين ٥٩ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) لوصفهم بالعمل واسند اليهم الصبر والتوكل وقال لخاتم أنبيائه ورسله (٧٣ : ٩ فاتخذه وكيلا ١٠ واصبر على مايقولون) كما قال له (٣٣ : ٤٨ ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله، وكفى بالله وكيلا) فههنا قرن أمره بالتوكل بنهيه عن العمل بقول من لا يوثق بقوله لأنه يغش ولا ينصح كما انه قرنه بالامر بالمشاورة في الآية السابقة من الآيات التي نحن بصدد تفسيرها أعني قوله « وشاورهم في الامر » وكل ذلك من اتخاذ الاسباب سلبا وإيجابا .

ولده صالح انه سأله عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي للرجل ان لا يكون عيالا على الناس ، ينبغي ان يعمل حتى يغني أهله وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ، ويقولون نحن متوكلون ، فقال هؤلاء مبتدعة . قال الخلال راوي ما ذكر وأخبرني المروزي انه قال لابي عبد الله ان ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وروي عنه غير ذلك ولا سيما في الحث على الكسب وعدم توقع الصلة والنوال .

وقال أبو حفص عمر بن مسلم الحداد شيخ الجنيد في التصوف : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق ، كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا أبيت منه دانقا ، ولا أستريح منه الى قيراط أدخل به الحمام . وقال الغزالي : الخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل . واحفظ هذه العبارة عنه أو عن غيره بلفظ « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله تعالى أصلا » وهذه أحسن وأصح . وقال في بيان أعمال المتوكلين عند الكلام عن الاسباب المقطوع بها « وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ، ومد اليد اليه سعي وحركة ، وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسافله . فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء — ثم قال — وكذلك لو لم نزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون ، وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » ثم ذكر ان الاسباب التي لا تعد قطعية مطردة كالتزود للسفر لا يشترط تركها في التوكل ولكنه يجوز ويعد من أعلى التوكل . وكلامه في هذا الباب وأمثاله كالزهد والفقر لا يسلم من نقد وخطإ لمبالغته في الميل الى الانقطاع عن الدنيا والاقبال على الآخرة و « لن يشادَّ هذا الدين أحد الا غلبه » وقد تقدم ذكر انكار القرآن على من أرادوا أن يحجوا من غير زاد . وسنوفي هذا المقام حقه في تفسير « لا تغلوا في دينكم » . ولغلبة هذا الميل على أبي حامد رحمه الله تعالى راج عنده كثير من الاخبار والآثار

الله عليه وسلم يكرهه لأمته و يعده من الاسباب الضعيفة المؤلمة المستبشعة التي تنافي التوكل ولذلك قال « لم يتوكل من استرقى أو اكتوى » رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني من حديث المغيرة ابن شعبة

ويلي هذا الحديث حديث « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير : تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال الترمذي حسن صحيح وصححه الحاكم أيضا وأقره الذهبي وقد استدل به على ان التوكل يكون مع السعي لانه ذكر أن الطير تذهب صباحا في طلب الرزق وهي خماص البطون لفراغها وترجع ممتلئة البطون ولم يقل انها تمكث في أعشاشها وأوكارها فيهبط عليها الرزق من غير ان تسعى اليه

وفي الباب حديث الرجل الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأراد ان يترك ناقته وفي روايه انه قال أ أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟ فقال النبي (ص) « اعقلها وتوكل » رواه الترمذي من حديث أنس وانكره ابن القطان من هذا الطريق . وروي من حديث عمرو بن أمية الضمري باسناد جيد أخرجه ابن حبان في صحيحه وفيه ان الرجل قال ارسل ناقتي وأتوكل ؟ فذكره . ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وجعلا القائل عمرا نفسه . ورواه ابن خزيمة والطبراني بلفظ « قيدها وتوكل »

وكلام السلف الصالح في ذلك كثير مستفيض . روي ان رجلا قال للامام أحمد (رح) أريد الحج على التوكل ، فقال له . فاخرج في غير القافلة ، قال لا ، قال : على جُرب (*) الناس توكلت . وقد تقدم ان قوله تعالى (٢ : ١٩٨ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) نزل في تخطئة من قالوا مثل هذا القول . وقال عبد الله ابن الامام أحمد قلت لابي هؤلاء المتوكلون يقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل . فقال : ذا قول ردئ خبيث ، يقول الله عز وجل « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » . وقال أيضا سألت أبي عن قوم يقولون نتكل على الله ولا نكتسب ، فقال ينبغي للناس كلهم ان يتوكلوا على الله ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب ، هذا قول انسان أحمق . وروي عن

*) الجرب جمع جراب ككتب وكتاب والمراد ما فيها من الزاد

يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء » رواه الترمذي من حديث ابي سعيد وحسنه . ولابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر مرفوعا « التاجر الامين الصدوق المسلم مع الشهداء » قال الحاكم حديث صحيح . ويروى عن عمر (رض) أنه قال « لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وقال أيضا « مامن موضع يأتيني الموت فيه أحب الي من موطن أتشوق فيه لاهلي ابيع وأشتري » ذكرهما في القوت والاحياء . وكان ابو بكر وعثمان وعبد الرحمن وطلحة (رض) تجارا حتى ان ابا بكر لما استخلف أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقيه عمر وابو عبيدة فقالا أين تريد ؟ قال السوق ، قال ؟ تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال فمن أين أطعم عيالي ؟ فهل كان غير متوكل ؟ ثم إن الصحابة فرضوا له ما يكفيه ليستغني عن الكسب ولم يقولوا له توكل على الله وهو يرزقك بغير عمل

وقد بلغ من توكل الصدّيق (رض) ان كان يسلي النبي (ص) يوم بدر ويخفف عنه ، ففي السيرة الهشامية عن ابن اسحق ان النبي (ص) عدّل الصفوف يوم بدر ثم رجع إلى العريش الذي بنوه له فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ليس معه فيه غيره ورسول الله (ص) يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول « اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » وأبو بكر يقول يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فان الله منجز لك ما وعدك . والحديث مروي في كتب الحديث وفي بعض الروايات ما ينبئ بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يومئذ في مقام الخوف وان الصديق كان وادعا مطمئنا ولعله تكلف ذلك لتسليته (ص) وقد يتوهم ضعيف العلم انه ينبغي رفض هذه الرواية لعدم صحة معناها من حيث يدل على أن أبا بكر كان أشد توكلا وثقة بوعد الله من رسوله الاكرم صلى الله عليه وسلم والصواب ان هذه الدلالة غير صحيحة وانما يعلم بعد ما درجة النبي العليا في التوكل ودرجة صاحبه العالية فيه مما ورد في الهجرة الشريفة (٩ : ٤٠ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

الواهية والموضوعة، بل راج عنده ما دونها من كلام جهلة المتصوفة وتخيلات الشعراء كقول الشاعر

جرى قلم القضاء بما يكون فسيّان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

فانظر كيف ينسي الانسان ميله وحبه للشيء علمه وفقهه حتى يستحسن مايخالفهما والا فان جهالة هذا الشاعر لاتخفى على من دون ابي حامد علما وفقها، فان جريان قلم القضاء بما يكون لايقتضي كون الحركة والسكون سيين لان الواقع في كل زمان ومكان هو ماجرى به القضاء، ومنه نعلم ان سنة الله في الحركة غير سنته في السكون وسنن الله لاتتغير ولاتنقض، وكونهما كذلك يناقض كونهما سيين ، ولو كان قضاء الله تعالى كما زعم الشاعر الجاهل لما قال (٦٧: ١٥ فامشوا في منا كبها وكلوا من رزقه) ولما قال (٦٢: ١٠ فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) والمشي والانتشار في الارض من الحركة لا من السكون . وما جاء به من الجهل في البيت الثاني أبعد عن الصواب مما في البيت الاول، فانه قاس حياة الرجل العاقل القادر على حياة الجنين وسنة الله فيهما مختلفة كما هو معلوم بالضرورة، ولو صح هذا القياس لصح أيضا قياس الانسان على النبات من نجم وشجر فان غذاء الجنين اشبه بغذاء النبات منه بغذاء الحيوان. فاي الفريقين احق باسم الجنون ؟أمن يقول ان سنة الله في الجنين يتكون في بطن أمه كسنته في الرجل الذي بلغ أشدّه وجعل له الله رجلين يمشي بهما ويدين يبطش بهما وسمعا و بصرا يسمع بهما ويبصر ، وعقلا به يفكر ويدبر؟ أم من يقول ان سنته تعالى فيهما مختلفة ؟

هذا وان كل ماورد في الكسب حجة على كون التوكل لا ينافي العمل والسعي للدنيا، وقد تقدم ذكر بعض الآيات في ذلك ومنها قوله تعالى (١١: ٦٠ هو انشأ كم من الارض واستعمركم فيها)وقوله (١٥: ٢٠ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين) وقوله (٧٨: ١١ وجعلنا النهار معاشا)ومن الاحاديث الشريفة قوله (ص) «خير الكسب كسب العامل اذا نصح » رواه احمد بسند حسن والبيهقي والديلمي وابن خزيمة بلفظ « كسب يد العامل »وقال الهيتمي رجاله ثقات. وقوله (ص) « التاجر الصدوق

نزلت هذه الآيات في شأن النبي صلى الله عليه وسلم من سياق الحكم والاحكام المتعلقة بغزوة أُحُد. ولكن اخرج ابو داود والترمذي وابن جرير عن ابن عباس (رض) ان قوله تعالى ﴿ وما كان لنبي ان يغل ﴾ قد نزل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها . وقد ضعّف هذه الرواية بعض المفسرين وان حسنها الترمذي لان السياق كله في واقعة أحد ورجحوا عليها ماروي عن الكلبي ومقاتل من ان الرماة قالوا حين تركوا المركز الذي وضعهم النبي (ص) فيه : نخشى ان يقول النبي (ص) «من أخذ شيئا فهو له » وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال النبي (ص) «أظننتم انا نغل ولا نقسم لكم » ولهذا نزلت الآية . وروى ابن ابي شيبة في المصنف وابن جرير مرسلا عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم (ص) غنيمة فقسم بين الناس ولم يقسم للطلائع فلما قدمت الطلائع قالوا قسم النبي (ص) ولم يقسم لنا فأنزل الله تعالى الآية . وقال الاستاذ الامام الصواب أن هذه الآية من متعلقات هذه الواقعة كالآيات التي قبلها وكثير مما يأتي بعدها

وأصل الغل الاخذ بخفية كالسرقة وغلب في السرقة من الغنيمة قبل القسمة وتسمى غلولا . قال الرماني وغيره : أصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء في خلل الشجر وسميت الخيانة غلولا لانها تجري في الملك على خفاء من غير الوجه الذي يحل . ومن ذلك الغل للحقد والغليل لحرارة العطش والغلالة للشعار . أقول وتغلغل في الشيء دخل فيه واختفى في باطنه . والمعنى : ما كان من شأن نبي من الانبياء ولا من سيرته ان يغل لأن الله قد عصم أنبياءه من الغل والغلول فهو لا يقع منهم . وهذا التعبير أحسن من قولهم: ما صح ولا استقام لنبي أن يغل أي يخون في المغنم . وقد تقدم بيان ما يفيده هذا التعبير من نفي الشأن الذي هو أبلغ من نفي الفعل لانه عبارة عن دعوى بدليل كأنه يقول هنا ان النبي لا يمكن ان يقع منه ذلك لانه ليس من شأن الانبياء ولا مما يقع منهم أو يجوز عليهم . وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب « أن يُغَلّ » بالبناء للمفعول وهو من أغللته بمعنى وجدته

فهذا مقام التوكل وهذا أثره ، وما كان (ص) يوم بدر الا أعلى إيمانا وتوكلا لأنه كان يزداد كل يوم إيمانا وعلما بربه وبسننه في خلقه كما كان يدعوه بأمره (٢٠ : ١١٤ وقل رب زدني علما) وإنما ظهر (ص) في كل حال بما يليق بها ففي يوم الهجرة كان خارجا من قوم بالغوا في إيذائه وليس له من الاسباب ما يكفي لمقاومتهم ومدافعتهم والعرب كلها إلب واحد مع قومه عليه فكان المقام مقام التوكل الكامل لأنه مقام العجز عن الاسباب بالمرة ولذلك كان (ص) وادعا ساكنا وكان الصديق على رجائه وتوكله مضطربا ، وفي يوم بدر كان قادرا على اتخاذ الاسباب لمقاومة أولئك القوم الذين زحفوا عليه من مكة فكان التوكل فيه لا يصح الا بعد اتخاذ كل ما يمكن من الاسباب ولذلك لم يلجأ النبي (ص) الى الدعاء ومناشدة ربه المعونة والنصر الا بعد ان فعل كل ما أمكن من الاسباب مع المشاورة واتباع رأي أهل الخبرة ولعله كان يظن انه يجوز ان يكون بعض أصحابه مقصرا فيما يجب من الاسباب فيفوت النصر لذلك فلجأ الى الدعاء ويؤيد هذا انهم لما قصروا في الاسباب يوم أحد حل بهم وبه (ص) ما هو معلوم وقد ذكر مفصلا في تفسير آيات هذا السياق · والصديق (رض) عنه لم يصل علمه الى ما وصل اليه علم النبي (ص) في ذلك

(١٦١ : ١٥٥) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٢ : ١٥٦) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٣ : ١٥٧) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٤ : ١٥٨) لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *

أغثني فأقول له لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك » قال بعض العلماء لا مانع من إمضاء هذا الاتيان على ظاهره وان غلّ الانسان بالعددالكثير من الابل والغنم والبقر والخيل والبغال والحمير والاشياء الصامتة فانها تكون يوم القيامة على رقبته مهما كثرت . وروى ابن أبي حاتم ان رجلا استشكل على أبي هريرة حديثه ذاك فقال أرأيت من يغلّ مئة بعير أو مئتي بعير كيف يصنع بها ؟ فأجابه أبو هريرة فذكر له مامعناه ان من كان ضرسه مثل جبل أحُد فانه يحمل مثل هذا . وهذا الحديث لا يصح وجعل بعض العلماء حديث حمل ما يغل به الغال على رقبته من باب التمثيل شبهت حال الغال بما يرهقه من أثقال ذنبه وفضيحته به مع فقد المعين والمغيث بمن يحمل ذلك عينه على عاتقه و يقصد أرجى الناس لإغاثته فيخذله و يتنصل من إغاثته . وما زال الناس يشبهون الاثقال المعنوية بالاثقال الحسية و يعبرون عنها بالحمل يقولون فلان حامل اثقال أهله أو اثقال البلد وفي التنزيل (٢٩ : ١٢ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون ١٣ وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسئلنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون) ومثله قوله تعالى (٣٥ : ١٨ ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تَدعَ مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) على ان حديث الشيخين لم يذكر فيه انه تفسير للآية

وقال الاستاذ الامام : فسروا الاتيان بما غل به الغال بأنه يحمله وكأنهم جعلوا الباء للمصاحبة وليس بمتعين وقد عدل عنه بعض المفسرين كأبي مسلم الاصفهاني وقال إنه على حد قوله تعالى حكاية عن لقمان (٣١ : ١١ يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) فليس معنى « يأت بها الله » انه يحملها ولكن معناه انه يعلم بها

غالاً أي ما كان من شأن النبي ان يوجد غالاً أو بمعنى نسبته إلى الغلول أي ماكان لنبي ان يكون متهما بالغلول . أو من غُل أي ما كان لنبي ان يكون بحيث يسرق من غنيمته السارقون ويخونه العاملون وهذا أضعف مما قبله .

وذهب بعض المفسرين الى أن الغـل اوالغلول المنفي هنا هو إخفاء شيء من الوحي وكتمانه عن الناس لا الخيانة في المغنم وان كان ما بعـده عاما في كل غلول أو خاصا بالغنيمة فانه جيء به للمناسبة كما عهد في مناسبات القرآن وانتقاله من حكم إلى حكم أو خبر له حكمة . وذكروا انه نزل ردا على من رغب إلى النبي (ص)أن يترك النعي على المشركين قال الاستاذ الإمام : ومن مناسبة كون الغلّ بمعنى الكتمان وإخفاء بعض التنزيل ما تقدم من أمر الله تعـالى نبيه (ص) في الآيات السابقة بمعاتبة من كان معه في أحُد وتوبيخهم على ما قصروا وذلك مما يصعب تبليغه عادة لأنه يشق على المبلِّغ والمبلغ، ومن أمره (ص) بالعفو عنهم والاستغفار لهم ومشاورتهم في الامر على ما كان منهم وفي هذا إعلاء لشأنهم ومعاملة لهم بالمساواة في مثل هذه الشؤون ، وذلك مما عهد في طباع البشر ان يشق على الرئيس منهـم ابلاغه للمرءوسين ، ويزاد على ما ذكره الاستاذ الامام ماتقدم في هـذا السياق من قوله تعالى له .« ليس لك من الامر شيء » عنـد ما لعن أبا سفيان ومن كان معه من رءوس المشركين . كأنه تعالى يقول اعلاما للناس بما يجب للانبياء عليهم السلام في أمر التبليغ ما كان من شأن نبي من الانبياء ان يكتم شيئا مما أمر بتبليغه وان كان مما يشق على الناس في حكم العادة ذكره وتبليغه

ثم قال ﴿ ومن يغلل يأت بما غل به يوم القيامة ﴾ أي وكل من يقع منه غل أو غلول فإنه يأتي بما غل به يوم القيامة . وقد ذهب الجمهور الى أن المراد بالاتيان بما يغل به الغال انه يجيء يوم القيامة حاملا له ليفتضح به ويكون مزيدا في عذابه هنالك وقد جاء في ذلك روايات مختلفة منها انه يكلف الاتيان به من النار لا انه يجيء به ومن هذه الروايات مالا يصح، ولكن أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال « ألا لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله

﴿ هم درجات عند الله ﴾ أي ان كلا من الذين يتبعون رضوان الله والذين يبوءون بسخطه درجات اوذوو درجات ومنازل عند الله أي في يوم الجزاء الذي ينسب اليه وحده لاينسب الى غيره فيه شيء لاحقيقة ولا مجازا كما قال(٤٠: ١٥ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ١٦ يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار)

والذي في كتب التفسير المشهورة ان العندية هنا عندية علم وحكم أي هم أصحاب درجات في حكم الله وبحسب علمه بشؤونهم وبما يستحقون وكلا المعنيين صحيح ولا تنافي بينهما . وقالوا ان ذكر الدرجات من باب التغليب فتشمل الدركات فالدرجات مايرتقى عليه وهي للمرتقين من أهل الرضوان، والدركات مايتدلى فيه وهي للمتدلين من أهل السخط والخذلان ،كما قال في الاول(٢: ٢٥٣ ورفع بعضهم درجات) وفي الثاني (٤: ١٤٥ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) قال الراغب : الدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود والدرك اعتبارا بالحدور ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار ولتصور الحدور في النار سميت هاوية . (قال)والدرك (بسكون الراء)أقصى قعر البحر .والمعنى ان الناس يتفاوتون في الجزاء عند الله كما يتفاوتون هنا في العرفان والفضائل ،وفي الجهل والرذائل ، وما يترتب على ذلك أو يترتب عليه ذلك من الاعمال الحسنة والقبيحة . وهذا التفاوت على مراتب ودرجات يعلو بعضها بعضا من الرفيق الاعلى في الدرجات العلى الذي كان يطلبه النبي صلى الله عليه وسلم من ربه في مرض موته الى الدرك الاسفل الذي ورد في سورة النساء وذكر آنفا. وهذه الدرجات لاتكون في الآخرة عطاء مؤتنفا وكيلا جزافا وإنما تكون أثرا طبيعيا لارتقاء الارواح وتدليها هنا بالاعمال ولذلك قال بعد ذكرها ﴿والله بصير بما يعملون ﴾ فهو لا يغيب عنه شيء من اعمالهم ، وما لها من التأثير في تزكية نفوسهم ، التي يترتب عليها الفلاح في ارتقاء الدرجات ،وفي تدسيتها التي تترتب عليها الخيبة في هبوط الدركات ،(٩١: ٩ قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) فتحصيل الدرجات إنما يكون في هذه الدار، والتمتع بها يكون في دار القرار ،أما الدرجات في الدنيا فقد

أتم العلم لا تخفى عليه مهما كانت مستترة لان من يأتي بالشيء لا بد ان يكون عالما به . والمعنى ان الاتيان بالشيء الذي يغله الغال هو عبارة — أو قال كناية — عن انكشافه وظهوره أي ان كل غلول وخيانة خفية يعلمه الله تعالى مهما خفي ويظهره يوم القيامة للغال حتى يعرفه كمعرفة من أتى بالشيء لذلك الشيء على حد قوله تعالى (٩٩ : ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

أقول ولما كان الجزاء يترتب على علم الله بالاعمال واعلامه العاملين بها يوم الحساب قال بعد مامر ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ أي ثم انه بعد أن يأتي الغال بما غل ، كما يأتي كل عامل بما عمل ، فيتمثل لديه ، كأنه حاضر بين يديه ، ينظر اليه بعينيه ، (٣ : ٣٠ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ومثقال الذرة من الخير والشر مرئيا مبصرا ، بعد هذا تنال جزاء ما كسبت مستوفى تاما لا تنقص منه شيئا ، (١٨ : ٤٩ وَوُضِع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها !! ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا)

ثم رتب على ذكر الجزاء العام في آخر الآية قوله ﴿ أفمن اتبع رضوان الله ﴾ أي جعل ما يرضيه من فعل وترك اماما له فجد واجتهد في الخيرات والاعمال الصالحات . واتقى الغلول وغيره من الفواحش والمنكرات ، حتى زكت نفسه ، وارتقت روحه ، فوفي جزاءه الحسن ، وكان عند ربه في جنات عدن ، ﴿ كمن باء بسخط من الله ﴾ أي انتهى الى مباءته في الآخرة مصاحبا ومقترنا بغضب عظيم من الله عز وجل لتدسية نفسه بما خفي من الخطايا كالسرقة والغلول ، وتدنيسها بما ظهر منها كالسلب والنهب ، واهمال تطهيرها بالعبادات ، وعمل الخيرات ، ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ ذلك المأوى الذي يأوي اليه ، وساء ذلك المنتهى الذي ينتهي اليه ، كلا انهما لا يستويان كما لا يستوي الظلمة والنور ، ولا الظل والحرور ، وقد جعل الخير تبعا للرضوان لان أسبابه اعلام هداية تتبع ولم يقل ذلك في الشرير لانه في ظلمة يبتدع ولا يتبع

في الآية شيء عن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى الا ماتراه قريبا في تفسير الآية التالية وهي

﴿ لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ﴾ منّ عليهم غمرهم بالمنة وأثقلهم بالنعمة . قال الاستاذ الامام انتقل من نفي الغلول عن النبي عليه الصلاة والسلام ومن وصفه قبل ذلك بالرحمة واللين وأمره بالمشاورة الى التفرقة بين اصحابه الذين عاملهم هذه المعاملة الذين اتبعوا رضوان الله وبين من باء بسخط من الله وتفاوت درجاتهم في ذلك وقالوا ماقالوا مما دل على جهلهم وكفرهم بحرمانهم من هدايته --ولعله يعني من كان مع أبي سفيان في احد من الكافرين— ثم عاد الى ذكر منته تعالى على المؤمنين ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فيهم . وقد كان ماتقدم من وصفه (ص) بالرحمة واللين وأمره بتلك المعاملة الحسنى وتنزيهه عن الغلول ثم وصفه بأوصاف أخرى أكد بها المنة أولها انه من أنفسهم أي من جنسهم أي العرب . ووجهة هذه المنة الخاصة ؛ التي لاتنافي في كونه «ص» رحمة عامة ؛ ان كونه منهم يزيد في شرفهم ويجعلهم أول المهتدين به ، لانهم أسرع الناس فهما لدعوته ، والنعمة العامة قد ذكرت في آيات أخرى كقوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ويمكن أن يستدل على هذا التخصيص بالعرب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي تقدمت في سورة البقرة (٢ : ١٧٩ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك) الخ الاوصاف المذكورة هنا . وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بأنفسهم ههنا البشر لا العرب . أقول وهذا القول ضعيف وان وجب الايمان بكون جميع الانبياء من البشر أما ضعفه فمن وجوه (احدها) ان المراد بالمؤمنين في الآية من كانوا متصفين بالايمان عند نزولها في عقب غزوة احد وهم من العرب (ثانيها) موافقة دعوة ابويه ابراهيم واسماعيل ، عليهم الصلاة والتسليم ، وإنما دعوا ان يكون النبي من ذريتهما وذرية اسماعيل هم العرب المستعربة كما هو مشهور (ثالثها) موافقة آية سورة الجمعة التي في معنى هذه الآية (٦٢ : ٢ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) والاميون هم العرب (رابعها وخامسها) مايأتي قريبا في تفسير «ويعلمهم الكتاب» ومايأتي في تفسير وصفهم

وردفيها قوله تعالى (٤٣: ٣٢ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) وقوله تعالى (٦: ١٦٥ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) وليست هذه الدرجات بوسيلة ولا مقصد مما نحن فيه وإنما هي درجات ابتلاء

وأما درجات الآخرة فهي المرادة بقوله تعالى بعد ذكر توسيع الرزق على بعض الناس وتضييقه على بعض (١٧ : ٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وأما وسائلها التي قلنا إن هذه آثارها وهي المعارف والاعمال فمنها قوله عز وجل (٥٨: ١١ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) وقوله (١٢ : ٧٦ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) وقوله سبحانه (٦ : ٨٣ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) فهذه كلها درجات العلم والحجة . ومنها قوله في ربط درجات العمل بدرجات الجزاء (٤: ٩٥ وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ٩٦ درجات منه ومغفرة ورحمة) ومنها بعد ذكر الجزاء (٦ : ١٣٢ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) وقوله (٢٠: ٧٥ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى)

فحسبنا هذه الآيات مبينة لما قلناه من كون درجات الجزاء في الآخرة على حسب درجات الارتقاء بالعلم والعمل في الدنيا . وان هذه الدرجات لايمكن ان يعلمها الا من أحاط بكل شيء علما . فلا يخفى عليه أثر ما من آثار الاعمال في النفس ، ولا عاطفة من عواطف الايمان في القلب ، ولا حقيقة من حقائق العلم في العقل ، ولا يعزب عنه شيء من تفاوت الناس في ذلك ، فدرجات ارتقاء الارواح لها في علمه تعالى نظام دقيق أدق من نظام ميزان الحرارة والبرودة ومن ميزان الرطوبة ومن ميزان ثقل السائلات في درجاتها العليا والسفلى وما أشبه هذه الموازين الطبيعية التي تعرف بها سنن الله تعالى في الكون ، وإن سننه في نفوس الناس لاتقل عن سننه في غيرها نظاما واطرادا . وان بين عليا الدرجات وسفلاها درجة أدنى أهل النار عقوبة ، وأدنى أهل الجنة مثوبة ، ولهذا كله قال بعد ذكر الدرجات إنه بصير بما يعملون . وليس عندي

بالملكات الفاضلة ، فان من يعتقد ان وراء الأسباب الطبيعية التي ارتبطت بها المسببات منافع ترجى ومضار تخشى من بعض المخلوقات فيجب تعظيم هذه المخلوقات والالتجاء اليها ليؤمن من ضرها وينال خيرها ويتقرب بها الى خالقها — من يعتقد هذا يكون دائماً أسير الاوهام ، وأخيذ الخرافات ، يخاف في موضع الامن ، ويرجو حيث يجب الحذر والخوف ، وتتعدى قذارة عقله الى نفسه فتفسد اخلاقها ، وتدنس آدابها ، فتزكية النفس لا تتم إلا بتزكية العقل ، ولا تتم تزكية العقل إلا بالتوحيد الخالص

قال الاستاذ أما تعليمهم الكتاب فمعناه ان هذا الدين الذي جاء به قد اضطرهم الى تعلم الكتابة بالقلم وأخرجهم من الامية لانه دين حث على المدنية وسياسة الامم . أقول كان أول حاجتهم الى تعلم الكتابة وجوب كتابة القرآن وقد اتخذ عليه الصلاة والسلام كتبة للوحي وكتبوا له كتبا دعا بها الملوك والرؤساء الى الاسلام . وكان يأمرهم بتعلم الكتابة . ثم كان ذلك يكثر فيهم على قد نمو مدنيتهم وامتداد سلطتهم (قال) وأما الحكمة فهي أسرار الامور وفقه الاحكام و بيان المصلحة فيها والطريق الى العمل بها ذلك الفقه الذي يبعث على العمل أو المراد العمل الذي يوصل الى هذا الفقه في الاحكام . أو طرق الاستدلال ومعرفة الحقائق ببراهينها لان هذه الطريقة هي طريقة القرآن وسنته في العقائد وكذا في الآداب والعبادات وقدمرت الشواهد الكثيرة على ذلك وسيأتي ما هو أكثر

﴿ وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ أي وانهم كانوا قبل بعثة النبي (ص) في ضلال بيّن واضح . وأي ضلال أبين من ضلال قوم مشركين يعبدون الاصنام ويتبعون الاوهام أميين لا يقرءون ولا يكتبون فيعرفوا كنه ضلالتهم ، وحقيقة جهالتهم ، فضلالهم أبين من ضلال أهل الكتاب ، كما هو ظاهر لأولي الالباب

في س ٦ ص ٨٠٧ من هذا الجزء كلمة « اتشوق » وصوابها « أتسوق » فتصحح

بالضلال المبين . (سادسها) ان العرب هم الذين تلا عليهم النبي (ص) بلسانه آيات الله و باشر بنفسه تزكيتهم وتعليمهم وهم الذين حملوا دعوته الى غيرهم من الناس وقد نص العلماء على ان الايمان بكون النبي صلى الله عليه وسلم من العرب شرط في صحة الاسلام والايمان لا بد من تلقينه لكل من يدخل في هذا الدين ومن جحده بعد العلم به يكون مرتدا عن الاسلام . ثم صار ينشر الدعوة كل قوم قبلوها واهتدوا بها فصح قوله تعالى (٣٤ : ٢٨ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقوله (٢١ : ١٠٧ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

قال الاستاذ الامام : الآيات في قوله ﴿ يتلوعليهم آياته ﴾ هي الآيات الكونية الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته وتلاوتها عبارة عن تلاوة مافيه بيانها وتوجيه النفوس الى الاستفادة منها والاعتبار بها وهو القرآن كقوله عز وجل في أواخر هذه السورة (٣ : ١٩٠ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب) وقوله في سورة البقرة (٢ : ١٦٤ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ومنها ما لم يذكر فيه كلمة « الآيات » كقوله تعالى (٩١ : ١ والشمس وضحاها ٢ والقمر اذا تلاها) الخ

الوصف الثالث والرابع قوله تعالى ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ قال الاستاذ تزكيته اياهم هي تطهيرهم من العقائد الزائغة ووساوس الوثنية وادرانها والعقائد هي أساس الملكات ولذلك نقول ان العرب وغيرهم كانوا قبل بعثة محمد (ص) ملوثين في عقولهم ونفوسهم . أقول قد سبق عنه في تفسير آية البقرة (٢ : ١٢٩) ان المراد بالتزكية تربية النفوس وانه (ص) كان مربيا ومعلما وأراد بقوله ان العقائد أساس الملكات ان من لم يتزك عقله و يتطهر من خرافات الوثنية وجميع العقائد الباطلة لا تتزكى نفسه بالتخلي عن الاخلاق الذميمة ، والتحلي

ويجب ان نضيف الى هذا الاعتبار اعتبارا آخر أكبر منه شأنا وأعم فائدة وهو أن ظنون الغربيين بالامم الاخرى قد بدأت تتغير تماما وأذكر انني كنت أسمع وانا يافع ان الامم الآسيوية لاتقوم لها قائمة وانها ستبقى رازحة تحت اعباء الانحطاط والجمود، وفي الغالب كانوا يلصقون التهمتين معا بها على مافيهما من التناقض اذ حينما توجد حركة تأخر لابد وأن تتبعها حركة تقدم . وقد كان من الامور التي لانزاع فيها ان الصين أمة جامدة وان اليابان أمة ليس لها الا مدنية سطحية وان الهند لايمكن أن تصلح شؤونها وكانوا يتهمون الاسلام بهذه التهم نفسها وان الذين هم في سن موافقة يذكرون ان الغربيين كانوا يرددون نظرية مؤداها ان المسلمين في جمود تام بسبب اعتقادهم في التوكل والقضاء والقدر ولست في حاجة الى القول بأن هذه التهم التي كانت تجسمها كبرياء الغربيين قد تبين فسادها فان المدافع التي أطلقت في موكدن دوت في أقاصي آسيا وأصبحت الامم التي كنا حكمنا عليها بالموت والجمود يقظة نامية سواء كانت في الصين أو الهند الصينية أو الهند الانكليزية أو في ايران التي أخذ أهلها يطلبون دستورا وها هي الاستانة ظهرت فيها حركة أهلية أدهشت العالم بأجمعه وما كان يخطر ببال طلبة مدرسة العلوم السياسية انه سيطرأ تغيير على برنامج دراستهم وهو الامر الذي أصبح لابد منه الآن بعد ان تغيرت المسألة الشرقية ودخلت في طور جديد

واننا ازاء هذا الانقلاب الذي حصل لانجد بدًّا من التساؤل عن الجمود الذي وصفوا به الاسلام اذ قد يكون شبيها بتهمة الخمول التي ألصقوها باليابان ومالبثت أن اضمحلت وظهر بطلانها !!

واني لا أريد ان أذكر انتشار الاسلام لانه هو الدين الوحيد الذي ينتشر ويزداد أهله بسرعة في آسيا وافريقية على حين ان الاديان الاخرى بقيت واقفة عند حد محدود لاتتجاوزه البتة وقد أصبحت هذه المسألة لانزاع فيها ولكن ماذا تقولون اذا أثبت لكم ان الاسلام شرع يطبق العلوم الحديثة ويستفيد منها؟ ومن ذلك انه أنشأ بقوته الذاتية وبالمهندسين المسلمين ذلك الخط الحديدي العظيم الممتد بين دمشق

الاسلام والمدنية الحديثة (*

﴿ هل يتفقان ؟ ﴾

اني اخترت موضوع البحث في الاسلام لاول مرة في مؤتمر أفريقية الشمالية لسببين: الاول ان المسألة الاسلامية هي مركز دائرة جميع المسائل في أفريقية الشمالية وذلك لان هذه المسألة مهمة في أفريقية أكثر منها في البلاد الاسلامية الاخرى اذ كان بين الاسلام والنصرانية على شواطيء البحر الابيض المتوسط نضال قديم وما زال أثره باقيا في القلوب . والثاني لأننا نحن الفرنسيين نعيش مع المسلمين في تونس والجزائر ونحن مضطرون الى الاختلاط بأهلهما لارتباطنا معهم بمصالح دائمة

ان الهند الانكليزية فيها زهاء أربعين مليونا من المسلمين ولكن الانكليز لايختلطون بهم اختلاطا دائما وفي مصر وهي أكثر بلاد الاسلام مدنية لايختلط الانكليز كذلك بأهلها اختلاطا يفضي الى الاستعمار الحقيقي والاوربيون لايقطنون سوى المدن الكبيرة وليس لهم من العلاقات مع سكان القرى ما للمستعمرين منا مع العنصر الوطني في مستعمراتنا الافريقية على ان المسألة الاسلامية يجب أن تتقدم على غيرها من المسائل الاخرى التي يبحث فيها المؤتمر بقطع النظر عما تقدم

لايكون الاستعمار موطد الاركان قائم البنيان الا اذا أمكننا الوصول الى طريقة تجعلنا على صفاء ووداد مع أهل الدين الاسلامي الذي يربط الامم المختلفة الاجناس والمشارب المنتشرة بين المحيط الاطلانطيقي وخليج قابس

---

*) خطبة لموسيو رينيه ميليه القاها في مؤتمر أفريقية الشمالية المنعقد في باريس من عهد قريب ونشرت في المجلة الاستعمارية الفرنسية وترجمتها بعض الجرائد المصرية بالعربية فآثرنا تلخيصها لقراء المنار لما فيها من الحقائق والانصاف

منها (والثانية) ان المتدينين لا يتبعون دائما ما ترمي اليه نصوص دينهم بل كثيرا ما يحيدون عنها ويأخذون بأقوال الفقهاء والشراح الذين يذهبون في أقوالهم كل مذهب فلا يكفي أن ينص الدين على شرف العلم ليكون أبناء ذلك الدين راغبين فيه مقبلين على تحصيله

وهناك طريقة أخرى وهي الطريقة التاريخية :

في اعتقادي أن خطأ المشتغلين منا بالاسلام هو في درس هذا الدين مستقلا عن الظروف التي كانت محيطة بظهوره فلو عرفنا كيف كانت حال العالم حين ظهر لوقفنا على أسباب انتشاره المدهش

ان الذي ساعد الاسلام على الانتشار هو ماقرره الامبراطور بيزانطين في القرن الثالث للمسيح من جعل المسيحية دين الحكومة وقد جر هذا القرار على الدولة البزنطية من المشاكل أعقدها .

ولقد كان الدين الروماني القديم دين حكومة أيضا ولكنه كان دينا يبتلع الديانات الاخرى بمعنى ان روما كانت كلما تغلبت على أمة جعلت آلهتها آلهة لروما . وبخلاف ذلك كانت الحال في بزنطية ومنذ اليوم الذي استخدم فيه الامبراطور السيف لنشر الدين انفتح في وجه الدولة البزنطية باب الآلام والهموم ولو أعدتم النظر في تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم الامبراطرة متوفرين على توحيد الدين وموجهين اليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعضع ملكهم وانقراضه . فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من عقائد المسيحية وكم من مقاطعة ضيعها الامبراطور على أثر كل قرار كان يصدر من مجمع « نيقة » ! !

وان مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الاقانيم التي نعتقدها الآن بكل سكينة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة — هذا وإنه قد بلغ من عناية الحكومة بنشر الدين انها غفلت عن احتياجاتها الاولية فاحترمت الصوامع ورفعت عن أهلها الخدمة العسكرية وعافتهم من دفع الضرائب

والمدينة المنورة الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ كيلومتر!! وماذا يقول اليوم فطاحل الفلاسفة الذين قالوا ان أهل الاسلام مصابون بنوع مخصوص من أنواع مرض النوم ؟ ماذا يقولون الآن اذا علموا أن المسلمين تبرعوا بمقدار ثمانين مليوناً من الفرنكات مما أنفق عليه ؟

وان لفرنسا فائدة كبرى بالاشتراك في هذا البحث العظيم

فاذا كانت مدنية الاسلام هي تلك المدنية الجامدة المزعومة فيجب علينا اذ ذاك أن نعامل هؤلاء المسلمين الذين نحن مرتبطون بهم بسياسة الضغط والشدة خلافاً لما جبلنا عليه من انعطافنا لجميع الناس ازاء مايبدو من حركاتهم أو يظهر فيهم من روح الحروب الصليبية التي بقيت بكيفية غريبة كامنه في صدور المسلمين حتى البعدين عن الدين منهم(؟) ومن الامور المدهشة أن الانسان قد يلاقي في فرنسا أناسا مازالوا محافظين على بقية من أوهام الحروب الصليبية ضد المسلمين

وأما إذا اعتقدنا في الحركات التي تجلت في كل مكان عكس ذلك فمن الواجب أن نمد أيدينا بحرية الى شعوبنا الاسلامية وتقودها معنا في طريق المدنية وهذه النقطة هي التي أريد أن أبحث فيها اليوم أمامكم

ان امامنا طرقا لحل هذه المسألة الكبرى

فمنها الطريقة التي يمكنني أن أسميها الطريقة المباشرة وهي أن نفتح القرآن وكتب السنة ونستخلص منها النصوص التي تثبت أن المؤمنين الصادقين في كل عصر يهشون للعلوم ويقبلون عليها . منذ عهد غير بعيد جاءني كتاب من أحد المسلمين الجزائريين وهو السيد عبد السلام بن شعيب فرأيت فيه بعض تلك النصوص مثل « الحكمة ضالة المؤمن ينشدها انى وجدها » و « اطلبوا العلم ولو بالصين » وغير ذلك من الآيات والاحاديث والآثار

هذه الطريقة تصلح لاقناع قومنا بان الاسلام يحث على العلم ولكن هناك عقبتين تقفان في سبيل نجاحها (الاولى) انني وزملائي الذين يدافعون عن الاسلام لسنا بحجة في تفسير الآيات والاحاديث واستخلاص المبادئ الاسلامية الصحيحة

جعلنا النهار معاشا) ومن الاحاديث الشريفة قوله (ص) « خير الكسب

حربية وان خيولهم جيدة تكاد تسبق ظلالها!! مع ان الحقيقة ان الفتوحات العربية كانت على البغال الا ان العرب أتوا بعقيدة سهلة التناول لا تثقل الجندي المجاهد ثم انهم فوق ذلك أتوا متشبعين بروح التسامح وذلك هو سر الانقلاب العظيم الذي أعطاهم ملك آسيا وأفريقية ونصف أسبانيا :

واذا كان ذلك كذلك أدركتم ما تبع هذه النهضة من الاعمال الجليلة ٠

أتى العرب بعقائد سهلة ملائمة للفطرة وأعطوا الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فترقت العلوم والفنون والآداب باجتهادهم الذي عجز عنه المسيحيون الذين عاصروهم واني ليخيل إليّ انه كانت على أبصار مسيحيي القرون الوسطى غشاوة من تنسك منعتهم من إدراك الاشياء على حقائقها

وقد جاء العرب في الوقت نفسه بمبدأ في البحث جديد مبدأ يتفرع عن الدين نفسه وهو مبدأ التأمل والبحث ٠

ثم هل تعرفون بأي كتاب من كتب العهد العتيق كان يتعلق المسلمون ؟

كان اهتمامهم بكتاب ارسطو أكثر منه بخيالات أفلاطون، نعم كان كل اهتمامهم بكتاب ذلك الحكيم المدقق وواضع أساس العلم في الحقيقة ثم انهم مالوا الى الاشتغال بعلوم الطبيعة و برعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء وقد وجد فيهم كبار الاطباء — ولفرط تقديرهم للحياة الدنيا نبغ فيهم الشعراء المجيدون الذين قالوا شعرا اذا وصفناه بانه أرضي فذلك لانه قريب من العقول يغذيها وينعمها وانه أفضل من خيالات شعراء القرون الوسطى بألف مرة فأين هذه الحياة من تخبط الغرب المسيحي في تماثيله وأوهامه وانزوائه!!

هذا واني لا أطيل القول في الشيء المشهور من أن الحضارة العربية بلغت شأوا عظيما في بغداد وقرطبة وانما يسرني ان أبحث في أسباب هذه المدنية الراقية وحدودها

واليكم أول ما يتبادر الى ذهن الباحث النزيه وهو ان الاسلام أعطى أشهى ثمرة لما سرت اليه روح المدنية القديمة خالصة من الشوائب ٠

فلم يكد يدخل القرن السادس حتى كانت الدولة في غاية الضعف وملئت جوانبها بالخلافات الدينية

إذاً فما هو الاسلام ؟ الاسلام دين جاء بخلاف كل ذلك فقد اعتاض عن تعدد درجات الادارة بسلطة واحدة يرجع اليها الحل والعقد في كل الامور ولم يقرر شيئا من وساطة القسيسين بين الآلهة والشعب ولم يسن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التي كانت متبعة مستفيضة بين المسيحيين في ذلك العصر وقضى أيضا على عادة التنسك والخروج من الدنيا فقرر الاشتغال بالدنيا والآخرة معا و بالجملة فقد أتى الاسلام بنظام مضاد للنظام المسيحي في ذلك العهد ملائم لحاجات الناس وهذا هو سر غلبته على الدين المسيحي

ثم ان الاسلام ارجع الدين الى حاله الطبيعية ولم يأت بشيء من تلك العقائد المسيحية الفلسفية بل قال بكل وضوح « لا إله إلا الله » و بذلك خلا الاسلام من ذلك الاعتقاد الذي قسم الدول الاوربية والذي جعل أهل مصر وآسيا الصغرى في حالة استياء من تسلط الدولة البزنطية

وكيف لا تميل هذه الشعوب الساخطة الى أهل الاسلام وهم يعلنون أنهم أهل التسامح مع مخالفيهم في الدين لا يطلبون منهم الا ضريبة يستعينون بها على اصلاح شؤونهم وشؤون الدولة الاسلامية ولقد بلغ الامر بأحد الولاة الى تثبيط دخول الذميين في الاسلام بدلا من أن يرغبهم فيه أو يكرههم عليه لان اسلامهم يقلل من دخل بيت المال

ومن هذا الوصف التاريخي الموجز يمكنكم ان تتصوروا كيف نضبت ينابيع الحياة في الدولة البزنطية وانتم تعرفون كيف انتشرت عادة التنسك والتقشف مع انها لم تقلل من فساد الاخلاق — ويمكنكم ان تدركوا كيف ان التبعة الآسيوية اعتبرت ظهور الاسلام ايذانا بنجاتهم وسعادتهم .

وأذكر أني أيام كنت أدرس تاريخ الاسلام كان الاساتذة يقررون سرعة انتشاره من دون ايقافنا على أسبابه، وغاية ما كانوا يذكرونه هو ان طبيعة العرب طبيعة

قال فيه الخليفة عبد الرحمن هذا القول لاني أخشى أن تتهموني بعمل مقارنة تشوه سمعة العالم المسيحي وتظهره بمظهر مخجل .

لبثت هذه المدنية التي أتت بالمدهشات والتي لايزال الناس في حيرة من أمرها زاهية زاهرة ثمان مئة سنة . فتح العرب الاندلس في سنة أو سنتين ثم لم تنتزع من أيديهم الا بعد ثمانية قرون من حكمهم . أليس ذلك مما يدعو الى العجب؟ واذا أضفنا الى هذه المدة المئتين أوالثلاث مئة سنة التي اتسعت فيها دولة الاتراك وبلغت شأواً بعيداً من العظمة الحربية علمنا ان الدول الاسلامية ظلت صاحبة السيادة على العالم مدة ألف سنة تقريباً وهي مدة تناهز عمر الدولتين اليونانية والرومانية

ولكن ثمة أمرا يرتبط بالموضوع الذي نبحث فيه الآن (موضوع التوفيق بين المسلمين) وهو نتائج ماجرى في القسطنطينية وما جاورها من شواطيء البحر الابيض وفي الاندلس من تعارف الاسلام والمسيحية وتآلفهما .

ابتدأ هذا التعارف في الاندلس بعد فترة قصيرة من الفتح الاسلامي ولا يفوتنكم أن مايرويه القصاصون من الجهاد بين النصارى والمسلمين في اسبانيا لا يطابق الحقيقة في جملته لانهم يمثلون « السيد » في قصة الفها (كورنيل) بطلا مقداما أعده قومه لمجاهدة الكفار (يريد المسلمين) في حين ان الحقيقة هي ان هذا البطل انما قدم نفسه لخدمة المسلمين وحارب في صفوفهم ومات وهو بين المسلمين يحارب اعداءهم . إن المستقرئ لاطوار العلاقات بين النصارى وأمراء الاسلام في الاندلس يعلم ان الامراء المسيحيين كانوا يستشيرون اطباء المسلمين اذا أصابهم أو أصاب أبناءهم مرض وكثيرا ماكانوا يفدون الى قصور الخلفاء ويقيمون بها حتى يتم شفاؤهم فترون أيها السادة ان هذه العادات تناقض بتة مايرجف به القصاصون من خرافة الحرب الصليبية الخالدة بين النصارى والمسلمين

لقد لزم مسلمو الاندلس التسامح مع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذي

ففي بغداد استفاد الاسلام قوته السياسية من تلك المدنية الفارسية التي قاومت عوادي الزمان والتي نشأ فيها من الفلاسفة والعلماء عدد عظيم وكذلك في أسبانيا حصل تمازج بين الروح الاسلامية والروح اللاتينية وسأبين لكم الآن ان افتراق هاتين الروحين كان وبالا عليهما معا

كان الباحثون في الاسلام يعتقدون ان الدين نظام كامل لايتبدل ولايتغير فيكفي ان يدرس مستقلا عن كل عامل أجنبي عنه للوقوف على قيمته ولكن الحقيقة ان كل دين يستمد جل قوته من العوامل الاجنبية التي كان له معها شأن ومن مقدار قبول الدين نفسه لتأثير هذه العوامل . وان لي كلمة على دولة الاسلام في الاندلس التي فتحها مسلمو افريقية الشمالية : انظروا الى قرطبة تلك المدينة التي سقطت الآن الى حضيض الهوان والفقر وانظروا اليها لما كانت في عهد الدولة العربية عامرة آهلة يبلغ عدد سكانها زهاء خمس مئة ألف نسمة وعدد مساجدها ثلاثة آلاف وعدد منازلها مئة وثلاثة عشر ألفا عدا ثلاث مئة من الحمامات العامة ثم اذا أردتم أن تقفوا على اخلاق أمراء المسلمين في تلك الدولة ودرجة آدابهم ورقيهم فاليكم صورة الوصية التي تركها عبد الرحمن الاول أحد خلفاء قرطبة لابنه وقد اخترتها عفواً من بين المستندات الكثيرة التي تتعلق بتاريخ الاسلام في اسبانيا:

«اعلم يابني ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء فاحمد الله على ان وهبنا ملك الاندلس ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، واعمل خيراً مع الناس كافة وخصوصا أولئك الذين وكل الله شؤونهم اليك ، وساوِ في حكمك وقضائك بين الفقراء والاغنياء ولا تولِّ أمور الناس الامن عرفت فيهم الحكمة والخبرة ، وعامل جندك بالشدة واللين معا ليكونوا حماة الدولة لاعونا للظلمة من الحكام . وواجب عليك أن تظل الزراع بحمايتك ، وأن تودهم بمعونتك ، لانهم مورد حياتنا واحرص على محبة الرعية لك وتعلقهم بك . . . » الخ

اني أود أيها السادة أن أسمع مثل هذه الوصية من رئيس وزارتنا في زمننا هذا ولا أفكر في وصف ما كان يجري في بلادنا في القرن العاشر أي العصر الذي

سبيل اقتناء الذهب بأية وسيلة راجع في الا كثر الى فقر أوربا واعوازها من الحاصلات التي تتبادلها مع تجار المشرق

هذا من جهة الماديات وأما من جهة العلوم والآداب فان أوربا لبثت ثلاث مئة سنة تقتبسهما من الاسلام وكانت المدنية الغربية تجني ثمارهما اليانعة .

ولكن حادثين عظيمين أوقفا سير ذلك التيار الكهربائي الذي كان يحيط بالبحر الابيض المتوسط وهما : استيلاء الاتراك على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ واستيلاء الاسبانيين على غرناطة سنة ١٤٩٢

فمن ذلك اليوم قامت حرب الاحقاد الدينيــة حتى انك ترى آثار التعصب الاسباني في تاريخ عرب الاندلس كالنقطة السوداء في الصحيفة البيضاء الناصعة ولاسيا في ذلك الوقت الذي حالف فيه الامير يوسف جماعة القسيسين . وفي رأيي ان تعصب الاسبانيين كان أفظع وأقل عذراً لانه جاء في زمن كانت القوة والعدد لهم . وان الاستيلاء على غرناطة الذي يفتخر به الاسبانيون والذي يحسبونه يجمل عصر فرديناند وايزابلا لم يكن في الحقيقة الا عملا وحشيا بربريا لم أعهد في التاريخ أقبح منه ، خصوصا وان امارة غرناطة لم تكن لتهدد أسبانيا في شيء لاستيلائها على ما حواليها من الاراضي والمدن ، وانما كانت غرناطة عروس أسبانيا وزينتها — ولا بد ان يكون الا كليروس الاسباني أو الطليطلي رأى ان يمحق هذا الجمال ويزيل هذه المدنية البديعة خدمة للمسيحية والمسيحية بريئة منه .

والأدهى من ذلك ان المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم أخلفوها وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها فتلذذوا بمنظرها وظنوا أنهم بعملهم هذا قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم. ثم إنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا في المسيحية كافة ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعوهم زمرا زمرا وحبسوهم في غرف واسعة ورشوهم بالماء اشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم ! — ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتنصرين لا يزالون يفتنون طمعوا في أموالهم وصاروا يظلمونهم من آن لآخر . ومن ذلك ما وصل الينا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال

اضمحلت فيه دولتهم وأخذ أعداء المسيحيين ينقصونها من أطرافها فاذا اتيح لاحدكم أن يتجول في انحاء اسبانيا الآن يمكنه أن يقف على آثار العرب هناك وعلى بقايا ماشيدوه في دور اضمحلالهم ليستخلص من دراسة تلك الآثار ان الاندلس كانت بلاد غنى ورفاهة حتى في دور تضعضع سلطان المسلمين ويدهش من أنها كانت في ذلك العهد أيضا بلاد تسامح وتساهل .

في هذا العهد كانت دولة غرناطة زهرة أوربا وكان كل من يريدون أن يستنشقوا نسيم الحرية المدنية يذهبون الى تلك البلاد فارين من البلاد التي كان يحكمها الامراء المسيحيون وهي مهد القسوة والظلم هنالك يعاقب الامراء من يأسرونهم في ساحة الحرب بالقائهم الى كلاب مفترسة تمزق أجسامهم إرْباً إرْباً

لم يكن ذلك مقصورا على الاندلس بل كان بين المسلمين والمسيحيين علاقات متينة محكمة لبثت من انتهاء الحروب الصليبية الى فتح القسطنطينية . فانكم تعلمون أيها السادة ان عظمة البندقية وجنوه في العصور الوسطى راجعة الى تجارتهما مع الشرق وتعلمون مااستفدناه من احتكاكنا بالمسلمين اذ ذاك فقد كان لنا كثيرمن البيوت التجارية في فلسطين وسوريا واليونان ولا يخفا كم ان من أسعدهم الحظ من الغربيين بازدياد احتكاكهم بالمسلمين كان يسري اليهم كثير من عاداتهم وأخلاقهم الشريفة حتى قلقت الكنيسة الكاثولكية على أبنائها من سريان روح الاسلام اليهم ونظرت بعين الخوف الى تنازع المبادىء الاسلامية والمسيحية وخصوصا الى مبدأ التسامح الذي كان آفتهم وعدوهم اللدود ! !

هذا وان هناك حقيقة يجب أن نبينها وهو انه في هذه الفترة التي تعارف فيها المسلمون والمسيحيون أي من انتهاء الحرب الصليبية الى فتح القسطنطينية، في هذه الفترة التي تعارفت فيها المدنيتان المسيحية والاسلامية ـ كان الاسلام هو العنصر المؤثر والعالم الاوربي هو العنصر المتأثر ، فكانت أوربا تجلب من المشرق كل ما كانت تحتاج اليه من المصنوعات والمنسوجات وضروب الرفاهة حتى لم يعد في امكانها ان تدفع ثمن كل ماتشتريه، ومن ذلك تعلمون ان سبب اندفاع امراء أوربا في

نعم ان براعة الاوربيين قد ظهرت في المسائل المادية فترقت العلوم والفنون والصناعات بين أيديهم . ثم انهم تحملوا المشاق وقاموا بالاعمال الجسام ولكنهم عجزوا في كل وقت عن أن يفقهوا مدنية أجنبية عن مدنيتهم وأن يقفوا على كنه عقول ليست من عقول اخوانهم في الجنس وقد أدركوا اليوم ضلالهم في خطتهم الاولى وشرعوا يتلمسون خطة جديدة غايتها تقدير نفوس الاهلين الاصليين ومعرفتها معرفة صادقة

فهذا التفسير التاريخي كاف لايقافكم على أسباب ارتقاء الاسلام تارة وأسباب أفول نجمه تارة .

اني أيها السادة أتبع في بحثي هذا الطريقة التاريخية فلا أقصره على الوجهتين الدينية والفلسفية لاننا اذا قصرنا ابحاثنا على ذلك انسد أمامنا مجال البحث وعجزنا عن الوصول إلى حقائق الاشياء فجدير بنا اذن أن نتتبع الادوار التاريخية التي مر بها الدين لنعرف طبيعته واستعداده للارتقاء .

ان لنا أن نحكم على بعض الاجناس من البشر بانها لا تقبل الارتقاء والمدنية ولكن اذا رأينا أمة كان لها في خلال العصور مدنية زاهية زاهرة فمن الظلم أن نحكم على تلك الامة بالسقوط الابدي و باستحالة يقظتها وارتقائها لان الامة التي أمكنها أن تنهض في وقت ما يمكنها أن تعيد عهد نهضتها في المستقبل

يقولون ان عقيدة القضاء والقدر هي السبب في استحالة ارتقاء المسلمين و يهمني أن أتناول في بحثي هذه المسألة التي طال عليها القدم والتي قال العلماء وكتبوا فيها كثيرا . أليس فيما يقولونه عن هذه العقيدة شيء صحيح ؟ وما هو تأثير تلك العقيدة التي يفهم الناس منها انها تحمل صاحبها على الاستسلام للحوادث من غير ان يبدي مقاومة ما ؟

الا ان مبدأ القضاء والقدر لم يختص به الاسلام بل قررته المسيحية بصفة اوضح وأجلى فاذا قلنا ان سبب انحطاط المسلمين تقرير دينهم لهذا المبدأ فماذا نقول عنه في المسيحية ؟

اللغة العربيـة والاستحمام في الحمامات العامة والسبب في هـذا الامر الاخير ان الـكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يغفر!!!

ولقد زرت غرناطة ورأيت آثار تلك الحمامات المحكمة البناء البديعة النقوش التي أمر فيليب الثاني بتهديمها حقدا منـه على المسلمين ومطاوعة لاعتقاد الكنيسة الاسبانية انها مأوى الشياطين!! . في هذه الحمامات كان العرب يتنظفون وبهـا يتطيبون مع اننا نلاقي مصاعب عظيمة في تعويد بني وطننا على عادة الاسـتحمام النافع وانكم تعلمون كيف طرد المسلمون المجـبرون على التنصر من وطنهم سـنة ١٦١٠ ثم كيف خانهم أصحاب السفن فألقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم في أرض لا أنيس بها .

وبذلك انقلب الاسـلام المتمدن بربريا نعم لما انفرد الاسـلام بنفسه بينما كانت أوربا تخطو خطوات واسعة وترقى درجات عالية أصبح كشجرات الزيتون المشوهة التي نراها في جبال تونس فهي غليظة الجزع ولكنها تثمر ثمارا غير جيّدة هذا ولا تظنوا ان أوربا لم تتأثر من مفارقة المدنية الاسلامية فانها بدأت تشعر اليوم بالنقص — ثم هل نحن في حاجة إلى بيان ما وصلت اليه أوربا من الرقي وما انعكس من تقدمها على البلاد الاجنبية ؟

الا أنها في علاقاتها مع الاجانب عنها كانت فظة غليظة القلب ويكفي أن أذكركم بفظائع دخول الاسبانيين أمريكا لتتبينوا بأنفسكم قيمة المسيحي أيام طرد العرب من أسبانيا ولقد ضاع رشـد الاسباني حتى لم يعد يدرك معنى الحياة فيقود الامم الاجنبية .

ولو أنكم تطالعون تاريخ الاستعمار في القرنين الاخيرين لتمثلت لكم روح الظلم والعدوان ولرأيتم ان اتساع سلطة أوربا وانتشار نفوذها انما كان باسترقاق السود وتعذيبهم ولرأيتم ان غرضها إنما كان جمع المال لاتتحرج من اتيان الشر والاعتساف كل ذلك جاءها من مغادرة الاسلام لها وافتراقه عنها — ولقـد بلغ من غلوها فى الظلم والاعتساف أنها رأت في بعض الاحايين أنه لا يستقيم لها بلدالا اذا استأصلت أهله وأهلكتهم وهكذا فعلت انـكلترا في أمريكا

الخلافة في صدر الاسلام : كان الخلفاء يقومون باعباء الخلافة كلها أو يسندونها كلها الى عمالهم في الولايات فلم يكونوا متبعين قاعدة تقسيم العمل في ادارة شوؤن الدولة كما هي الحال في الممالك الحديثة بل كان الامير أو القائد البعيد عن رئيسه ينوب عنه في جميع مظاهر سلطته وهو نظام كامل في عهد الفتوحات والحروب ولكنه مستحيل اذا جاء طور الحضارة وتشعبت الاعمال فلا يعود في امكان فرد واحد ان يمثل السلطة العليا التي أنابته في فروعها كافة

واذا أردتم ان تقفوا على اضرار هذا النظام فانظروا الى الطريقة المتبعة الآن في مراكش لجباية الاموال والضرائب تجدوا ان وظيفة الجباية أشق الوظائف وأصعبها فان قائد الجند هو الموكل بالجباية ولا يمثل السلطان الا بقيادته للجيش ولذلك لا يمكنه ان يجبي الاموال الا اذا سار بجيشه نحو القبائل فيصادف كثيرا من المشاق والمتاعب في سبيل القيام بوظيفة نقوم بها نحن على أسهل الطرق لما لدينا من مصالح منتظمة نقيد فيها الحسابات فلا يحدث في الجباية ارتباك وتعقيد البتة

إني أذكر ان سلطان مراكش السابق قضى حياته في الحروب الداخلية، قضاها على ظهر جواده متنقلا من قبيلة الى أخرى كل ذلك ليصل الى جباية الضرائب في حين ان الذين يقومون بهذه الوظيفة في بلادنا مثلا هم جباة من آحاد الناس يؤدونها وهم بمنجاة من التعب والنصب

فبالطرق النظامية التي نتبعها لانحتاج في جباية الضرائب الى ازهاق الارواح بل يكفينا ان نتبع الوسائل النظامية التي تكفل القوة العامة بحمايتها وتحقيق غايتها

هذا هو خطأ الاسلام في دائرة العمل على أن هذا الخطأ — ان صح ان نسميه كذلك - ليس مما لا يمكن تداركه فان تلك الصبغة العامة اللينة التي اتصفت بها مبادىء الاسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا ينافيها بل يقابلها بصدر رحيب ولذلك ترون المسلمين المستنيرين لا ينفرون من النظامات التي أنبتتها مدنيتنا بل ترونهم يقبلون عليها ولا يجدون من دينهم حرجا في اتباعها

أما في دائرة الفكر فينقص الاسلام أمر واحد لم يحرم منه في عهد عزه بل في

ان لكم ان تسألوني لماذا لم يؤثر هذا المبدأ في أبناء المسيحية وانى أبدأ الجواب بقولي ان هذا المبدأ مبدأ الاستسلام للحوادث قد كان له أثر فعال في حياة المسيحيين فترة من الزمن ولكني أجيب عن هذا السؤال متبعا الطريقة التاريخية التي توخيتها في هذا البحث وهي ان كل دين لا يثمر ولا تبدو نتائجه من نفسه بل لا تظهر قيمته الا بعد ان ينتحله شعب من الشعوب

فالمسيحية ظهرت في ربوع الشام تلك البلاد الغنية الجميلة ولكن انتحلها اقوام أشداء بعيدون عن طور الحضارة في بلاد ذات هواء قاس تحدو بأهلها الى اجهاد أنفسهم فلم يأخذوا من المسيحية الا ما يلائم طبائعهم ويتفق مع اخلاقهم الشديدة، وكذلك كان الامر في الاسلام إذ لم يعرف المسلمون الاولون الاستسلام للحوادث، بل كانوا لا يتركون من يعتدي عليهم من غير أن يثأروا منه لانفسهم وتلك كانت حالهم في زمن الفتوحات فلما سرى اليهم الضعف والانحلال أصبحوا قوما جبريين يتركون المصائب تنزل بهم وتعمل فيهم ولا يقدرون على الخلاص منها مكتفين بالتسلي وقولهم « كل ذلك كان في الكتاب مسطورا » فالمبادئ الدينية تفسرها الامم بحسب ماتوحيه اليها طبائعها وأخلاقها فتأخذ اشكالا متباينة ولذلك تكون في عصر ما سببا في ارتفاع الامة وفي عصر آخر عاملا من عوامل انحطاطها

أفل نجم المدنية الاسلامية بعد ما أثمرت واينعت فترة طويلة من الزمن ولكن هذه المدنيـة تكفيها نفحة من نسيم الحياة الجـديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها

أيها السادة : اذا كان الاسلام قد أخطأ بخطوه في تلك السذاجة التي اختص بها من دون الاديان والتي لم تأت على ما كان يقصد منها . لست ادري ان كان لنا أن نقول عن تلك الميزة انها خطأ فقـد كانت في العصور الوسطى نعمة على المسلمين الا انها انقلبت ضررا فيما بعد

ان الاسلام لم يتوسع في مبادئه وقواعده ولم يحللها تحليلا يتناول أصول الاشياء وفروعها سواء كان ذلك في دائرة الفكر أو في دائرة العمل . انظروا مثلا الى نظام

ولقد سبقني الى هذا الموضوع الذي أخطب فيه الآن أحد علماء المسجد الأكبر وأحد أعضاء هذه الجمعية فطفق يسرد الادلة على اتفاق الاسلام مع المدنية الحديثة وعلى مقتضى آرائه في هذا الموضوع رسمت الجمعية خطتها ولا تزال تسير بمقتضاها الى الآن

ولا يفوتني أن أذكر لكم الصعوبات التي يلاقيها القائمون بالحركة الاصلاحية من أنصار القديم فانه وان كان أهل الرأي والبصيرة من المسلمين يرون اتفاق الاسلام مع فضائل التمدن الغربي سهلا فان هناك فريقا كبيرا يطعن على هذه الحركة ويحاربها · فكر أعضاء هذه الجمعية في تجنب الاندفاع في قلب نظام التعليم القديم فلم ينشئوا دار الجمعية في مسجد الزيتونة بل تركوا المسجد على نظامه وأقاموا بجواره هذه الدار · و إنما تركوا المسجد حتى لا يثيروا عليهم سخط الجمهور

حييت الجمعية وانتشر مبدؤها بالرغم عن المعاكسات التي اعترضتها فى مبدأ أمرها لان كل اصلاح لا بد وأن يلاقي في طوره الاول معارضة ولقد كثر أعضاء هذه الجمعية وصار طلبة مسجد الزيتونة بعد أن يتلقنوا العلوم فيه على الطرق التقليدية يفدون إلى دار هذه الجمعية فيستنيرون بما يلقى فيها من العلوم الحديثة وان هذه الجمعية لا تزال في مهدها ولكن من المحقق أن سيكون لها في نهضة الاسلام يد طولى فيتحقق مبدأ القائلين : ان الاسلام لاينافي المدنية ·

بقيت مسألة جديرة بان نبحث فيها وهي ما يتخوفه بعضنا من قرب احداق خطر تيقظ المسلمين بنا · واني معبر لكم عن آرائي في هذه المسألة بالصراحة التي سمعتموها في جميع النقط التي تناولها بحثي اليوم

ان هناك أمرا يجب أن نقف على حقيقته وهو هل نقدر على ايقاف تيار هذه النهضة الاسلامية وهل في وسعنا أن نقضي عليها ؟

اعلموا أيها السادة ان هذه النهضة اذا قويت وكملت بعد أن كنا محاربين لها فلا بد أن تنقلب علينا وتتجه ضدنا وتتم على مالا نرضاه ومالا يتفق مع صالحنا البتة

العصور الاخيرة وهي طريقة التحليل العلمي طريقة توزيع العلوم حتى يسهل على كل فريق ان ينبغ فيما انتدب له وانه يحضرني الآن مثال على ذلك:

كنت منذ عهد بعيد مشتغلا بالبحث عن حال المسلمين الفكرية وأدى بي البحث مرة الى محادثة بعض علماء المسجد الاكبر في تونس. اجتمعت معهم خفية لان المسلمين والفرنسيين كانوا لاينظرون بعين الارتياح الى التقرب بين زعماء كل من المدنيتين فقلت لاحد اولئك العلماء:

« كيف تفسرون ان كلياتكم كانت زاهية زاهرة في العصور الوسطى وانها أمدت أهل أوربا اذ ذاك بالعلوم والمعارف ثم اصبحنا الآن أعلى منكم كعبا في العلوم كافة — حاشا الدين — وسبقناكم في هذا الميدان بمراحل؟

ان السبب الذي أراه هو أنكم متبعون الآن نفس الطريقة التي كنا نتبعها في القرون الوسطى، انكم لاتتبعون نظام التقسيم في العلوم وتخصيص كل فريق بفرع منها بل يعمل كل منكم معتقدا أن في امكانه تحصيل العلوم كلها، أما نحن فقد وصلنا الى درجة راقية في العلوم باتباعنا طريقة تحليل العلوم وتوزيعها وكما اننا أمكننا أن نخرج من حالنا السابقة فيمكنكم أنتم أيضا أن تخرجوا من حالكم الحاضرة الى حال أرقى منها باتباعكم هذه الطريقة نفسها »

لقد شاهدت بنفسي أيها السادة أهل تونس يقبلون على العلوم الحديثة وآنست فيهم صفات ومواهب ساعدتهم على الارتقاء في هـذا المضمار. وكأن محادثتي مع علماء تونس وترغيبي إياهم في اتباع الطرق الحديثة لتحصيل العلوم دينية كانت أو غير دينية قد أثمرت وأتت بالنتيجة المبتغاة لانها حركة اصلاحية ابتدأت في تونس وسيكون لها مستقبل كبير

أسست في حاضرة تلك البلاد جمعية بمساعي بعض التونسيين النيرين دعوها الجمعية الخلدونية نسبة الى المؤرخ المغربي الشهير عبد الرحمن بن خلدون وقد وجهت اهتمامي الى تأسيسها وأخذت أساعدها ورغبت رؤساءها في أن يقصروه على الاعضاء المسلمين وكان غرضي من ذلك ان أثبت درجة استعداد الاسلام لتلقي العلوم الحديثة وكفاءة المسلمين لتلقين اخوانهم ثمار هذه العلوم

أيها السادة : ان مبـدأ التفريق بين عالم المادة وعالم ما وراء المادة قد تبيّنه المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها مايناقض دينهم المشهور بالتسامح ولا أريد أن أتخذ من التونسيين برهانا على ذلك خشية أن يقال فيهم انهم انمـا يتبعون الخطة التي نوحيها اليهم والتي نقصد منها إفراغهم في قالب فرنسي يتفق مع أغراضنا الاستعمارية ، بل أقول لكم انظروا إلى الاتراك وكيف وفقوا بين الدين وجنسيتهم العثمانية فأظهروا بذلك ان الحكومة الاسلامية قابلة لمبـدأ الجنسية وان مبدأ الدين فيها لا يمنعها من ان تصطحب مبادى حكوماتنا الحديثة

ان الحكومات الاسلامية لسعة مبادئها قابلة للتشكل باشكال مختلفة وهذا التشكل هو الكفيل بارتقائها ، اتذكرون أيها السادة ماقاله الاقدمون في المسيحية ؟ قالوا انها اذا ارتبطت بشكل الحكومة الملكية ولم تتحول عنه كان في ذلك القضاء عليها وكذلك الحال في كل دين من الاديان فلو ان الاسلام اتخذ شكلا من اشكال الحكومات وظل باقيا عليـه لا يعدل فيه ولا يغـيره لمات موتة أبدية وافضى ذلك الى ضرره وضررنا .

واسمحوا لي ايها السادة ان أختم كلامي بتذكيركم بتلك الكلمة التي قالها مسيو جونار حاكم الجزائر العام تلك الكلمة التي املتها الحكمة والدربة وهي : « ليس المقصود من الفتوحات مجرد الاحتفاظ بالبلاد بل هناك ماهو اسمى غرضا من ذلك وهو الاحتفاظ بالقلوب والارواح » .

ليست نهضة الاسلام بالامر الهين وليست الجزائر وتونس هما البلدين اللذين ينهض فيهما الاسلام بل هناك مصر التي حدثتكم عنها والتي خطت خطوة كبرى في نهضتها وهناك كثير من البلاد الاخرى التي حيي فيها الاسلام حياة جديدة

على ان هناك اعتبارا أشرف من هذا الذي ذكرته لكم يدعونا الى أن لا ننظر بعين الكره والسخط الى يقظة المسلمين وهو ان هذه الحياة الجديدة التي ابتدأ يسري روحها في العالم الاسلامي من شأنها أن تقرب بين العالمين المسيحي والاسلامي وتوفق بين المدنيتين الغربية والشرقية

يقول بعضهم : اذا كنا نفرض أن المسلمين يسيرون في طريق المدنية الغربية سيرا حثيثا فلماذا نعتبر أن ستكون هناك مدنيتان ولماذا لا تفنى المدنية الاسلامية في جسم المدنية الغربية مادام المسلمون يأخذون العلوم عنا ولان العلوم هي أساس كل مدنية ؟ على اني لا أشارك أصحاب هذا الرأي في رأيهم لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات لها تأثير كبير في أحوال الشعوب وهذه المعتقدات هي دائرة الدين

ان الذين يقفون على الحركة العلمية في بلادنا يعتقدون أن العلم يعترف بوجود دائرة مجهولة لا تزال بعيدة عن مداركه فقد ابتدأ الفلاسفة والعلماء يوضحون تلك الحقيقة الثابتة وهي أن العلم مهما اتسعت دائرته فلا يزال أمامه عالم غامض ومهما استجلى العلم من حقائق ذلك العالم فستظل دائرة المجهول أوسع بكثير من دائرة المعلوم .

انه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس مادام عالم ماوراء المادة مكتنفا بالمدهشات وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الدين الاسلامي ذلك الدين الذي أتى بأحسن العقائد وأكثرها ملاءمة للفطرة والذي سعد حظه بان امتد ظله على ضفاف البحر الابيض تحت سماء صافية الاديم لم تتلبد بالغيوم كما تلبدت سماء بلادنا في الزمن السالف فظل نوره متلألئا في تلك البلاد المتنائية الاطراف ولم تقدر الحوادث على اطفاء ذلك النور الرباني الساطع

هذه النظرية باطلة من عدة وجوه ولكنهم يحققونها بالقوة : هل يمكن ان تكون الامة كلها جاهلة أو سفيهة كالطفل أو المجنون فلا يوجد في سوادها الكثير أفراد يصلحون لتدبير أمرها ، وإقامة العدل والنظام فيها بالشورى دون هوى الرئيس ، و يكون ذلك الرئيس الذي يدعي حق الوصاية عليها ، والولاية على جميع مصالحها ، هو الحكم العدل ، والعاقل الرشيد ، يأخذه عن آبائه بحق الارث ، كما يرث عنهم الولاية والملك ، ؟

كلا إن ذلك أمر غير معقول ،وحكم استبدادي غير مقبول ،المشاهدة تنقضه، والتاريخ يفنده ، فقد قرأنا في سير الغابرين ، ورأينا في حال الحاضرين ، ان اكثر الملوك والامراء المستبدين .هم أعرق أفراد أممهم في الجهل ،وأوغلهم في أفن الرأي، وأشدهم فسادا في الارض،

أي قاض من قضاة العدل حكم بجنون الامة أو سفهها ، ووجوب نصب فرد من الافراد وصيا عليها ؟أي شرع يبيح للوصي ان يتصرف في حال السفيه أ والقاصر تصرف المالك في ملكه ،ولمن كان في وصايته كثيرون ان يتبع في معاملتهم هواه ، فيمنع بعضهم من حقه ،و يعطي الآخر مالا يستحقه، كما هو شأن الملوك والامراء المستبدين!!

ألا ان هؤلاء الادعياء في وصايتهم ،المعتدين في ولايتهم ،ليسيئون التصرف في مال الامة وفي سياستها ، فهم قد جعلوا انفسهم أوصياء عليها بالقوة القاهرة ، و بالقوة القاهرة يمنعونها من التصرف معهم ومشاركتهم بالرأي، بل يحولون بينها و بين معرفة ماتملك، وما لها من حق لرأي والتصرف ،لتبقى عالة عليهم ،راضية ببقاء الامر فيهم ،ولهذا يمقت المستبدون العلم و يقاومونه اشد المقاومة ،وقد رأيتم ذلك في انفسكم فقد كنتم منذ اشهر تحرقون كتب العلم ، أو تدفنونها في حنادس الليل تحت الارض ، خوفا من ز بانية الاستبداد أن تدمر على بيوتكم قتراها ، فتنزل العقاب الشديد بمن اقتناها ، على انهم كانوا يعاونون الذين يهر بون السلاح ، و يساعدون الاشقياء على إفساد الامن وهضم الحقوق، فقد كان كل ذنب مباحا أومتساهلا فيه عند حكومتنا الماضية الاذنب العلم واقتناء الكتب والصحف الحرة ، التي كانوا يعبرون فيها بالاوراق المضرة ،

الخطبة الثانية (*

﴿ من خطبنا في الديار السورية ﴾

وهي من الخطب السياسية

أيها الاخوان الكرام

اقترحتم علي ان أقول شيئاً في الدستور والاجتماع وماذا عسى ان أقول في موضوع قد تبارى فيه الخطباء الكثيرون من قبل فلم يدعوا لمن بعدهم مقالا ، ولم يغادروا لمن تأخرعنهم متردَّما ، فرب فكر فيه أريد ان ألقيه عليكم ، فيخطر في بالي انه قد ورد على مسامعكم ، وجال في مجامعكم ، فيقف الفكر ويتلعثم اللسان ، ولكنني لم أحضر تلك المجامع ، ولم أسمع شيئاً من تلك الاقوال ، فاذا قلت شيئاً مما قيل من قبل ، فلي فيه شيء من العذر ، ورب مكرر يحلو ، ورب إعادة ، فيها افادة ،

المراد من الدستور ان يكون حكم الامة كأن تديره بيد من تختار من أفرادها ، لا بيد رئيس يستبد فيه برأيه ، ويتصرف فيها بهواه وارادته ، وان استبداد شخص واحد بأمة كبيرة لمن أعجب أمور البشر في طور الجهل والانحطاط

أتدرون ما هي القاعدة النظرية التي يبني عليها المستبدون هيا كل سلطتهم الجائرة؟ هي ان الامة كالمجنون أو السفيه أو الولد القاصر الذي لا يحسن التصرف في ملكه فلا بد له من وصي يقوم بمصالحه ، وولي يتولى تدبير أموره!!!

---

*) بعد وصولنا الى طرابلس جاء أمير الالاي عبد الحميد بك وكيل قومندان موقع طرابلس العسكري مع وفد من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ودعونا لزيارة نادي الجمعية فذهبنا معهم وهناك اقترحوا ان نلقي عليهم خطابا في الدستور والاجتماع فارتجلنا خطابا نثبت هنا ماتتذكر من مسائله ولعله معظم كلياتها ولا نزيد شيئا الا ان يكون في العبارة كزيادة السجع دون جوهر المعنى

على الدولة العلية ، وإعادة الدستور العثماني ، وإحياء القانون الاساسي ، فما هو رأيكم في هؤلاء المجتمعين ؟ ألا يقول اكثركم انهم مجانين (مجانين مجانين) بلى ولكن قد علمتم الآن علم اليقين ان هؤلاء النفر هم الذين قوضوا تلك السلطة الظالمة ، وقضوا عليها قبل أن تقضي هي القضاء الاخير على الدولة العلية ، فما الذي أقدر ذلك العدد القليل ، على إسقاط حكومة مؤيدة بجيش عظيم ، ومال كثير ، وألوف كثيرة من الاعوان والانصار ، القابضين على زمام الاحكام ، كانت ترتعد من ظلمهم الفرائص ، وتضطرب لتصور استبدادهم القلوب ؟ إليس هو الاجتماع للمطالبة ، والتعاون على استبدال العدل بالظلم ، ؟ بلى ولو كان أولئك الانصار الاخيار من اليائسين ، كما كان اكثر العثمانيين ، لما نالت الامة العثمانية هذا النصر المبين ، الذي كان موضع إعجاب الناس أجمعين ، حتى قال كثير من ساسة أوربا وكتابها انه لم يسبق له نظير في تاريخ البشر ، لان المعهود في التاريخ أن هذه الغاية لا تنال الا بعد ثورات داخلية ، وحروب أهلية ، بين أنصار الاستبداد والظلم ، وطلاب الدستور والعدل ،

الآن قد خطر في بال كثير منكم اننا قد نلنا هذا النصر بسيوف جيوشنا ، لا بتدبير أفراد من جمعياتنا ، نعم اننا لولا جيشنا الباسل لما عملنا الآن شيئا ، ولكن لا ننسى أن جيشنا قد كان منذ كان حامي السلطة الاستبدادية ونصيرها ، وعونها على قهر الامة وظهيرها ، فما عدا مما بدا ؟ أليس قد اتحد بعض ضباطه اهل العرفان والحمية ، بأولئك المجاهدين في سبيل العدل والحرية ، فكان العلم والرأي ، هما القائدين للجيش ؟ بلى

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

نلنا الحرية والدستور وأصدر قاضي محكمة الاجتماع العليا حكمه ببطلان تلك الوصاية الاستبدادية ، والولاية القهرية ، واثبات رشد الامة وأهليتها للقيام بشؤونها ، والتصرف في ملكها ، ولكن هل رشدت الامة حقيقة وصارت أهلا للتصرف النافع ، الذي تحفظ به المصالح ؟ إن الحكم الصحيح في شأن الامة العثمانية عسير جدا . فانها على اختلاف شعوبها في الاجناس واللغات والاديان والمذاهب متفاوتة تفاوتا عظيما

لماذا ؟ لانهم يعلمون ان الامة اذا عرفت حقوقها ، يوشك ان تجتمع فتطلبها من طريقها ، واذاً يحرمون من التمتع بذلك السلطان المطلق ، والتصرف بتلك القناطير المقنطرة ، فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : العاقل لا يظلم ولا سيما اذا كان امة

ما هو الطريق الذي تسلكه الامم لاسترجاع حقوقها المغصوبة من الملوك المستبدين ؟ ألا إنه لهو الاجتماع والتعاون : الاجتماع الذي تسوق اليه المعرفة ، والتعاون الذي يدعو اليه الشعور بالحاجة ، ومن هنا ننتقل الى الكلام على الاجتماع والجمعيات

الاجتماع على الحق قوة لا تعلوها قوة ، بهذا قد جرت سنة الله في خلقه وقد ورد في الحديث الشريف « يد الله على الجماعة » وهذا أبلغ تمثيل لعظمة هذه القوة ، وأي شيء أعظم قوة ممن كانت كلاءة الله ظلا ممدودا فوقهم ، وسنته في النجاح صراطا مستقيما أمامهم ، ألا ترون أن الحكام المستبدين يطاردون الجمعيات ، ويخافون منها ما لا يخافون من الجيوش المنظمة ، والاساطيل المدرعة ، لعلمهم ان الحق لا يغالب اذا وجد نصيرا . قال الاستاذ الامام « إنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه »

ماذا أقول في بيان قوة الجمعيات ؟ هي التي قوضت حصون الظلم ، ودمرت هيا كل الاستبداد ، وحررت الامم والشعوب من العبودية ، وشيدت فيها صروح العلم والمدنية ، وليس الشاهد والدليل على هذا ببعيد عنكم وانتم الآن في نادي شعبة للجمعية التي أسقطت سلطة الاستبداد في المملكة العثمانية ، وأدالت منها سلطة دستورية شورية ،

أرأيتم لو أن أحدا همس في آذانكم قبل ثلاثة أشهر وأنتم تئنون من ذلك الظلم الفاحش قائلا : ان نفرا من اخوانكم العثمانيين لا يتجاوزون عدد الانامل يجتمعون في حجرة لهم نوافذها مغلقة ، وستورها مسبلة ، يتخافتون بينهم في تدبير الحيل ، واتخاذ الوسائل ، لتقويض هيكل تلك السلطة الاستبدادية ، التي أوشكت ان تقضي

والدولة في خطر لا تؤمن عاقبته ؛ وإنما قلت ما قلت آنفا لانبه الافكار الى حقيقة حالنا وما يجب علينا في هذا الطور الجديد

الامة العثمانية في مجموعها مستعدة للحكم الدستوري فان فيها من الاحرار المرتقين في المعارف والاخلاق من جميع الشعوب من يرجى ان يقوم بهم هذا الحكم خير قيام ؛ ويؤمن عليه من عدوان الاستبداد ، ولكن ضعف استعداد الامة في كثير من البلاد يحملهم مشاق كثيرة في إقامة العدل، واصلاح حال الملك ؛ومقاومة كيد المتقهقرين ؛ أعوان المستبدين الظالمين ،

لا تظنوا ان الاحرار الكرام الذين نلنا الدستور بسعيهم كانوا غافلين عن هذا ؛ كلا إنهم قد أعدوا له عدته فأخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها ان تكفل الدستور الذي كانت قابلة ولادته وأمه ومرضعه الى أن يبلغ أشده ويستوي؛ فانشأت لها شعبا ولجانا في كل مركز من مراكز الولايات والالوية والاقضية في المملكة؛ وجعلت لها أندية سياسية اجتماعية ولها في ذلك مقصدان :

المقصد الأول مراقبة الحكومة في سيرها لاجل ان تنفذ الشريعة والقوانين في دائرة الدستور، ويحفظ الامن ويقام العدل بقدر الاستطاعة والإمكان. والمقصد الثاني نفخ روح الحياة الدستورية في الامة وتحبيب الحرية اليها ببث الآراء والافكار النافعة فيها بالخطب والمحاورات ؛ وحثها على التربية الملية والتعليم العصري الذي يجعلها أمة دستورية بالطبع ؛ تأبى الاستبداد وتنفر منه كما تنفر من الاسقام والادواء. فحيا الله جمعية الاتحاد والترقي ، وانه يجب على الامة كلها ان تساعدها في سعيها فانه لا حياة لنا الا بالتربية الملية وتعلم الفنون العصرية ...

في التربية والتعليم اللذين يؤهلان الامم للحرية والحكم الدستوري فتكون دستورية بطبيعتها لا مقودة الى الدستور بالسلاسل

إن مجموع الترك أرقى في هذه التربية من مجموع العرب، والارمن أرقى من الاكراد، والاستانة والولايات الاوربية، أرقى من الولايات الآسيوية، وولايات سورية وسط بين ولايات أوربا و بين العراق والحجاز واليمن، واننا نرى الاستعداد في سورية ضعيفا فماذا نقول فيما دونها ،فكرنا كثيرا ونحن في مصر لنختار من كل مدينة في سورية أفرادا من الاحرار الشجعان ليؤلفوا لنا شعبا لجمعية الشورى العثمانية فلم نعثر في أكثر المدن على من نثق بقبوله لدعوتنا ،ودخوله في جمعيتنا ،دخل في الجمعية رجلان من أهل بيروت كل منهما صديق للآخر ولم يكاشف احدهما الآخر بذلك الا بعد إعلان الدستور، وناهيكم بجرأة أهل بيروت

ان العاقل الراشد اذا منع التصرف في ماله بالقوة القاهرة وطال عليه الزمن وهو لا يعمل ثم أبيح له العمل وهو غير متمرن عليه يحار في كيفية التصرف ولا يسهل عليه ان يجري فيه على طريق السداد . وقد اهتدى الى هذا المعنى أحد أغنياء بلادنا العقلاء (المرحوم محمد باشا المحمد) فقسم ثروته الواسعة في حال حياته بينه و بين أولاده ليتمرنوا تحت مراقبته على إدارة تلك المزارع والضياع لئلا تفاجئهم الثروة فيعوزهم حسن إدارتها وحفظها، وغفل عن ذلك كثير من الاغنياء فلم يأذنوا لاولادهم بالتصرف في ادارة ثروتهم ولا بالتمتع بما تستشرف له نفوسهم منها ، فلم يلبث أولئك الاولاد بعد موت والديهم إلا قليلا ، حتى أضاعوا جميع ما تركوه لهم إسرافا وتبذيرا، كما رأينا وشاهدنا في مصر كثيرا، واذا كانت ادارة الثروة الشخصية لا تصلح الا بالعلم والتمرن معا فكيف تكون ادارة الممالك وسياسة الامم ؟

لا يعجلن أحد بالاعتراض على هذا الكلام فيقول انه مؤيد للحكومة المطلقة التي اراحنا الله من شرها، ومعارض للحكومة الدستورية التي امتلأت القلوب رجاء في خيرها ، معاذ الله أن أحتج لتلك الحكومة الظالمة بكلمة وأنا أعلم انها لو بقيت سنة أو سنتين ولم ينجح الاحرار بالوسيلة التي أخذوا بها في هذا العام لوقعت الامة

القارىء ان لقب بك توجيه جديد كلقب كونت أو مركيز عند الافرنج، وامتلأت دوائر الاستانة بالموظفين بلا تمييز في جدارتهم واستحقاقهم واضطلاعهم بالعمل الذي هم فيه، ولم يكن الغرض من التعيين التحري على موظف قادر على ايفاء الوظيفة حقها من العمل، بل ايجاد وظيفة وعمل للمقربين والملتمس لهم أو للذين يخشى بأسهم !!. فزاد عدد الاعضاء في شورى الدولة عن المئتين، ونظامهم ان يكونوا سبعة وثلاثين عضوا، وكذلك مجلس المعارف ومجلس التفتيش والمعاينة الضاغط على حرية نشر الكتب وادخالها وهو الذي محا من كتب اللغة كلمات كثيرة مثل: حرية، وطن، اختلال، انقلاب، جمعية، رشاد.... كما غيرت اسماء الموظفين من عبد الحميد وسلطاني ونحو ذلك الى اسماء اخر وبعضها حرفت وكتبت سلتاني، وامتلأت نظارة المعارف بالموظفين حتى قال ناظرها الاخير لما عرضوا عليه الميزانية: لولا وجود معاشات المعلمين لامكنني وضع الموازنة !!. فكانت معاشات المعلمين تضايقهم وهم يريدون حصر المعاشات بالموظفين من الرؤساء والاعضاء والكتاب والمفتشين، وزاد عدد اعضاء الجمعية الرسومية عن ثمانين عضوا، وكذلك مجلس المالية والاوقاف والعسكرية والبحرية وغير ذلك من أنواع المجالس ودوائر الحكومة والمعية الشاهانية، حتى ضاقت المجالس والاقلام بالموظفين وصار أكثرهم لا يجد له كرسيا للجلوس عليه !!. وكانوا يأخذون رواتبهم وهم نائمون في بيوتهم.

اختلال المالية وارهاق الفلاح

اختلت الموازنة المالية اختلالا عظيما ادى بها الى حجز نحو نصف رواتب الموظفين والعساكر ومخصصاتهم في كل سنة، واستفحل الظلم في جباية الاموال الاميرية وطرح الاعشار وتحصيل رسوم الاغنام، وتسابق الموظفون الى المزاودة بأعشار الاقضية والالوية، وعدوا ذلك فضيلة وسببا مشروعا للمكافأة والترقي، والمكلفون من الزراع والفلاحين يئنون تحت اثقال هذه التكاليف والمظالم ولا ناصر لهم ولا مفكر في شؤونهم، وقلما كان يمر على القرية شهر من دون ان يأتيها المعشرون وجباة الاموال الاميرية ونصيب المعارف ومصرف (بنك) الزراعة وادارة

الانقلاب العثماني (*

﴿ وتركيا الفتاة ﴾

٣

تفنن المابين في أكل الرشى ومنح الرتب والاوسمة

كان لرجال المابين في الارتكاب وسوء الاستعمال ظرف ورقة وتورية بديعة ، فلما أنشىء قضاء (بئر السبع) في تيه بني اسرائيل وعين له قائمقام في الاستانة قال له دولة الناظر حسبما افاد : « بالطه كيرمامش اورمانه كوندر يورم » أي اني أرسلك الى غابة لم تدخلها بلطة الحطاب . فذهب وحطب في الناس حتى عزل وأخذ تحت المحاكمة ، ثم عين في محل آخر . وهذا مثال من الف بل آلاف أمثلة للارتكاب الذي أفسد اخلاق الامة وأخرها عن اللحاق بالامم المتمدنة ، و يروي عنه الناس نوادر عجيبة واساطير غريبة تحتاج الى الجمع في كتاب او الافراغ في قالب قصصي ، و بعد ان كان تعيين الموظفين يكون بطلب الباب العالي والنظارات صار التعيين وتوجيه الرتب من المابين مباشرة !

تهافت الناس على احتجان الرتب مع لقب بك الذي لاوجود له في الحقيقة بين الالقاب الرسمية كوجود لقب باشا مثلاً ، وإنما اشتهر فريق باسم بك وفريق باسم أفندي فكانوا عند توجيه الرتبة ينظرون اذا كان الاسم مقرونا بلقب بك صدرت الارادة السنية بموجبه ونشرت في التوجيهات الرسمية ، فصار بائعو الرتب يتعمدون وضع لقب في الطلب لتصدر بموجبه الارادة السنية وتنشر في القسم الرسمي من الجرائد ، فتتناقلها الجرائد العربية وتقول وجهت الرتبة الفلانية مع لقب بك لتوهم

*) تابع لما نشر في (ص ٧٤٣ ج ١٠ م ١١) من رسالة محمد روحي بك الخالدي العضو في مجلس المبعوثان عن القدس الشريف

واصابة الهدف ، ولا تساق سوق الجيش خوفا من الهيجان وحدوث الانقلاب !!
مع ان دول أوربا ولا سيما المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا تقوم جيوشهن في كل سنة بمناورات حربيــة ، يحضرها الامبراطور نفسه مع أولاده وأسرته وجميع ضباط السفارات الاجنبية ، فيستطلعون أحوال الجند ويشوقونهم . وصار الاسطول العثماني الذي انفق على شرائه الملايين كالمقعد الذي يروم النهوض ولا يقدر عليــه لطول مكثه ، فصدأت آلاته بسبب عدم الاستعمال والجري في البحار ، واختلست أموال كثيرة من التجهيزات العسكرية ولا سيما في تجهيز الاسطول وشراء البواخر والمدرعات ، وصار الترقي في المراتب لا يبنى على القدم والاضطلاع والاستحقاق ، بل على الالتماس والانتساب والرشوة ، فكان الضابط يرتقي الى المراتب الكثيرة في أوجز مدة وقد يكون لا يعرف للجندية معنى حتى ولا احترام من فوقه في الرتبة ، وكان الضباط يبيعون رواتبهم التي تبقى دينا عند الحكومة للسماسرة بأثمان بخسة ، حتى يبعث المئة قرش بأربعة قروش ! ويبع حُلَّة (بدله) العسكري التي تشتريها الدولة بمئات من القروش بعشرين قرشا .. أي ان المستحق للراتب والحلة كان يوقع على الورقة المؤذنة بالوصول اليه على القاعدة والاصول ، كأنه استلم الحلة من مخزن الالبسة أو قبض الراتب من صندوق الخزانة ! ثم يسلمها للسمسار فيعطيه هذا في مقابلها ما يتفقان عليه ، ثم يتفق السمسار مع المحاسبه جي ومن فوقه ويربحون الفرق ، ويقيدون ذلك في الدفاتر (ايراد ومصرف) كأنها جرت على القاعدة والاصول . وبهذا أصبح الضباط في حالة يرثى لهــا . وكنت ترى ضباط البحرية البالغ عددهم نحو ستة آلاف في قهوات الاستانة خلوا من العمل يتجولون في شوارعها وحاراتها ! !

اشتبهت الادارة المستبدة في أمراء العسكرية الذين تعلموا في أوربا وخدموا الامة والوطن وصارت لهم ملكة ومعرفة تامة بأحوال الزمان ، فابعدتهم عن الاستانة وأشغلتهم بالوظائف الثانوية بداعي ميلهم الى الافكار الحرة واعادة القانون الاساسي ، ولقد بلغ عدد الراجعين منهم الى الاستانة بعد حدوث الانقلاب ستين شخصا من الباشوات وأمراء العسكرية وخمس مئة ضابط ، ومنهم رجب باشا وفؤاد

الرسوم الستة أي الديون العمومية والاعانات المختلفة، وكان الظلم اشد على المسلمين منه على المسيحيين الذين كانوا يحتمون بأديارهم وبرؤسائهم الروحيين ، ولقد سمعت كثيرا من الفلاحين انهم اضطروا الى بيع أراضيهم وتزويج بناتهم ليأخذوا صداقهن و يعطوا للجباة مايطالبونهم به من الاموال الاميرية ! ! فصار الفلاح يتجنب زراعة الارض الا بقدر حاجته الضرورية . ومن القواعد التي قررها الفيلسوف الشهير مونتسكيو مؤلف روح القوانين: «ان الاراضي يقل ايرادها بالنسبة لحرية سكانها لا بالنسبة لخصبها » فاذا كان الفلاح حرا عمر الارض الموات وجعلها خصبة بعمله وحراثته ، واذا فقد الحرية أصبحت أرضه الخصبة مواتا بسبب الظلم والاستبداد . وعليه فان مانشاهده اليوم في اوربا من العمران إنما هو نتيجة الحرية ، فحيثما توجهت فيها لاترى الامروجا نضرة واشجارا وكروما مخضرة وانهارا جارية كأنها بستان عظيم ليس فيه قطعة أرض خراب

وصار رجال المابين يحرضون الولاة والمتصرفين على الاسراع بتحصيل الاموال والبعث بها الى الاستانة ، وكان القائمون بادائها لا يدرون اين تنفق وكيف تصرف لعدم نشر الموازنة المالية (Budget) بخلاف ادارة الديون العمومية التي هي تحت مراقبة الاجانب فانها في غاية الانتظام والترقي ، تزيد وارداتها في كل سنة فتدفع رواتب موظفيها ومرتبات الديون بأوقاتها المعينة ، وقد حدا ذلك الدولة الى العود الى الثقة المالية بها ، وأصبح أصحاب الديون في أوربا آمنين على أموالهم ، ولو حدثت قلاقل في المملكة العثمانية فان قيمة أسهم الديون لا تنزل إلا قليلاً ، واذا أردت المقايسة بين ادارة الديون العمومية و بين نظارة المالية فانظر إلى قرية من قرى الالمان أو اليهود المستعمرين في سوريا وفلسطين وما فيها من الانتظام والعمران والترقي ، والى قرى الاهالي المجاورة لها وما فيها من الفقر المدقع والخراب — يتضح لك الفرق بين الادارتين

اختلال الادارة العسكرية بادارة الجواسيس لها

اختلت ادارة العساكر البرية والبحرية ، وأصبحت لا تمرن على التعليم الناري

الخصوصية أو تعليم الاولاد ولا سيما المسلمين في المدارس والبلاد الاجنبية، وحظرت تأسيس الجمعيات واطفأت حمية أرباب الهمم تذرعا بأنها تؤدي الى الثورة والانقلاب ! فكم نظر الولاة والمتصرفون شزرا الى مدرسة وطنية أسسها الفرد أو الى مدرسة سلطانية اسستها الجماعة أو الى شركة صناعية أو مالية عقدها الاهالي، وسرعان ما كانت تتعطل ويمحى أثرها، وكم منعوا الآباء من ارسال أولادهم الى المدارس الاجنبية أو الى مدارس أوربا، وكم اضطهدوهم من أجل ذلك !!

ليس ما أجرته الحكومة من مد بعض الخطوط الحديدية واصلاح المرافيء التجارية وتطهير المستنقعات الا اجابة لطلب الشركات الاوربية وتوسط بعض المتنفذين للاستحصال على امتيازاتها والاستفادة بما يعود عليهم بسببها من المنافع الشخصية، فمنح الامتياز كان من قبيل الانعام والاحسان لا يكاد يتم لصاحبه ويأخذ به الفرمان السلطاني حتى يبيعه لشركة أجنبية ويربح منه الملايين فيوزع نصفها على الذين كانوا عونا له في الحصول على الامتياز، ويبقى النصف الآخر ربحا صافيا له في مقابل اتعابه بالذهاب من المابين الى نظارة النافعة (الاشغال) والصدارة، وملاحظة الخدم والكتاب والتقرب بهم الى كبير القلم أو الدائرة، وكل زيارة تحتاج الى اكرام و(شوفة خاطر) !!. روى لي احدهم عن بعض النظار انه أوقف ختم مضبطة امتياز في مد سكة حديدية كبيرة على أخذ أربعين ألف ليرة عثمانية، وانه لم يقبل أخذ حوالة على المصرف (البنك) أو قوائم نقدية خوفا من ظهور الارتكاب، واشترط ان يكون ذهبا عينا ! قال الراوي فجاؤا بالمال وصفوه على منضدة كبيرة مرخمة عمدا عمدا وكان عدد كل عمود خمسين ليرة فكان ذلك ثمان مئة عمود مصفوفة صفوفا متوازية ملزوزة، وللاصفر الرنان فوق الرخام منظر عجيب، فلما تم العد والحساب قال دولة الناظر وكان مستلقيا على فراش الموت (تمامي ؟) يريد هل العدد تام فقيل له نعم ياسيدي تام، فاخرج الختم من كيسه المعلق في عنقه وختم المضبطة ثم توفي بعد ثلاثة أيام فكانت آخر ملذاته من نعيم الدنيا ! ! . ولذلك كان فريق من الكبراء والموظفين يتمتع بالقناطير المقنطرة من الذهب ويقبض رواتبه سلفا، وويل لعمال الخزانة ان لم يدفعوها — وفريق يتضور جوعا وهو ينتظر رواتبه المتراكمة دينا عند

باشا الشهير وناظم باشا وهو صهر عالي باشا. وأصبحت قيادة العساكر وادارة المدارس العسكرية بأيدي اناس لا كفاءة لهم وليس لهم عمل الا التجسس على أصحاب الافكار النيرة وابعادهم عن مركز الادارة، وكانوا يعدون ذلك خدمة لمنافع السلطنة والمحافظة على الخلافة الاسلامية ! ! ! فأصبح للتجسس والمراقبة دائرة من أعظم دوائر الدولة ، لها مراكز وشعب كثيرة ومعاشات وافرة غير الاحسانات والانعامات!!.

فكان الجواسيس ينظمون التقارير في كل حادثة ومسألة صغيرة كانت أو كبيرة، ويختلقون المسائل ويفترونها ويصورونها في قوالب مستحيلة ينبذها العقل ويأباها أولو النظر الصحيح والوجدان السليم ، وما ذلك الا لاظهار خدمهم واثبات تيقظهم ومغالبتهم لنيل المكافأة ، والمابين لا يكل من تحقيق مضمون هذه التقارير لعله يجد في مئة كاذبة واحدا صحيحا، فاذا قالوا : « فلان له قصد سيء بالخليفة » أو « له مخابرة مع حزب تركيا الفتاة » أو « عنده أوراق ضارة » كانت كل واحدة من هذه التهم كافية للدمور على منزله وتفتيش أوراقه وهتك حرمته ثم نفيه أو حبسه أو عزله وابعاده ، فكانت شبههم هذه تدور على حدوث المؤامرة ضد الذات الملوكية والمس بحقوق الخلافة الاسلامية ، على انهم لم يتخذوا في الحقيقة سياسة اسلامية وهي المعبر عنها عند الافرنج بقولهم « بان اسلاميزم Panislamisme » كما توجد سياسة سلافية « بان سلافيزم Panslavisme » وسياسة جرمانية « بان جرمانيزم Pangermanisme » ولا تجد في دوائر الدولة كلها قلم مخصوص للمصالح الاسلامية كما يوجد في باريس و برلين و بطرسبرج أقلام ودوائر خاصة بدرس المسائل الاسلامية درسا تاريخيا علميا للوقوف على افكار المسلمين وهيئتهم الاجتماعية ، وعلى أحوال العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها ، ليكون الوزراء والموظفون على بصيرة ويقين من حقائق هذه المسائل الحيوية الاجتماعية . فقصدهم من السياسة الاسلامية انما هو أكل الحيات والتظاهر بالكرامات والتكبر على الناس والتشبه بني العباس لم تباشر الحكومة أمراً جديا لعمران البلاد واستخراج ثروتها الطبيعية والسير بها في معارج التمدن والرفاه، وتعليم رعاياها أصول الزراعة والتجارة وعقد الشركات والتعاون على ما فيه نفع البلاد ، بل عاكست جميع المشروعات الوطنية فكانت لا تمكن من فتح المدارس

الامة اذا لم يقتصر بضغطه على ضعفائها واحرارها وحزب تركيا الفتاة فقط ، بل شمل جميع افراد خاندان آل عثمان وجميع المقربين من رجال الدولة الذين افنوا اعمارهم في تأييد دور الاستبداد وجمع الاموال والوزراء والموظفين كافة وجميع الاهالي ولا سيما في الاستانة ، حيث بطلت الافراح والجمعيات المشروعة لعقد النكاح أو للختان ، وحرم على الناس الاجتماع للسمر والحديث ، كل ذلك خوفا من الانقلاب ، وصار لا يؤذن لاحد بالذهاب الى أوربا ولو كان مريضا ، كما انه لا يؤذن للضباط بالتوجه الى الاستانة أو المرور بها ، وصار كبار الموظفين لا بد لهم من إذن مخصوص وارادة سنية لحركاتهم الشخصية وافعالهم البيتية حتى زواج بناتهم وأولادهم !!!

دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني وهو في قصر لطيف على بابه الخدم وكانت تأتيه مائدة من (المطبخ العامر) فقال: اية فائدة من هذا القصر والخدم والمائدة وانا اذا اشتهيت أكلة بفتك (شواء)أو نشر فكر في جريدة أو التنزه في ناحية من المدينة لا استطيع . أيهنأ عيش الانسان بغير الحرية ! ولهذا فر الى باريس الداماد محمود جلال الدين باشا وابناه الامير صباح الدين بك والامير لطف الله بك ، وفر الى مصر احمد جلال الدين باشا رئيس الجواسيس وكثيرون غيرهم

اتحاد الارمن والاتراك في طلب الحرية

شكلت جمعية الانقلاب الارمنية بعد مذابح ساسون المتقدم ذكرها فرقة من الثائرين هجموا على البنك العثماني في الاستانة والقوا فيه القنابل سنة ١٨٩٦ ليلفتوا بذلك نظر الحكومة العثمانية والدول الاوربية الى وجوب القيام بالاصلاحات واعطاء الحرية وتعميم المساواة بين جميع الاهالي بلا فرق في الدين والجنس ، ثم ألفوا لجانا (Comités) كثيرة أهمها لجنة سيروب التي قاومت ست سنوات في جبال ساسون ، ثم حوّلت الجمعية نظرها الى جهة قافقاسيا (القوقاز) الروسية بسبب اضطهاد أميرها البرنس غاليتزين للارمن التابعين لروسيا وتسليط التتر المسلمين عليهم ، مما أدى الى حدوث مذابح باكو وفظائعها وعدة وقائع ومقاتلات ، وتصدى الثوار لقتل الرؤساء والقواد والامراء والضباط

الحكومة من سبعة وثمانية أشهر في السنة ، وهي التي يعوّل عليها في الانفاق على نفسه وعياله النفقة الضرورية ، وكان ضباط العساكر مظلومين أكثر من سواهم فكانت رواتبهم وتعييناتهم - على قلتها - لا تعطى لهم ، وليس تحت أيديهم أموال ينهبونها أو رعية يرتشون منها ، ولقد كان ذلك من أعظم أسباب الانقلاب ، قال فيكتور هوكو: « ان الجوع يثقب في قلب الانسان ثقبا ويملؤه حقدا »

سقوط هيبة الحكومة في بلادها وفي الخارج

ان اختلال الادارة وتذبذ بها لم يبق للحكومة قاعدة مطردة ولا أصولا مرعية لا في سياستها الداخلية ولا الخارجية ، وانما اصبحت ذات قواعد مختلفة وسياسات شتى بعضها يناقض بعضها ، فكانت تمحو في الغد ما أثبتته في الامس ، وربما غيرت سياستها مرتين في اليوم بحسب الاشخاص والوقائع ، ولهذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية فتجرأن على تهديدها حتى في المسائل الحقيرة كمسألة تو بني دلوراندو التي أوجبت خروج الاسطول الفرنسي الى جزيرة مدللي (متلاين)، فصرخ إذ ذاك مارسل سامبا زعيم الاشتراكيين في مجلس النواب الفرنسي قائلا : ماهذه السياسة الخرقاء ؟ انكم لم تحركوا ساكنا في المذابح الارمنية ولم تتداخلوا فيما توجب معاهدة برلين المداخلة فيه من طلب الاصلاح واجراء العدالة الانسانية ، والآن تتكبدون النفقات باحراق فحم الامة وارسال الاسطول لحماية نفرين من المرابين اقرضوا أموالهم على ان يكون ربحهم عشرين وثلاثين في المئة حتى أصبح مايطلب لهم عين السحت !. وسقط اعتبارها أيضا في نظر رعاياها وصار اكثر الموجودين منهم في الديار الاجنبية يأنفون ان يكونوا من رعيتها ، فكانوا يبتعدون بقدر الامكان عن سفارات الدولة وقنصلياتها ، و بعضهم استبدل التابعية الاجنبية بالتابعية العثمانية

كان أر باب الحمية والغيرة الوطنية من العثمانيين ينظرون الى هذه الاحوال بعيون الاسف والاستياء و يعتقدون ان مصدرها الوحيد هو الاستبداد ولا تخلص منه الا بتعليم الامة وتنوير ذهنها ، والرجوع في الاحكام الى الدستور المنسوب لمدحت باشا وان لم يكن كله من بنات افكاره . فكان الاستبداد ضاغطا على جميع افراد

السياسي ضروريا لمنع انقراض المملكة العثمانية ولتوقيف انحطاطها — تلك خلاصة المذاكرات والمناقشات التي جرت في المؤتمر

نهضة جمعية الاتحاد والترقي وانتشارها

وأما فرع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية في أوربا فانه حدث الاختلاف فيه على الرياسة ، فانقسم إلى أحزاب وفارقه الكثيرون من اعضائه ، ولكن صاحب جريدة مشورت بقي ثابتا يتوفر على اصدار جريدته في أوقاتها وغيرها من المنشورات وكان الدكتور نظمي بك السلانيكي الاصل وغيره من ذوي الغيرة الوطنية من خير الاعوان له ، وقبل حدوث الانقلاب بأربع سنين كانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية ضعيفة عاجزة في حكم العدم ، ولذلك لم يعبأ بها أرباب السياسة ولم يعتدوا بأن لتركيا الفتاة حزبا موجوداً ، بل كانوا يرون ان هناك بعض المتشردين ينشرون أوراقا قليلة الجدوى لتخويف المابين ونيل الوظائف والاحسان ، وكانوا يعدون أحمد رضا بك معاندا مصرا على طلبه لتخليد اسمه بين الفلاسفة الحقيقيين ، مفضلا ذلك على حطام هذه الدنيا الفانية

تداخلت الدول الاوربية منذ أربع سنين في المسألة المكدونية أي في ولايات سلانيك وقوصوه ومناستر وطلبوا إصلاحها ، فزال منها بعض الظلم وتحسنت ادارتها تحقيقا لرغبة أوربا وخوفا من مداخلتها ، وسمحوا لاهالي تلك الولايات بقليل من الحرية ، فنفسوا بها عن صدورهم ونظروا في شؤونهم . وكانت البلغار والروم تشكل الجمعيات السرية السياسية المعروفة باسم كوميته (Comité) فسموا الداخل فيها (كوميته جي) باضافة اداة النسبة التركية إلى كلمة كوميته الافرنجية للمحافظة على قوميتهم وحقوقهم واوضاعهم ، وكانوا يبذلون أرواحهم وأموالهم في سبيلها ويظهرون من الحماسة والغيرة الوطنية مالا يقدر ولا يوصف . وكانت الحكومة المحلية تهابهم وتلاطفهم وتستميح رضاهم ، فعز ذلك على المسلمين من الترك والارناؤط سكان تلك الولايات ، واعتبروا باخوانهم في الممالك البلقانية المستقلة استقلالا كليا أو جزئيا كرومانيا والصرب والجبل الاسود واليونان والبلغار

الذين سببوا المذابح ، وكان قتل كل واحد منهم يكلف الجمعية الاموال والنفوس، فقتل بليف مثلاً سبب هلاك أربعة من اعضاء الجمعية وصرف مئتي ألف فرنك ، وكذلك القاء القنبلة في موكب صلاة الجمعة امام سراي يلديز فانه كلفهم خسائر جسيمة ، فعدلت الجمعية الارمنية بعد ذلك عن هذه الحركات ومالت الى الاتفاق مع تركيا الفتاة فعقدت مؤتمراً في ويانة حضره جماعة من الترك والارمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والارناؤط ، وكان الشارع في عقد هذا المؤتمر معلوميان افندي الارمني الشهير وقد تم اتفاقهم فيه على المسائل الآتية : (١) قلب الحكومة الحاضرة والسعي في تحقيق ذلك بجميع الوسائل (٢) تأسيس حكومة مقيدة دستورية لجميع رعايا المملكة العثمانية (٣) استعمال جميع الوسائل الانقلابية لتحقيق هذا المقصد . وذلك لان الحكومة المستبدة استعملت جميع الوسائل لخراب المملكة واطفاء نور العلم والحرية ، فأقفلت المدارس وحبست المعلمين ونفت التلاميذ، وان الاماكن التي بقي فيها شيء من المدارس أنقصت التعليم فيها بايجاد مراقبة لم يسبق لها مثيل. وصارت الجرائد لا تنشر من الاخبار الا ما يؤذن لها بنشره بعد التحريف والتغيير أو الاختراع من جانب المراقب . وصارت التكاليف المستوفاة بلاعدالة لا تصرف على التعليم أو التبسط في الحضارة والعمران، بل على الجواسيس والجرائد المويدة للظلمة المحبذة لاعمالهم ولا سيما في البلاد الاجنبية، وذلك لإيهام الناس ومخادعة أوربا عن أحوال الممالك العثمانية .

فمنع العثمانيين من التجول والسفر ومنعهم من اخذ تذاكر الجواز (Passes-port) أوجبا تعطيل التجارة ، كما ان استيفاء التكاليف الاميرية بطريقة غير عادلة وفقدان الامن في البلاد وتراكم المحصولات وكثرة المراباة وفقدان وسائل الاختلاط كل ذلك كان سببا قويا في خراب الزراعة . فأصبحت البلاد التي كانت مزرعة الدنيا في عهد المدنيات السابقة خرابا ، وأراضيها قفرا بلقعا ، حتى هاجر منها أهلها الذين ولدوا فيها الى أمريكا وأوربا ومستعمرات أفريقيا، ليفتشوا لهم عن قليل من الحرية والامن وأسباب المعيشة ، فالهاجرة والقحط أكملا العمل الذي بدئ بالمذابح وانتج الخراب للبلاد وخلوها من السكان . فلجميع ما ذكر من الاسباب أصبح الانقلاب

حسن بك . فمراد البرنس صباح الدين بك بعدم المركزية هو عدم المركزية الادارية كما صرح به لا عدم المركزية السياسية الذي هو عبارة عن مختارية الادارة مثل حكومة كندا

ومرادهم بالتشبث الشخصي ان لا تكون الاهالي عالة على حكومتهم بل ان يسلكوا سبل التجارة والصناعة والزراعة في أمر معايشهم حتى لا يكونوا منتظرين سيب الرزق من حكومتهم والانكباب على طلب الوظائف للتعيش منها ، لان السنة في الحكومات المستبدة ان ينتظر الأولاد دائما الاعانة من أسرهم والأسر من أرباب مجالسهم وأرباب المجالس من حكومتهم . ولكن الامم الانكلوسكسونية بعكس ذلك فان أولادهم يعتمدون في تحصيل الثروة على أنفسهم ويختارون الصناعة اللائقة بهم . فهذه خلاصة افكار هذا الحزب السياسي

نهاية الفساد والخراب في احوال الدولة

زاد البلاء في السنين الاخيرة وتعسر تدوير دولاب الحكومة مع اجهاد المأمورين أنفسهم في جره ، فحدث في الاذهان كدر من الامس وخوف من الغد ، واحتراس من كل انسان ويأس من كل شيء ونفرة زائدة و بغض وحقد كامنان في النفوس ، وعلم المقربون انهم على وشك الانقراض ، فضاق عليهم الوقت ولزمهم الاستعجال ، فتهالكوا على ادخار الاموال واقتناء العقار ، وأودع الدهاة منهم ثروتهم في مصارف أوربا وأمريكا ، وتطلبوا أعلى الرتب والمناصب فنالوها واستفادوا من الحال الحاضرة بقدر ما أمكنهم . ولم يفكر الواحد منهم الا بنفسه وأولاده ثم بالاقرب فالاقرب من أسرته ، واستماتوا في سبيل الوصول الى السعادة ونفوذ الكلمة بالتقرب ، واستحوذوا على مناصب الدولة ورتبها ونياشينها والقابها ، ووجهت رتبة امراء العسكرية ورتبة بالا العلمية على المشايخ ذوي التيجان والعمائم ، ومنحوا الراحة من الخدمة العسكرية هم ومن انتسب اليهم من الرفاعية في جميع المملكة فاصبحوا لا ينتظمون في سلكها ، فكانت هذه المنحة من غريب التناقض ، وكان اذا انصب الانعام على فرد أو أسرة انهمل كالغيث المتواصل وانصب

والبوسنه والهرسك ، فاستيقظوا من نومهم وأفاقوا من غفلتهم ، وقالوا إلى متى نبقى في هذا الظلم والاعتساف والجور والاستبداد والذل والتحقير ؟

ولا يقيم على ضيم يراد به   الا الاذلان عير الحي والوتد

مالنا لا نفعل كالروم والبلغار والرومان والصرب في محبة الوطن والدفاع عنه؟ ولما سألوا مشايخهم عن ذلك أجابوهم بان الاسلام يساعد ويحض على ذلك ، ووجدوا امامهم تعليمات جمعية الاتحاد والترقي فدخلوا فيها باختيار وشوق وحمية ، عارفين بما ينتجه فملهم من الفوائد الماديه والمعنويه ، فتشكل لهذه الجمعية مركز في سلانيك وفروع عديدة في جميع جهات الولايات الثلاث المقدونيه ، ولقد بلغ عدد اعضاء الجمعية في سلانيك وحدها سبعة آلاف شخص ، والجواسيس غافلون لا يدرون من أمرهم شيئا ، وكان جمهور الاهالي في الولايات الثلاث المذكورة يعتقدون بانه سيصيب بلادهم ماأصاب كريد وولاية الروملي الشرقية والبوسنه والهرسك ... الخ ، ولذلك كانوا في الباطن يتمنون نجاح الجمعية وان لم يقدروا على التظاهر بذلك .

الامير صباح الدين وسياسته

اكب الامير صباح الدين على تحصيل العلم ولا سيما بعد وفاة والده فاستنار فكره، وجنح للحرية والاخذ بوسائل المدنية الحديثة ، فأسس حزبا سياسيا يعرف بحزب (المشروطية وعدم المركزية مع التشبث الشخصي) ولسان حال الحزب جريدة (ترقي) التركية وقد تأسست سنة ١٩٠٦ ومحررها هو أحمد فضلي بك كاتب الجمعية . فعدم المركزية (Décentralisation) يقسم إلى قسمين عدم مركزية سياسية مثل مستعمرة كندا الامريكية مع انكلترا . وعدم مركزية إدارية وهو عبارة عن توسيع اختصاص الولايات وتزييد حريتها وانتخاب المجالس العمومية فيها كما أشير اليه في المادة (١٠٨) من القانون الاساسي ، وجرى تطبيقه قبلا فتشكل لولايات الشام مع فلسطين مجلس عمومي اجتمع مرة واحدة في بيروت ، وكان ذلك في أيام ولاية راشد باشا الذي صار بعد ذلك ناظرا للخارجية وقتل في واقعة جركس

المسلمين من دخولها والتضييق عليهم وعلى أوليائهم في ذلك ' أو في المدارس الخصوصية التي اسستها طوائف الروم والارمن واليهود والبلغار ' فتعلمت النابتة الجديدة من الشبان والبنات اللغات الاجنبية ' وطالعوا الجرائد والكتب ووقفوا على مواضع الضعف في الدولة ' وادركوا محل الخلل ، وصار يتخرج في كل سنة في هذه المدارس عدد عظيم متشبعون بفكر الحرية ومتخلقون بالاخلاق الاوربية والحماسة الوطنية . فكانوا كلهم موضع شبهة أولئك الجهال المستبدين بالامر ، فضيقوا عليهم واضطهدوا هؤلاء الشبان اضطهادات كثيرة شتى كالنفي والحبس والمراقبة ودمور المنازل وتفتيش الاوراق فكانوا كلهم عرضة لاستبداد المستبدين ،

فلما حدث الانقلاب في ٢٤ تموز (يوليو) وانفجر في سلانيك وما جاورها من الولايات بركان الاستياء كان هؤلاء الشبان وجميع العثمانيين مساعدين ومعضدين لحزب تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي ، ولذلك لم تحصل معارضة ولا مقاومة من احد لان الجميع مستاؤن حتى المستبدين انفسهم والمستفيدين من الحال الماضية والوزراء الذين اودعوا السجن واسترد منهم ما أغتصبوه من الاموال لان كلا منهم كان يتطلب اكثر مما ناله ، ولو لم يحدث الانقلاب بالصورة التي ظهر فيها لحدث بصورة اخرى بعد تبدل السلطنة ولكان اذ ذاك مدهشا دمويا

انفجار بركان الحرية وحدوث الانقلاب في ٢٤ تموز

تسنى لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية في سلانيك اخفاء أمرها مدة ولكن رائحتها فاحت بعد ذلك لكثرة الداخلين وصعوبة الكتم والاخفاء ' فاحس بها جواسيس سلانيك وبعثوا بتقاريرهم إلى المابين ' فأرسلت الجواسيس من الاستانة ' فقررت الجمعية اعدام الذين ثبت لديها تجسسهم وخيانتهم للوطن ، وعينت فدائيين من اعضائها بالقرعة أو بالتراضي

وكان القائمقام ناظم بك قومندان مركز سلانيك يبذل مجهوده في كشف اسرار الجمعية فذهب اذ ذاك الى الاستانة لعرض معلوماته ، ورجع منها نائلا الفي قرش ضما على راتبه فزاد اجتهاده وتحريه ، وطلب ثانية الى الاستانة وبينما كان على

كله في زرع ذلك الفرد اوالاسرة دون ان يفيض منه شيء على المزارع المجاورة ، ولهذا قال احد الفضلاء:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ونفس (ابي الضلال) لها فداء
اتحييـه وتقتلنـا جميعـاً لعمرك ان ذا لهو البـلاء
فلا والله ماهـذا بعـدل ولـكن انت تفعـل ماتشاء

واحتكروا أوقاف الجوامع ومزارعها بل ضبطوها ضبطاً بلا حكر ، و باعوا امتيازات الامور النافعة للاجانب فاضروا الدولة بذلك اضرارا جمة وشرهت نفوسهم للعجب وتتلعت أعناقهم عظمة وكبرياء . وزاد بهم الحرص والطمع حتى فقدوا جميع المزايا الانسانية ، فصار الواحد منهم كأنه وحش مفترس ، ينقلب يوم سقوطه وابعاده عن منصب الدولة شيطانا رجيما ، كما ظهر من افعال فهيم باشا وهو منفي الى بروسه الذي أهلكه الاهالي فيها ضرباً بعد إعلان الحرية

كنا أشرنا الى هذه الحالات المنكرة المكدرة، والى قرب حدوث الانقلاب في مقالة عنوانها «حكمة التاريخ» نشرتها جريدة طرابلس الشام في عددها (٥١٧) الصادر في ١٥ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٣ بعد ان بدّل المراقب فيها وحرف كما أراد، ظنا منه أنها تخفى وربما خفيت على فطنته ودقت على فهمه ، ولكنها عندما بلغت الاستانة واطلع عليها المدوغون صدر الامر بتعطيل الجريدة ، فكاد بركان الاستياء تنفجر منه فوهات في عدة جهات ،لأن بقاء الحال على ماذكر غير ممكن في القرن العشرين ، خصوصا وان البلاد العثمانية متوسطة بين أوربا والشرق الاوسط والاقصى . ومما زاد اختلاطنا بالعالم المتمدن تجديد السكك الحديدية وتوارد بواخر الشركات الاجنبيـة على ثغورنا ، ومشاهدتنا صور السينياتوغراف وسماعنا اصوات الفونوغراف ، وركوبنا الترام الكهربائي والحوافل والدراجات كل ذلك كان من دواعي اختلاط الامم وامتزاجها ، واصبحت المسافة بين الاستانة وباريس اقل من ستين ساعة بعد ان كانت تقطع في شهور وأعوام

نمت النابتة الجديدة من الشبان المتعلمين في مدارس الدولة الملكية والعسكرية ، أو في المدارس الاجنبية التي افتتحها الاوربيون والامريكيون في الشرق رغم منع الحكومة

صباحا ووجدوا اعلانات مختومة بختم الجمعية أي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية تدعوهم الى الاجتماع في يوم الجمعة لاعلان القانون الاساسي والحرية ، فلم يتمهلوا للغد بل اجتمعوا في ذلك النهار في ميدان أوليمبوس على الطوار (الرصيف) في مدينة سلانيك وضج الجمهور قائلا إما الحرية واما الموت !! . وأول من خطب على طنف (بلكون) فندق (أوليمبوس بلاس) غالب افندي بالتركية ثم مانويل قره صو باليهودية (الاسبانية) ثم روصو افندي بالفرنسية وسليمان افندي بالتركية وفضلي بك نجيب محرر جريدة (عصر) بالتركية وفيلوطاش بابا جورج بالرومية والتركية وترجمان المحكمة المخصوصة (فوق العادة) بالبلغارية وفي ختامهم عادل بك رئيس البلدية بالتركية ثم هتف الجميع « فليحي الوطن ، فلتحي الامة ، فلتحي الجمعية ، فليحي الجيش ، الحرية أو الموت » وأعدوا في تلك الليلة مأدبة ضربت فيها الموسيقى العسكرية على الانغام المرسيلية :

Allons enfants de la patrie le jour de gloire est arrivé (1)

وكانت ترجمت بالتركية هكذا : « قالقك أي أهل وطن شان كونلري كلدي »

وفي ليلة الجمعة وردت رسالة برقية إلى حلمي باشا المفتش العام لولايات مكدونية بصدور الارادة السنية باعادة القانون الاساسي، فاجتمع الناس في سراي الحكومة ، واعلنت الحرية والقانون الاساسي رسمياً بحضور المفتش العام ومشير الفيلق الثاني ابراهيم باشا، وموظفي الحكومة والبلدية واعضاء الجمعية وابتدأ موسم الافراح والسرور .

الخلاصة واسباب الانقلاب بلا سفك دماء

حدث الانقلاب العثماني بلا سفك دماء ولا حصول اضطراب أو قلاقل في

---

(١) المنار : هذا البيت من أبيات لحن الثورة الفرنسية وترجمته بالعربية ترجمة حرفية نظما هكذا :

هلموا يا بني الوطن فيوم المجد قد وافى

أهبة السفر اذ فوجئ بضربة من احد الضباط فذهب الى الاستانة مجروحا وحضر بعد ذلك الى سلانيك صادق باشا وماهر باشا وأمير اللواء يوسف باشا و بعض الياورية وعدة من موظفي الملكية ونظموا دفترا باسماء كثيرين من المتهمين بعضوية الجمعية ، وحبسوا ونفوا والقوا الرعب في قلوب الناس حتى كاد اليأس يستولي عليهم ، فقام في مناستر صلاح الدين بك قائمقام اركان حرب والبيكباشي نيازي بك الارناؤطي بتشكيل فرقة من العساكر الوطنية وذهبوا لناحية (رسنه) وهي في الغرب الشمالي من مدينة مناستر على مسافة ثلاثين كيلو مترا ولحق بهما كثيرون من الوطنين وانور بك البكباشي صهر ناظم بك قومندان سلانيك وكان طلب الى الاستانة ووعد بمكافأة كبيرة ولكنه اختار نفع وطنه على منفعته الذاتية

ثم قتل في سلانيك أحد الجواسيس فقلقت حكومة الاستانة قلقا عظيما وطلبت مفتي الالاي مصطفى افندي لتستفهم منه عن هذه الاحوال ، وضمت إلى معاشه خمس مئة قرش ! ! و بينما كان خارجا من الفندق للسفر الى الاستانة جرحه أحد الضباط بحضور جم غفير ، وهرب الجارح من دون ان يعارضه أحد من الحاضرين ولا أخبروا عن أشكاله وصفاته ، فندبت حكومة الاستانة للسفر الى (رسنه) الفريق الاول شمسي باشا قومندان (متروبجه) فاختار من يعتمد عليهم من الضباط وتابورا من العساكر وحضر على القطار الى سلانيك ومنها الى مناستر وذهب تو إلى إدارة التلغراف لمخابرة المابين ، فخرج عليه أحد الضباط وقتله ، وامتنع من معه من الضباط والعساكر عن الزحف على (رسنه) ومقاتلة اخوانهم

ثم قتل على هذا الوجه كثير من الجواسيس الملكيين والعسكريين فقرر مجلس الوكلاء ارسال ثلاثين ألفا من عساكر الاناضول . ولما وصل منهم إلى سلانيك الثلاثة توابير الأول امتنعوا عن مقاتلة اخوانهم وانضموا اليهم أيضا ، فأحس المابين بأن سوق عسكر الاناضول الى الروملي إنماء لقوة الجمعية فأوقف ارسال بقية عساكر الاناضول الى سلانيك. ثم اجتمع في (فيرزو بك) عشرون ألفا من الارناؤط وذهب سبع مئة من رؤسائهم الى اسكوب لاعلان القانون الاساسي والحكومة المقيدة

وفي يوم الخميس ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٠٨ خرج الناس في سلانيك

الفاتح للروم وأقرّهم عليها والامتيازات الاجنبية التي أنعم بها سلاطين آل عثمان على الاجانب تفضلاً منهم واحسانا لا بحرب وغلبة فسيجري الاتفاق عليها بصورة حبية يرضى بها الجميع .

(٣) ان الافراد الذين عزلوا من وظائفهم وصودر ما استحوذوا عليه من الاموال المنقولة وغير المنقولة بسبب ارتكابهم واستبدادهم يعترفون بانهم ادخروا هذه الاموال الكثيرة من غير الوجوه المشروعة بل بأكل أموال الامة والدولة بالباطل ، كما يعترف الاذكياء منهم بمشروعية هذا الانقلاب ولزومه وفائدته ، وقد صرحوا بذلك وأقروا به فلا يتصور قيامهم للمطالبة بشيء أو لاعادة الادارة السابقة المستبدة ، وليس لهم عصبية تساعدهم على ذلك ان هم أرادوا أوحاولوا . وإن الامة بأجمعها عرفت الحق من الباطل والنافع لها من الضار ، نعم ان الموظفين الذين خدموا مدة ثم ألغيت وظائفهم أو عزلوا منها لهم حق في طلب راتب التقاعد أو التوظيف في وظائف أخرى ، إذ لا يليق بشرف الامة ان تلقي على قارعة الطريق جماغفيرا قضوا حياتهم في خدمة الادارة السابقة ولا معاش لهم ولعيالهم غير ما كانوا ينقدونه من الرواتب ، فان هذا الانقلاب الذي بدأ بالشفقة على الاهالي المظلومين من شأنه ان يستعمل الشفقة والحنان أيضا في حق الظالمين لتتم سعادة الامة ولا يلحق بأحد ضرر ولا خسران .

والحاصل ان الفضل في حدوث الانقلاب العثماني من دون سفك دم ولا حصول اضطراب وقلاقل في المملكة انما هو للشريعة الاسلامية وما في احكامها من العدل والمساواة في الحقوق . ولهذا كان رد الفعل أو الرجعة (Réaction) في هذا الانقلاب غير محتمل بل هو مستحيل لعدم وجود اسباب معقولة أو مشروعة تحفز اليه ، بخلاف ما حدث في فرنسا وأمثالها إذ كان للقائمين برد الفعل أسباب كثيرة تحملهم على القيام لاعادة الادارة السابقة . اه

المملكة كما حصل عند باقي الامم من الانكليز والفرنسيين والامريكان والمجر والروس وغيرهم، وفي ذلك قال بعض رجال السياسة: « لا تنبت الحرية مالم تسق بالدم » ولذلك أسباب كثيرة منها :

(١) ان الحكومة ليست حكومة مطلقة كما يظنها الناس ويسميها الافرنج (Théocratique) وانما هي مقيدة باحكام الشرع الشريف الذي يأمر بالشورى ويحض عليها كما ذكر في صدر هذه الرسالة . فالانقلاب لم يضيع حقوق السلطنة والخلافة كما ضيع انقلاب الفرنسيين وغيرهم حقوق ملوكهم المطلقة المقدسة الالهية ! ! ! حتى انتصر لها فريق من الناس وقاتلوا في سبيل استرجاعها ولم يزالوا يطالبون بها في هذا القرن العشرين عصر التمدن والعلم والنور .

(٢) عدم وجود امتيازات لصنف من أصناف الامة العثمانية كما يوجد عند الفرنسيين للاشراف وللرهبان امتيازات وحقوق مشروعة على الاراضي بحسب عرفهم وشرعهم القديم، ولذلك قاتلوا عليها لما حدث الانقلاب الفرنسي وحرمهم من حقهم المشروع على زعمهم واعتقادهم ، أما الانقلاب العثماني فلم يضيع لاحد حقا فان الحقوق التي كانت على الاراضي للدره بكوات (دره بكلر «*») المعروفين عند الافرنج باسم (Féodalité) وهي في المملكة العثمانية حقوق الزعامة ألغيت بعد التنكيل بالانكشارية في عهد السلطان محمود خان ، وأعطي لاصحاب هذه الحقوق ضمانة ورواتب استوفوها مدة حياتهم ومنهم من لا يزال في قيد الحياة ليومنا هذا يستوفي حقه من الخزانة في كل سنة ، ووضع أخيرا قانون الاراضي الموافق لاحكام الشرع وهو من أحسن قوانين الدولة وضعا وترتيبا كما هو معلوم عند طلبة مدارس الحقوق . فالمسلمون لا فرق في الحقوق بين الشريف منهم والوضيع وغير المسلمين « لهم مالنا وعليهم ما علينا » اما الامتيازات التي وهبها السلطان محمد

(*) المنار : يراد بكلمة (دره بكلر) في التركية أصحاب الزعامة والنفوذ الفعلي في المقاطعات وقد كانت بلاد الدولة معظمها على هذا النمط ولا سيما في الاناطول فان السلطة والنفوذ كانا في أيدي هذا الصنف من الناس

الاجتماع حتى في الاسرة فقد صار الاب يهرب من ابنه والابن ينفر من أبيه والاخ يفر من أخيه خوفا من تجسس بعضهم على بعض ، وحتى صار الاجتماع في الاعراس والمآتم مخوفا ومهددا في دار السلطنة" !!، منع الاستبداد الماضي ان يجتمع الناس للشكوى من الظلم بأنفسهم أو بكتابة « المحاضر » وفرض عليهم ان يشكوا منفردين وان كان ما يشكون منه مشتركا بل منع شهادة التواتر الشرعية لانها لا تحصل إلا من جمع كثير . فالافراد الذين يمنعون من أصغر أنواع الاجتماع ويهددون بالعقاب عليه كيف يسوغ لهم ان يدعوا أرقى أنواعه وأعلاها ؟

اليوم قد تحقق زوال ذلك الاستبداد المفرق فاجتمع المبعوثان الذين اختارتهم الشعوب العثمانية لينوبوا عنها في القيام بمصالحها العامة كوضع القوانين والمراقبة على الحكام العاملين فبهذا الاجتماع تحقق تكوُّن الامة

فهذا اليوم هو العيد الوطني الاكبر العام لجميع العثمانيين فان ما عداه من الاعياد الدينية وغير الدينية خاص ببعض الشعوب والاجناس أو بعض الاديان والمذاهب، وفي هذا اليوم يحتفل بهذا العيد المسلم والنصراني واليهودي وغيرهم ، يحتفل به التركي والعربي والالباني والرومي والكردي والارمني ، يحتفل به العثمانيون في البلاد العثمانية ، وحيثما كانوا من البلاد الاجنبية ، يحتفلون به مجتمعين ممتزجا بعضهم ببعض لانه عيد الجميع

هذا الجمع الذي نحن فيه يمثل لنا احتفالا من تلك الاحتفالات الكثيرة . أما ترون فيه الحاكم السياسي والاداري والقاضي الشرعي وأمراء العسكرية وغيرهم من رجال الحكومة ممتزجين بعلماء الدين الاسلامي وقسوس النصرانية وسائر أصناف الامة من الزرّاع والصناع والتجار والعمال وتلاميذ المدارس (١) والبشر يتدفق من وجوه الجميع لان العيد هو عيد الجميع

ثم انني أهنئ الامة في هذا العيد السعيد بمعنى آخر وهو انها قد صارت في هذا اليوم حاكمة لنفسها بنفسها فان المبعوثين الذين اجتمعوا في هذا الوقت المبارك في دار السلطنة لينظروا في قوانين البلاد وكيفية تنفيذها فيقروا ما يشاؤن و يغيروا

(١) ذكرت هذه الاصناف مع الاشارة الى كل صنف من المتصرف الخ

افتتاح مجلس المبعوثان

﴿ ثلاث خطب ارتجالية في الاحتفال به ﴾

بطرابلس الشام (*

خلاصة الخطبة الاولى في ميدان التل

أيتها الامة العثمانية الكريمة

أهنئكِ بهذا اليوم السعيد الذي تحتفلين فيه بافتتاح مجلس المبعوثين واني لاهنئك بأمر عظيم ، أهنئك بأنك صرت بهذا اليوم أمة ، وما أحلى هذا القول في فمي ، وأحبه الى قلبي ، نعم في هذا اليوم صار يصح إطلاق لفظ الامة عليك ولم تكوني من قبله الا عبارة عن افراد متفرقين لا يصدق عليهم هذا اللفظ على وجه الحقيقة .

يطلق لفظ الامة في عرف علماء الاجتماع والسياسة على الجمع العظيم الذي يتألف من شعوب متعددة ويرتبط بعض افراده ببعض بقوانين ومصالح مشتركة . فالاجتماع هو الاصل الذي يتحقق به معنى الامة المؤلفة من جمعيات بعضها أكبر من بعض أدناها الاسرة وهي أول اجتماع بشري وأقدمه ، وأعلاها الامة التي هي منتهى ما يصل اليه الاجتماع

هل يسوغ لنا ان ندعي اننا كنا أمة في طور الاستبداد الماضي الذي قضينا عليه القضاء المبرم في هذا اليوم ؟ كيف وقد كنا ممنوعين من كل معنى من معاني

*) احتفل بطرابلس كسائر البلاد العثمانية بافتتاح مجلس المبعوثان يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة فخطب صاحب هذه المجلة في الاحتفال العام بميدان التل امام هيئتي الحكومة الملكية والعسكرية وجمهور الاهالي ثم خطب في نادي الجامعة العثمانية امام الهيئتين ثم في نادي جمعية الاتحاد والترقي وهذه خلاصة ماقال

اني أدعو مع الداعين بأن يتم الله عملنا بالخير ويجعل النهاية خيرا من البداية فاننا لا نستغني عن الدعاء ، في السراء ولا في الضراء ، ولكنني أدعو وأنا ممتلئ القلب بالأمل والرجاء ، ولست أرى للخوف محلاً بفضل الله وكرمه فان حالنا اليوم لا تقاس على حالنا من مدة ثلث قرن كامل أيام عقد مجلس الامة الاول ثم حله الاستبداد فلم يلق في حله مقاومة ولا ملاما ، بل كان برداً وسلاما ،

الفرق بين مجلسنا اليوم ومجلسنا في ذلك الوقت بعيد جدا ، ان ذلك المجلس لم يكن بسعي الامة ولا برأيها ولم تكن عالمة به ولا مستعدة له ، وإنما هو من صنع مدحت باشا ابي الحرية و بعض اخوانه الوزراء والكبراء فهم الذين وضعوا القانون الاساسي ، و بسعيهم ألزموا السلطان بقبوله فأظهر القبول وأمرت الوزارة بانتخاب المبعوثين فانتخبوا واجتمعوا ولما تفرق شمل هذه الوزارة حل السلطان ما كان منعقدا ، وفرق ما كان مجتمعا ، فكان ابطال « مجلس المبعوثان » أسهل عليه من إبطال نابليون لمجلس النواب ، إذ لم يكن له من الامة عضد يؤيده ، ولا من الجيش نصير يحفظه و يعضده ، أطلقوا على ذلك المجلس لقب « أوت أفندم » (١) إذ قالوا ان الاعضاء كانوا يصادقون على كل شيء تلقيه اليهم الحكومة بكلمة « أوت أفندم » فلما أراد السلطان فض المجلس قال لهم مندو به: اخرجوا واذهبوا إلى بلادكم ، فوضعوا أيديهم على جباههم « إشارة الطاعة » قائلين « أوت أفندم » وولوا منصرفين ، فما كان لهم من فئة ينصرونهم وما كانوا منتصرين ،

ماذا كان من أمر القوة العسكرية كالشرطة وغيرها ؟ انها هددت المبعوثين ذوي الجرءة وأنذرتهم البطش بهم اذا لم يسرعوا بالسفر من الاستانة ، فذهبوا مسرعين ذلك بأن الاستبداد خاف من بقائهم ان يحدثوا هنالك تأليبا للناس و يحملوهم علي المطالبة بقاء مجلس الامة والمحافظة على القانون الاساسي ، على أن الامة نفسها لم تكن تحفل بذلك ولا تعرف قيمته ولذلك لم يظهر منها أدنى اهتمام في مكان ما

أما الآن فقد تغيرت الحال ، واستبدل الله أقواما بأقوام ، فقد نلنا الدستور وأعدنا القانون الاساسي بسعي احرار الامة النابغين ، ومساعدة الجند وضباطه المستنيرين ،

---

(١) كلمة تركية معناها : نعم ياسيدي

ما يشاؤن لم يكن السلطان هو الذي اختارهم وولاهم هذا العمل ولا غيره من رجال الحكومة ، وليس له ولا للحكومة ان يختاروا غيرهم عند انتهاء مدتهم أو يعيدوا انتخابهم، وانما كان هذا من الامة فهي التي أنابتهم عنها للنظر في شؤونها لأن هذا الحق هو لها دون غيرها فهي إذن الحاكم الاعلى وجميع الحكام من أعلاهم الى أدناهم مستأجرون لها بمالها لاجل ان يقوموا بما لابد لها منه ولا غَناء عنه من المصالح العمومية ملتزمين في ذلك شريعتها وقوانينها التي ارتضتها لنفسها

في هذا اليوم نالت الامة هذا الشرف العظيم بالفعل ، وكانت من قبل مستعبدة للحاكم المستبد يتصرف في أموالها وأرواحها وحقوقها كما يشاء ، ولا يسمح لها ان تقول ولا ان تفعل الا مايدل على السمع والطاعة والخضوع للعبودية

بقي ان تعلموا أيها الاخوان أن حكم الامة لنفسها محصور فيما ذكرنا من اختيارها وانتخابها لمن ترى فيهم الكفاءة والاستعداد لوضع القوانين العادلة لها والمراقبة لتنفيذها والنظر في مصالحها العامة كعلاقة الدولة مع الدول الاجنبية وليس منه ما رأيناه من تجمهر بعض الافراد واجتماعهم في دار الحكومة لإلزام بعض الحكام بما يرونه ويرغبون فيه فان هذا هو عين الفوضى والخلل لا تصلح معه حال ، ولا يستقر نظام ، ونسأل الله ان يتم علينا هذه النعمة ويوفق نوابنا إلى ما فيه خير الملة والامة .

* * *

خلاصة الخطبة الثانية في نادي الجامعة العثمانية

أحب أن أقول كلمة وجيزة في معنى الثقة بنجاح مجلس الامة ودوام الدستور: سمعت كثيرا من الناس يدعون الله تعالى بمثل قولهم « الله يتم بالخير » فكان يسرني هذا الدعاء من جهة ويسوئني من جهة أخرى . يسرني لانه صادر عن غيرة وحرص على نعمة الدستور وخوف على مجلس المبعوثين الذي يكفله ان يفشل أو يصيبه كيد الكائدين ، ويظفر بمراده حزب المستبدين المتقهقرين ، ويسوئني بما يظهر من فحوى القول ولحن الدعاء ، من ضعف الثقة وتغليب الخوف على الرجاء ، فان هذا الخوف يكاد يقرأ على الوجوه ، ويسيل من الالسنة متدفقا عن القلوب ،

أما المشاغب الداخلية التي يحركها في بعض الولايات انصار الاستبداد من حزب التقهقر كالعراق والشام والحجاز فلا خوف منها ولا خطر فاذا قام مثل طالب الرفاعي، يثير حزبه من أكلة الافاعي ، ليفسدوا في الارض ويؤلبوا الاشقياء في ولاية البصرة على الدولة فان قيامه هذا لا تأثير له، ولا يعجز الحكومة الحرة استئصاله ، فان لديها من الرجال من يأكلون أكلة الافاعي ، فلا يعجزهم التنكيل بهذا الرفاعي ، كما نكلوا قبله بذلك الشقي الكردي، فسيحبط عمل المفسدين ويستقر الامن في جميع الولايات العثمانية عن قريب ان شاء الله تعالى

ومن الناس من يخاف ان يفشل مجلس الامة ويعجز المبعوثون عن القيام بما نيط بهم وعهد اليهم من مصالح الدولة والامة ، وانني أصيح بأعلا صوتي ان هذا الخوف في غير محله أيضا . ان المجلس السابق على ما كان عليه من الضعف وما قيل من ان جميع أعضائه أرادوا ان يكونوا من حزب الحكومة حتى لقبوا بكلمة «أوت أفندم» لخضوعهم لما يراد منهم — على هذا كله قد ظهر من بعضهم أفكار وآراء حسنة واستقلال يرجى خيره لودام فكيف يكون مجلسنا اليوم وقد ارتقت الامة بالنسبة الى زمن المجلس الاول في الاستعداد والمعارف والافكار بالرغم من اضطهاد الحكومة الاستبدادية للعلم والحرية حتى انها بنبوغ الكثيرين من رجالها قد انتصرت على الاستبداد وهو — كما قال الاستاذ الامام — في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ويد الظالم من حديد ، والناس عبيد له أيّ عبيد

نعم ان مجلسنا الذي نحتفل بافتتاحه اليوم مؤلف من طائفة من الاحرار المتطرفين وطائفة من المحافظين الجامدين ، وفيه عدد قليل من المعتدلين ، وكثير من رجال العلم والدين ، وانني أرجو — كما يرجو كثير من محبي الاعتدال — ان يكون تأليفه من هذه الطبقات المختلفة التي تمثل الامة كلها أقرب الى النفع وأبعد عن الخطر فانني أعرف كثيرا من احرارنا المتطرفين يميلون الى العجلة في الاصلاح، وقد يكون من المستعجل الزلل ، ومن تأنى نال ما تمني، والعجلة في طور الانتقال من حال الى حال لا تخلو من خطر أو ضرر فان خاب الامل (لا سمح الله) وضعف المجلس عن الاصلاح المطلوب

لا بسعي أفراد من الوزراء يمكن أن يصيبهم ماأصاب مدحت باشا واخوانه من نفي واغتيال فيذهب الدستور ومجلس الامة ويموتان بموتهم. كلا إن من ورائهما ذلك الجند الباسل الذي ساعد احرار الامة على نيل هذه الرغيبة ولولاه لم نصل الى هذه النعمة ، من غير خطر على الدولة والامة ، ومن ورائهما احرارنا المنبثون في جميع الولايات العثمانية ينفخون روح الدستور فيها

تشهد أمم أوربا كلها بأن الجيش العثماني أشجع جيوش العالم وأشدها بأسا وثباتا في ميادين الجلاد حتى قال الجنرال مولتك القائد الالماني الشهير الذي نكل ذلك التنكيل بالفرنسيس: اعطوني مئة الف جندي عثماني افتح بهم اوربا كلها. ولكنهم كانوا يقولون ان هذا الجيش الباسل ينقصه الضباط والقواد العارفون الصادقون · والآن يوجد عندنا عدد عظيم من هؤلاء الضباط الذين تعلموا أحسن التعليم وتربوا أعلى التربية وهم الذين كانت تطاردهم السلطة المستبدة الماضية خوف أن يقضوا على استبدادها حتى شتتت شمل الكثير منهم فكان منهم المسجونون ومنهم المنفيون ومنهم الهاربون وقد بقي في الجيش العامل منهم من قلب تلك السلطة وأراح الله البلاد العثمانية من شرها فهل نخاف اليوم على مجلس الامة وقد عاد أولئك الضباط الكثيرون من سجونهم ومنفاهم وانضموا الى اخوانهم العاملين في الجيش وكل منهم يفدي الدستور ومجلس الامة بروحه و يبذل دونها آخر نقطة من دمه ؟

كلا ان العارف بحال الدولة والجيش و بما أتته جمعية الاتحاد والترقي من الاحتياط والتدبير للمحافظة على الدستور وحماية مجلس الامة لايخالج صدره أدنى خوف على المجلس في هذا اليوم و إنما كنا نخاف على الدولة في دور الانقلاب من الخارج ، كنا نخاف ان تقوم في وجهنا أوربا فتفسد علينا عملنا وتضطرنا الى الدخول في حرب لاتؤمن عاقبتها ، أما وقد لقينا من الدول الاجنبية ميلا وانعطافا عظيمين الا ما كان من ضم النمسا ولايتي البوسنه والهرسك الى أملاكها ومن إعلان البلغار الاستقلال ولم يكن في ذلك أدنى خطر على حكومتنا الجديدة ولله الحمد والمنة ، بل رأت النمسا الحرب الاقتصادية التي ناجزتها بها الامة العثمانية ماجعلها تندم على مافعلت وتود إرضاء الدولة العلية

عنها للقيام بما يعزز دولتها ويرقي شؤونها ، واننا ننتظر من وراء ذلك من الفوائد ما ينمي ويزيد مع الايام والسنين الى آخر الدهر ، اننا نهنيء أنفسنا بأن الامة قد صارت مذ اليوم حاكمة لنفسها وأمرها في يدها ، فما الذي يجب عليها لتكون محسنة في هذه السلطة وقادرة على استدامتها وحفظها ؟ يجب أن تُعنى بأن تكون أمة دستورية بالطبع مستقلة بالذات متحلية بالمعارف والاخلاق التي تعتز بها الامم بأن تحاول أن يصير كل فرد من أفرادها اهلا لان يَختار نواب الامة عن بصيرة أو يُختار هو بالاستحقاق

أول ما يجب علينا أن نفكر فيه ونتوجه اليه هو أن نتولى نحن بأنفسنا إصلاح أمورنا ولا نتكل على الحكومة في عمل من الاعمال التي يفرضها القانون على رجال الحكومة . فحسبنا من هؤلاء أن يقوموا بما عهد اليهم بالصدق والاستقامة ، ويجب أن يكون لهم منا عون ومساعد على ذلك ، وأن نتولى نحن سائر الامور التي تحتاج اليها الامة كتربية الاولاد ، وما يتعلق بالثروة والاقتصاد

قد تعودنا أن ننتظر كل اصلاح من الحكومة ولذلك اصابنا ذلك الفساد الكبير بفسادها ، ولا يزال كثير منا ينتظرون أن تصلح لهم الحكومة ماء البلد ، وتمهد لهم الطرق ، وتمد لهم خطوط الحديد ، وان اتكال الامة على الحكومة في كل الامور العامة صار مذ اليوم من التناقض أو مما يستلزم التناقض ، فبينا هي تفتخر بأنها صارت حاكمة لنفسها متولية لامورها اذا هي تتبرأ من كل عمل لها وتلزّه بالحكومة لزا ، وتلصقه بها الصاقا ، وان لم يكن مما يعمل مثله الحكام . فالحكومة على المعنى الاول افراد من الامة — في الغالب — تستأجرهم عمالها للقيام بأعمال مخصوصة لا تستغني الهيأة الاجتماعية عنها على الوجه الذي تحدده شريعتها (أي الامة) وقوانينها التي يضعها نوابها الذين اختارتهم لذلك ، وهي على المعنى الثاني عبارة عن رعاة والامة رعية لهم ليس لها من أمرها شيء فهم يسوسونها كما يسوس الراعي غنمه ، أو سادة يتصرفون في ملكهم وعبيدهم فما هذا البون العظيم بين الامرين !!!

انما فشل مجلس المبعوثين السابق لانه لم يكن من جانب الامة ولا كانت الامة كافلة له ولا عارفة قيمته ، ولم يكن المرحوم مدحت باشا واخوانه الذين وضعوا

الآن فان جمعية الاتحاد والترقي المباركة التي أخذت على نفسها كفالة الدستور تسعى عند الانتخاب الثاني وتجتهد في جعل جميع الاعضاء أو أكثرهم من نابغي الامة ونحمد الله ان في أمتنا من النابغين ، من يشهد لهم بالفضل والعرفان ساسة الاوربيين ، ناهيكم بأولئك الكرام الذين احدثوا هذا الانقلاب العظيم الذي ادهش عالم المدنية بما دل عليه من الحكمة والاعتدال

من الخطإ العظيم ان نطالب المجلس بأن يصلح حال الدولة ويرقي الامة في زمن قريب فان التدريج سنة الهية في الارتقاء ، والطفرة محال لا يطلبها العقلاء ، وإننا واثقون ــ مع الاتكال على معونة الله وتوفيقه ــ بأن يكون لمجلسنا من الخدمة النافعة ، ما تقتضيه مصلحة الامة في حالها الحاضرة ، آمين

* * *

خلاصة الخطبة الثالثة في نادي جمعية الاتحاد

اننا منذ أعلن الدستور ، في فرح وسرور ، الى أن أتم الله سرورنا في هذا اليوم السعيد ، الذي هو للامة العثمانية اكبر عيد ،

كانت أسباب سرورنا في الاشهر الماضية سلبية وسبب سرورنا اليوم ايجابي وجودي ، سررنا منذ اعلن الدستور بأننا صرنا آمنين على أنفسنا أي لا نخاف ان نؤخذ بتهمة جاسوس ولا وشاية واش ، آمنين على بيوتنا أي لا تستطيع الحكومة أن تدمر علينا فيها ليلا أو نهارا للبحث عن كتب العلم وصحف السياسة التي كانت تسمى في عرفها بالاوراق الضارة أو « المظرة » ، سررنا بأننا صرنا أحرارا لا يمنعنا أحد مما نريد من التعليم والتربية ولا من اظهار استعدادنا في أي عمل من الاعمال ، سررنا بأننا صرنا آمنين على أموالنا لا يستطيع أحد أن يضرب علينا ضرائب ولا أن يأخذ منا أموالا لا يفرضها علينا الشرع الذي نعتقده أو القوانين التي يضعها لنا نوابنا الذين انتخبناهم للنظر في مصالحنا ـ كل هذه الفوائد التي استفدناها من الدستور مذ أعلن الى اليوم معناها سلبي تفسر بلا لا لا

في هذا اليوم تبتدىء المنافع الايجابية فقد اجتمع وكلاء الامة الذين أنابتهم

للسلطان في الوقت المعتاد صاح مرة « بادشاهم جوق يشا » ففتح التلاميذ أفواههم ولكن لم يخرج منها ذلك الصوت المعتاد الذي كان يملأ جوّها ، وما ذلك الا ان العلم بسوء الادارة وما كان يجب ان تكون عليه قد حرك في نفوسهم ذلك الشعور المحزن فعقد ألسنتهم ان تنطق بذلك الدعاء التقليدي المعتاد . فاذا لم نجتهد في تعميم التعليم الذي يمنح صاحبه هذا الشعور بحيث ينمي ويكثر فينا أمثال هؤلاء الرجال فاننا نخاف ان لايكون لهم خلف وماالموجودون منهم بخالدين ، فاذا لم ينتجوا ويجيء بعدهم من هم مثلهم وخير منهم فلا حياة في الأمة فان النتاج والنماء هما ثمرة الحياة والمقصد منها

يوجد في أ كثر الولايات بل البلاد العثمانية افراد من الاحرار الذين استنارت عقولهم بالافكار العصرية ، ومعرفة طرق ترقي الامم والغيرة على المصلحة العامة ، فيجب على الامة ان تقدرهم قدرهم وأن تستعين بهم على ماينبغي لها في هذا الطور الجديد

لست أعني باعتماد الامة على نفسها دون الحكومة في التربية والتعليم ان لاتبالي بمدارس الحكومة . كلا ان الغرض الاول للحكومات من مدارسها هو تعليم طائفة من الامة مايقدرون به على القيام بأعمالها على وجه السداد ، وليس في وسع الحكومة ان تعلم جميع افراد الامة جميع مايحتاجون اليه وانما تقدم بذلك الامة نفسها

كيف تقوم الامة بذلك ؟ هل يعلم كل واحد نفسه ؟ هل يقول كل متعلم لمن يراه غير متعلم هلمّ اعلمك ؟ لالا ، وانما تقوم بذلك الجمعيات الخيرية فهذا الزمن زمن الجمعيات ، ولم ترتق أمة فيه بغير الجمعيات ، وحسبكم ان بعض الجمعيات عندنا قد اسقطت الحكومة الاستبدادية ، وأدالت منها حكومة دستورية ، فأي برهان أقيمه لكم على قوة الجمعيات أوضح من هذا الذي أنتم فيه ترون أثره بأعينكم ، وتلهجون بذكره بألسنتكم

لاينتشر العلم في هذا العصر الا بالجمعيات ، ولا يرتقي نوع من أنواع العلوم الا بالجمعيات ، ولا يقوم أمر من الامور العامة الا بالجمعيات فعلينا ان نبدأ قبل كل شيء بتأسيس الجمعيات الخيرية التي تنشئ لنا المدارس والكتاتيب ، وان نعضدها بأموالنا على قدر استطاعتنا فبذلك نكون اهلا لترقية أنفسنا وترقية زراعتنا وترقية تجارتنا وسائر موارد الثروة التي تعتز بها الامة

ان في بلادنا خيرات كثيرة منعنا من الاستفادة منها الجهل والاستبداد الذي

القانون الاساسي وأسسوا مجلس المبعوثين يجهلون ان الاصلاح الحقيقي الذي يثبت ويدوم إنما يكون بتربية الامة وتعليمها حتى تصير أمة دستورية بالطبع لا تقبل الحكم الشخصي بحال من الاحوال ، ولكنهم رأوا هذا الطريق طويلا يحتاج الى عشرات من السنين ، ورأوا الاخطار مهطعة الى الدولة ، وأعناق الدول الطامعة ممتدة اليها ، وبراثنها ناشبة باطراف جسمها ، فعزموا على سلوك الطريق القريب وهو جعل الاصلاح من جانب الحكومة ، فعملوا ماعملوا وألزموا السلطان بإعلان القانون الاساسي · ولا يشك عاقل في كون الإصلاح اذا جاء من جانب الحكومة، يكون أسرع من مجيئه من جانب الامة ، إذا هو ثبت ودام ، ولكن ثباته ودوامه عزيز المنال ، بل هو مع جهل الامة من قبيل المحال ،

ان الإصلاح في الأمم لا يأتي الا بالتدريج وهو انما يكون أولا بنبوغ بعض الرجال فيها ثم لا يزال يزيد النابغون حتى تكون بهم الامة من الامم الحية العزيزة القوية ، فيكون مثلهم فيها كمثل الشجرة المثمرة التي يبدو صلاح ثمراتها طائفة بعد طائفة ، وان من الشجر ما تكون بواكر ثمره غير جيدة ويجيء الجيد بعد ذلك كشجرة التين فان أول ثمرها الذي نسميه (الدافور) لا يجدي ولا يفيد ، ولكنه يكون مبشرا بماوراءه · ولقد كان شهيد الحرية والدستور مدحت باشا وإخوانه من قبيل (الدافور) من شجرة التين من حيث انهم كانوا مقدمة لصيرورة الامة العثمانية دستورية اذ تحقق ذلك من بعدهم ، ولم يتم في عهدهم ،

إن أول شيء يجب أن نوجه همتنا وعنايتنا اليه ، ونعول في حفظ شجرة الامة عليه ، هو التربية والتعليم ، اللذان يكثران فينا عدد النابغين ، فان الاحرار الذين قلبوا لنا الحال ، ونلنا بسعيهم هذه النعمة ، كلهم من ذوي التربية العالية ، الواقفين على العلوم العصرية التي عليها مدار العمران وارتقاء الممالك · وان جمعية الاتحاد والترقي التي نشيد بذكر فضلها قد تأسست أولا في المدرسة الطبية العسكرية في الاستانة ثم كان لها تأسيس آخر منذ عهد قريب

اخبرني بعض من تخرج في هذه المدرسة أن الشعور بسوء حال الدولة وبما ينذرها من الخطر قد بلغ من نفوس التلاميذ فيها مبلغا عظيما حتى إن الصائح بكلمة الدعاء

يخاطب بعضهم بعضا بالقول والكتابة بواسطة الاسلاك الكهربائية وبغير واسطتها مع بعد المسافات بينهم ، ويتمتعون بغير ذلك من ثمرات العلوم ونتائج المدنية الغربية

ما وصل أهل المدنية العالية في هذا العصر إلى ماوصلوا اليه من العزة والكرامة الا باطلاق العنان لجياد العقول ، في ميادين العلوم والفنون ، ومساعدة الاستعداد البشري على الرقي في معارج الكمال الاجتماعي اللائق به في ظل الحرية الظليل وحماية الدستور العادل

ولسنا نحن الشرقيين دون الغربيين استعدادا للعلوم والاعمال ولكن عبودية الاستبداد هي التي كانت تطفئ نور فطرتنا وتحجر على استعدادنا فلا تسمح لنا ان نظهر اسرار صنع الله وحكمه في خلقه ، ولا ان نتمتع بما سمح لنا الخالق الرحيم بأن نتمتع به ، كما قال في كتابه الحكيم : (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا) وقال تعالى (وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعاً)

كان العالم منا إذا أراد ان يؤلف كتاباً نافعا قال نذير الاستبداد إياك ان تفعل فان مولانا لا يريد ذلك ، واذا حدثت محب الفلسفة نفسه بأن يحل إشكالا ناجاه منه الاستبداد في سره إياك ان تفعل فان مولانا لا يحب ذلك ، واذا خطر في بال أحد ان يبحث في اسرار الخليقة ليخترع شيئا ينفع الامة اسرَّ له رسول الاستبداد : إياك ان تفعل فان مولانا لا يروق له ذلك ، كان لا يتجرأ أحد على إظهار أثر علمي أو عملي يرقي الامة في عقولها ونفوسها ، في دينها أو دنياها ، الاوجد الاستبداد له بالمرصاد ، وناله منه ماتعلمون من الاضطهاد ،

فالحرية ! هي تحرير البشر من هذه العبودية ، الحرية هي التي يكون بها البشر بشرا ، لاغنما ولا بقرا ، فالانتفاع من الحرية يجب ان يكون بتوجيه الاستعداد الانساني إلى العلوم والاعمال التي ترتقي بها الامة والأخذ بها بلا شرط ولا قيد ، لا باتباع الشهوات ، واتيان الفواحش والمنكرات ، ولهذا كان الحكماء ومحبو الانسانية ينشدون الحرية ، ويبذلون في الجهاد في سبيلها أموالهم وأنفسهم ، ولا غروَ فهم العالمون بالاسرار الالهية ، المودعة في الغرائز البشرية ، وبكونها لا تظهر الا في دائرة الحرية ،

كان يضطهد العلم ويؤيد الجهل ، فبالعلم صارت جزيرة زيلنده ا كثر فائدة وانمى زراعة من مصر المشهورة بالخصب والزكاء وإن في بلادنا ماهو أخصب من أرض مصر تربة كأراضي الجزيرة بين النهرين (دجلة والفرات) التي قال هيرودس ابو التاريخ انها كانت تؤتي غلتها من مئة ضعف الى متي ضعف أي ان الشنبل (كالاردب) من القمح كان يغل لصاحبه مئي شنبل . أيجوز ان تبقى هذه الارض التي لا نظير لها خرابا لا ينتفع منها بشيء (*

حسبنا من نعمة الدستور اننا صرنا احرارا لا يمنعنا مانع من الاستعداد ، ولا من العمل الذي نستغل به أرضنا ونستفيد من مواهبها الطبيعية ، وقد سمعتم من بعض الخطباء كلاما في الحرية فعنَّ لي في هذا المقام أن ازيد شيئا وجيزا على ماقالوا فان المجال ذوسعة

الحرية تقابل الرق والعبودية فمعنى كوننا صرنا احرارا اننا كنا من قبل مستعبدين للحاكم المستبد أو اننا الآن قد خرجنا من هذا الرق والعبودية ، كان الحاكم قادرا على ان يمنعنا من التصرف في انفسنا وأموالنا كما نشاء فأصبح عاجزا عن ذلك . كان يمنعنا بالفعل ان نظهر استعدادنا الفطري للارتقاء من العلوم والاعمال فزال هذا المنع وصار يمكننا ان نخرج من المضيق الحيوي الذي حبسنا فيه ليسهل عليه ان يجعلنا رعية ويكون لنا كالراعي للبهائم ، صار يمكننا ان نكون اناسيَّ وبشرا يتمتعون بمزايا البشر .

يقول العارفون بعلم النفس وعلم الاجتماع البشري ان استعداد الانسان لا يعرف له حد يقف عنده فاذا عاش البشر ملايين من السنين فانه يمكن ان يكون ارتقاؤهم فيها متصلا ومستمرا ، ويعرف هذا من قارن وقابل بين أولئك الذين يعيشون حفاة عراة في صحاري أفريقية وجبالها وفي بعض جزائر المحيط وبين هؤلاء الذين

*) ذكرت لهم بعد الخطبة حكاية الملك المستبد الذي سمع صوت بومتين تتجاوبان فسأل وزيره عن ذلك وكان الوزير قد ضاق ذرعا باستبداده فقال له انه ذكر يخطب أنثى فسألته ان يمهرها بضيعة خربة فقال لها انني أعطيك في عهد هذا الملك مئة ضيعة أو بلدة من الخراب . قلت وهكذا كان الخراب عندنا بحيث تصير أرض الجزيرة مهرا للبوم وجبال مالطه تزرع بالتراب الذي ينقل من الخارج

باب التربية والتعليم

﴿ اصلاح التعليم الديني في الاستانة ﴾

هذا ملخص مطالب طلاب دار الفنون في الاستانة من نظارة المعارف وقد ذكرت جرائد الاستانة ان طلبهم قد أجيب :

١ — تدريس التفسير الشريف بتقرير معاني القرآن الحكيم الظاهرة وأسباب نزوله و بيان الناسخ والمنسوخ وتطبيق ذلك على القوانين الفلسفية

٢ — تدريس الحديث الشريف وان تكون مدة تدريس البخاري أربع سنين

٣ — تدريس أصول الحديث مع تراجم رواته وطرق أسانيده

٤ — تدريس أصول الفقه و بيان قواعده الكلية وتقرير تعاليمه وتفرعاته وتدريس الفروق في القواعد والاصول بين المذاهب الأربعة

٥ — تدريس الفقه مع بيان القواعد الفقهية والفروع ، ومأخذ ذلك من الادلة الشرعية الاربعة مع إيضاح الحكمة الشرعية في ذلك وفلسفة الاحكام

٦ — تدريس التاريخ الاسلامي

٧ — تدريس تواريخ الاديان المشهورة

٨ — تدريس السيرة النبوية بالتفصيل

٩ — تدريس التوحيد وذلك بان تنبذ طرق تدريس التوحيد القديمة ويلقى علم التوحيد إلقاءً عمليا يوافق الزمان والبيئة ، ويترك من علم الكلام الالوف من خرافات الفلسفة القديمة التي امتزجت به

١٠ — تدريس الدين الاسلامي وبقية الاديان : وذلك بتدريس المقايسات بين أصول الدين الاسلامي وقواعده وأصول باقي الاديان وقواعدها

ومن فوائد الدستور المساواة وقد خاض في بيانها الخطباء فأحب ان أزيد عليهم كلمة في إزالة شبهة للناس فيها : يظن بعض الناس ان الدستور جعل الناس كلهم في مرتبة واحدة من كل وجه . وهذا من المحال الذي لا ينال بالدستور ولا بغيره وانما جعل الدستور الناس سواء في الحقوق — كما قال الخطيب السابق — فالغني والفقير ، والصعلوك والامير ، والعالم والجاهل ، والنبيه والخامل ، كلهم سواء في الحقوق ليس لأحد ان يعتدي على أحد في نفسه ، ولا ماله ولا يراعي الحاكم أحداً منهم ويهضم الآخر

أما المساواة في المواهب والغرائز وآثارها فليس للدستور فيها شأن فقد فضّل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعلم والعقل كما نطق به كتابه ، ودلت عليه سنته في خلقه ، وله في ذلك الحكمة البالغة ، ولو جعل أفراد البشر سواء من كل وجه لما كان الانسان هو هذا النوع من الخلق الذي يظهر اسرار الطبيعة ، ويتمتع بما فيها من الحكم البديعة ، ولما تيسر للبشر ان يوجدوا الخبز الذي يأكلونه والثياب التي يلبسونها

ان تفاوت الناس في العقول والاخلاق ، هو الذي مكنهم من القيام بما ترون من الآثار والاعمال ، فان اختراع السفن البرية والبحرية واستعمالها مثلا لا بد فيه من العلماء الطبيعيين الذين اكتشفوا فوائد البخار والكهرباء والمهندسين والميكانيكيين كما انه لا بد له من الفعلة لاستخراج الفحم من المناجم ومن الوقادين لوضعه في النار وهذان العملان من أشق الاعمال وأصعبها . أفرأيتم من كان مستعدا للاكتشاف والاختراع في العلوم والسياسة والامارة هل تتوجه نفسه وهل يرضى بأن يستخرج الفحم من مناجمه في الارض أو بأن يقذفه في النار ؟ أو تتوجه نفسه لنحو ذلك من الاعمال الحقيرة التي لا بد منها في الاجتماع البشري كالكناسة وما في معناها ؟ كلا إن هذا النوع من المساواة ما كان ولن يكون وانما يتقارب الناس ويتعاطفون بتعميم التربية والتعليم ، فنسأل الله أن يهدي الامة العثمانية في ذلك إلى الصراط المستقيم

فحيونا بإطلاق البارود والرصاص في الهواء فأجابهم من معنا بمثل تحيتهم بل بأحسن منها فلم أنكر عليهم ذلك لعلمي بأن العرف يقضي بتسجيل العار عليهم إذا لم يفعلوا. وكذلك فعلوا عند ماشرفوا من رابية «ظهر الرويسات» على القلمون لإيذان من بقي فيها بقدومنا وعند ما وصلنا الى دارنا ايضا لانه من قبيل سلام المفارقة . وقد ذكرت هذا لانه من العادات التي لم أكن أعرفها من قبل وسيأتي ذكر شيء آخر في معناه

وكان من حفاوة أهل القلمون بي أن حمل بعض نسائها مجامر العود الهندي وغيره من البخور أمامي من طرابلس الى القلمون وكان فيمن خرج للقاء ممن بقي فيها من يحمل المجامر أيضا . وقد راعني وأثر في نفسي رؤية الأولاد الصغار من بنين و بنات في الخامسة والسادسة فما فوق يتعسفون الطريق ويتسلقون الروابي بين الاشواك والحجارة ، تبعوا في ذلك آباءهم وأمهاتهم واخوتهم واخواتهم وكان النساء يغنين ويزغردن ولهن في ذلك أغاني مناسبة للمقام ، وهذه العادة قديمة عند نساء البادية والقرى والبلاد التي لم يتسع نطاق الحضارة فيها . وقد ورد في هذا الباب ان النساء استقبلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه إلى المدينة وهن يضربن بالدفوف وينشدن الاناشيد ومنها قولهن

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان فيمن خرج للقائنا مسافة نصف ساعة شيوخ وعجائز في عشر التسعين وعشر المئة من السنّ وهم صائمون وصحتهم جيدة بل مشى الى طرابلس اكثر من واحد من هؤلاء المعمرين . وأهل القلمون يعمرون لاعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائمة بالعمل في الارض مع جودة الهواء والماء فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها والفاحشة غير معروفة فيها ولله الحمد والمنة ، وهاتان الكبيرتان هما افتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس

سألت رجلا من هؤلاء الشيوخ (هو الحاج علي طوط) عن سنه فقال : أربع وسبعون سنة . وهو يواظب على صلاة الفجر في المسجد غلسا وربما يجيئه قبل

١١ ـ تعليم طرق الدفاع عن الدين الاسلامي قولاً وكتابة وأصول المباحثة فيه
١٢ ـ تعليم أصول التدريس والتعليم وعلم تربية الاطفال بطريقة نظرية وعملية
١٣ ـ تدريس الحكمة والفلسفة على الطريقة الجديدة
١٤ ـ تدريس علم الاخلاق نظريا وعمليا
١٥ ـ تدريس علم الروح
١٦ ـ تدريس التاريخ العام
١٧ ـ تدريس أصول الانشاء بالتركي والعربي
١٨ ـ ايضاح تشبث المسيحيين ولاسيما البروتستانت بنشر دينهم وأساليبه
١٩ ـ تعليم القاء المواعظ والنصائح وأصول الخطابة على الطراز الجديد

باب الأخبار والآراء

رحلة صاحب المنار في سوريا

(٢)

القلمون

مكثت في طرابلس أسبوعا زارني في أثنائه أكثر أهل القلمون وأخذوا يستعجلونني بالخروج إليها فلما كان يوم الموعد الذي ضربته لهم انقسم أهلها شطرين أحدهما جاء طرابلس لأجل أن يكون معي وأكثر افراده من الشبان والكهول ، والآخر خرج لاستقبالنا مسافة ربع الطريق وثلثه ونصفه بين القلمون وطرابلس، وأكثره من الشيوخ والنساء والاطفال والمسافة كلها ساعة ونصف

كان عدد كثير من الشبان يحملون السلاح فطفقوا منذ خرجنا من طرابلس يطلقون بنادقهم ومسدساتهم في الهواء فرغبت اليهم ان يكفوا عن ذلك فامتثلوا حتى اذا ما وصلنا الى الموضع المعروف بأبي حلقة الفينا فيه نفرا من شبان طرابلس

سحبا ولكنه لم يواظب وأعيانا أمره فا كتفيت منه بوعد مكذوب · وكان فيها رجال يسرقون الثمرات كثيرا وغيرها من المتاع قليلا ، فندر ذلك ندورا ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، وكان عمدتي في وعظهم وتعليمهم كتاب إحياء العلوم وكتاب الزواجر وشرح المنهاج فصار فيهم متفقهون في دينهم يستحضرون مالا يستحضره كثير من العلماء المدرسين وكلهم من الفعلة والفلاحين والصيادين

على هذا تركت القلمون عند ما سافرت الى مصر ولذلك قال أزهد الزاهدين، و بقية السلف الصالحين ، العالم الأصولي السائح المعتبر الشيخ عبد الباقي الافغاني رحمه الله تعالى : لو بقي رشيد في بلده يعلم الناس ويرشدهم لكان خيرا له من الذهاب إلى مصر حيث لا يستطيع ان ينفع كما ينفع هنا · قال هذا عندماذ كرسفري له وهو لا يعلم ان قصدي بالسفر التصدي لإرشاد أعظم ، وتعليم أعم وأشمل ،

ولما عدت اليها في هذه الايام علمت انه قد فتن كثير من أهلها فتركوا الصلاة واتصل بعضهم بالذين اعتدوا على بيتنا من أشقياء طرابلس فأغراهم هؤلاء بقطع الاشجار وشهادة الزور وإضاعة الحقوق وكادوا يجذبونهم الى الخمر والفحشاء والقيادة· أغروهم بالمال وغروهم بأنهم يحمونهم من الحكومة وإن سلبوا ونهبوا وضربوا وقتلوا ، فسلسوا لهم وساعدوهم على نهب بيتنا ، وتقطيع الاشجار من بعض بساتيننا وكرومنا، ونحمد الله ان كان هؤلاء المغرورون قليلين ، وأن كان أكثر الأهالي لهم ولمضليهم من الكارهين ، ونحمده أن جعل الشر أضعف من الخير

عدت الى هؤلاء الناس وهم قومي الذين أغار عليهم مالا أغار على سواهم وكنت أظن أن مالي من مثال الهداية والدين في نفوسهم قد صغر وتضاءل في هذه الفترة فاذا هو قد كبر وعظم حتى صار خياليا مقرونا بشيء من الخرافات فقد كان الرجال والنساء والاطفال يفدون على دارنا ليلا ونهارا ومعهم الضعفاء والمرضى والمُخدجون يلتمسون الشفاء مني باللمس والرُّقى وكتابة النشرات ومايعبرون عنه بالحرز والحجاب على ان في رجالهم من يعرف رأيي في ذلك فكنت اتلطف في بيان الحق لهم بقدر مايسمح به المقام ويليق بحال المخاطب وأحثهم على المداراة الصحية والتداوي ومراجعة لاطباء عند الحاجة وقد سبق للمنار البحث في هذه المسائل والجمع بين الاحاديث

طلوع الفجر حتى في أوقات المطر والبرد كهذه الايام . ويمشي عدة ساعات في النهار وهو صائم . وسألت رجلا آخر (هو السيد عبد القادر علي) عن سنه فقال لا أدري ولكنه ذكر لي حكايات منها انه كان ملاّحا في البحر فجاءه مرة علي طوط ليعمل معه عمل البحر فلم يقبله لانه صغير لا يستطيع ان يحرك المجذاف . فالظاهر من هذا انه يكبره بزهاء خمس عشرة سنة فهو قد ناهز العشرة الاولى بعد المئة أو جاوزها ولا يزال يصوم ويعمل في أرضه بالعزق وشيبه غير تام . فليعتبر بهذا بعض الشبان والكهول المتفرنجين في مصر وغيرها الذين يزيّن لهم الترف والتهاون بالدين ترك الصيام محافظة على الصحة !! ولوعقلوا لعلموا ان البطنة هي التي تفسد عليهم صحتهم حتى ان أكثرهم ليتناول الادوية والعقاقير والمياه المعدنية لاجل إصلاح المعدة والمعى وتسهيل الهضم وهم في سن الشباب فماذا تراهم يفعلون إن شاخوا ؟ على انه قلما يشيخ منهم أحد !

ومما يفيد ذكره في هذا الباب : باب الاعتبار بحال الناس في الدين ان أهل القلمون كانوا بهدي بيتنا أبعد مسلمي بلادنا عن البدع كما انهم أبعدهم عن المعاصي. ولما انتهى دور الارشاد فيهم إليّ رأيت عندهم من البدع انهم يوقدون السرج والشموع عند قبرين أحدهما قبر السيد محمد القصيباتي الحسني المشهور في المقبرة القديمة وهو أحد أجدادهم وأجدادنا من جهة الامهات وثانيهما قبر بني حديثا عند عُليقة على شاطئ البحر وكانوا يربطون بهذه العُليقة خرقا صغيرة يقتطعونها من ثيابهم الخلِقة يسمونها آثارا لأجل شفاء المرضى ، وكل من هذا وذاك معروف في جميع البلاد . فما زلت أنهاهم وأعظهم حتى تركوا البدعتين نساء ورجالا وصار من يزور القبور منهم يكتفي بالسلام على الموتى والدعاء لهم والتفكر في الموت والآخرة كما هو المأثور

وكان أكثر النساء من غير أسرتنا تاركات للصلاة وجاهلات بأحكامها وأحكام الطهارة وآداب الزوجية فجعلت لهنّ مكانا أعظهن وأعلمهن به كما أعلم الرجال في المسجد فصلحت حالهن في زمن قريب وكنّ أسرع امتثالا من الرجال . وكذلك كان يوجد رجال يتركون الصلاة ولا يحضرون الدرس في المسجد فكنت اختلف اليهم في بيوتهم وأذكر انه استعصي واحد من البلداء الخاملين فأمرت الشبان فسحبوه

شبان القلمون في خارجها وأدخلوهم باحتفال يناسب ماهم فيه وقد قيل لي ان من الرسوم المعتادة في ذلك أنه لولم يخرج شبان القلمون للقائهم لمادخلوها لان ذلك يعدّ من الاهانة في عرفهم . وعند وصولهم الى دارنا تحلقوا أمامها وطفقوا يهزجرن و يطلقون العيارات النارية الى قريب من نصف الليل ثم انصرفوا مشيعين مشكورين وكان زعيمهم في هذا الاحتفال الامير علي عبد الرحمن الايوبي

وجميع الاناشيد التي هزجوا بها مناسبة لمقتضى الحال ولعل اكثرها ارتجالي فانه في الترحيب بالقادم (صاحب هذه المجلة)وفيها إطراء له بالاعمال السياسية والعلمية وقد ذكر بعض القوّالين المسلمين فيما أنشده عبارة معناها : لولاك يافلان لما ارتفع شأن الاسلام فأجابه رفيق له من النصارى بعبارة معناها انه ليس لكم وحدكم وانه قد طبع لنا الانجيل يعني بذلك انجيل برنابا !!وقد أضحكتني هذه العبارة وأضحكت كل من سمع بها من العارفين بانجيل برنابا . فحبذا هذه السذاجة مع هذا الاتفاق بين المسلمين والنصارى الذي حمدت عليه أهل دده حمدا جميلا (للرحلة بقية)

خطاب السلطان

﴿ في افتتاح مجلس المبعوثان ﴾

أيها الأعيان والنواب

« بسبب الصعاب التي قامت في وجه انفاذ الدستور الذي وضعته موضع الاجراء عند ارتقائي العرش أوقف هذا القانون يومئذ الاضطرار الذي أشار اليه كبار الحكومة ، وأجل انفاذ القانون وارجيء عقد المجلس الى وقت يصل فيه الشعب الى الدرجة المرومة من التقدم بواسطة نشر التعليم العام ، وقفت عنايتي على ايجاد الرقي في جميع انحاء بلادي ، و بفضل نشر التعليم العام ارتقت درجة افهام جميع طبقات شعبنا و بناء على الرغبة التي أعلنت ولان هذه الرغبة تضمن في الحاضر والمستقبل خير بلادنا لم نتردد — رغم الذين كانوا على رأي مخالف — في اعلان الدستور .

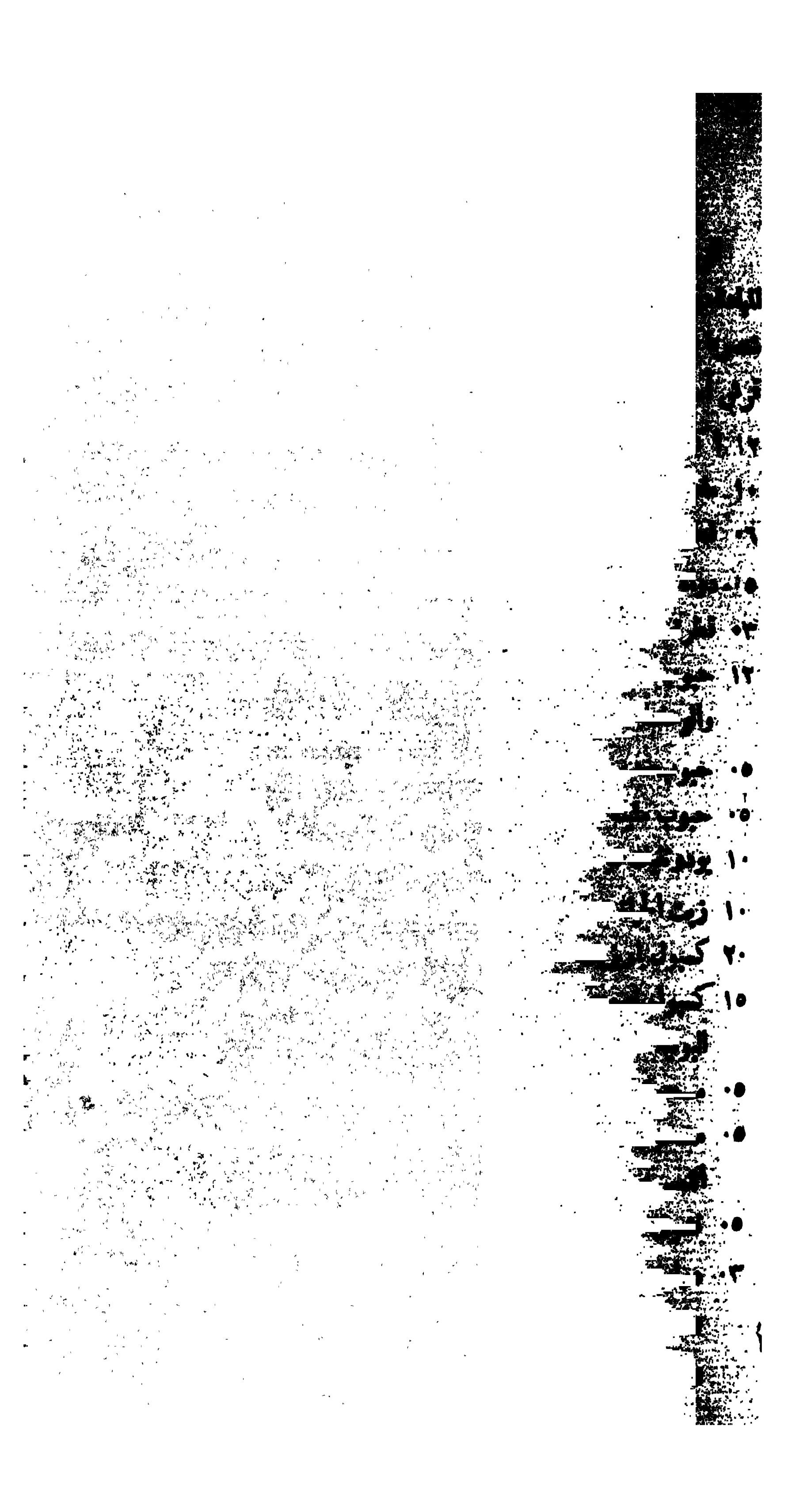
الواردة في الرقى كحديث إقرار الذين رقوا الملدوغ بسورة الفاتحة وحديث وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب بأنهم لا يسترقون على أن إقناع النساء بلباب الحق في هذه المسائل عسير، ولا يتم ولو مع الارشاد في زمن قصير، ونسأل الله تعالى ان لا يجعلنا فتنة لانفسنا، ولا لمن يحسن الظن بنا،

قلت مرة لعبد الرحمن افندي الكواكبي (رحمه الله) لو تيسر لنا ان نجعل بعض محبي الاصلاح المعتصمين بالكتاب والسنة شيوخا للطريق لامكن لنا بذلك هداية العامة بسهولة ولكن هؤلاء المصلحين قليلون ولا يكاد أحد منهم يرضى بأن يكون شيخا لطريقة من الطرق . فقال إننا قد جربنا ما ذكرت فأقنعنا رجلا من الصالحين المستنيرين في حلب بأن يكون من شيوخ الطريق فيرجع العامة عن بدعهم وخرافاتهم ويهديهم الى طريق الدين السوي فقبل بعد إباء ونفور فلما رأى إقبال العامة عليه واعتقادهم صلاحه وبركته فتن بذلك وجاراهم في اعتقادهم فكانوا سبب الضلاله بدلا من ان يكون سببا لهدايتهم وخسرناه خسارة لا مطمع في رجوعها (راجع تفسير قوله تعالى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا » الآيات في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم أو في المنار)

عقدت في القلمون عدة مجالس للوعظ والتذكير قل من تخلف عنها من حاضري القرية فتاب الناس توبة يغلب على ظني ان اكثرهم صادق فيها ولا أخشى من الاصرار على الفساد الا على نفر قليل من الموالين لبعض الاشقياء الغرباء الذين أشرت اليهم فيما سبق من القول. وقد الفت لهم جمعية عنوانها قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وجعلت لها صلة بجمعية التعاون التي سعيت بتأسيسها في طرابلس

دده وسائر الكورة

بدأت الوفود تفد من الكورة على القلمون للسلام علينا منذ اليوم الثاني من وصولنا اليها كرئيس دير البلمند ووجهاء البلاد من المسلمين والنصارى وقد نزل معظم أهل « دده » - وهي على قمة الجبل بازاء القلمون على الساحل — بعد العشاء وهم يطلقون البارود من بنادقهم والرصاص من مسدساتهم ويهزجون بالاغاني فتلقاهم



ثانية وأمرنا بإجراء انتخابات جديدة . ودعونا مجلس المبعوثان للاجتماع . وعلى أثر تغيير طريقة الحكم الاداري اسندنا منصب الصدارة العظمى الى كامل باشا.

وبينا كان مجلس النظار المؤلف تحت رياسته عاكفا على تنظيم الحكومة الدستورية خرج أمير بلغاريا ووالي الروملي الشرقية عن حدود الأمانة لسلطنتنا لسبب ما وأعلن استقلال بلغاريا وعلى أثر هذا العمل أخذت النمسا وهنغاريا أيضا بضم البوسنه والهرسك اللتين سلم اليها احتلالهما وقتيا بمعاهدة برلين. فابلغت اقرارها الى الباب العالي والى الدول . فهذان الحادثان العظيمان اللذان يخترقان حرمة المعاهدات ويمسان الصلات . سببا لنا اسفاً عظيماً

وعلى أثر اختراق حرمة المعاهدات سلمنا مجلس نظارنا مهمة عمل الواجب للدفاع عن حقوق حكومتنا . وانا نود في كل حال معاونة مجلس المبعوثان . وبما ان صلاتنا مع جميع الدول حسنة ووثيقة . فلنا الامل انه مع معاونة الدول صديقاتنا نحل المسائل السياسية

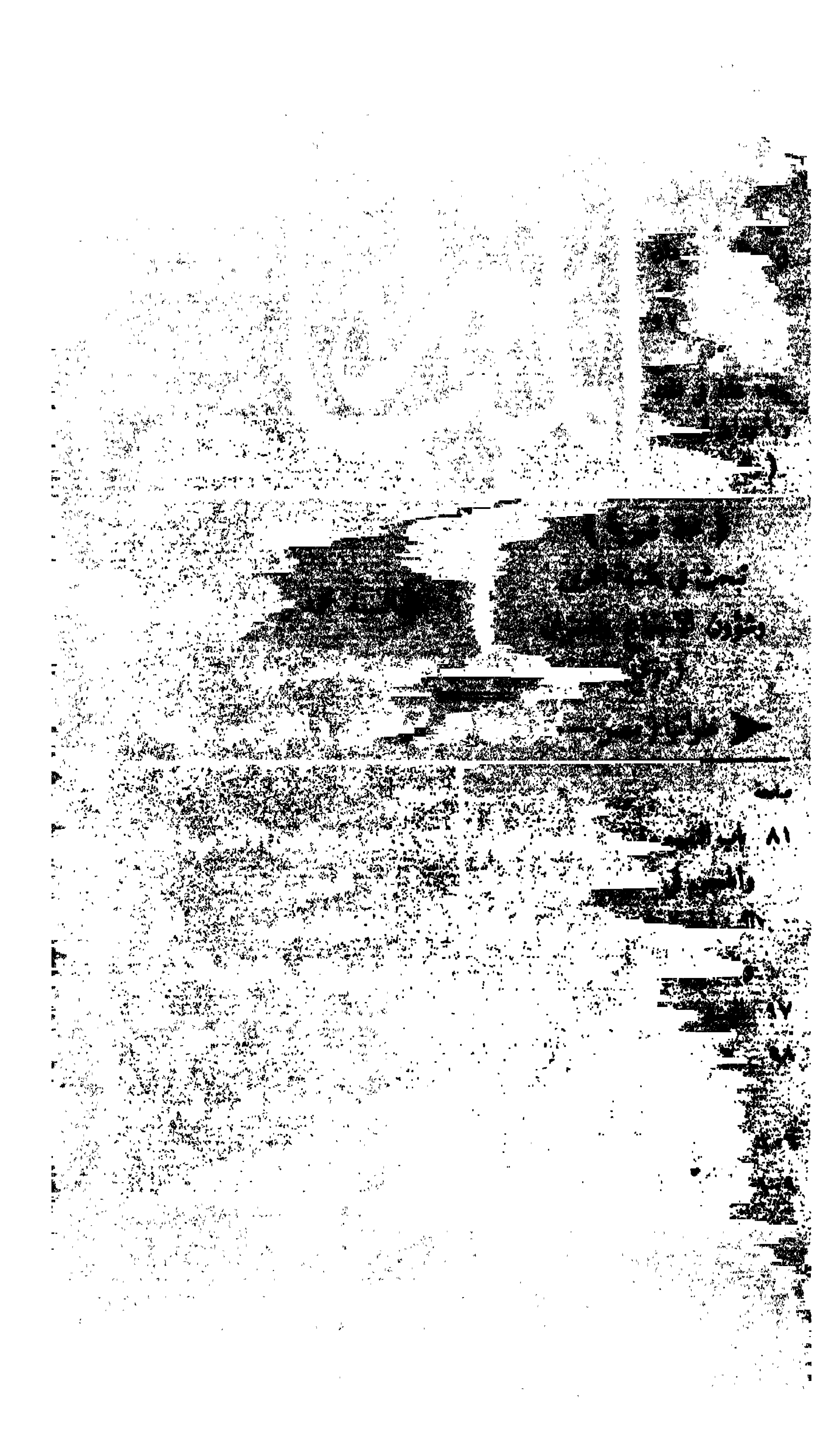
وانا نود من صميم الفؤاد تنظيم المالية، وتسوية موازنة الميزانية، ومواصلة تحسين حالة سلطنتنا وزيادة عدد المدارس لزيادة نشر التعليم العام، وابلاغ جيشنا وبحريتنا درجة الكمال . وكذلك تنظيم الدوائر المختلفة التي وضعت مشروعات قوانين شتى ستعرض على مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان لإقرارها

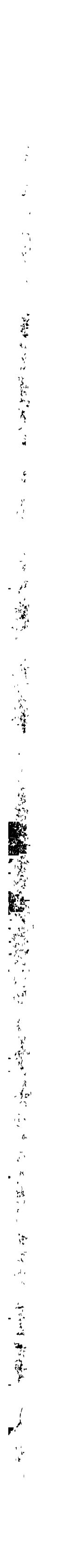
وعلى أمل ان مبعوثاننا سيبذلون كل جهدهم في هذه السبيل نعلن اليوم اذًا فتح مجلس المبعوثان

ومنتهى متمنانا سعادة الامة ونجاحها وأقصى رغبتنا وآكدها وعزيمتنا الثابتة التي لا تتغير ان تكون ادارة البلاد مطابقة للدستور

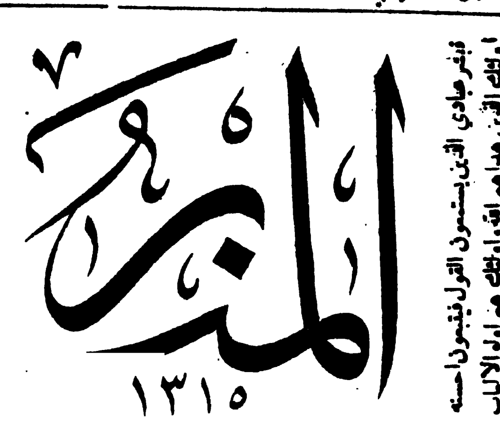
نسأل الله أن يحصر مجلس المبعوثان كل قواه في خدمة البلاد وخيرها

(المنار) : بعد ان تلا رئيس كتاب المابين هذا الخطاب نطق السلطان بهذه الجملة بصوت خافت «انني كثير السرور برؤيتكم مجتمعين امامي هنا واسأل الله ان يكلل أعمالنا بالنجاح والتوفيق» ولقد كان للخطبة وقع سيء في الاستانة وانتقدتها الصحف ثمة انتقادا شديدا





فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر سلخ صفر ١٣٣٠ هـ ق — ٢٨ الشتاء الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٨ فبراير ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(٣ : ١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ، إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً

روى ابن جرير ان عكرمة قال نزلت هذه الآية في غزوة أحد كما نزل فيها « ٣ : ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » حين باتوا مثقلين بالجراح . أقول وقبل آية آل عمران هذه « ٣١٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (راجع ص ١٤٤ وما بعدها من جزء التفسير الرابع) فالظاهر أن عكرمة ذكر مسألة احد رواية عن ابن عباس واستنبط من موافقة معنى الآية التي نحن بصدد تفسيرها لآية آل عمران انها نزلت مثلها في غزوة أحد .

الثمن	الكتاب
١٧	[illegible]
٧	التوسل والوسيلة
٢٤	شرح عقيدة السفاريني جزء ٢
٣٠	أسرار البلاغة
٢٥	دلائل الإعجاز
٢٥	التربية الاستقلالية
٥	محاورات المصلح والمقلد
٤	شبهات النصارى وحجج الإسلام
٤	سجل جمعية أم القرى
٤	الدين في نظر العقل الصحيح
٣	إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان
٥٥	سيرة خديجة أم المؤمنين
٣٠	العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ مع الأرواح النوافخ الملحق به وثمنهما معا عشرون قرشا
٥	رسالة التوحيد طبعة ثانية
١٥	إنجيل برنابا ورق متوسط ومن الورق الجيد ٢٠ قرشا
٦٠	ثمن كل سنة من المنار ومن الثانية [illegible]
٢٠	تاريخ الأستاذ الإمام (الجزء الثالث) بورق متوسط
٢٥	« « « « [illegible]
١٠	« « « (الجزء [illegible]) « [illegible]
١٥	« « « « [illegible]

([illegible]) [illegible] أسرار البلاغة [illegible]

[illegible]

به مشركون ، وقد وعدكم الله احدى الحسنيين — النصر أو الجنة بالشهادة — اذا كنتم للحق تنصرون ، وعن الحقيقة تدافعون، فهذا التوحيد في الايمان ، والوعد من الرحمن ، هما مدعاة الامل والرجاء ، ومنفاة اليأس والقنوط ، والرجاء يبعث القوة ، ويضاعف العزيمة ، فيدأب صاحبه على عمله بالصبر والثبات . واليأس يميت الهمة ، ويضعف العزيمة ، فيغلب على صاحبه الجزع والفتور ، فاذا استويتم معهم في آلام الابدان ، فقد فضلتموهم بقوة الوجدان ، وجرأة الجنان ، والثقة بحسن العاقبة ، فأنتم اذا أجدر بالمهاجمة ، فلا تهنوا بالتزام خطة المدافعة ، ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ وقد ثبت في علمه المحيط ، واقتضت حكمته البالغة ، ومضت سنته الثابتة ، بان يكون النصر للمؤمنين على الكافرين ، ما داموا بهديه عاملين ، وعلى سننه سائرين ، لان أقل شأن المؤمنين حينئذ ان يكونوا مساوين للكفار في عدد القتال واسبابه الظاهرة ، ويفضلونهم بالقوى والاسباب الباطنة ، واذا أقاموا الاسلام كما أمر الله تعالى ان يقام فانهم يكونون اشد للقتال استعدادا ، وأحسن نظاما وسلاحا

فهذه الآية برهان علمي عقلي على صدق وعد الله المؤمنين بالنصر ، وقد بينا هذه المسألة من قبل في التفسير وغير التفسير من مباحث المنار ، ونقلنا في الكلام على حرب الانكليز لاهل الترنسفال اعتراف الأوربيين بكون الايمان من اسباب النصر في الحرب . فما بال المسلمين في اكثر البلاد لا يحاسبون أنفسهم بعرضها على القرآن ، والنظر فيما بينه من مزايا الإيمان ، ؟؟

(١٠٤ : ١٠٧) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ، وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥ : ١٠٨) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٦ : ١٠٩) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧ : ١١٠) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨ : ١١١) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ

ثم جاء الجلال فنقل رأي عكرمة بالمعنى من غير عزو فأخطأ في تصويره إذ قال انها نزلت « لما بعث النبي (ص) طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات » وقد رد قوله الاستاذ الامام في الدرس فقال المعروف في القصة ان الصحابة (رض) كانوا بعد غزوة أحد يرغبون اقتفاء أثر ابي سفيان على إثقالهم بالجراح . ولا حاجة في فهم الآية الى ماذكر بل هو مناف للاسلوب البليغ اذ القصة ذكرت في سورة آل عمران تامة وهذه جاءت في سياق أحكام أخرى

(ثم قال) كان الكلام فيما سبق في شأن الحرب وما يقع فيها وبيان كيفية الصلاة في اثنائها وما يراعى فيها اذا كان العدو متأهبا للحرب من اليقظة واخذ الحذر وحمل السلاح في أثنائها . وبين للمؤمنين في هذا السياق شدة عداوة الكفار لهم وتربصهم غفلتهم واهمالهم ليوقعوا بهم . بعد هذا نهى عن الضعف في لقائهم ، واقام الحجة على كون المشركين أجدر بالخوف منهم ، لان ما في القتال والاستعداد له من الألم والمشقة يستوي فيه المؤمن والكافر ، ويمتاز المؤمن بان عنده من الرجاء بالله ما ليس عند الكافر ، فهو يرجو منه النصر الذي وعد به ، ويعتقد انه قادر على انجاز وعده ، ويرجو ثواب الآخرة على جهاده لانه في سبيل الله ، وقوة الرجاء تخفف كل ألم وربما تذهل الانسان عنه وتنسيه إياه . اه

أقول فالآية تفسر هكذا ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ اي عليكم بالعزيمة وعلو الهمة مع اخذ الحذر والاستعداد حتى لا يلمّ بكم الوهن (وهو الضعف مطلقا او في الخلق او الخلق كما قال الراغب) في ابتغاء القوم الذين ناصبوكم العداوة اي طلبهم، فهو امر بالهجوم بعد الفراغ من الصلاة ، بعد الأمر بأخذ الحذر وحمل السلاح عند أدائها ، وذلك أن الذي يلتزم الدفاع في الحرب تضعف نفسه وتهن عزيمته ، والذي يوطن نفسه على المهاجمة تعلو همته وتشتد عزيمته ، فالنهي عن الوهن نهي عن سببه، وأمر بالاعمال التي تضاده فتحول دون عروضه، ﴿ ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون ﴾ لانهم بشر مثلكم ، يعرض لهم من الوجع والألم مثل ما يعرض لكم، لان هذا من شأن الاجسام الحية المشترك بينكم وبينهم ، ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ لانكم تعلمون من الله ما لا يعلمون ، وتخصونه بالعبادة والاستعانة وهم

له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سأنظر في ذلك » فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك اناس من أهل الدار فقالوا يارسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت . قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « عمدت الى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة » ؟ فرجعت فأخبرت عمي فقال الله المستعان . فلم نلبث أن نزل القرآن « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما » بنى أبيرق ، « واستغفر الله » أي مما قلت لقتادة الى قوله «عظيما» فلما نزل القرآن أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرد الى رفاعة ولحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد فأنزل الله « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى » الى قوله « ضلالا بعيدا » قال الحاكم صحيح على شرط مسلم

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاما له ودرعين بأداتهما فأتى قتادة النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فدعا بشيرا فسأله فأنكر ورمى بذلك لبيد بن سهل رجلا من أهل الدار ذا حسب ونسب فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس » الآيات اه من لباب النقول . وروى ابن جرير عن قتادة « ان هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طعمة بن ابيرق وفيما همّ به نبي الله (ص) من عذره وبين الله شأن طعمة بن أبيرق ووعظ نبيه وحذره أن يكون للخائنين خصيما . وكان طعمة بن ابيرق رجلا من الانصار ثم أحد بني ظفر سرق درعا لعمه كان وديعة عنده ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له زيد بن السمير فجاء اليهودي الى نبي الله صلى الله عليه وسلم يهتف فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاءوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم وكان نبي الله عليه السلام قدهمّ يعذره حتى أنزل الله في شأنه ما أنزل فقال « ولا تجادل » الخ وكان طعمة قذف بها بريئا . فلما بين الله

الدُّنْيَا ، فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (١٠٩ : ١١٢) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠ : ١١٣) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١ : ١١٤) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢ : ١١٥) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ ، وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر و بشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ثم ينحله بعض العرب يقول قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام وكان الناس انما طعامهم بالمدينة التمر والشعير فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف فعدي عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح ، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا ، فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم . فقال بنو ابيرق ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل ، رجل منا له صلاح واسلام فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال أنا أسرق ؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة ، قالوا اليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأتيته فقلت أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا الى عمي فنقبوا مشربة

لاستقصاء ثم اتصل بذلك أمر المحاربة واتصل بذكر المحاربة مايتعلق بها من الاحكام الشرعية مثل قتل المسلم خطأ على ظن انه كافر ، ومثل بيان صلاة السفر وصلاة الخوف ـ رجع الكلام بعد ذلك الى أحوال المنافقين وذكر انهم كانوا يحاولون ان يحملوا الرسول عليه الصلاة والسلام على ان يحكم بالباطل ويذر الحكم بالحق، فأطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لايلتفت اليهم ولايقبل قولهم في هذا الباب (والوجه الثاني في بيان النظم) أنه تعالى لما بين الاحكام الكثيرة في هذه السورة بين ان كل ماعرف بانزال الله تعالى وانه ليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قومه (الوجه الثالث) انه تعالى لما أمر بالمجاهدة مع الكفار بين ان الامر وان كان كذلك لكنه لاتجوز الخيانة معهم، ولا إلحاق مالم يفعلوا بهم ، وأن كفر الكافر لا يبيح المسامحة بالنظر له ، بل الواجب في الدين ان يحكم له وعليه بما أنزل الله على رسوله ، وأن لا يلحق الكافر حيف لاجل ان يرضى المنافق بذلك » اه

وقال الاستاذ الامام : بعد ان حذر الله المنافقين من اعداء الحق الذين يحاولون طمسه باهلاك أهله ، أراد ان يحذرهم من مما يخشى على الحق من جهة الغفلة عنه، وترك العناية بالنظر في حقيقته وترك حفظه ، فان اهمال العناية بالحق أشد الخطرين عليه لانه يكون سببا لفقد العدل أو تداعي أركانه وذلك يفضي الى هلاك الامة . وكذلك اهمال غير العدل من الاصول العامة التي جاء بها الدين ، فالعدو لا يمكنه اهلاك أمة كبيرة واعدامها ، ولكن ترك الاصول المقومة للامة كالعدل وغيره يهلك كل أمة تهمله ولذلك قال (وذكر الآية الاولى)

(أقول) أما اتصال الآيات بما قبلها مباشرة فالاقرب فيه ماقاله الاستاذ الامام ويمكن بيانه بأنه تعالى لما أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم من الاعداء ويستعدوا لمجاهدتهم حفظا للحق ان يؤتى من الخارج ، أمرهم بأن يقوموا بما يحفظه في نفسه فلا يؤتى من الداخل ، وان يقيموه على وجهه كما أمر الله تعالى ولا يحابوا فيه أحدا . وأما اتصالها بمجموع ماقبلها فقد علمنا مما مر ان أول السورة في أحكام النساء والبيوت الى قوله تعالى « واعبدوا ولا تشركوا به شيئا » ومن هذه الآية الى هنا تنوعت الآيات بالانتقال من الاحكام العامة الى مجادلة اليهود وبيان

شأن طعمة نافق ولحق المشركين بمكة فأنزل الله فيه « ومن يشاقق الرسول » الآية

وروى عن ابن عباس ان هذه الآيات نزلت في نفر من الانصار كانوا مع النبي (ص) في بعض غزاوته فسرقت لأحدهم درع فأظن بها رجلا من الانصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان طعمة ابن ابيرق سرق درعي فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته إني قد غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عندهم فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقالوا يانبيّ الله ن صاحبنا بريء وان سارق الدرع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رءوس الناس وجادل عنه فانه ان لم يعصمه الله بك يهلك . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رءوس الناس فانزل الله « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ــ الى قوله ــ وكيلا »

وروى عن ابن زيد ان رجلا سرق درعا من حديد وطرحها على يهودي فقال اليهودي والله ما سرقتها ياأبا القاسم ولكن طرحت عليّ. وكان للرجل الذي سرق جيران يبرءونه ويطرحونه على اليهودي ويقولون يارسول الله هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به، قال حتى مال النبي (ص) ببعض القول فعاتبه الله عز وجل في ذلك فقال (وذكر الآيات) ثم قال في الرجل ويقال هو طعمة بن أبيرق

وروى عن السدي انها نزلت في طعمة بن ابيرق استودعه رجل من اليهود درعا فخانه فيها وأخفاها في دار ابي مليك الانصاري ، واهان طعمة واناس من قومه اليهودي لما جاء يطلب درعه ، وجادلت الانصار عن طعمة وطلبوا من النبي ان يجادل عنه الخ وقد اختار أكثر المفسرين ان الخائن هو طعمة وان اليهودي هو الذي كان صاحب الحق

هذا ماورد في سبب النزول . وأما وجه الاتصال والتناسب بين هذه الآيات وما قبلها فقد قال فيه الامام الرازي مانصه :

«في كيفية النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما شرح أحوال المنافقين على سبيل

الناس بما أنزل الله كما أمر الله . أقول ويؤيد قول الاستاذ الامام حديث أم سلمة المتفق عليه في الصحيحين والسنن «انما أنا بشر وإنكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار »

ومن مباحث الأصول في هذه الآية مسألة حكمه صلى الله عليه وسلم بالوحي فقط أو بالوحي تارة وبالاجتهاد أخرى . وقد تقدم ان قوله تعالى « أراك الله » معناه أعلمك علما يقينيا كالرؤية في القوة والظهور وما ذلك الا الوحي الذي يفهم (ص) منه مراد الله فهما قطعيا . وروي أن عمر (رض) كان يقول: لا يقولن احدكم قضيت بما أراني الله فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه (ص) واما احدنا فرأيه يكون ظنا لا علما . ذكره الرازي ثم قال

« اذا عرفت هذا فنقول قال المحققون : هذه الآية تدل على ان النبي (ص) ما كان يحكم الا بالوحي والنص » ثم فرع عن ذلك أن الاجتهاد ما كان جائزا له وانما يجب عليه الحكم بالنص ، وذكر ان الامر باتباعه يقتضي تحريم القياس وعدم جوازه لولا ان اجيب عن ذلك بان القياس ثبت بالنص ايضا

وقال الإمام سليمان بن عبدالقوي الطوفي الحنبلي في كتاب (الاشارات الالهية ، الى المباحث الأصوليه) : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » يحتمل ان المراد بما نصه لك في الكتاب ويحتمل ان المراد بما اراكه بواسطة نظرك واجتهادك في احكام الكتاب وأدلته وفيه على هذا دليل على انه عليه السلام كان يجتهد فيما لا نص عنده فيه من الحوادث وهي مسألة خلاف في أصول الفقه

« حجة من اجاز هذه الآية وأن الاجتهاد في الاحكام منصب كمال ، فلا ينبغي ان يفوته عليه السلام ، وقد دل على وقوعه منه قوله عليه السلام « لو قلت نعم لوجب ــ ولو سمعت شعره قبل قتله لم أقتله » في قضيتين مشهورتين

«حجة المانع (وما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى) ولانه قادر على يقين الوحي والاجتهاد لا يفيد اليقين لجوازه في حقه والحالة هذه كالتيمم مع القدرة على الماء

حالهم مع النبي (ص) والمؤمنين ، وتخلل ذلك الامر بطاعة الله ورسوله والنعي على المنافقين الذين يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت كاليهود، وتأكيد الامر بطاعة الرسول ، وبيان انه تعالى لم يبعث رسولا الا ليطاع ، والترغيب في هذه الطاعة .
ثم انتقل من ذلك الى أحكام القتال وبيان حال المؤمنين والكافرين والمنافقين فيه ، وقدعاد في هذا السياق ايضا الى تأكيد طاعة الرسول وحال المنافقين فيها ـ فناسب ان ينتقل الكلام من هذا السياق الى بيان مايجب على الرسول نفسه ان يحكم به بعد ماحتم الله التحاكم اليه وأمر بطاعته فيما يحكم ويأمر به ، فكان هذا الانتقال في بيان واقعة اشترك فيها الخصام بين من سبق القول فيهم من أهل الكتاب والمنافقين الذين سبق شرح أحوالهم في الآيات السابقة فقال عز وجل

﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ أي انا أوحينا اليك هذا القرآن بتحقيق الحق وبيانه لاجل ان تحكم بين الناس بما أعلمك الله به من الاحكام فاحكم به ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ تخاصم عنهم وتناضل دونهم ، وهم طعمة وقومه الذين سرقوا الدرع وأرادوا ان يلصقوا جرمهم باليهودي البريء ، فهو كقوله تعالى في السورة الآتية « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم» فالحق هو المطلوب في الحكم سواء كان المحكوم عليه يهوديا أو مجوسيا أو مسلما حنيفيا . قال شيخ المفسرين ابن جرير « بما أراك الله» يعني بما أنزل الله اليك في كتابه «ولا تكن للخائنين خصيما » يقول ولا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله خصيما تخاصم عنه وتدافع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه » اه وتسمية اعلامه تعالى لنبيه بالاحكام اراءة يشعر بأن علمه (ص) بها يقيني كالعلم بما يراه بعينه في الجلاء والوضوح

وقال الاستاذ الامام هذه الجملة مستأنفة فعطفها على ماقبلها ليس من قبيل عطف المفرد على المفرد المشارك له في الحكم بل من قبيل عطف الجملة الابتدائية على جملة قبلها لارتباطهما بالمعنى العام ، والمعنى ولا تتهاون بتحري الحق اغترارا بلحن الخائنين وقوة صلابتهم في الخصومة لئلا تكون خصيما لهم وتقع في ورطة الدفاع عنهم ، وهذا الخطاب ليس خاصا بالنبي (ص) بل هو عام لكل من يحكم بين

فهذا من زيادة الحرص على الحق ، كأن مجرد الالتفات الى قول المخادع كاف في وجوب الاحتراس منه ، وناهيك بما في ذلك من التشديد فيه

أقول ظاهر الروايات ان النبي (ص) مال الى تصديق المسلمين وادانة اليهودي لما كان يغلب على المسلمين في ذلك العهد من الصدق والامانة ، وعلى اليهود من الكذب والخيانة ، ولذلك قال العلماء في القديم والحديث ان اولئك المسلمين ، لم يكونوا الا منافقين ، لان مثل عمل طعمة وتأييد من أيده فيه لا يصدر عمدا الا من منافق ، وتبع ذلك انه (ص) ودّ لو يكون الفلج بالحق في الخصومة للمسلمين الذين يرجح صدقهم فاراد أن يساعدهم على ذلك ولكنه لم يفعل انتظارا لوحي الله تعالى ، فعلمه الله تعالى بهذه الآيات وعلمنا أن الاعتقاد الشخصي ، والميل الفطري والديني ، لا ينبغي ان يظهر لهما أثر ما في مجلس القضاء ، ولا ان يساعد القاضي من يظن انه هو صاحب الحق ، بل عليه ان يساوي بين الخاصمين في كل شيء ، وإذا كان هذا هو الواجب وكان ذلك الميل الى تأييد من غلب على الظن صدقه يفضي الى مساعدته في الخصومة فيكون الحاكم خصيما عنه لو فعل ، وإذا كان طلب الانتصار لهم من الخائنين في الواقع ونفس الامر في هذه القضية — فقد وجب الاستغفار من هذا الاجتهاد وحسن الظن — فهذا احسن ما يوجه به ماذهب اليه الرازي على تقدير صحة الراوية في سبب نزول الآيات . وما قاله الاستاذ الامام ابلغ في تنزيه النبي (ص) مما لا يليق به ، أما العصمة فلا ينقضها شيء مما ورد ولا الامر بالاستغفار ، لان الانبياء معصومون من الحكم او العمل بغير ما اوحاه الله تعالى اليهم او ما يرون باجتهادهم انه الصواب ، والنبي (ص) لم يحكم في هذه القضية قبل نزول الآيات بشيء ، ولم يعمل بغير ما يعتقد انه تأييد للحق ، ولكنه أحسن الظن في أمر بين له علام الغيوب حقيقة الواقع فيه وما ينبغي له في معاملة ذويه ، ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ اي كان شأنه ذلك وتقدم شرح مثل هذه الجملة مرارا

﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ اي يخونونها بل يتعملون ويتكلفون ما يخالف الفطرة من الخيانة التي تعود على انفسهم بالضرر . قال الاستاذ الامام ان هؤلاء الخائنين يوجدون في كل زمان ومكان . وهذا النهي لم يكن

« ثم على القول الأول وهو ان الاجتهاد جائز له هل يقع منه الخطأ فيه ام لا ؟ فيه قولان للأصوليين احدهما لا لعصمته . والثاني نعم بشرط ان لا يقرّ عليه استدلالا بنحو (عفا الله عنك لم أذنت لهم ـ ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) ونحو ذلك

« ويتعلق بهذا مسألة التفويض وهو انه هل يجوز ان يفوض الله عز وجل الى نبي حكم الامة بأن يقول احكم بينهم باجتهادك وما حكمت به فهو حق ، أو وأنت لا تحكم الا بالحق ؟ فيه قولان أقربهما الجواز وهو قول موسى بن عمران من الاصوليين لانه مضمون له إصابة الحق . وكل مضمون له ذلك جاز له الحكم . أو يقال هذا التفويض لا محذور فيه وكل ما كان كذلك كان جائزا اه كلام الطوفي

أقول الآية في الحكم بكتاب الله لا في الاجتهاد ولكنها لا تدل على منع الاجتهاد ، ولا عليه ايضا « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » لان هذا في القرآن خاصة والا كان كل كلامه عليه الصلاة والسلام وحيا وقد ورد أن الوحي كان ينقطع أياما متعددة وانه كان يسئل عن الشيء فينتظر الوحي كما كان يسئل أحيانا فيجيب من غير انتظار للوحي

﴿ واستغفر الله ﴾ قال ابن جرير « وسله ان يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن » وأورد الرازي في الاستغفار ثلاث وجوه (١) لعله مال الى نصرة طعمة لانه في الظاهر من المسلمين (٢) لعله هم ان يحكم على اليهودي عملا بشهادة قوم طعمة التي لم يكذبها شيء حتى نزل الوحي فعلم انه لو حكم لوقع قضاؤه خطأ لبنائه على كذب القوم وزورهم وكل من هذين الامرين مما يستغفر منه النبي (ص) والذنب فيه من قبيل قولهم : حسنات الابرار سيئات المقربين (٣) يحتمل ان المراد واستغفر الله لاولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون أن يظهروا براءته . اه ملخصا

وقال الاستاذ الامام : واستغفر الله مما يعرض لك من شؤون البشر من نحو ميل الى من تراه ألحن بحجته ، أو الركون الى مسلم لاجل اسلامه تحسينا للظن به ، فان ذلك قد يوقع الاشتباه ، وتكون صورة صاحبه صورة من اتى الذنب الذي يوجب له الاستغفار ، وان لم يكن متعمدا للزيغ عن العدل ، والتحيز الى الخصم ،

كذلك ان يظفر في الآخرة ، « يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » الذي يحاسب على الذرة « وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » وفي هذا دليل على ان حكم الحاكم في الدنيا لا يجيز للمحكوم له ان يأخذ به اذا علم انه حكم له بغير حقه

**

﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ هذا بيان للمخرج من الذنب بعد وقوعه. والسوء ما يسوء اي ما يترتب عليه الغم والكدر وفسروه بالذنب مطلقا لان عاقبته تسوء ولو عند الجزاء . وهذه الآيات تشير الى كل نوع من انواع الذنوب التي ارتكبت في القصة التي نزل السياق بسببها .

الاستاذ الامام . هذه الآيات تحذير من اعداء الحق والعدل الذين يحاولون هدم ركنهما وهذا الركن هو المقصود من الشرائع ، وانما يمتثل هذا التحذير بالاجتهاد وتحري العدل وعدم الاغترار بظواهر الخصماء . والسوء ما يسوء به الانسان غيره ، والظلم ما كان ضرره خاصا بالعامل كترك الفريضة (اي هذا هو المراد بهما هنا) والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى ويتضمن ذلك لازمه وهو الشعور بقبح الذنب والتوبة منه . ولسيدنا علي كرم الله وجهه خطبة في تفسير الاستغفار بالتوبة التي تذيب الشحم وتفني العظم . ومعنى وجدانه الله غفورا رحيما ان الله اكرم من أن يرد توبة عبده اذا أطلع على قلبه وعرف منه الصدق والاخلاص

اقول وقد كنت كتبت في مذكراتي عن الدرس عند ما تقدم « انه لا بد من نكتة لهذا التعبير وهي » . . . وتركت بياضا لأكتب فيه ما ظهر لي من النكتة ثم نسيته الى الآن . ولعل المراد بوجدان الله غفورا رحيما هو أن التائب المستغفر يجد أثر المغفرة في نفسه بكراهة الذنب وذهاب داعيته ، ويجد أثر الرحمة بالرغبة في الأعمال الصالحة التي تطهر النفس وتزيل ذلك الدرن منها . فيكون السوء او الظلم الذي تاب منه العبد مصداقا لقول ابن عطاء الله الاسكندري « رب معصية اورثت ذلا وانكسارا ، خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا » والمراد الذل والانكسار لله عز وجل الذي يورث صاحبه العزة والرفعة مع غيره . وفي الآية ترغيب لطعمة وانصاره في التوبة

﴿ ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه ﴾ اي ومن يعمل الإثم عن قصد

و[illegible] ان من أمكنه ان ينال الفلج بالحكم له من قضاة الدنيا [illegible]

موجها الى النبي (ص) خاصة، وإنما هو تشريع وجه الى المكلفين كافة، وفي جعله بصيغة الخطاب له ــ وهو اعدل الناس وأكملهم ــ مبالغة في التحذير من هذه الخلة المعهودة من الحكام، ﴿ ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ اي من اعتاد الخيانة والف الأثم فلم يعد ينفر منه، ولا يخاف العقاب الالهي عليه، فيراقبه فيه، وانما يحب الله اهل الامانة والاستقامة

﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ﴾ أي ان شأن هؤلاء الخوانين الراسخين في الأثم انهم يستترون من الناس عند ارتكاب خيانتهم واجتراحهم الإثم لانهم يخافون ضرهم، ولا يستترون من الله تعالى بتركه لانهم لا إيمان لهم، اذ الايمان يمنع من الاصرار والتكرار، ولا تقع الخيانة من صاحبه الا عن غفلة او جهالة عارضة لا تدوم ولا تتكرر حتى تحيط بصاحبها خطيئته، على انه لا يمكن الاستخفاء منه تعالى، فمن يعلم انه تعالى يراه وراء الاستار في حنادس الظلمات وهو المؤمن الصادق فلا بد ان يترك الذنب والخيانة حياء منه تعالى أو خوفا من عقابه

﴿ وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾ اي وهو تعالى شاهدهم في الوقت الذي يدبرون فيه من الليل، ما لا يرضى من القول، لاجل تبرئة انفسهم، ورمي غيرهم بخيانتهم وجريمتهم، ﴿ وكان الله بما يعملون محيطا ﴾ لا يفوته شيء منه، فلا سبيل الى نجاتهم من عقابه

﴿ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ﴾ هذه الآية تدل على ان الذين ارادوا مساعدة بني أبيرق على اليهودي جماعة وان النهي عن الجدال عنهم موجه الى هؤلاء وحدهم وان بدىء بخطاب النبي (ص) وحده. اي ها أنتم يا هؤلاء جادلتم عنهم وحاولتم تبرئتهم في الحياة الدنيا ﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ﴾ يوم يكون الخصم والحاكم هو الله المحيط علمه بأعمالهم واحوالهم واحوال الخلق كافة؟ اي لا يمكن أن يجادل هنالك أحد عنهم، ولا أن يكون وكيلا بالخصومة لهم، فعلى المؤمنين ان يراقبوا الله تعالى في مثل ذلك

[illegible] ان من [illegible] أن ينال الفلج بالحكم له من قضاة الدنيا بغير حق، يمكنه

والمعنى ان من يكسب خطيئة أو إثما ثم يرى نفسه منه أي مما ذكر ويرم به بريئا أي ينسبه اليه ويزعم انه هو الذي كسبه ، فقد احتمل أي كلف نفسه ان تحمل وزر البهتان بافترائه على البريء واتهامه إياه ووزر الاثم البين الذي كسبه وتنصل منه . وقد فشا هذا بين المسلمين في هذا الزمان ومع هذا ينسب المارقون ضعفهم الى دينهم، وانما سببه ترك هدايته ، فالحادثة التي نزلت هذه الآيات في إثر وقوعها كانت فذة في بابها وما زال المفسرون يجزمون بأن المسلمين الذين سرق أو خان بعضهم، ونصره آخرون وبهتوا اليهودي برميه بجرمه وهو بريء، لم يكونوا مسلمين الا في الظاهر ، وانهم منافقون في الباطن، لان مثل هذا الاثم المبين ، والبهتان العظيم ، لا يكون من المؤمنين الصادقين ، ولكن مثلها صار اليوم مألوفا ، بل وجد في حملة العمائم من يفتي بجواز خيانة غير المسلمين، وأكل أموال المعاهدين والمستأمنين بالباطل، كما علمنا من واقعة حال استفتينا فيها ونشرت الفتوى في المنار ، ونعوذ بالله من هذا الخذلان

بعد ان بين الله تعالى هذه الاحكام والحكم والمواعظ المنطبقة على تلك الواقعة ووجه الى كل من له شأن فيها ما يناسبه في سياق هذه القواعد العامة، خاطب النبي (ص) وهو الحاكم بين الخصمين فيها بقوله : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ﴾ أي لولا فضل الله عليك بالنبوة والتأييد بالعصمة ، ورحمته لك ببيان حقيقة الواقعة ، لهمت طائفة من الذين يختانون أنفسهم بالمعصية أو بمساعدة الخائن ان يضلوك عن الحكم العادل المنطبق على حقيقة القضية في نفسها ، أي يضلوك بقول الزور وتزكية المجرم وبهت اليهودي البريء ، لعلمهم ان الحكم انما يكون بالظواهر ، أو بمحاولة الميل الى إدانة اليهودي توهما منهم أن الاسلام يبيح ترجيح المسلم على غيره ونصره ظالما أو مظلوما كما يعهدون في غيره من الملل . ولكنهم قبل أن يطمعوا في ذلك ويهموا به جاءك الوحي ببيان الحق ، وإقامة أركان العدل ، والمساواة فيه بين جميع الخلق ، وقيل ان الآية نزلت في وفد ثقيف إذ قدموا على النبي (ص) وقالوا جئنا لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا ، فردهم ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ بانحرافهم عن الصراط المستقيم الذي هداهم اليه الاسلام واتباع الهوى والتعاون عليه ﴿ وما يضرونك من شيء ﴾ وقد عصمك

ويرى أنه قد كسبه وانتفع به فانما كسبه هذا وبال على نفسه وضرر لانفع لها كما يتوهم لجهله بعواقب الآثام السيئة في الدنيا والآخرة ، ومن العواقب غير المأمونة في الدنيا فضيحة الآثم ومهانته بظهور الأمر للناس وللحاكم العادل كما وقع لاصحاب القصة الذين نزلت بسببهم الآيات وسترى تحديد معنى الاثم في تفسير الآية التي بعد هذه ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ قال الاستاذ الامام اي انه تعالى قد حدد للناس بعلمه حدود الشرائع التي يضرهم تجاوزها ، وبحكمته جعل لها عقابا يضر المتجاوز لها ، فهو إذا يضر نفسه ولا يضر الله شيئا .

﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ﴾ أقول يطلق العلماء الخطيئة والاثم والذنب والسيئة على المعصية . ولكل لفظ منها معنى في أصل اللغة يناسبه اطلاق القرآن . ولا يمكن ان يكون الاثم هنا بمعنى الخطيئة . ويقول الراغب ان الاثم في الاصل إسم للافعال المبطئة عن الثواب . أي مثل السكر والميسر لانهما يشغلان صاحبهما عن كل عمل صالح ولذلك قال تعالى « فيهما إثم كبير » وأما الخطيئة فظاهر انها من الخطأ ضد الصواب ، وصيغة فعيلة تدل على معنى أيضا ، فالخطيئة الفعلة العريقة في الخطأ لظهوره فيها ظهورا لا يعذر صاحبه بجهله . والخطأ قسمان أحدهما ان تخطئ مايراد منك ، وهو مايطالبك به الشرع ويفرضه عليك الدين ، أو ماجرى عليه العرف والعهد ، ويدخل في القسم الثاني ويخطئه الفاعل من مطالب الشرع اي يتجاوزه ولو عمدا ، ومن هنا جعلوا الخطيئة بمعنى المعصية مطلقا ، وفسرها ابن جرير هنا بالخطأ والاثم بالعمد . وقال الاستاذ الامام الخطيئة مايصدر من الذنب عن الفاعل خطأ أي من غير ملاحظة أنه ذنب مخالف للشريعة ، والاثم مايصدر عنه مع ملاحظة انه ذنب . ويعني بالملاحظة تذكر ذلك وتصوره عند الفعل ، وقال ان عدم الملاحظة والشعور بالذنب عند فعله قد يكون سببه تمكن داعيته من النفس ووصولها الى درجة الملكات الراسخة والأخلاق الثابتة التي تصدر عنها الاعمال بغير تكلف ولا تدبر ، وهذا المعنى هو المراد هنا . أقول ويصح ان يكون هذا البيان توجيها لقول من فسر الخطيئة هنا بالمعصية الكبيرة . والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه أي يحيره ويدهشه

السيد حسين رضا

ولد شقيقنا فقيد الاصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليال خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ (الموافق شهر يناير سنة ١٨٨٢) وقد اغتبط والده بولادته مالم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وانا أرى انه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافا لعادته مع أولاده ، ويلهج المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكأن هذا كان منه اشارة الى الفجيعة به في المحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في القلمون ولاحت عليه من نشأته الاولى مخايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفوليته بحبوة الحياء والادب، وانني لاأتذكر ان أحداً أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى على وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طرابلس (وكنت يومئذ اطلب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة) وكان يضن به على المدن خوفا على اخلاقه، ويحب ان يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت اتعاهده بكل مايحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئا من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية !! وعلم الحال (العقائد والعبادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم مدتها .

ثم أقرأته النحو والصرف والتوحيد والاخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الادب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو (وحفظ الالفية كلها أو بعضها) ، وكتاب المقصود في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر عليّ بعض دروس الاحياء والعقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبقى في وطنه، وقد اشتد الضغط فيه على العلم وأهله وكتبه ، فكنت أطلبه من الوالد (رحمهما الله تعالى) فيرجئ ويسوف في ارساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضعته في الازهر فكان يحضر درس التفسير والبلاغة على الاستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خطوه ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

الله من الناس ومن اتباع الهوى في الحكم بينهم . وهذه الآية ناطقة بأنه صلى الله عليه وسلم لم يجادل عنهم ولا أطمعهم في التحيز لهم قبل نزول الوحي ولا بعده بالاولى

هذا ما ظهر لي الآن . وقد رجعت بعد كتابته الى مذكراتي التي كتبتها في درس الاستاذ الامام فاذا فيها ما نصه :

كان الكلام في المختانين أنفسهم ومحاولتهم زحزحة الرسول (ص) عن الحق، وقد أراد تعالى بعد بيان تلك الاوامر والنواهي وتوجيهها الى نبيه (ص) أن يبين فضله ونعمته عليه . قال الاستاذ ولا يصح تفسير الآية بما ورد من قصة طعمة لانه على ما روي قد هم هو واصحابه باضلال النبي عن الحق الذي انزله الله عليه ، وهو تعالى يقول أنه بفضله ورحمته عليه قد صرف نفوس الاشرار عن الطمع في إضلاله والهم بذلك . وذلك ان الاشرار إذا توجهت ارادتهم وهممهم الى التلبيس على شخص ومخادعته ومحاولة صرفه عن الحق فلا بد له ان يشغل طائفة من وقته لمقاومتهم وكشف حيلهم وتمييز تلبيسهم وذلك يشغل المرء عن تقرير الحقائق وصرف وقت المقاومة الى عمل آخر صالح نافع ، ولذلك تفضل الله على نبيه (ص) ورحمه بصرف كيد الاشرار عنه حتى بالهم بغشه وزحزحته عن صراط الله الذي أقامه عليه اهـ

﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ الكتاب القرآن والحكمة فقه مقاصد الكتاب وأسراره ووجه موافقتها للفطرة وانطباقها على سنن الاجتماع البشري واتحادها مع مصالح الناس في كل زمان ومكان ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ هو في معنى قوله تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ولا دليل فيه على ان المراد به تعليمه الغيب مطلقا بل هو الكتاب والشريعة، وخصوصا ما تضمنته هذه الآيات من العلم بحقيقة الواقعة التي تخاصم فيها بعض المسلمين مع اليهودي

﴿ وكان فضل الله عليك ﴾ عظيما إذ اختصك بهذه النعم الكثيرة وأرسلك للناس من كافة، وجعلك خاتم النبيين، فيجب ان تكون اعظم الناس شكرا له، ويجب على أمتك مثل ذلك ليكونوا بهذا الفضل خير أمة أخرجت للناس، وقدوة لهم في جميع الخيرات

اني وان كنت أشهد لاخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها أو جلتهم ومجموعهم ، كما تشهدله به آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما يمليه عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أنقل ههنا بعض ما كتبه الى فضلاء المعزين وإنما اختار من التعازي الكثيرة التي كتبت الي ما فيه تصريح او إشارة الى رأي الكاتب لها في فضل الفقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأمته . والتعازي ضروب بعضها وعظ عام ، وبعضها ثناء على المعزى ، وأكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

(١)

كان أجدر الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولكن ما كتبه في هذا المصاب شجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هو فيها وما يعتقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بغرضنا ، ويصح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« فلم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تمنيت معه أني لم أخلق ، واسرعت الى القلمون آسفا جازعا ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضعفي اذ ذاك لتخفيف الهول على غير جدوى . وبالحقيقة ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوى عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل افندي الرافعي :

« ما فجعت بعد اخي احمد عارف رحمه الله(١) بمثل انفجاعنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما اسفت لفقده ، ولو شئت لعددت مواهبه بلسان الندب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنفعهم وقد مات له غيره

فيها ، ويقرأ المنار ويحاول اتباع اسلوبه في الكتابة، ولم يلبث أن ترك الازهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب على أحد فيه لانه لم يستطع الصبر على أسلوبهم — فهذا مجمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى ان معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أديبا وشاعرا وسطا وخطيبا مفوها ، وكان يعرض علي في بدء الامر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه الا القليل من الخطأ الذي يقع في مثله أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عتم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، فتارة يمضيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار، وقد كنت أنكر عليه أولا استعجاله بالاستقلال التام وأنا أعلم ان سببه الذي ساعد استعداده الفطري عليه هو الاقتداء بشقيقه وأستاذه الاول ، وأرى أنه فاته بهذا الاستقلال قبل أوانه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استعداداً لتحرير المنار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم استطع أن أحدث له هذه الرغبة، وحثثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يطالعها البتة ، لانه كان يجري على سجيته ولا يطيق التكلف . وما كنت يائساً من عودته الى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم ان رغبته اذا تحركت فانها تكون كالكهرباء مضاء وسرعة ، وجملة القول في علمه انه علم الاديب ، من كل فن حظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي الذاكرة ، شديداً على الخصم مع النزاهة والادب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سننشر بعضها في المنار احياء لذكره ، وشرحا لمكنونات صدره وخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر مواضع الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الارادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والامانة والعفة والنجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أخشى أن يغلب ميله الى الشجاعة والرجولية ميله الى العلم والادب . أرأيت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصلحة العامة ، ووجه وجهه الى خدمة الامة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجى أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وان فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلا

عن تعزية اخوانه ، أما أنا فلا أستغني ولا أجدني سالياً ذاك الشاب الذي لافضل لي في عشق لطفه، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمناقبه ، فالله سبحانه مسئول ان يثيبنا في هذا المصاب، ويكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب، وانا لله وانا اليه راجعون اخوكم

عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

(السيد حسين وصفي رضا)

شاب نشأ في مهد المجد ، ورضع أفاويق المعالي ، وتضلع من الآداب والحكم، وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أتانا نعيه فوقع لدينا وقعاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه عظيما ، فقد كان فوق كل ماتقدم من صفاته صديقاً من أعز اصدقائنا ، وأخا من أكرم إخواننا ، فنعزي فيه الفضائل والمعالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» أجزل الله أجره، وأطال عمره، انا لله وانا اليه راجعون، منه سبحانه نستنزل الرضوان على جدث الفقيد العزيز، والصبر والسلوان على أفئدة أهله وعارفيه

(٣)

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعلم كتابها الشيخ اسماعيل افندي الحافظ المدرس في دار الفنون العثماني ومكتب النواب بالاستانة

سيدي الاخ الرشيد عزى الله نفسه بما يرجوه من صلاح الاسلام وانزال السكينة على قلبه . أكتب هذه الكلمات بيد ترتجف أسفاً ، وانفاس تتقطع لهفاً ، وبين قلبي قلب يكاد يقطر دما ، وينفطر تأثراً وألما ، وعلى عارضي دمع ينهل مدرارا ، ويتسابق اشدارا ، ثم لايلبث أن ينقلب ناراً ، تذكى في أوارا ، دمع كأني احس بسويداء قلبي تسيل في وليه ، وسواد عيني يمتزج بأتيه ، حتى لو استعملته مدادا ، لرقم على هذا الطرس سوادا ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نعي ذلك الشباب الغض والحسب المحض ، والادب الموفى على الروض جمالا ، والخلق المزري بنفحات الزهر أرجها ، والذكاء الذي يكشف اعقاب الخطوب ، ويكاد يشق حجب الغيوب ، ويستجلي خواطر القلوب ، فياله من خطب رزئت به الفضيلة بجمالها ، والمكارم بكمالها ، والمروءة ببهجتها ، والنجدة بمهجتها ، وياحسرة الاقلام والمحابر ، والكتب والدفاتر ، وياما أطول أسفي على ذلك الفقيد ، وما أشد أشفاقي على قلب (السيد) كيف يحتمل

(السيد) (١) به حتى لا أكاد اعقل ما كتبت . ولو اني حملت جبال رضوى لكان أهون علي ممن حملت من الكتابة اليه ، على انه لا بد منه ، والامر لله ، وانا لله وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الي لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من الاستانة :

كتابي اليوم كتاب أسى وحزن، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لكان قلبي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة عليّ في ذلك لولا الايمان، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة، كلا بل هو جوهر من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب صحبتها ، والتعزي في هذه الحياة برؤية صفاتها ، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آنستنا في المعامع الموحشة ، معامع قيل وقال ، وكثرة الجدال ، هو من أفضل الاعيان التي تصبح زينة التاريخ برونق محامدها ، هو « السيد حسين رضا » ويالهف قلبي حين يرى هذا الاسم محشوراً في صفوف الغابرين ، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس ببدع في عالم الكون والتحول فالجزع لفقدهم ليس ببدع أيضاً ، واذا كان ذوي الغصون النضرة أمراً معهوداً فذرف الدموع لاجلهم أمر معهود كذلك ، لكننا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا ، ونتكلف تقديم الانس بروحه على الانس بأشباحنا ، فنتزحزح بذلك عن الجزع القلبي مستغفريه سبحانه عن الدموع التي لا نملك سدا لتيارها ، ولا حول ولا قوة الا به ، هو ولي الفطرة ومازج الضعف بالقوة

اذا أسي الآل الرضوي على الحسين فلا غرو، كيف والآسون عليه من سواهم يعدون العد، ويتعاصون على الحد، فمحافل الآداب ، ومعاهد العلوم، وبيوت الحسب، ومآهل الشبيبة ، ومناهل الفضائل ، كل ذلك بعض من أسي على هذا الغصن النضير الذي أنجبته دوحتهم، وأوحشت منه اليوم رياضهم، وإن يلتمس الآل الرضوي عزاء فليس لغيرهم مثل مايجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء عالم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزى فيه، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه وتجلياته

(١) اذا أطلقوا لفظ السيد يعنون به صاحب هذه المجلة

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظعها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو امر من الصبر، وقد قال من له الأمر والشان، « كل من عليها فان » فالله يبقي لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام، ويختم لنا ولكم بجميل الانعام وحسن الختام　حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠　عبد الرزاق البيطار

(٥)

وكتب العالم الكبير، رب التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي:

حضرة مولانا اوحد الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم نبأ اذرف الدموع، واطار الهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن، وانزل بنا اعظم مصاب، وارانا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما فجعني، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بان أعزى، ام كيف الوما للصابر وانا الجدير بما يتلى، ولقد ابى القدر المحتم الا ان يمثل في المحرم فاجعة الحسين، وان يجعل لنا — وان لم نتشيع — من الشجو ضعفين، فانا لله وانا اليه راجعون، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر، ويوفي لنا بعظيم مصابنا الأجر، ويهب للسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام　　الاسيف

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠　　جمال الدين

القاسمي

(٦)

وكتب صاحب الفضيلة، والمزايا الجميلة، الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت:

سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاءه بمنه تعالى وكرمه. وبعد فان نبأ الفاجعة الاليمة والمصاب العظيم بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح الفؤاد وأورثنا الاسف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيد الاديب، والكاتب النجيب، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه. وعلى كل فالموت على العباد أمر محتم، والتسليم لله تعالى أولى وأسلم، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير بصبر أكبر منه، فانا لله تسليما لامره تعالى، ولا حول ولا قوة الا بالله. اللهم افض على هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لاسرته الكريمة سبيل الصبر، وتحصيل الاجر، انك سميع الدعاء　　الفقير مفتي بيروت

(الختم)

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الاصلاح ، وأقدرهم على مساعدته وتأييده ، ولكن علمي بمبلغ صبر السيد واحتماله ، وثقتي بتمكنه في موقف الجهاد النفسي ، واستهانته بصروف الايام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ، قد يهون بعض آلامي ، وينهنه من غلواء جزعي واشفاقي ، وهو ماهيأ لي سبيلا الى التقدم اليه بهذه التعزية الحزينة ،

وأما أنت أيها الاخ الصالح (١) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة تعلقك بالفقيد ، وضعفك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كففت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزعا من ذكر هذه الفاجعة ، واشفاقا وكآبة وحزنا ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما الصبر الجميل ، وجزاكما الاجر الجزيل ، على اني لست اغنى منكما عن التعزية بهذا المصاب . وهبنا الله جميعاً جميل العزاء والسلوان ، وعوض الفقيد على شبابه بالروح والريحان ، وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان الداعي

اسماعيل الحافظ

(٤)

وكتب الاستاذ الاكبر ، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائل « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » والصلاة والسلام على فقيد الأوائل والأواخر ، وعلى آله وصحبه الى اليوم الآخر

اما بعد فيا ايها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه ، ونظراؤه في كدره واسفه وبلائه ، ان المصائب تتفاوت في المقدار ، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار ، وعلى قدر المشقة يكون الثواب ، ويضاعف الأجر بحسب المصاب ، وانت وان كنت اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر ، ولكن لا بأس بالمذاكرة والتذكير ، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير ، فيامولاي الجليل ، هل — للخلق من خلاص ونجاه ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، واني وايم الله حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني اسفا وحسرة ، وكتبت معزياً والقلم هائم ، والدمع هامٍ والكرب داهم ، فيالها من

(١) يريد خطاب شقيقنا السيد صالح

(١٠)

وكتب الاديب الفاضل، سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وايم الله كبدي الفضل والنبل واضاع الوطن بفقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ في حجري العلم والحكمة وشب متشبعا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح الحوت

(١١)

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي ببيروت هذا الكتاب ، فنشرناه بعد حذف رسوم الخطاب ، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فللجمعية معنى يتصل به من وجه آخر ، وليكن ختام ما ننشره من تعازي بيروت التي هي في مجموعها ، اعرف البلاد السورية بقيمة رجالها :

نبدي ان نبأ الفاجعة الأليمة بوفاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وحزنا ، واسال من العيون مزنا ، قضى رحمه الله رحمة الابرار ، واسكنه دار الكرامة مع الاخيار ، مضى في سبيل لا بد لكل حي من المسير فيه والمصير اليه بحكم مقدر الاعمار لأجلها ، والآجال لميعادها ، فلا ينفع الفائت الحزن ، ولا يرفع الهم غير الاعتصام بالصبر، وكل ذلك لا يخفى على فضيلتكم، ومعالي ارشادكم احسن الله لكم العزاء ولقاكم من الصبر اكمله، ومنحكم من الاجر اجزله، ولا اراكم بعده ما تكرهون ، وإنا لله وانا اليه راجعون   عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠   جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها : محمود فرشوخ

(سنذكر في الجزء الآتي نموذجا من تعازي سائر البلاد والاقطار)

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتابا مشتركا قالوا فيه :

الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه

السلام على الاستاذ ورحمه الله وبركاته . وبعد فانا نكتب واليد مرتجفة والقلب يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكريم والغيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيد رحمه الله ولم تخصص بذلك اسرته الكريمة . فنتقدم بتعزية الامة عموما ولفضيلتكم خصوصا . الهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر .

محمد علي القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى الغلاييني

(٨)

وكتب صاحبا الامضاء من سروات بيروت وكبار وجهائها

الى السيد الحكيم أدام الله بقاءه

مصابنا بالحسين عظيم ، ووقعه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميم ، الا جميل الصبر مما يعد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وقضائه ، فمنكم واليكم سنة التعزية ، عظم الله أجركم ويرحم الفقيد العزيز وعوضنا ببقاء السيد خيرا والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي الداعي

يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشهير الشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاتحاد العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد

تناولت القلم لا كتب للاستاذ تعزية بالشهيد الحسين ، فتراءى لي هول المصاب وتمثل أمامي فضل الفقيد ، وأدبه الغض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى أني أدعو الى بالله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجميل ، والاجر الجزيل وأن يتغمد فقيدنا بوابل رحمته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طباره

اللازمة لتسلق الاسوار ولكن المقربين اليه ثنوه عن عزمه

وقد انفق الفريقان مقدارا عظيما من الذخائر سدى ، ولم يحتدم وطيس القتال الا لما دنا عزت باشا بجيشه من صنعاء فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذ وتهاجم الثوار فتنشب بينهما معارك شديدة يخسر فيها الفريقان خسارة جسيمة

وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ٧٤ وغني عن البيان ان هذه البنادق شديدة الفتك ، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم والا ما استطاعوا ان يطلقوا على الاسوار نارا حامية اكثر من ثلاثة اشهر ، ومما يستغرب في هذا الامر ان البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في اوروبا ، ولم يستعمل الثوار المدافع العديدة التي غنموها من الاتراك كثيرا لانه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولان معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من اخوانهم واتباعهم

وحدث انهُ لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا الى الثوار فشدد ولاة الامور على من تخلف من هؤلاء الجنود في المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشتبهوا فيهم من الاهالي الى أن انتهى الحصار ، ولم يشددوا الا في هذا الامر وتجاوزوا عن سيئة الذين سعوا في نسف الثكنات ، ويأوّل تسامحهم هذا بخوفهم من قيام العرب عليهم اذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين اسرهم العرب

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدة على داخلية البلاد من غير ان يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها ، نعم انه قاتل كثيرا في طريقه ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم العديدة بين الحديدة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر ، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الامام وليس جبنا منهُ ومن رجاله ، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى انهُ لا يستطيع ان يخطو الى ما وراءها ، ولم تكن خسارتهُ في الحرب عظيمة ولكن الاوبئة فتكت به فتكا ذريعا ، وزد على ذلك انهُ لقي في طريقه مشاق وصعابا وانفق الا كثيرا في الانتقال من مكان الى مكان ، وشاع بعد رفع الحصار ان الجيش كان ناويا التقدم، من شهارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشومة

﴿ الدولة العلية واليمن ﴾

نشر كاتب انكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الايام إلى انكلترة مقالة في التيمس وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هذا الاوان. ترجمت جريدة المقطم خلاصتها، فرأينا أن ننشرها لتكون تتمة لما نشرناه من قبل في مسألة اليمن قال الكاتب

« عقدت الحكومة العثمانية صلحا غير مجيد مع الامام يحيى بعد مارشت زعماء الثورة بالاموال الطائلة ووعدتهم بالاصلاح فنال الامام بذلك اكثر مما كان يطمع فيه، وثبت في مركزه حاكما على قبائل الزيدية. ولم تتغير الحال في ما سوى ذلك عما كانت عليه قبل بدء القتال. فالأتراك يملكون صنعاء وقد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي، ولامام يملك شهارة وسائر المعاقل التي كانت له. وقد اطلق الامام اخيرا سراح خمس مئة اسير من الجنود ولكنه لم يعد المدافع التي غنمها في هذه الثورة او في ثوراته السابقة. واضطرت الحكومة ان ترسل خمسين الف عسكري بقيادة عزت باشا وهو من اكبر قوادها للحصول على النتائج التي مر ذكرها

ولا يستطيع الواقف على حقيقة احوال اليمن ان يقابل الانباء التي وردت من الاستانة عن استعداد الامام لتقديم مئة الف مقاتل ليحاربوا الايطاليين في طرابلس الغرب الا بالابتسام. ذلك لان سلطة الامام اسمية اكثر مما هي فعلية ولان الحكومة العثمانية تعجز عن نقل هؤلاء المتطوعين الى ساحة الحرب. فالامام اذا في حل من ذلك ولا تثريب عليه اذا لم يبر بوعده

قد اتيح لي ان اكون في صنعاء لما كان الامام محاصرا لها وظل الحصار من شهر يناير الى اواخر شهر ابريل من العام الماضي. وكان عدد الحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين الف مقاتل. ولو هجم الثوار على المدينة بغتة لتيسر لهم فتحها عنوة لان حاميتها ـ وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعا ـ لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو مترا. ويقال ان الامام كان عازما على اتيان ذلك وأعد السلالم

دعوة سيدى احمد الشريف السنوسي

(الى جهاد الايطاليين في طرابلس الغرب وبرقه)

المنشور الذي نشره في القبائل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولى عليها أعداء الدين

الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة والسلام على من أطال عز الدين بالبتار ، وعلى آله الانصار ، القائمين بواجب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » الصادقين ما عاهدوا الله عليه ، الذائقين من حلاوة الشهادة ماأحبوا مفارقة النعيم المقيم للرجوع اليه ،

أما بعد اهدائي أطيب السلام ، والدعاء لثبات الاقدام بثبات الاقدام ، اعلموا « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، فاستبشروا ببيعكم وجاهدوا متخذين نصره سيفا وولايته جنة ، واسمعوا ما نبهكم به على الوفاء بتسليم المبيع من الوعد بالربح الجسيم، في قوله « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » واحذروا ماتوعد به المماطل من العذاب والتدمير، في قوله « ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير »

فحال ذلك دون اخراج هذا العزم واضطر ولاة الامور أن يسرعوا بمفاوضة مشايخ عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال

و يستدل من هذه النتائج السلبية ان الحكومة العثمانية لا تستطيع اخضاع اليمن اخضاعا تاما وأن الاسباب التي تمنع الادريسي من الاتحاد مع الامام - وهي اختلافات دينية - تمنعه ايضا من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وان منع تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من المحال الا اذا نزع السلاح من الاهالي ولكن الحكومة بدلا من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من البنادق و بعض المدافع من جيشها وهم يرفضون الآن ما تعرضهُ عليهم من الاقتراحات لرد هذه الاسلحة او رد بعضها رفضا باتا

وعلاوة على ما تقدم فان التغلب على البلاد الجبلية في اليمن محفوف باخطار ومصاعب جمة اذا كانت الحال ملائمة لذلك لان البلاد وعرة المسالك تتخللها الجبال والهضاب من جميع الانحاء فتجعل المواصلات امرا صعبا جدا ان لم نقل محالا وفيها كثير من المعاقل الطبيعية و يسكنها قوم اشداء عرفوا بالبسالة والاقدام لانهم شبوا على الحرب وشن الغارات ولانهم مستكملو العدة والسلاح ، ثم ان التمرس والتدرب على القتال يعوزانهم ولكنهم متحدو الكلمة تراهم قلبا واحدا و يدا واحدة في الذود عن كل ما يوجب اذلالهم و إخضاعهم اه

(المنار) يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع اخضاع اليمانيين بالقوة ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على انفاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش وعلى بذل دماء الالوف من المسلمين كل عام لاجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمة باردة للطامعين فيهم جميعا . ولو كان مخلصا في نصحه لاستنبط من علمه واختباره انه يجب على الدولة وهي لا يمكنها اذلالهم واخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الاجانب اذا اعتدوا عليها ويكونون عونا للدولة عند الحاجة اليهم . فحسبها انها حاربتهم أربعة قرون وخسرت في ذلك الملايين من الرجال و بذر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئا قط

خارجا عن الدين فكيف بمن يبايع الكفار بحطام على قتال المسلمين وكتابة نفسه في جندهم . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى الى الله جميع طاعته (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا) » قال : قيل يارسول الله بعد هذا الحديث الذي سمعناه منك من يدع الجهاد : « قال من لعنه الله وغضب عليه وأعد له عذابا عظيما . قوم يكونون في آخر الزمان لايرون الجهاد وقد اتخذ ربي عنده عهداً لا يخلفه : ايما عبد لقيه وهو يرى ذلك ان يعذبه عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين » وفي مسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات على شعبة من النفاق » ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله أي الناس أفضل « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » وفيه انهم قالوا يارسول الله مايضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده في العدو حاسرا » وفيه ان درجات المجاهدين الى مائة درجة في الجنة مابين الدرجتين كما بين السماء والارض »

فالله الله عباد الله ، خلصوا أنفسكم واعراضكم من أيدي الكفار ، واغسلوا ياذوي الهمم ملابس مروءتكم من العار ، وجاهدوا بالانفس والاموال ، فدرهم الجهاد بسبعة آلاف ، وكونوا كرجل واحد في التعاون والائتلاف ، وابشروا بنصر من الله وفتح قريب ، فما أمر بالجهاد الا ليهدي السبيل ولا حرك الالسن بالدعاء الا ليجيب ، ولا تقر نفس منكم قرارها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، وليكن همّ كل منكم وهواه ، قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فالمثابرة المثابرة فما هي الا قليل. وان قيل انهم « قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فهم عما قليل مدحورون ، وهذا إبان اعطاء جميعهم الجزية عن يدوهم صاغرون

فلا يوحشن لكم ـ ماالمسلمون فيه الآن ـ جبنا ولا تقصيرا « فالله ولي الذين آمنوا وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا » واصبروا فان الفرج قريب ، واني ان شاء الله قادم اليكم عن قريب ، وعليكم منا أتم السلام

واعلموا ان الاجل محتوم ، فما خائض المعركة ميت الا به ، ولا القصور المشيدة مانعة ملائكة الموت عن ساكنها ، فما أصاب لم يكن ليخطىء وما أخطأ لم يكن ليصيب ، على أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب ، إذ هو الحياة الحقيقية ، وكمال المنزلة بالرزق في مقام الحضرة الربانية ، فلهذا آثره من ينفرد في الدنيا بعز الخلافة على ما هو فيه ، فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الاعداء وسبيهم نساءه وأولاده وما يحميه

واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، وان الشهيد لايجد الموت الا كالفرس لما هو به مشغوف ، يجد ريح الجنة ، وتتراءى له الحور اذا أثخن . وقد قال (أنس ابن النضر) في وقعة أحد « واها لريح الجنة . اني لأجد ريحها دون أحد » ثم انغمس في المشركين حتى قتل

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد ، فان قوة الايمان يتلاشى في جنبها كل عدد ، جموعهم المعسكرة مكسرة ، وعزماتهم المؤنثة مصغرة ، وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة ، وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت ، والعدو بالتعس والتشتيت ، ولا ترتدوا على أدباركم ، لضعف من بعض أمرائكم ، فان المرء لو جاهد لله وحده ، اصدق وعده ، وأعز جنده ، بل جاهدوا ولو فرة ، وأثبتوا ولو مرة ، فقد كان في الغزوات ، يتداول الرايات الجماعات ، كلما حي أمير أخذها الآخر لينال المرام ، وفي الحديث الحث على الجهاد مع كل امام ، فلا تنكسرن قلوبكم لقلة عدد ، ولا تجبنوا لضعف مدد ، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده ، منتظرا بالنصر وعده ، فقد قال تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » والاحاديث فى الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه لا يحاط بها كثرة ، فمن الاول « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزع عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » أي الواجب عليكم من جهاد الاعداء والاغلاظ عليهم واقامة الاسلام ونصرة الدين وآله واعلاء كلمة الله واذلال الكفر وأهله . ومنه « ان ترك الجهاد خروج عن الدين » اذ لايرجع الى الشيء الا من خرج عنه . هذا في الجهاد الكفائي فكيف بالجهاد الذي تعين بمفاجأة العدو (١) . واذا كان القاعد عنه

---

(١) يراجع القارىء ص ٩٢٨ من المجلد الرابع عشر ير في أولها اننا توقعنا هذا البيان من السنوسية في المقالة السابعة من مقالات المسألة الشرقية التي كتبناها في اواخر شوال . ثم ليراجع المقالة العاشرة والبحث في هذه المسألة فيها

الثالث فيقول فيه هذا العلامة انه مما ذهب اليه فريق من العلماء الباحثين ولكنه لا يسمي أحدا من الذين يقولون به . ومع انه يقول في هذا الرأي ان عليه مسحة من القبول وفي الظواهر ما يعضده ، يعود فيعطف على مقاله هذا ما يشتم منه تضعيفه والجرح فيه . راجع مقالة هذا العلامة النفيسة المدرجة في المجلد الرابع والعشرين من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة سنة ١٩١١ وجه ٦٢٠ الى ٦٣٠

﴿ عود الى تفريع اللغات السامية ﴾

قلنا ان علماء الغربيين يفرعون الدوحة السامية العظمى الى فرعين كبيرين شمالي وجنوبي ويشعبون من الفرع الشمالي البابلية القديمة والارامية والعبرانية الفينيقية ، ومن الجنوبي العربية العدنانية المضرية والسبئية والمهرية والسقطرية (نسبة الى مهرة وجزيرة سقطرة) والايثوبية ويندرج تحت الايثوبية الحبشية والامهرية. وقد ذكرنا أيضا تصحيح العلامة نولدكي لهذا التفريع أي انه جعل البابلية القديمة فرعا مستقلا بذاته وجعل ما سواها من بقية اللغات السامية في الفرع الثاني وشعب من هذا الفرع شعبتين أو جذمين شمالي وجنوبي على ما مر بنا

ولم أر سندا لما ذكره هذا العلامة الا ما بين اللغات من التقارب والمشابهات في الالفاظ المفردة والاشتقاقات الصرفية وما يلحق ذلك من التراكيب وأدوات المعاني ولاسيما أدوات وطرق التعريف والتنكير وقد أغفل الوجه التاريخي تمام الاغفال . والذي يظهر لي أن اغفال الوجهة التاريخية نقص في البحث وأنه لو تنبه اليها وأضيفت مآخذها الى مآخذ الابحاث اللغوية الصرفة لكان فيما يستنتج من مجموع وجهتي البحث ما يضعف آراء القوم في التقسيم والتفريع ويضعف أيضا تصحيح العلامة نولدكي

وعندي أنه لو أضفنا الى ما نعرفه من التشابه والتقارب بين الالفاظ والمشتقات وضروب التراكيب النحوية والاضافية وطرق التعريف والتنكير ما نعرفه من الاصول التاريخية والتقاليد العمومية المتعارفة لأدى بنا ذلك الى التقسيم الآتي وهو أن الدوحة السامية العظمى تنقسم الى فرعين كبيرين هما الفرع القحطاني

اللغة العربية

﴿ بحث تاريخي فلسفي ﴾

(في موطن العربية المضرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) (*

ايها السادة والسيدات . اللغة العربية فرع من ارومة تعرف بالارومة السامية ومن فروع هذه الارومة اللغات الآتية وهي : البابلية القديمة وتعرف بالاشورية أيضا ، والارامية (وهي السريانية) والعبرانية الفينيقية ، والحميرية ، والحبشية أو الاثيوبية . الا أن العربية من بين هذه الفروع هي أمدها أغصانا واملاها جذما وأورفها ظلا وأنضرها أوراقا وأطيبها ثمرا يانعا شهيا

وعلماء اللغات الغربيون يقولون ان ارومة هذه الدوحة السامية انشعب منها فرعان اثنان فرع شمالي وفيه اللغة البابلية القديمة ، والارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وفرع جنوبي وفيه العربية المضرية والسبئية والسقطرية والمهرية والاثيوبية (أو الحبشية)

وصحح العلامة أرثر نولدكي على ما في دائرة المعارف البريطانية الاخيرة سنة ١٩١١ هذا التقسيم فجعل اللغة البابلية القديمة فرعا مستقلا بنفسه وجعل الفرع الثاني ينشعب الى جذمين شمالي وجنوبي وجعل في الشمالي الارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وجعل في الجنوبي العربية المضرية ، والسبئية ، والسقطرية ، والحبشية أو الاثيوبية

هذا ما يراه العلماء الغربيون في تقسيم اللغات السامية وتفرعاتها عن الام التي نشأت منها . ولهم في موطن هذه الام السامية الاصلي آراء ثلاثة الاول ان موطنها افريقيا ، والثاني انه العراق ومايجاور الخليج الفارسي من أعلاه الى اليمين والشمال ، والثالث انه شبه جزيرة العرب . أما الرأي الثاني فرأي العلامة الاستاذ جويدي صاحب المحاضرات المشهورة في الجامعة المصرية في العام الفائت . وأما الرأي الاول فالظاهر من كلام العلامة نولدكي انه من القائلين به أو الذاهبين اليه . وأما

---

*) خطاب لصديقنا الاستاذ جبر افندي ضومط معلم اللغة العربية في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في تلك المدرسة ثم أتحفنا به

الآثار ولا في التقاليد المتناقلة ما يشير أدنى اشارة الى انها كانت في غير هذه البلدان

هذه هي البلدان التي عاشت فيها الامم التي تكلمت اللغات السامية لم يعرف عنها قط انها كانت في غيرها من البلاد اللهم الا حيث كانت المستعمرات الفينيقية لكنها لم تثبت هناك بل انقرضت حالا عند انقراض المستعمرين وتغلب من حواليهم من الامم عليهم ، ولا شك ان مهد السامية لم يتجاوز البلدان التي ذكرناها ولا بد ان يكون في احداها ، وعلى هذا اجمع أرباب البحث من علماء اللغات والتاريخ قديما وحديثا على ما أعلم وهو ظاهر قول العلامة نولدكي ايضا

قلنا فيما مر ان هنالك آراء ثلاثة في موطن السامية ، الاول انه افريقيا والثاني انه جزيرة العرب والثالث انه العراق او اقليم بابل وما يليه من بلاد الاشوريين. فلننظر في كل من هذه الآراء واحدا واحداً ولا شك ان الرأي الذي تتوفر فيه الادلة التاريخية والعقلية هو أولى من صاحبيه بالقبول ، دعونا ننظر أولا الى بلدان شمالي افريقيا ونسأل تقاليد أهلها عن أهلها من اين جاؤا . ان البربر واعني بهم سكان شمالي أفريقيا من الذين كانوا يتكلمون باللغة السامية ولا يزالون يتكلمون بها الى الآن يرفضون بتاتا ان يكون أصلهم من زنوج افريقيا و يصلون انسابهم بأنساب العرب وأهل اليمن والشام ، والقول المعتبر في ذلك انما هو قول العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور فراجع ما نقله في انساب البربر ــ المجلد السادس طبعة بولاق من صفحة ٨٩ الى ٩٨

ان الواقف على ما ذكره هذا العلامة في انساب القوم لا يشك انهم جاؤا الى تلك البلاد الواسعة من الشام والبلاد العربية ، ولا أقول ان البربر استعمروا بلادهم ابتداء لم يكن فيها قبلهم أحد من الامم ولكني أقول ان هؤلاء الذين جاؤا البلاد وانتهم من الدوحة السامية جاؤا من الشام وجزيرة العرب فتغلبوا مع الايام على أهل البلاد وصارت اليهم الدولة والسلطة واختلطوا مع من غلبوهم بالزواج فصاروا من ثم جميعهم « الغالبون والمغلوبون » ينتسبون الى الامم التي كان منها الغالبون، لا أستطيع ان انقل كل ما ذكره العلامة ابن خلدون في انساب البربر ولكني انقل ما جاء له في الجزء الثاني من تاريخه (وجه ٥١ طبعة بولاق) قال : قال ابن

والفرع العادي ، وان الفرع الاول أي القحطاني انشعب منه الارامية والحميرية والحبشية ، وان الثاني أي العادي انشعب منه البابلية القديمة والعبرانية الفينيقية والعربية العدنانية المضرية . وأما السبئية التي يشير اليها العلامة نولدكي فان كان يراد بها لغة بلاد سبأ أي البلاد التي عاصمتها مأرب ذات السد المشهور فالتاريخ يعارض قول هذا العلامة وينافيه لانه يشير اشارة لا تقوى على معارضتها (إلى) أن لغة هذه البلاد كانت منذ الجيل الاول للمسيح لحد هذه الساعة لغة عربية مضرية وسنقيم الدليل على ذلك . وعليه فالارجح ان هذه اللغة السبئية التي يقولها هذا العلامة انما هي الحميرية القحطانية يخالطها شيء من العربية المضرية بما يتخيل معه انها شعبة من الجذم العربي العادي . وأما لغة مهرة وسقطرة فخليطى من الحميرية والحبشية ولا يبعد أن يكون بين ألفاظها بقية كبيرة من اللغة السبئية العادية العدنانية التي زعمها العلامة نولدكي قسيمة للعربية وما هي قسيمة لها وانما هي لهجة أو لغة من لغاتها على الارجح

مهد اللغة السامية او وطنها الاصلي

قبل اقامة الدليل التاريخي على ما ذكرناه في شأن لغة سبأ أي انها لغة او لهجة من لهجات العربية وبعبارة أخرى ان أهل بلاد سبأ كانوا يتكلمون العربية المضرية من (زمن) سيل العرم الى الآن . وقبل أن اذكر الدليل في اثبات ان فرعي الام السامية هما القحطانية والعادية ومنهما تفرعت بقية اللغات السامية الاخرى لا بد لي من الرجوع الى الكلام عن موطن اللغة السامية الاصلي ومهدها الذي ربيت فيه فاقول :

وجدنا اللغات السامية في البلدان الآتية (١) في شمالي افريقيا على شواطيء المتوسط من الشام شرقا حتى تصل الى بوغاز جبل طارق والاتلانتيكي غربا ويشتمل ذلك على برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد مراكش (٢) في مصر وما يليها جنوبا من بلاد الاثيوبيين أو ممالك الحبشة (٣) في جزيرة العرب وما والاها من فلسطين وسوريا حتى تصل آسيا الصغرى (٤) في بادية الشام والعراق من راس الخليج الفارسي جنوبا حتى تصل الموصل وديار بكر شمالا ، وليس في التاريخ ولا في

على ازالة الاصل السامي فبقي من آثاره مايدل عليه بعد التنقيب وامعان الروية ، وأرى أن العقل لا يستطيع الحكم بأن هؤلاء الساميين بقوا ما بقوا في افريقيا وكانوا ما كانوا ثم خرجوا عن بكرة أبيهم من موطنهم الاصلي في بلاد الزنوج ولم يتركوا أثرا هناك يدل عليهم أصلا ، إن هذا الرأي لا يقبل إلا مع البرهان الراجح إن لم نقل البرهان القاطع للشك والنافي للاحتمال

بقي علينا بلاد العراق من الخليج الفارسي الى الموصل وديار بكر - والباحثون على اتفاق بينهم ان الاشوريين جاؤا من بابل وان لغة الاشوريين ولغة قدماء البابليين واحدة ، والآثار البابلية تقول ان اصحاب آثارها من الذين تكلموا بهذا اللسان السامي لم يكونوا أصليين في البلاد وانما كان قبلهم قوم على جانب عظيم من التمدن وكان لهم لغة لكن من غير الارومة السامية وعلى جانب من الارتقاء فلما تغلب عليهم هؤلاء الساميون اخذوا عنهم الكثير من آدابهم وترجموا لغتهم ومكتوباتهم الى لغتهم السامية ، والمأخوذ من هذا عقلا والواجب اعتماده أيضا ان الساميين أو السامية جاءت الى العراق وبابل من مكان آخر وكان أهلها غزاة فاتحين ولا أقرب الى العقل من ان يكونوا نزحوا الى هناك من الجزيرة العربية فان المشاهد والمعروف في كل العصور التاريخية الى الآن ان هؤلاء أعني أهل الجزيرة العربية كانوا يهاجرون من سائر أنحائها الى الشام والعراق ويستوطنون هناك تجارا أو زراعين يحرثون الارض ويربون المواشي واذا وجدوا نهزة للتغلب والتسلط على مجاوريهم انتهزوها

﴿ رجوع الى تقسيم اللغات السامية ﴾

(الارومة السامية تنشعب الى فرعين : القحطاني والعادي)

ظهر لنا مما مرّ ان البلاد العربية هي موطن السامية والساميين اي المتكلمين بالسامية « سواء كانوا ساميين او حاميين في النسب » فلننظر الى ما في شبه جزيرة العرب من اللغات فان كان هناك لغة او آثار لغة واحدة لا غير فتلك اللغة هي الارومة السامية الكبرى وان كان هناك لغتان فاللغتان هما الفرعان اللذان انشعبا من الارومة الكبرى

حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي اخو الحارث الرائش وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقيا و به سميت وساق اليها البربر من ارض كنعان مر بها عند ماغلبها يوشع وقتلهم فاحتمل الغل منهم فساقهم الى افريقيا فانزلهم بها - ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم الى الآن بها وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين . انتهى النقل ، و يظهر من هذا الذي نقلناه ومن كثير أمثاله ان التبابعة أجلوا غير مرة العرب وأهل كنعان الى بلاد المغرب وأقاموا مهاجرا فيها لقبائلهم من سبأ وحمير.

ولا احتاج ان أذكر جاليات الصيدونيين والصوريين الى تلك البلاد فان الجالية منهم التي استعمرت قرطاجنة ومن ثم صار لها الغلب على كل شمالي افريقيا سنينا طويلة هي اشهر من ان تذكر ، وكادت دولتهم هناك ان يكون لها الغلب على اشهر الممالك المعروفة حينئذ او لم تسبقها رومية العظمى الى ذلك ، و بناء على هذا جميعه أعيد ماقلته من ان التقاليد والتواريخ كلها تشير الى جهة واحدة وهي ان الامم السامية هم دخلاء على شمالي افريقيا وقد جاؤا الى هناك من الشام وجزيرة العرب ، فليس شمالي افريقيا اذن موطنا للسامية ولا يعقل ان يكون هناك أيضا

فرغنا الآن من الكلام عن شمالي افريقيا ، بقي علينا مصر والحبشة . أما مصر فلم أسمع عمن ذهب الى انها موطن السامية الاصلي وهذا مما يغنيني على الاطالة واقامة الدليل على أمر ينازع فيه ، ومع ذلك أقول ان الاثري والمؤرخ الشهير العلامة رولسن يرجح أن التمدن المصري القديم ليس أصليا فيها انما جاءها عن العراق و بلاد العرب ، ومن المشهور في الآثار والتواريخ العربية ان دولة الرعاة في مصر وكانت سامية جاءتها من البلاد العربية ؛ بقي علينا بلاد الحبش - وعامة المحققين وعلماء اللغة لا يشكون في ان الحبشة هؤلاء أعني الذين يتكلمون بهذه اللغة السامية هاجروا اليها من البلاد العربية ، ومثل ذلك أقول في الاممر يين إن لم يكن قد قيل فيهم ذلك من قبل ، والفرق بينهم و بين الحبشة ان الحبشة نزحوا جماعة كبيرة وأما أولئك فكانوا قلائل في العدد و باختلاطهم مع الزنوج غلبت عليهم وعلى لغتهم ملامح هؤلاء وألفاظ لغتهم وكثير من عباراتها وتراكيبها ولكن لم تقو لغتهم الزنجية

القحطانية وبقيت في الجزيرة العربية في اليمن الى الجيل الثالث بعد الهجرة — على ما نصه العلامة الهمداني (١) — قريبة من السريانية ايضا وارجح ان قد بقي اثر كبير من هذه الحميرية في مخلاف حضور وحوالي مدينة ظفار الى اليوم وفي الشحر وسواحل حضرموت ايضا

قلنا ان لغات شبه جزيرة العرب لغتان القحطانية الاولى وقد خلفتها الحميرية التي بقيت في اليمن الى الجيل الرابع بعد الهجرة على ما نص العلامة الهمداني كما اشرنا قبيل الآن ،والعادية وهي العربية الاولى،واهلها من عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق هم العرب العاربة وقد انقرضوا على ما يقولون وخلفهم العدنانيون او النزاريون في اغلب مواطنهم التي كانوا فيها وتكلموا بلغتهم . ولغتهم اي العدنانيين هي هذه اللغة العربية المضرية لغة القرآن والحديث والمعلقات وغيرها من الشعر العربي المشهور . ونسبتها الى العربية الاولى لغة عاد وثمود كنسبة الحميرية الى القحطانية الاولى على ما ارجح

دعوني انقل ما ذكره الطبري في هؤلاء العرب العادية وفي لغتهم ومواطنهم وسأختصر في النقل ما استطعت . قال رحمه الله — فعمليق ابو العماليق كلهم امم تفرقت في البلاد وكان اهل المشرق واهل عمان واهل الحجاز واهل الشام واهل مصر منهم . ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان اهل البحرين واهل عمان منهم امة يسمون جاسم . وكان ساكنو المدينة منهم — واهل نجد منهم — واهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء واسمه الارقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك — فكانت طسم وعماليق واميم وجاسم قوما عربا لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي — وولد إرم بن سام بن نوح عوص بن إرم وغاثر بن عوص وعاد بن عوص وعبيل بن عوص، وولد غاثر بن ارم ثمود بن غاثر وجديس بن غاثر وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم العرب العاربة لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعربة لانهم انما

١) همداني وصف جزيرة العرب طبع ليدن وجه ١٣٤ — ١٣٦

ان التقاليد العربية والتواريخ المكتوبة الباقية عندنا الى اليوم تذكر أن قد كان في شبه جزيرة العرب لغتان هما القحطانية والعادية . وإن القحطانية كانت بين السريانية والعبرانية وهي اميل الى السريانية كما نرجح . وبيانه — قال المسعودي — وكان الهيثم بن عدي الطائي يقول اسماعيل تكلم بلغة جُرهُم لان اسماعيل كان سرياني اللسان على لغة ابيه خليل الرحمن حين اسكنهُ هو وامهُ هاجر بمكة على ما ذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها ونزار تأبى ان يكون اسماعيل نشأ على لغة جُرهُم ويقولون إن الله عزّ وجل اعطاهُ هذه اللغة — الى ان يقول — ووجد نا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد — ويقول — وقدوجدنا (قحطان) سرياني اللسان وولدهُ (يعرب) بخلاف لسانه . (راجع المسعودي جلد اول وجه ١٩٢ طبع المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٣) . وقال العلامة ابن خلدون : واما جرهم فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية — وقيل انما نزلت جرهم الحجاز ثم بنو قطور بن كركر بن عملاق لقحط أصاب اليمن فلم يزالوا بمكة الى ان كان شأن اسماعيل عليه السلام ونبوتهُ فآمنوا به وقاموا بامره وورثوا ولاية البيت عنهُ حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا الى ديارهم باليمن الى ان هلكوا (ابن خلدون جلد ثان وجه ٣٠ طبعة بولاق)

وقال العلامة ابن هشام انهم وجدوا في ركن الكعبة كتابا بالسريانية قرأهُ لهم رجل يهودي (راجع سيرة ابن هشام جزء (١) وجه ٦٦ طبعة بولاق)

يظهر من النقول التي اوردناها أن الامامين ابن خلدون والمسعودي متفقان على ان جرهم قحطانية وكانت ديارهم اليمن اولا (وهذا نص ابن خلدون) الا ان الامام المسعودي يقول ان لغة جرهم السريانية ، واما ابن خلدون فيقول إنها العبرانية ، وارى ان التوفيق بينهما اذا قلنا ان القحطانية اقرب الى السريانية سهل لانهُ يمكننا حمل العبرانية في كلام ابن خلدون على اللغة التي كان يتكلم بها اليهود في ايامه وهي السريانية او العبرانية البابلية . واذا كانت القحطانية هي السريانية القديمة او لغة قريبة منها فيترجح عندنا بل ينبغي ان تكون الحميرية التي خلفت

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

(بقلم الشيخ شبلي النعماني)

٢

﴿ مثالب بني أمية ﴾

المقصد الذي جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربية اذا بقيت على صرافتها فهي جامعة لجميع اشتات الشر ، أي الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس . ولكن لما كان لايقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال في ذلك فغمض المذهب وجمل الكلام طيب الظاهر وذلك بأن قسم عصر الاسلام الى ثلاثة أدوار ـ فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها .

« على أن سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلائم طبيعة العمران أو تقتضيه سياسة الملك وانما هي خلافة دينية توفقت الى رجال يندر اجتماعهم في عصر . فاهل العلم بالعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك في غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسي لم يكن منه بد (الجزء الرابع صفحة ٢٩ و ٣٠)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة ، أما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواماً مؤتلفا ونظاماً وصرح بذلك فقال :

« دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل في عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهي فارسية من حيث سياستها وإدارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وأداروا شؤونها ومنهم وزراؤها وامراؤها وكتابها وحجابها » (الجزء الرابع صفحة ١٠٦)

ثم اشار في غير موضع الى أن الدولة العربية الساذجة انما هي دولة بني أمية فقال :

تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم . فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب . فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله، ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو، وسكنت جاسم عمان فكانوابها . (انظر الطبري مجلد ١ وجه ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ طبع ليبسك)

يظهر مما نقلناه عن هذا المؤرخ الثقة الصلة التامة في اللغة بين هذه القبائل البائدة واشهرها عاد وبين القبائل العدنانية الباقية الى اليوم واشهرها كان بعد قريش قيس وتميم. ويظهر منه ايضا الصلة بين اهل نجد والحجاز وبين الكنعانيين في الشام فانهم جميعا من العمالقة . ومن الصلة بينهم في النسب نستنتج الصلة في اللغة وعليه فتكون العربية والعبرانية من فرع واحد لانها اي العبرانية الفينيقية والكنعانية من فرع واحد ان لم يكونا لغة واحدة . ويظهر منه ايضا البلدان التي احتلتها هذه القبائل فان عادا نزلت الاحقاف الى حضرموت واليمن كله، وثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى، وطسم وجديس اليمامة وما حولها الى البحرين، وجاسم عمان والعمالقة نجدا والحجاز وتيماء، فما كان صالحا للفلح والزرع فلحوه وزرعوه وما كان في طريق التجارة اقاموا فيه محطات لها من خليج فارس شرقا الى ايلة وبحر الشام، غربا ومن حضرموت واليمن جنوبا الى برية الشام وفلسطين شمالا ، فكانت من ثم مواطنهم لذلك الحين من احسن النقط التجارية . ولذلك كثر غناهم وعظمت دولتهم واصبحوا مضرب مثل عند من خلفهم في الغنى والقوة والعظمة وتناقلوا عنهم لعظم آثارهم اخبارا هي اشبه باخبار القصاص الموضوعة للتسلية والاغراب منها بالإخبار الممكن ان تقع، فانهم نسبوا معظمها الى الجن وتسخير القوات غير المنظورة كما نسبوا مثل ذلك الى بعلبك وتدمر وبعض آثار بابل واشور

(لها بقية)

هذا فراق بيني وبينك . وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم الكعبة وإيقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهم بل يستيقن ان عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته ، وقتل ابن الزبير كان امالانه دافع عن مكة او لكونه ايضاً من جنس الاستهانة بالحرم .

اما تفصيل الواقعة وتعيين بادىء الظلم فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني أمية من المدينة فخرج مروان وابنه عبد الملك وهو عليل مجدر فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بنى هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء (١) حتى انه ترك الصلاة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل سوء يرفعون رءوسهم اذا سمعوا به (٢) ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذ مألوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام عن ادخال الحطيم في الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لاغراء الناس على ابن الزبير . ولعل ابن الزبير كان مضطرا الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل ان نوفي كل واحد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه اعتذارا فان ابن الزبير هو البادىء والبادىء اظلم . ويظهر من هذا ان عبد الملك ما اراد الحط من شأن الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة حولها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التي كان زادها ابن الزبير ، صرح بذلك العلامة البشاري في احسن التقاسيم . ثم ان من مسائل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبي في وقعة الفتح بقتل احدهم وهو متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين

ولو كان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمته واصلاحه بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو اليوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة

اما قول عبد الملك للقرآن هذا فراق بيني وبينك ، فحقيقته ان عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكا منقطعاً الى العبادة لا يشتغل بشيء من الدنيا ، قال نافع ما رايت في المدينة اشد نسكا وعبادة من عبد الملك ، ولما سألوا ابن عمر الى من نرجع في

(١) اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٣١١ من الجزء الثاني (٢) الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية » (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)

« وظل العرب في ايام بنى أمية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاؤها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم (الجزء الرابع صفحة ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن تلائم النظام الطبيعي وان دولة بني العباس دولة فارسية وان الباقية على صرافتها هى الدولة الاموية اخذ يعدد مثالب بني أمية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين وأهله ، ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ، ومنها الفتك والبطش ، ومنها قتل الاطفال ، ومنها خزانة الرؤس . وأتى في مطاوي هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس . والآن اذكر نبذاً منها واكشف عن جلية حالها ،

﴿ الاستهانة بالقرآن والحرمين ﴾

قال المؤلف تحت هذا العنوان :

«اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين . لانه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة ... ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فاطبقه وقال: هذا آخر العهد بك - او- هذا فراق بيني وبينك . فلاغرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة . وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها» (الجزء الرابع صفحة ٧٨ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم في ازدياد وبازائه بنو أمية في الشام فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (كما يجيء تفصيله)

يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الاقتال ابن الزبير ولكونه لائذاً بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز عن عن رمي الكعبة فحول وجهها الى زيادة ابن الزبير . فانظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين . ثم ذكر ان عبدالملك قال للقرآن:

أما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه أمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وأنشد

أتوعد كل جبار عنيد — فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر — فقل لله مزقني الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغاني فهي من خرافات الاغاني ، ومعلوم ان صاحب الاغاني شيعي ديانته شنآن بني أمية والحط منهم . وأما الابيات فأثر التوليد ظاهر عليها ومن له أدنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل ، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم في نقد الروايات والذين قولهم فصل في هذا الباب فيجحدون امثال هذه الروايات المختلقة . قال العلامة الذهبي وهو رأس الحديث ومرجع الرواية « لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك » (تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الوليد)

ثم ان هناك أمراً آخر وهو ان الناقم على الوليد وقاتله هو خليفة اموي ، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بني أمية عامتهم . ثم ان هذا الذي عزا اليه صاحب الاغاني الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبيء عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شأنه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد (١) انه شكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقاً قال يا امير المؤمنين كيف لا اكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي ؟ قال قرأت القرآن ؟ قال لا ، قال فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام اليه آخر فقال يا امير المؤمنين اقض ديني ، فقال له أتقرأ القرآن ؟ قال نعم فاستقرأه عشرا من الانفال وعشرا من براءة فقرأ ، فقال نعم نقضي دينك وانت اهل لذلك . فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرأ القرآن علجا والمؤلف يعد الوليد علجا

فاما ما ذكره المؤلف من اقوال الحجاج وخالد القسري وانهما كانا يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذا الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقاً ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية كالمجاردة وابن الراوندي الذي عمل كتابا رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسيون غير

---

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٠٨

الفتوى بعدك ؟ قال « ولد لمروان » وكان يقول ابن الزناد الفقهاء في المدينة سبع احدهم عبد الملك . وقال الامام الشعبي ماجالست احداً الاوجدت عليه الفضل الاعبد الملك بن مروان. ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطي في تاريخه للخلفاء . فلما جاءته الخلافة وهو يقرأ القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبء لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحسراً هذا آخر العهد بك . اي الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دأبي أولا ، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقاً فانا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم و يصلي ويحج قال اليعقوبي في تاريخه : واقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضاً وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان ابن عفان ، وسنة ٧٧ ابان ايضاً وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ايضاً وسنة ٨١ سليمان بن عبد الملك (وسرد باقي السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم ؟

قال المؤلف

« ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة » (الجزء الرابع صفحة ٧٩)

استند المؤلف في هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب في مثل هذه الوقائع هو من احدى حيل المؤلف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوق بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لما لم تكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها وتشبث بكتاب هو في عداد المحاضرات وانما يرجع الى أمثاله اذا لم يكن في الباب مستند غيره ومتى لم يخالف الاصول . والمذكور في الطبري وغيره ان عبد الله بن الزبير أصيب في الحجون وقتل هناك قتله رجل من المراد ، وما احتز رأسه داخل الكعبة

قال المؤلف « وهدموا الكعبة »

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التي زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الاحجار من الكعبة ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعد ما استتب القتال أمره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد ؟

جائز ، ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق ، ولذلك نعتقد انهم ماقالوا شيئاً افتراء على بني أمية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غض منهم

أما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد ، وملاك رقاب الناس ، رضاهم الحياة ، وسخطهم الموت ، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت

رجعنا الى قول المؤلف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان . اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال (بسر بن ارطاة) الى شيعة علي من اشهر الوقائع المذكورة في سائر كتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية. قال المؤرخ اليعقوبي «ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل ابن أبي أرطأة العامري من بني عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها وأخف من مررت بها وانهب مال من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا وأوهم أهل المدينة انك تريد أنفسهم وانه لا براءة لهم عندك ... حتى تدخل مكة ولا تعرض فيهما لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة ثم امض حتى تأتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم . فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب الا فعل ما أمره معاوية (اليعقوبي طبع أوربا صفحة ٢٣١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام. ولما رأى المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوق بها لا يوجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل أمر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بأن المظنون خلاف ذلك لحلمه ودهائه، والظن ان معاوية أطلق يد بسر ولم يعين له حدودا وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا

قد قلنا ان الاغاني من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيناً والحديث فكاهة أو تسللا من كد العمل الى استراحة فلا بأس به وبأمثاله أما اذا كان الامر ذا بال وكانت الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشأن أو هادما لاساس فأمثال هذه الكتب لا يؤذن لها ولا يلتفت اليها مطلقا

ثم ان الرجل (أي صاحب الاغاني) شيعي اذا جاءه شيء مما يشين معاوية ويدنسه وجد في نفسه ارتياحا الى قبوله ولو كان من أوهن الاحاديث وأكذبها

مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو أمية . وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني أمية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال « هل الحجاج استقر في جهنم او يهوي الى الآن » ولما وصل الى هشام ان خالداً القسري استخف با مرأة مؤمنة عزله من الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان

والحاصل ان المؤلف لو خص رجلا أو رجلين من بني امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والفذ توءما والنادر عاما والشاذ مطرداً

﴿ جور بني أمية ﴾

سمعنا بمظالم بختنصر ، وأحطنا علما بشنائع جنكيزخان ، واطلعنا على ما جنته أيدي التتر ، نوالله - لو صدق المؤلف - هم ما كانوا أشد قسوة ولا أفظع أعمالا ولا أسفك دماء ولا أجمع لانواع الفتك من بني أمية

قال المؤلف « حتى في أيام معاوية فانه أرسل بسر بن أرطاة وأرسل معه جيشاً ويقال انه (أي معاوية) أوصاهم أن يسيروا في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل أن أكشف عن جلية الامر لابد من تقديم مقدمة ، وهي ان المؤلف مدح بني العباس وجعل أعمالهم مناطاً للعدل ودلالة على الرفق فقال

(ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة توطد دعائم الامن واذا أمن الناس على أرواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ويرفه أهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ٨١)

وعلى هذا اذا وجدنا بني أمية معادلين لبني العباس في جميع أعمالهم سواء بسواء كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جوراً فاحشا وميلا عظيما . ثم ان هناك أمرا آخر وهو ان المؤرخين بأسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع أحد أن يذكر محاسن بني أمية في دولة العباسيين فاذا صدر من أحد شيء من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها أنواعا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة ، وكم لنا من أمثال هذه في أسفار التاريخ . ومع اننا نفخر بأن مؤلفي الاسلام كانوا أصدق الناس رواية وأجرأهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملك ولا مهابة

الجامعة الاسلامية (*)

أرسل الينا أحد علماء اللغة العربية المقالة الآتية باللغة الفرنسوية في مسألة هي في الوقت الحاضر أكبر المسائل التي تهم أوربا بمقدار ماتهم المسلمين ، وهي مسألة الجامعة الاسلامية التي نجهل منها اكثر مما نعلم ، قال الكاتب :

ولدت الجامعة الاسلامية تحت شمس مصر الحارة وظلت زمانا طويلا محصورة في دائرة عدد صغير من أنصارها ، وكانت هذه الجامعة في نشأتها الاولى دينية محضة أشبه بكنيسة كاثوليكية ترمي الى ضم جميع الفرق الاسلامية أو بالحري الى تجديد ذكرى الوحدة القديمة التي فقدت منذ زمن بعيد ، الا انها لم يمض عليها زمن حتى وسعت دائرتها وأصبحت تعقد الرجاء بتكوين دولة اسلامية شديدة البأس كالدولة التي كانت في زمن الفراعنة لتظهر للعالم في بعض أجزائها انها المعيدة بصفة شبه قومية (؟) للتمدن الشرقي الذي توارى خلف مدنية أوربا المسيحية

ولما كانت الجامعة الاسلامية لم تزل حديثة النشأة لذلك كانت أعمالها صادرة عن حمية عمياء حمية الحداثة وعدم الاختبار التي تئن مصر والجزائر من تحتها الى أن دخلت في دور السكينة مشتغلة بنشر مبادئها ومنتظرة بلوغ قوتها .

والسيد جمال الدين الافغاني الحسيني هو أول من اشتغل بنشر فكرة الجامعة الاسلامية ان لم يكن المحرض على انشائها وقد ظل زمنا طويلا معروفا بأنه المثال الحي لتلك الجامعة .

ولد السيد جمال الدين في ولاية كابل في أسعد آباد من أعمال بلاد الافغان واشترك في ثورات عديدة أريقت فيها الدماء ، ثم فارق وطنه سائحا في العالم خصوصا في العالم الاسلامي فاخترق الهند الانكليزية الى فارس فبلاد العرب

(*) مترجمة عن جريدة (الطان) الفرنسية من العدد الذي صدر في ١٧ دسمبر وهي لكاتب من نصارى لبنان

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين (١) فأين هذا من قول المؤلف

« وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا »

قال المؤلف « فاذا كان هذا حال العمال في أيام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف في أيام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠ (الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مئة ألف أو مائتين ولكن أين هذا من صنيعة أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة بني العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبراً بدون حرب ما يبلغ ستمائة ألف وقد اعترف به المؤلف في هذا التأليف نفسه (الجزء الثاني صفحة ١١٢) والمؤلف ينتحل لذلك عذراً ويحسبه من طبيعة السياسة . فالحجاج أحق بالعذر وأجدر بالعفو ، فان الحجاج عربي قح طبعه الجفاء والقسوة . أما أبو مسلم فعجمي تربى في حجر التمدن ، وغذي بلبان الظرف ودماثة الاخلاق (!!)

أما قوله إن عبد الملك كان أشد وطأة منه (أي من الحجاج) فلم يأت عليه بشاهد غير غدره بعمر بن سعيد ، وأين هذا من غدر المنصور العباسي بأبي مسلم الذي هو رب الدولة العباسية ، ولولاه لما قامت للعباسيين قائمة ، ولا كان لهم ذكر ، وكذلك غدر المنصور بابن هبيرة

وغاية ما يقضي منه العجب ان المؤلف بعدما ذكر فتك بني أمية بقوله : « وقد نفعتهم هذه السياسة (أي سياسة الفتك) في تأييد سلطانهم (قال) صارت سنة من ملك بعدهم من بني العباس وغيرهم » وأنت تعلم ان المؤلف يبرىء ساحة العباسية من الجور والظلم فضلا عن الفتك ، فهل هذا تناقض في القول أو أراد بهم نفعاً فضرهم من حيث لا يعلم ؟ لا والله لا هذا ولا ذاك ، بل هي من مكايد المؤلف التي لا يهتدي اليها الا فطن خبير لطوية الرجل وكامن ضغنه

---

(١) المنار : في هذا النفي بل فيما أورده الناقد في هذه المسألة نظر فقد نقل الحافظ في الاصابة عن ابن يونس ان معاوية وجه بسرا الى اليمن والحجاز سنة أربعين « وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل » فهذا كلام المحدثين لا الشيعة وأهل المحاضرة وقد اشار في الاصابة الى انه لا ينبغي التشاغل باخبار بسر الشهيرة في الفتن اي لما قيل من ان له صحبة. وهل يعقل ان يكون ايقاعه بالمطيعين لعلي قاصرا على قتله طفلي ابن عباس رضي الله عنهما ??

نبر ، وقد أخذ فكرة الافغاني في عقد المؤتمر الاسلامي فشرحها شرحا مطولا في كتابه الذي صدر باسم (سجل جمعية أم القرى) وضمن هذا الكتاب أعمال المؤتمر الذي لم يمكن عقده ، ووصف بأسلوبه الحسن حالة العالم الاسلامي وشخص أمراضه بكل انتباه مع ذكر الدواء اللازم لها

الكواكبي هو العالم النظري الذي نفر للجامعة الاسلامية وهو المفكر الذي لم يؤثر فيه الوعيد والتهديد ، واذا كان الافغاني قد أظهر الميل الى عبد الحميد بمجيئه الى الاستانة حتى مات فيها فان الكواكبي ظل دائما العدو الالد لعبد الحميد حتى ألف كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) تشنيعا على حكومته ،

**

اما عبد الحميد فانه بما اتصف به من الحكمة والدقة أدرك القصد من فكرة الجامعة الاسلامية فبعد أن كان أول خصم لها أراد أن يرعاها برعايته ليستأثر بفائدتها ولذلك جذب الافغاني وكثيرا من الاطباء وأئمة الاسلام الى الاستانة وأغراهم بالالتحاق به وأجزل الهبات والهدايا والعطايا والالقاب والوسامات وظهر هو نفسه بمظهر ديني وجعل نفسه نصير الاسلام في العالم ورتب المرتبات للمعاهد الدينية وللعلماء ومشايخ الطرق وللجوامع والمساجد وشيد أماكن خاصة بضيافة الحجاج وتسهيل واجباتهم الدينية كما أنشأ السكة الحديدية الحجازية التي لم يكن ينظر العالم الاسلامي اليها الا أنها عمل صادر عن شفقة على المسلمين وحنان عليهم ، فتبرع لها المسلمون بمبالغ طائلة اعانة على إتمام هذا المشروع

ولم يقتصر الامر على جذب المسلمين والحصول على انعطافهم بل كان من اللازم أيضاً تنويرهم وضم بعضهم الى بعض والقبض عليهم فأرسل خليفة الاستانة الى أنحاء العالم الاسلامي أولئك العلماء الذين التفوا حوله وجعلهم رسلا الجامعة الاسلامية التي كانت محيط أحلامه

وفوق ذلك فانه أراد أن يراقب الدول الاجنبية التي كانت تضم بين رعاياها أو في مستعمراتها فريقا من المسلمين فبث في كل جهة حتى في الجزر

فالسلطنة العثمانية ثم القطر المصري ومنه جاء الى أوربا فراقب كفيلسوف كل الحوادث العظمى التي شهدها القرن الماضي وراقب أدوار الرقي العقلي في أوربا بنظر من يود الوقوف على الحقائق، وانخرط في سلك الماسونية في مصر ثم ذهب الى الاستانة فتوفي فيها عام ١٨٩٧ وكان السلطان عبد الحميد قد جذبه اليها وغمره باحسانه وهداياه ، وفي جملة الذين حظي بصداقتهم ووداهم اثناء سياحاته المسيو رينان حتى اختصه هذا بالمدح والتقريظ في أحد مؤلفاته .

وكان جمال الدين مهيب الطلعة ، ويقال انه مع مقدرته الفائقة في فن الخطابة كان واسع الاطلاع في الشؤون العامة حتى أنه خلف تلاميذ كما فعل أفلاطون ولم يخلف مؤلفات ، وكانت سيرته تاريخا في العالم الاسلامي الذي كان جمال الدين يسعى الى تأليفه فكانت الجامعة الاسلامية أملا له يحلم به في كل أيام حياته ، وكان ينتقل في العالم الاسلامي من بلدة الى أخرى رسولا للوحدة والتضامن يعظ الناس ويدعوهم للعودة لى التقاليد القديمة ولكن من غير تعصب فكانت غايته أن يكون الاسلام عاما طيبا ووسيلة للتسامح وحب المدنية والارتقاء ،

وكان في القطر المصري جمعية تدعى (جمعية العروة الوثقى) طلبت من من الافغاني أن يرفع مدة اقامته في باريس صوت الدعوة الى الجامعة الاسلامية فأصدر هناك جريدة (العروة الوثقى) وناط تحريرها بالشيخ محمد عبده الذي ذاع صيته في ذلك الوقت فظهر منها ثمانية عشر عددا فقط اذ أن الحكومة الانكليزية التي كان يهمها أكثر من غيرها أمر الجامعة الاسلامية الجديدة ستعملت الضغط لايقاف حركة تلك الجامعة

ثم ظهرت فكرة عقد مؤتمر اسلامي عام فاتجه نظر الافغاني نحو مكة واستحسن العالم الاسلامي ذلك الا أن السلطان عبد الحميد قد راعه اتجاه الجامعة لاسلامية نحو بلاد العرب التي أقلقته ثوراتها الماضية فأخفقت فكرة عقد المؤتمر في مكة

**

أما الكواكبي فقد كان مع ذلاقة لسانه في الخطابة صاحب نظر دقيق

ينزلون ضيوفا في مصر وهي الاخت الشقيقة لسوريا فانتشرت الصحافة في وادي النيل وفازت فوزا باهرا

صورة مصطفى باشا كامل تتقدم بما لها من المكانة صحف الجامعة الاسلامية في القطر المصري ، وهذه الجامعة الاسلامية هي الجامعة المدنية التخيلية القريبة الوصول لكل من بذل ذاته وأبدى سخاء وعلو همة الا ان هذه الجامعة مصرية أكثر منها عمومية وقومية أكثر منها دينية

أما الممثل الحي المقدام للجامعة الاسلامية الدينية فهو بلا نزاع السكوا كبي والافغاني والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وكان مرمى آمال الشيخ محمد عبده ان يكون الاسلام عاما حيا يرجع الى حاله الاولى ويتجرد مما زيد فيه بمرور الزمان

ومما قاله رحمه الله في كتابه (الاسلام والنصرانية) ص١١٧ إن ما يؤخذ على المسلمين في الوقت الحاضر ليس هو من الاسلام في شيء ولكنه شيء آخر أدخله أهل البدع على الاسلام ودليلنا على ذلك القرآن الذي انصرفوا عن تدبره واتباع سننه

ان الجامعة الاسلامية الدينية التي خلفها الشيخ محمد عبده لتلاميذه عند وفاته يتوسل للعمل لها بثلاث وسائل المؤتمرات والصحافة والتعليم بالمبادىء الصحيحة ، وقد كانت آمال الجامعة الاسلامية ترمي الى عقد مؤتمر يجمع جميع الطوائف الاسلامية وقد سبق لنا الكلام على السبب الذي من أجله لم يفلح مؤتمر أم القرى ، الا أن العزيمة لم تفتر في هذا الشأن حتى قام قبل بضع سنوات اسماعيل غصبرنسكي مدير جريدة ترجمان التي تطبع في بغجه سراي في القريم فاقترح عقد المؤتمر في القطر المصري وقابل المصريون هذا الاقتراح بحمية ونشروا على العالم الاسلامي منشورات حماسية الا أن هذا المؤتمر أخفق أيضا

وقد قرأت في أحد أعداد مجلة المنار التي تصدر في مصر وقد تفضل بارسالها الي المسيو ماسينيوس اقتراحا لاحد المكاتبين يقترح به عقد المؤتمر الا انه لم يكن سبب اخفاق المشروع فساد في ادارته بل كانت هنالك صعوبات مادية تحف به من كل جانب

الصغيرة رسله السريين الذين لم يكن يشعر أحد بوجودهم وتمكن أيضا من الحصول على مخبرين سريين في الدوائر العليا لتلك البلاد وكان ينقدهم المبالغ الطائلة أجرة على عملهم

ولما خلع السلطان عبد الحميد أصبح كل الذين يعيشون من هذا الطريق لا مورد لهم ، والحكومة الدستورية الجديدة لم تشأ أن تعترف بهم ، وقطع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الصلة بينهم وبين الجامعة الاسلامية منذ قاطعوا شخص عبد الحميد وتظاهروا أيضا بمقاومة هذه الجامعة ونسخ اللغة العربية وهي لغة الدين المقدسة بل هي لغة المسلمين العامة التي بزوالها يزول الاسلام وببقائها يبقى ويحيا

ظل هؤلاء دائبين وراء أمانيهم الجميلة فابتكروا مشروع الاقدام على صبغ السلطنة العثمانية بالصبغة التركية ، وهذا المشروع لم يخطر في بال السلاطين الفاتحين ولا عالوا النفس بتحقيقه مع ما كان لديهم من القوة التي ان لم تكن أعظم من قوة أحداث سلانيك الغارقين في الاوهام فهي على الاقل تساويها ، وبهذا صارت الجامعة الاسلامية بلا سند وعادت حقا مشاعا فبدأ كتاب الصحف وحدهم يشتغلون بها وقوة هؤلاء لا يستخف بها

**

انتشرت الصحف الاسلامية في العالم بكيفية غير محسوسة وا كثر هذه الصحف عربية فتجد منها باسيا وأفريقيا وأميركا وأوروبا بل في الاوقيانوسية ولو بنسبة غير متساوية ، ولما كانت هذه الصحف حديثة النشأة لذلك ترى لها عيوبا كما أن لها مزايا وفوائد ، فأذا كان ينقصها الاخبار السريعة من جهة فهي من جهة ثانية ذات سلطة على قرائها وهي التي تكون الرأي العام بدل أن تردد صداه

تكثر الصحف العربية بنوع خاص في القطر المصري ، وكانت في سوريا قد نهضت بنشاط في مدة قصيرة حتى جاءها الحكم الحميدي ووقف في وجهها فجعلها نسيا منسيا الى أن أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وكان الكتاب السوريون

فيها بواسطة جريدته وجسم هـذه النهضة الدينية بعمله وكتاباته وخطاباته ، وقد أنشئت في كلكتا مؤتمرات للتربية الاسلامية حتى انتشرت هذه الحركة . وقد تحصل الراجامحمود اباد أخيرا على رضاء حكومة الهند بتأسيس مدرسة جامعة اسلامية كبري في عليكرة وهو المشروع الذي كان يشتغل به منذ زمن

وأما مسلمو الاوقيانوسية فقد أسسوا الآن مدرسة اسلامية لتعليم اللغة العربية في صومطرة ، وفي جاوا تنشر الجرائد العربية

أما المشروع الذي يفوق المشروعات الاخرى ويدل على الجامعة الاسلامية قبل غيره فهو مشروع (الدعوة والارشاد) الذي قام به الشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده الذي سبق لنا الكلام عليه وكان قصده من هذا المشروع في بادىء الامر ان يكون في الاستانة الا أن حزب الاتحاد والترقي كان يظهر له القبول والترحاب الى أن انقلب عليه فعاد السيد رشيد رضا لارض مصر الكنانة فألف فيها جماعة الدعوة والارشاد ووضع بمساعدتها أساس مدرسة كلية اسلامية كبرى مجانية وتبدأ المدرسة بسنة تمهيدية ، ثم يكون لها صنفان مدة كل واحد منهما ثلاث سنوات أحدهما صنف المرشدين الذي سيحيي بلاغة منبر الخطابة الاسلامية الراقد منذ أجيال والصنف الثاني لتعليم الدعاة الى الاسلام وهؤلاء ينتخبون من علية متخرجي صنف المرشدين فيتممون في السنوات الثلاث المعارف اللازمة لتأدية مثل هذه المهمة العظيمة

من هذا نعلم أن الجامعة الاسلامية تشعر أنها قادرة ليس على الدفاع عن نفسها فقط بل على الشروع بفتوحات جديدة .

قال محمد أحمد في مقدمته لكتاب الاسلام والنصرانية تأليف الشيخ محمد عبده أن هذه الديانة السمحة ستمحو كل دين آخر وتزيل كل طريقة وتبقى وحدها على الارض.

والواقع أن الدين الاسلامي ينتشر في أواسط أفريقيا ومن الممكن أن ينتشر أكثر . ويتضح من احصائية الحج الاخيرة أن قد ظهرت في الوجود حركة دينية شديدة . فان عدد الحجاج صار ١٧٥٠٠ بعد ان كان ٧٥٠٠ وعدد الحجاج الذين مروا بالقطر المصري ١٦٠٠٠!

وأما الوسيلة الثانية وهي الصحافة فانها جعلت فكرة الجامعة الاسلامية تتقدم تقدما سريعا لان كل الجرائد الاسلامية في العالم ترمي الى هذا الغرض وهي منتشرة في كل مكان . واذا فتح الانسان واحدة من هذه الجرائد او المجلات يأخذه العجب من الخطوات التي اجتازتها الصحف العربية وان كانت أربا لا تكاد تحسب لوجودها حسابا

وتهتم الصحافة العربية باستعراض أحوال العالم الاسلامي بأسره ونشرحها وتعلق عليها وتشير باصلاح المعوج منها وتشجعها وتحنو عليها حنو الوالدة على رضيعها وتفيض هذه الصحف بالبحث في تاريخ الاسلام وعلومه وتقاليده في قالب يسهل فهمه على جميع القراء لانه يكتب باسلوب بسيط حديث . وان مجلة كمجلة المقتبس تعد كدائرة معارف حقيقية يهم المسلمين الاطلاع عليها وهي تقرأ في كل جهة من البلاد العربية كما تقرأ في الاوقيانوسية والهند وأميركا

وقد وقف أحد مسلمي الهند في لاهور مائة نسخة من كتاب تفسير القرآن الحكيم الذي يكتبه الشيخ رشيد رضا لتوزع هذه النسخ على المساجد وتتلى فيها ولدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على وجود روح التضامن التي تبثها هذه الصحف بين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم

وأما الوسيلة الثالثة فهي التعليم الذي اشتد الميل اليه والشوق الى نشره فانتشرت المدارس في كل مكان . وكان الانسان يقرأ منذ حين على كل جدار في كل مدينة من مدن سوريا هذه الجملة : « تعلم يافتى فالجهل عار »

والجامعة الاسلامية لاتكتفي بتأسيس المدارس البسيطة بل هبت لتأسيس المدارس الجامعة الكبرى . فهذا الجامع الازهر قد تأهب لتجديد عهد شبابه واستعد للقيام بالوسائل الحديثة . وهنالك مشروع تأسيس جامعة في الهند وأخرى في سوريا وقد تكلموا في هذه منذ مدة ولكن لم يتم شيء من ذلك بعد

ويرجع فضل حركة النهضة الاسلامية في الهند لاحمد خان الذي ولد في سنة ١٨٧١ وتوفي سنة ١١٩٧ وهو المؤسس لجمعية الترجمة التي صارت بعد ذلك باسم جمعية عليكرة العلمية وهو الذي اهتم بأنشاء جامعة اسلامية .ورغب الناس

وفي المقالة مبالغات اخرى خرج بها الكاتب عن محيط الحقيقة فمثلها لا ورية من وراء زجاجة الالة المكبرة (المكرسكوب) ولكنه اراد ان يجعل منها مسألة الحج فأخطأ في الارقام وجعل الكثير قليلا والكبير صغيرا .

جعل السيد جمال الدين هو الواضع الاول لاساس هذه الجامعة وقال انها اسست في مصر وانها كانت دينية محضة . والصواب ان السيد رحمه الله تعالى لم يدع في مصر الى جامعة دينية محضة بل اسس في مصر جامعة شرقية وحزبا وطنيا دخل فيه السوريون وغيرهم من سكان مصر الشرقيين

ومن أغلاطه ما ذكره عن جمعية الاتحاد والترقي من مقاومة الجامعة الاسلامية، وهذا الغلط مبني على الخطأ في دعوى ان السلطان عبد الحميد كان نصير الجامعة الاسلامية يبث الدعاة لها في اقطار العالم . والصواب ان الاتحاديين هم الذين حاولوا دون جميع اصحاب السلطة قبلهم ان يستفيدوا من تعلق قلوب المسلمين بالدولة فبثوا الدعاة لذلك في جميع أقطار العالم الاسلامي في الوقت الذي يبذلون فيه جهدهم باضعاف الدين ورجاله في المملكة نفسها ، فزعماؤهم المشهورون يقاومون نفوذ الدين ونشره من حيث هو دين ويحاولون الانتفاع به من حيث علاقته بالسياسة

ومن اغلاطه ذكر اسم مصطفى كامل في بحث الجامعة الاسلامية ووطنية مصطفى كامل والجامعة الاسلامية ضدان لا يجتمعان وانما كان يقدس عبد الحميد لاجل الانتفاع بذهبه ، واوسمته ورتبه ، وكذلك خليفته محمد فريد نصير زعماء الاتحاديين ومقاوم مشروع الدعوة والارشاد باغرائهم

وهنالك اغلاط اخرى لاحاجة الى تتبعها ومنها ما لا يترتب عليه شيء كقوله ان الكواكبي كان خطيبا مصقعا وهو لم يكن خطيبا ، وقوله انه كان في القطر المصري جمعية تدعى العروة الوثقى طلبت من الافغاني كذا وكذا والصواب ان الافغاني هو الذي ألف جمعية العروة الوثقى

وجملة القول ان الكاتب يعد كل عمل يعمله المسلمون سعيا الى الجامعة

ان الجامعة الاسلامية تسير بصراحة وأنا أعرف جامعة أخرى لاصلة لها بالدين . وهذه الجامعة أهلية محضة والغرض منها احياء تلك المدنية الاسلامية الشرقية القديمة واظهار جمالها وريحها العاطر القديم . وذلك أمل تشترك فيه ضفاف الفرات الغنية الخصبة ودمشق القوية القديمة وترقب من ورائه أن تتجدد عجائب مدائن الاندلس

وليس هذا الامل اسلاميا فقط بل ان الحمية التي يبديها الكتاب المسيحيون حديثو السن لا تقل عن حمية اخوانهم المسلمين قوة وشغفا . الا أن هذا الميل لا يمكن اشتراكه بالجامعة الاسلامية الدينية بدون تكلف في الالفاظ وتوسيع للدائرة الى حد لا يسعه مجال مقالة واحدة . ومع ذلك فاني أردت أن أشير الى هذا الميل الذي يهم البحث فيه كل من يهتم بشؤون هذا الشرق القديم الذي لم تزل شهرته قليلة

ك . ت . خير الله

(المنار) كتب هذا الكاتب اللبناني البليغ مقالته في الطان لتزداد فرنسا وسائر دول أوربة مقاومة لكل مايرتقي به المسلمون ولذلك كبر الصغير ، واستعان بالايهام والتهويل ، فجعل عبد الحميد مؤيدا لما يسمونه الجامعة الاسلامية وباثا لدعاتها ، وهو أشد خصومها وأكبر أعدائها ، وانما كان يصطنع بعض أصحاب الصحف في البلاد الاسلامية ليمدحوه ويدافعوا عنه بلقب الخلافة كما اصطنع أمثالهم في أوربة للدفاع عنه ومدحه ، وهو لم يحتل على جذب السيد جمال الدين الى الاستانة الا ليحبسه فيها ويبطل عمله ، ومن كلام السيد فيه « انه سل في رئة الدولة »

كذلك جعل المقتبس من الصحف الجامعة الاسلامية وأوهم أن قراءه في الاقطار الامريكية والاوقيانوسية من أركان الجامعة الاسلامية وانهم كثيرون يعدون بالالوف والصواب ان جلهم ان لم نقل كلهم من النصارى وهم قليلون . وقد صرح في الجزء الاول من المقتبس بانه علمي مجرد من النزعات الدينية وقد صدق فاذا كان مع هذا يعد من صحف الجامعة الاسلامية فالمقتطف والهلال منها كذلك!!

وفي اليوم الرابع من الشهر المذكور كان العلم العثماني يخفق على قلعة « عمران» بين دخان كثيف حيث كانت احد عشر مدفعا تطلق استقبالا للقائد وهيئة اركان حربه الذي جاء من صنعاء لاقتطاف ثمرة اتعابه ومساعيه التي صرفها منذ ستة اشهر في هذه الاصقاع فلم تكد تنتهي اصوات المدافع حتى ظهر ذلك البطل والتعب باد على وجهه والشيب عام رأسه فشعرت عندئذ بفضله لان الصلح كان على يديه وذلك لحكمته ودرايته وكم من قواد أوفدتهم الحكومة الى ذلك القطر رجاء اصلاحه فآبوا من حيث اتوا ولم يستطيعوا ان يفيدوا شيئا . واليك اسماء الذين جاءوا معه :

الميرالاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة . والميرلوا عبد السلام باشا رئيس اطباء الحملة . والقائمقام رجب بك . البكباشية عاصم وعزت . والقول غاسية قدري وعصمت بك ، واليوز باشية عاشور وسيفي وصالح وصفوت وناظم بك ، وياور القائد الملازم سرور بك ، والكاتبان إلهامي وسليمان بك ، ومبعوث الحديدة محمود نديم بك مع مبعوث صنعا ، وقومندان الجندرمة برتو بك ، ومدير مكتب الرشدية والعسكرية بصنعاء ، والبكباشي بهاء الدين بك وأحد علماء الروضة والميرالاي احمد بك ، والسيد احمد قاسم من اشراف اليمن وأحد الساعين في هذا الصلح . وقد ضرب موعد الاجتماع في قرية دعان الواقعة على بعد خمس ساعات من الشمال الشرقي من عمران (بينها) و بين قرية « حمر » التي هي مركز لاجتماع رجال الامام يحيى كما ذكرنا

وقد قدم الامام يحيى الى دعان قبل ان يغادر عزت باشا صنعاء لكي يعد المعدات لاستقباله. وفوق ذلك فانه ارسل لاستقباله حفيد الامام الاسبق السيد محمد بن المتوكل الملقب بسيف الاسلام مع كثير من المشايخ ورؤساء القبائل وهو الذي حاصر قلعة عمران قبل ستة اشهر وضيق عليها الحصار بدفاعه مدة اربعة اشهر وهاهوذا قد قصد اليوم هذه القرية حيث تستقبله الجنود التي كان يحاربها وتحييه التحية العظيمة

كانت مخايل النجابة وعلائم الذكاء تتلألأ على ذلك الوجه الذي يخالط

الاسلامية فاذا قرأوا او كتبوا ، او اكلوا او شربوا ، يقول ان كل ذلك استعداد للجامعة الاسلامية . والمسلمون نائمون يغطون ، لم يستيقظ منهم الا نفر قليلون ، قد رأوا ملكهم ورزقهم يغتال ، وكل ما هو لهم مهدد بالزوال ، فهم يقولون لهم في بعض البقاع استيقظوا ، وانظروا كيف تعيشون مع من معكم ، ومن جاؤكم من فوقكم ، ولا أعرف أحدا يسعى الى اتحاد حكوماتهم ، على ان اوربة لم تدع لهم حكومات ، وانما بقي لهم هذه الدولة المنكوبة التي يخربها اصحاب النفوذ فيها من الداخل ، واوربة من الخارج ، كما قال المرحوم فؤاد باشا الشهير ، ونسأل الله وقايتها من هذه الارزاء ، فقد وصل الامر الى حد الدعاء ،

الصلح بين الدولة والامام

رسالة طويلة أرسلها الى جريدة الحقيقة البيروتية من اليمن ضابط عثماني شهد الحرب والصلح هنالك بنفسه ، لما فيها من الفوائد الجديرة بالتاريخ قال :

كان يوم السبت الواقع في ٨ ت ١ سنة ٣٢٧ يوما عظيما في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وانمحى الشقاء والبؤس اللذين كانا يرفرفان عليها واراني فخورا في زف هذه البشرى لاخواني في الدين والوطنية

ان قرية « دعان » الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء « عمران » سيكون لها شأن في التاريخ حيث عقد فيها الاتفاق وتم توقيع شروط الصلح بين الامام يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة عزت باشا فانحسم بذلك الخلاف وهدأت الخواطر وارتاحت النفوس ولعمري ان الاتفاق خير وسيلة لحقن الدماء لان التطاحن لا يجدي نفعا بل يكون سببا لتأصل البغض وضعف القوة

وقد قام الامام بحضور القائد واركان حربه ونواب اليمن والوف من سكانها داعيا للدولة بدوام العز حتى اعتقد الناظر ان رابطة الاتحاد والاخاء ستكون ابدية الى ما شاء الله لما ظهر على الوجوه من علائم الاخلاص وسيماء الاتحاد

أما علي المقداد فهو من عائلة قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة وقد حارب الدولة منذ عشرين عاما الا ان لذلك أسبابا عظيمة حملته على محاربتها والوقوف بوجهها وهي انه قدم أحد القواد العثمانيين في الزمن السالف وأراد أن ينتقم من العربان فدعا الامير اليه فلما حضر لديه أمر اتباعه بربط هذا الجليل بعجل المدفع ثم أمر باطلاقه فقطعت يداه من عظم القوة وكادت روحه تخرج من صدره ثم فكه وتركه مغمى عليه ، فلما افاق عاهد الله والرسول على ان لا يقرب هو ولا أولاده من الدولة وأن يقف حياته لمحاربتها مادام فيه عرق ينبض

هذا نموذج من الاساءة التي يستعملها رجال الدولة الذين يقصدون اليمن للاصلاح فاذا كان اليمانيون يقفون في وجه الدولة مهما أرسلت اليهم من المصلحين ذلك لانهم رأوا الاساءة من السابقين وذهبت ثقتهم من اللاحقين

يبلغ الامير من العمر ٨٥ سنة وكان رجاله ينقلونه على الواح الخشب اثناء المحاربة لعجزه وعدم استطاعته ركوب الخيل وكان يصدر أوامره الحربية وهو على هذه الحالة ويدير شؤون المحاربين ويقودهم بكل رصانة

أما عبدالله ابو منصر فقد كان سببا في انكسار حملة فيضي باشا سنة ١٣٢١ شرقي (كذا والمراد السنة المالية) وكيفية ذلك انه لما هجم التابور المنسوب الى ألاي (ريزا) على « شهاره » ودخلها استولى الرعب على قلوب العربان فاوشكوا ان يفروا من وجه الجنود لولا ان قام عبد الله ابو منصور وعقل ركبتيه كي لا يستطيع الفرار اذا هاجمه العدو — وهي وسيلة استعملها لتشجيع العربان وامثولة وضعها ليعلمهم الثبات ابان القتال — وقتل بعض الفارين من العربان عبرة لغيرهم فكانت النتيجة ان ثبت العربان حتى افنوا التابور عن آخره وضعفت بذلك قوة الحملة

نرجع الى مسألة الصلح : كنا نتقدم الى « دعان » وكان يتقدمنا الوف من العربان يلعبون بخناجرهم ويطلقون بنادقهم في الفضاء احتفاء بنا وهي نفسها التي كانوا يطلقونها علينا في الوقائع . وكانوا يسيرون الى جانبنا وهم ينشدون الاناشيد الحربية التي لا تحلو الا بالامم المتصفة بالشجاعة والوفاء

سمرة لونه شيء من الاصفرار فكان يخيل للناظر اليه في اول وهلة انه في حضرة هونغ هنغ زعيم الثورة الصينيـة من حيث بهاء طلعته وربعة قامته وقلة شعر لحيته وسدول شاربيه ولباسه الحرير الاصفر

وكان بين وفود الامام الموفدين لاستقبال القائد أيضاً ناصر مبخوت من مشاهير قواد الامام وقد كان مستخدما برتبة يوز باشي بالجندرمة (اي الشرطة) ثم فر منها ولحق بالامام وهناك ظهر منه ماظهر من قوة وشجاعة

وفي صباح يوم الاربعاء توجه عزت باشا من (عمران) الى (دعان) مع من ذكرنا اسماءهم وعشرين من الخيالة النظامية وخمسة وعشرين من خيالة الجندرمة ولو كان ذلك قبل هذا اليوم لما تسنى لعزت باشا ان يبتعد عن عمران مسافة ساعتين إلا بقوة ألاي (٤ توابير) كامل العدد والعدة لانها آخر الاراضي الداخلة تحت ادارة الدولة أما اليوم فقد اصبح تحرسه قلوب اليمانيين وترعاه نفوسهم . فلما اقتربنا من دعان مسافة ساعة ونصف وجدنا المستقبلين على وجوههم آثار الشجاعة والنبل وفي مقدمتهم سيف الاسلام السيد احمـد قاسم والمقدم المشهور مقداد والشيخ عبـدالله ابو منصر وعلي سراجي ويحيى شبام وراجح باشا شيخ قبيلة « سراح » وكانت الحكومة وجهت عليه رتبة ميرميران لاستمالته الا انه بقي من رجال الامام حتى الآن ، والسيد عبدالله بن إبراهيم وهذا كان قد ارسله الامام للاستانة في السنة الماضية للمفاوضة مع الدولة بشروط الصلح

كان هؤلاء الابطال يقودون العربان و يحاربون الحكومة من مناخة الى صنعاء . و يلقب الامام ثلاثة من رجاله بسيف الاسلام وهم السيد محمد بن المتوكل والثاني السيد قاسم والثالث ابو نيله الا ان هذا الاخير لم يكن حاضرا الاحتفال بل بلغني انه موجود مع رجاله بجهة (سعدا)

اما السيد قاسم فهو عم مبعوث صنعاء الميرلاي احمد بك وقد خرج من صنعاء منذ خمسة وثلاثين سنة وهو من ذاك التاريخ بجانب الامام وقد رويت عنه رواية قالها يوما : انني لما خرجت من صنعاء كنت لا املك سوى بندقية ابراهيمية أما اليوم فاننا نملك على مئة إلف بندقية من احدث طرز وما يقرب من مئة مدفع

كان الاتفاق مع الادريسي على اثر تهديده فكنا الساعين اليه قبله خوفا من إراقة الدماء فعد ذلك ضعفا من الحكومة اما اليوم فان الاتفاق بخلاف ذلك فقد أدرك الامام ان لا فائدة من هذه المحاربات ولا نتيجة من التطاحن وان ذلك يضعف القوى فتصالحنا مصالحة ولاء واخلاص وتعاهدنا ان نكون يدا واحدة في السراء والضراء

(دعان) بلد مبني على قمة جبل يتألف من مئة منزل بين دور وابراج جعل واحد منها للامام يحيى والثاني لعزت باشا قائد الحملة وبعد ان استرحنا من عناء السفر ساعتين قصدنا البرج الذي نزل فيه الامام

هناك وجدنا بعض العربان وقوفا على الابواب حاملين سلاحا حديثا ثم انتقلنا الى رواق ضيق مظلم حتى بلغنا حجرة الامام حيث كان جالسا على مقعد بسيط يلاصق الارض متكئا على وسادة وامامه ادوات الكتابة واوراق منها ورقة مكتوبة ممضاة بختم الامام ولم تكن الغرفة مزينة الا اننا رأينا على جدران الغرفة سبحة وساعة ومصحفا في محفظة قماش خضراء وسيفا ونظارة .

واما الامام فسنه يناهز الاربعين وعلى وجهه اثر الجدري حنطي اللون أسود العينين حادهما قليل شعر الحاجبين والشاربين واللحية وكنا نرى حينما يتبسم اسنانه الناصعة البياض . وخلاصة القول فان سيما الذكاء والنبل كانت تتلألأ على ذلك الجبين الوضاح والوجه المنير الذي يجذب القلوب .

وسأذكر لكم من قبل الاستطراد اربعة عشر شرطا من شروط الامامة سبعة منها فطرية والباقي كسبي .

الفطري ان يكون علويا فاطميا سليم الحواس صحيح البنية حرا ان لا يكون ابن امة عالما عادلا

والكسبي ان يكون مستقلا في رأيه سخي الكف جسورا لا يهرب من القتل وان لا يتقاعد عن الحرب اذا كان هناك مسوغ شرعي وان يكون وحيدا في الامامة وذكيا قادرا على استمالة الاكثرية اي مصيبا في رأيه (١

١) المنار : هكذا اوردها وقد خلط فيها بين الكسبي وغيره

هناك أثر فيّ هذا المنظر وقلت في نفسي ما احلى هذه المؤاخاة وما اسلم هذه القلوب التي تزينها النية الصافية

لا شك ان ما رأيناه من مظاهر الاخلاص وعلائم الاتفاق هو نتيجة سعي قادة الافكار من الفريقين في اصلاح ذات البين وانا على يقين انه لولا وجود عزت باشا في اليمن لما تم الصلح ولا رجعت السكينة الى تلك الربوع فكم من قواد اموا هذه البلاد فاهلكوا الحرث والنسل ولم يتركوا نوعا من انوع الظلم الا فعلوه فكان ذلك سببا في إبادة الوف من الجنود الذين ذهبوا ضحية جور هؤلاء القواد من ابناء الاناضول والروم ايلي .

تلك هي سياسة القواد السابقين التي لم يلتفت اليها عزت باشا بل نظر الى المصلحة العامة قبل كل شيء ولولا ذلك لما تسنى له الحصول على وفاق ووئام بين طائفتين من المسلمين تقتتلان ، فهيأ للجيش العثماني عضد اقويا يبلغ عدده ثلاثة ملايين لان الامام يحكم على هذا العدد ويمكنه ان يكون محاربا مع الجيش العثماني جنبا لجنب اذا مست الحاجة ولا يستبعد القارىء هذا فالمثال حسي ظاهر وهو انه لما بلغ الامام اعلان إيطالية الحرب على الدولة ارسل نبأ برقيا الى مقام الخلافة العظمى يقول بانه مستعد لتقديم مئة الف مقاتل كاملي العدد والعدد .

بينما كنت غارقا في بحور هذه التأملات اذ تذكرت صحيفة الماضي حيث كنت شاهد عدل على المقابلة التي وقعت منذ سنتين مع السيد الادريسي في صبيا وجرى لنا استقبال حافل وارسل لنا الادريسي رؤساء العشائر والمشايخ وبقينا عنده ثمانية عشر يوما لم يدر في خلالها على ألسنتنا غير حديث وجوب اتحاد المسلمين يدا واحدة دفعا للطوارىء الخارجية المحدقة بنا وكان السيد يقول لنا : إنه لا سلامة ولا راحة ولا سعادة للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها الا باطاعة كبر دولة اسلامية والالتفاف حولها وهي دولة الخلافة العظمى . الا ان هذا الائتلاف كان وقتيا لان بيننا وبينه الآن دماء تجري كالانهر وسيوف تلعب بالرقاب فشتان ما بين ائتلاف الامس واليوم . (١

١) البعد بين الائتلافين أن الاول كان غير مبني على الاخلاص من مندوب الدولة فيه وهي التي لا ترضى الى الآن بالصلح مع الادريسي بل ترى سحقه كما سيأتي بيانه عن ضابط عثماني حر

الاسلام الذي ادعو الله ان يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقدة ، وان نستبدل الفوضى والعداوة بالصداقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقن الدماء وتزول المحن من هذه البقعة ويستتب الامن ويربط المؤمنون برابطة الاخاء التي الانفصام لها ويرتفع الظلم من بينهم

١ ان تطبق الاحكام على الشريعة الغراء

٢ ان يرجع عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع الى الامام

٣ ان تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالامام

٤ تخصيص رواتب كافية للحكام وللمأمورين كي لاتدفعهم القلة الى الارتشاء

٥ احالة الاوقاف الى عهدتنا لاحياء المعارف في هذه البلاد

٦ اقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من المسلمين والاسرائيليين كما أمر الله بها واجراها رسوله التي ابطلها المأمورون كأن لم تكن شيئا مذكورا

٧ يؤخذ العشر من المزروعات التي تسقى بماء السماء واما التي تسقى بمياه الآبار فيؤخذ منها نصف عشر بعد ان يقدر ذلك ارباب الخبرة واذا حصل اختلاف يرجع الى الاصول التي وضعها عبد الله بن رواحة في الخرص . ويؤخذ من البقر والغنم والابل النصاب الشرعي وأما الاراضي التي تغل مرتين أو ثلاثا فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ورفع ماسوى ذلك من التكاليف

٨ ان جباية الاموال المار ذكرها تكون بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأموري الدولة واذا تجاسر احد على اخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله او تحديد الجزاء له راجع الينا ولا يكون لنا علاقة بقبض الاموال الاميرية

٩ تعفى عشائر حاشد وحولان وحدا وارحب من التكاليف

١٠ يسلم كل منا الخائنين الذين يلتجئون اليه

١١ اعلان العفو العمومي في البلاد كي لا يسئل احد عن ماضيه

١٢ ان لا يولى احد من اهل الكتاب على المسلمين

١٣ ان تشمل احكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتها

وقد رأيت أثناء اقامتي في تلك الربوع ان احسن حكومة ديموقراطية هي ادارة الامام

وجدت الشيخ ناصر مبخوت واقفا على باب حجرة الامام حاملا السلاح كأنه يؤدي وظيفة الخفر وكان هذا الشيخ قد قدم للامام خدمات جليلة حين وفاة والده وهو الذي سعى مع العلماء في اتمام البيعة له

ان للامام يحيى سلطة عظيمة على اليمن حتى انه يمكن للرجل ان يتجول الاراضي اليمانية دون ان يمسه سوء اذا كان لديه رخصة من الامام والعرب يحترمونه احتراما زائدا وذلك لشدة تعلقهم به

كان الوافد على الامام حينما يقرب من منزله بدعان يطلق عياره الناري في الفضاء دلالة على الاحترام والتعظيم

ان هذا الاحترام العظيم وتلك السلطة المطلقة هما معلقان على كلمة تخرج من فم شيخ الإسلام الزيدية وذلك اذا ظهر من الامام عمل استبدادي او امر يخالف الشريعة الاسلامية فعندئذ ينزل عن تلك العظمة واحيانا تقود هذه الفتوى الامام الى محل القصاص . وخلاصة القول ان فتوى شيخ الاسلام الزيدية كسيف بتار معلق فوق رؤوس الائمة .

قبل ان ابين لكم شروط الصلح التي عقدت في هذه المرة أرى أن أذكر للقراء شروط الصلح السابقة التي طلبها الامام قبل الدستور لنقابل بين هذه وتلك

لا يخفى ان الحكومة في الدور السابق كثيرا ماسعت في الائتلاف والصلح وكانت الوفود تلو الوفود ولكنه يا للاسف لم يتسن لهؤلاء حقن الدماء ودفع الخسائر التي كانت تتكبدها الحكومة من ازهاق الارواح وضياع الاموال وآخر وفد أرسلته الحكومة في سنة ١٣٢٤ هجرية للاصلاح ذات البين بين الطائفتين طلب منه الامام الشروط الآتية مفتتحة بهذه المقدمة :

شروط الصلح التي كان اقترحها الامام

« وافقت مستمدا بعون الله على شروط الصلح مابيني و بين مأموري سلطان

الحملة اليمانية عزت باشا على اصلاح امور بلاد صنعاء ، عمران ، حجه ، كوكبان ، حجور ، آنس ، ذمار ، بريم ، رداع ، حراز ، وتعز ، التي يقطنها الزيديون الذين هم اليوم تحت ادارة الدولة

٢ ينتخب الامام حكام مذهب الزيدية ويبلغ الولاية ذلك وهذه تخبر الاستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب

٣ تتشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التى يعرضها الامام

٤ يكون مركز هذه المحكمة صنعاء وينتخب الامام رئيسها واعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة

٥ يرسل الحكم بالقصاص الى الاستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الارادة السنية به وذلك بعد ان يسعى الحاكم في التراضي ولايفلح . ولا ينفذ الحكم الا بعد التصديق وصدور الارادة بشرط ان لا يتجاوز اربعة اشهر

٦ اذا اساء احد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للامام ان يبين ذلك للولاية

٧ يحق للحكومة ان تعين حكاما للشرع من غير اليمانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي

٨ تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى اصحاب المذاهب (المختلفة)

٩ تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لتفصل الدعاوى الشرعية وذلك دفعا للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والاياب الى مراكز الحكومة

١٠ تكون مسائل الاوقاف والوصايا منوطة بالامام

١١ صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الضرائب) الاميرية التي سلفت

---

(٥) في نسخة طنين ان الفريقين يسعيان في الصلح والتراضي (٧) في نسخة طنين ان الحكومة تعين الحكام للشافعية والحنفية فيما عدا الجبال ؟

١٤ ان لا تتداخل الحكومة في شؤون (آنس) ولا تعارضني في تعيين المأمورين من قبلي لهذا القضاء لفقرهم وقلة حاصلاتهم ولما يخشى من وقوع محظور في مخالطة مأموري الحكومة لهم

١٥ ان تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الاجنبية راجع للدولة

ان تنفيذ هذه الشروط في البلاد اليمانية يكون سببا لسلامة الافراد البشرية وترقي البلاد واحيائها فيظهر الامن بابهى مظاهره ويحصل منه خير كثير

لا يخفى ان البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر الى البلاد اليمانية اذ لا يخلو ذلك من الفائدة المادية لهم ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لان باتباعها يستتب الامن وينقطع ورود العساكر الى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون

لذلك اطلب صدور فرمان سلطاني يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كي يطمئن اليمانيون وترتاح قلوبهم ولا يعترضني المأمورون في اجراء الاحكام التي تخولنيها الشروط واحالة ادارة بلاد « الشرقية » من اليمن التي تشابه بلاد « آنس » الى عهدتي ١٣ صفر سنة ١٣٢٤

هذه هي شروط الصلح التي كان طلبها الامام من موفدي الدولة الا انه لم يتم الاتفاق عليها في زمن الحكومة الماضية لان الذين نيط بهم امر الصلح لم يكونوا اهلا له

كانت المسألة اليمانية بعد اعلان الدستور شغل الدولة الشاغل وقد كادت تقرر ان تترك الجبال الآهلة بقبائل الزيدية للامام يديرها كيف شاء لولا ان ظهرت في اليمن تلك الحركة الاخيرة وحصل ما حصل

**

انقل للقراء اليوم الشروط التي حصل الاتفاق عليه وهي اخف وطأة من الاولى (* :

(١ عقد الاتفاق ما بين الامام المتوكل على الله يحيى بن حميد الدين وقائد

---

*) نشرت طنين هذا الاتفاق بالتركية وترجمه مندوب المقطم فرأينا ان نشير الى الفروق القليلة بين النسختين ونشير الى المواد بأعدادها في الهامش دون الاصل

(١) في المادة الاولى عند ذكر بريم كلمة (ميوم) بين قوسين كما رأيت . وفيها زيادة « وما حولها » بعد سرد اسماء البلاد وآخرها في الذكر تعز ورداع

اعلن الامام يحيى عدم صلاة الجمعة صباح هـذا اليوم لاننا كنا مسافرين فذهبنا لتناول الطعام حيث كنا مدعوين عند الامام فمند وصولنا الى المنزل وجدنا العربان مصطفين بايديهم البنادق من طرز موزر لاداء السلام .

دخلنا المنزل فوجدنا شرشفا (اي سماطا) ممدودا على الارض حوله الارغفة فجلسنا حوله وكان اذ ذاك الامام لابسا لباسا من الحرير ابيض حاملا خنجرا ذا حمائل من ذهب حتى ان الناظر الى الامام كان يرى في شخصه ولباسه حالة السلم .

كان شيخ اسلام الزيدية جالسا على يمينه وعلى شماله (سيد عمرو) وهو أول من سعى في الائتلاف والوفاق مع السيد قاسم بين الامام يحيى وعزت باشا الذي كان حينئذ بجانب سيد عمرو فكأن هذا يفتخر وهو جالس بالتوفيق بين قائد الحملة وقائد اليمن

كان سيف الاسلام جالسا عن شمال السيد قاسم وعلى يمين شيخ الاسلام رئيس اطباء الحملة اليمانية عبد السلام باشا الذي كانت له اليد البيضاء في تطمين قلوب العساكر حين اصابتهم الكوليرا بين صنعاء ومناخة فجمع أطباءه وأوصاهم ان لايفشو خبر وجود الوباء بين الجند لئلا ترتعد فرائصهم وتنحل قواهم .

كان على يسار عبد السلام باشا الميرألاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة الذي مكث في اليمن عامين في حملة سنة ١٣١٤ مع المرحوم عبد الله باشا وهو الذي اخمد فتنة الالبان في السنة الماضية ولم يكد يتم مهمته حتى ندب للذهاب الى اليمن حيث كانت المسألة اليمانية في دورها الاخير فلبى الطلب فخورا

هناك أقام خطوط الهجوم والدفاع بين صنعاء ومناخه حتى تمكن من الاستيلاء على الاولى وشهد له بالمقدرة الحربية كثيرون

كنت أرى على وجهه مخايل التعقل فكأني به يقول للناظر اليه والمستطلع فكره ان الذي يود فتح اليمن والاستيلاء عليها يجب عليه أن يجذب قلوب أهلها و يعاملهم بالرقة لاان يخرب بلادهم ويدعها قاعا صفصفا. وكان لايحول نظره عن الامام لانه لم يتمكن مدة وجوده باليمن عامين من رؤية ذلك الوجه الوضاح

دار البحث أثناء جلوسنا حول مائدة الطعام في علم الحكمة والكيمياء وخاض

١٢ عدم جباية التكاليف الاميرية لمدة عشرة سنوات من أهالي ارحب وحولان لفقرهم وخراب بلادهم على شرط ان يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة

١٣ تؤخذ التكاليف الاميرية بحسب الشرع

١٤ اذا حصلت الشكوى من جباة الاموال الاميرية لحكام الشرع او للحكومة فعلى هذه ان تشترك مع الحكام في التحقيق وتنفذ الحكم الذي يحكم به عليهم

١٥ يحق للزيدية تقديم الهدايا للامام بشرط ان تكون بواسطة مشايخ الدولة او الحكام

١٦ على الامام ان يسلم عشر حاصلاته للحكومة

١٧ عدم جباية الاموال الاميرية من (جبل شيرق) لمدة عشر سنوات

١٨ يخلي الامام سبيل الرهائن الموجودين عنده من اهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران

١٩ يمكن لمأموري الحكومة واتباع الامام ان يتجولوا في انحاء اليمن بشرط ان لا يخلوا بالسكينة (بالامن)

٢٠ يجب على الفريقين ان لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط اه

* *

استفدنا من هذا الاتفاق فوائد جمة اهمها ترك الامام لقب امير المؤمنين للخليفة والاكتفاء بالامامة ثانيا ثبوت القطر اليماني تحت ادارة الدولة واقرار الامام بحاكمية الدولة على البلاد اليمانية كما طلب احمد مختار باشا في تقريره . اليوم بعد ان كانت الدولة تعتبر الامام يحيى عدوا مبينا اصبح الصديق الحميم واعترفت له بالامامة رسميا لتنظيم ادارة الزيديين

---

(١٣) « لاتكاف الحكومة أهل اليمن غير التكاليف الشرعية » (١٥) « للزيدية ان يقدموا الهدايا للامام اما توا واما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام » ففيها زيادة جواز تقديمها بغير واسطة (١٦) « يؤدي الامام عشر اراضيه » وليس فيها ذكر الحكومة (١٧) في نسخة طنين ان جبل شيرق حوالي آنس وان أهله في غاية الفقر (٢٠) « بعد التصديق على هذه الوثيقة الائتلافية (ائتلافنامه) بالفرمان السلطاني لا يتعدي أحد الفريقين على البلاد التي هي تحت ادارة الفريق الآخر »

هناك ترون منا ما يشيب له الطفل الرضيع وتتأكدون ان العرب يحترمون الموت في سبيل الدفاع

ان هذا الاتفاق جعل ما كان بيننا نسيا منسيا غير اننا آسفون محزونون لما اصاب اخواننا بطرابلس الغرب من تعدي تلك الدولة الطاغية

كان العرب جميعهم يتألمون من الحرب القائمة بين الدولة وايطاليا وكثيرا ما وفد علينا رؤساء العشائر يسألوننا هل من سبيل للوصول الى طرابلس الغرب لمساعدة اخواننا ؟

بينما الجميع في هذا الحديث اذ قام سيف الاسلام بين الجميع وصرخ بصوت جهوري ملأ الفضاء وقال: ان أعظم قوة للاسلام هي الاتفاق ووحدة الكلمة ثم رفع يديه ودعا للطرابلسيين بالنصر وسأل الله ان يثبت اقدامهم على محاربة الدولة الطاغية . وأمن له الجميع

ثم التفت عزت باشا وخاطب الجميع بقوله: اننا نفضل الموت على ان نرى الاسلام مستذلا ـ فأجابه سيف الاسلام ان ذلهم يتوقف على انشقاقهم وجهلهم واني لاأجد معرة أعظم من هذه فيجب ان تتجدد للاسلام قوته ويرجع مجده وعظمته

وفي يوم السبت أخذنا نستعد للرجوع فخرج الامام يحيى بموكب عظيم ودعا لنا بالتوفيق وقد أرسل معنا ابن المتوكل وناصر مبخوت لمرافقتنا الى عمران فلما اقتربنا منها اطلقت المدافع من القلعة احد عشر طلقا كأنها تشير الى ان السلم في اليمن قد انتشر والامن استتب بفضل حكمة القائد عزت باشا

ان هذا الاتفاق كان سببا لحقن الدماء وعدم تيتم الاطفال وثكل الامهات ابناءها ولا شك انه سيزين تاريخ العثمانية

كانت الدولة تنظر الى اليمانيين بنظرة العداء وقد روت ارضهم من دماء ابناء الروملي والاناضول (وغيرهم) فقتل فيها ما ينيف على الخمسمائة الف(١) وانفقت

---

(١) يريد الكاتب قتلى الحروب الاخيرة من عهد حملة احمد مختار باشا الى حملة عزت باشا ، والا فالقتلى هنالك يعدون بالملايين اذا ارتقينا في عدهم الى أول تصدى الدولة لليمن في زمن السلطان سليمان وكان اكثر الجيش الذي يرسل الى هنالك من العرب المصريين وغيرهم (راجع ص ٢٢٥ من المجلد الثالث عشر)

كل في هذين الموضوعين وكنا نقارن بين اجتهاد الاقدمين والمتأخرين من هذا العصر

ولما أزف وقت الظهر من يوم الجمعة قام الاعراب لتأدية فريضة الجمعة فأمر عندئذ الامام الخطيب ان يخطب في القوم الخطبة الآتية :

احمد الله سبحانه وتعالى الذي وفق بين المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد، وفرض عليهم ان يكونوا يدا واحدة في السراء والضراء، وأمرهم ان يقاوموا كل من يتعدى عليهم بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * وجاهدوا في الله حق جهاده * واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) بعد ان كنتم اعداء تضربون الوقعية بعضكم ببعض . عباد الله ! ابتعدوا عن الاختلاف فانه مدعاة للشر والشر مجلبه الخراب (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (١) الخ ماقال :

كثيرا مادار الحديث بين القواد ورؤساء القبائل عن المحاربات التي كانت تجري في القطر اليماني وتوصلنا بالحديث الى اسرار المحاربة وكم كانت قوة العربان في المحاربات الاخيرة في كل موقعة

كان عدد جيش العرب في واقعة بيت شعبان ٨٠٠ فقتل منهم خمسون وجرح كثيرون واضطر الجيش الى الانسحاب ليلا

اما في محاربة مفحق فقد كانت قوة العرب مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب وفي بيت ساوم وغملان كانت عشرة آلاف وقد قال لي أحد المقدمين اننا نعترف ببسالة الارناؤوط لانهم كانوا يهجمون ولا يبالون بالرصاص الذي كان ينصب عليهم كالمطر

وقد قال لي رئيس ثان من العربان اننا لانلتذ بمحاربتكم ولا نقدم عليها إلا مكرهين لاننا ندين بدين واحد فلذا كنا في أكثر المواقع مدافعين ولا نهاجم لا مضطرين ونحن نود ان نكون معا في محاربة دولة ترغب في التعدي على حقوقنا

---

(١) المنار: نقل الكاتب ماعدا الآية الاولى من الآيات (وكذا سائر الخطبة) بالمعنى لانه لم يكن يحفظها فزاد ونقص وقدم وأخر فنقلناها كما هي لانه الواجب

وانما الاصلاح كل الاصلاح ان نجذب قلوب اليمانيين فيميلون بطبيعتهم الى الدولة ويعترفون بحاكميتها ويتفيأون ظلالها

لو استعمل القواد السابقون ما استعمله عزت باشا من الحكمة والدراية لكانت اليمن جنات تجري من تحتها الانهار

ان عزت لما اعلن انه سيأمر بين الناس بالعدل ما كان من اليمانيين الا ان وفدوا عليه في صنعاء زرافات زرافات واثقين من كلامه ثم كانوا لا يلبثون بعد دخولهم ومحادثتهم له ان يخرجوا من عنده ملآنة أعينهم بالدموع (لانهم ايقنوا اخلاصه في الخدمة) وحاملي الهدايا الثمينة، الى ان حصل الاتفاق بينهم ورفع الخلاف، وبدل اليمن ثوبه البالي بثوب جديد

نعم ان هذا الاتفاق الذي حصل بين الزعيمين سيدر بالخير والبركة على الاقطار اليمانية فتنجلي سماؤها التي كانت متلبدة بدخان البنادق والمدافع الكثيف وتحرث ارضها ويشتغل فيها اهلها ويذوقون طعم الامن والسكينة فيهدأ بالهم، وتسعد حالهم، وستكون الحوادث الماضية درسا لرجال الدولة فلا يضعون الشدة حيث يجب ان يكون اللين اه ما نشر في الحقيقة بتصحيح قليل للعبارة ،

***

﴿ حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير ﴾

نشرت جريدة المفيد البيروتية حديثا لأحد صاحبيها ومحرريها مع أمير الألاي احسان بك الذي كان رئيس اركان الحرب لفيلق اليمن عند إلمامه ببيروت عائدا من اليمن قال الكاتب :

ضمني وامير الألاي احسان بك مجلس ولما علمت ان قدومه من اليمن وانه من كبار الضباط استطردته في الكلام الى البحث في شؤون الاتفاق مع الامام .

قلت وهل لاحسان بك معرفة بعزيز بك ؟ قال نعم هو من اعز اصدقائي وهو الرجل الذي جمع الى همة الشباب حكمة الشيوخ ، قلت وما عندك من نبأه ؟ قال انه بطل هذا الاتفاق

الملايين من الدراهم في هذا السبيل الا ان ذلك يرجع لسوء الادارة في تلك القطعة

لما حصل الانقلاب في المملكة العثمانية اخذ رجالها يبحثون عن علاج يداوون به هذا الداء العضال المتأصل في جسم الدولة الى ان قدر لعزت باشا ان يكون الشفاء على يديه وقد وفق لعقد الائتلاف مع الامام يحيي الذي هو رئيس مليون ونصف من الزيدية الذين لا يبالون بالحروب يأتمرون بامره ويخضعون لاشارته وللامام ثروة عظيمة يبلغ ريعها ٢٠٠٠٠٠ ليرة سنويا وله نفوذ عظيم في اليمن

يجدر بنا ان نعترف بان سياسة القوة التي سارت عليها الدولة في اليمن لاتفيد شيئا وانه لمن الظلم الفادح ان تغتصب اموال اليمانيين وتخرب ديارهم لا لذنب جنوه بل لهوى في نفوس القواد الذين كانوا يؤمون البلاد اليمانية فيهلكون الحرث والنسل

اي صلاح ادخلناه في اليمن منذ استيلائنا عليها . واي صلاحية تخولنا الحاكمية عليها ما دامت الادارة سيئة وارباب الحل والعقد في الحكومة السالفة لا يرقون لحال اليمانيين ولا يرحمون

كانت ارادتنا لليمن حتى اليوم بالمدفع وتمنعنا ياللاسف عن تنفيذ خطة الاصلاح التي وضعت له فنحن لاننكر على الحكومة الحالية ماأجرته في المدة الاخيرة لان الاصلاح لايتأتى الا بالقوة (١)

على أن فرنسا لما دخلت الجزائر ادارت أمورها بستين الف جندي لكننا نحن العثمانيين لايجمل بنا ان نفعل فعلها في اليمن من حيث الظلم بل من حيث الاصلاح

اخطأ الذين كانوا يقولون بوجوب الزحف على « شهاره » فماذا ينفعنا ؟

فقد سبق لنا الدخول الى « غفله » غير انا رجعنا بخفي حنين بعد ان اريقت دماء كثيرة من الطائفتين الاسلاميتين . فليس الاصلاح في الاستيلاء على البلاد

(١) ان الكاتب على انصافه لم ير بدا من عذر الحكومة الحاضرة على سوقها الحملة التي هو أحد رجالها لحرب اليمن ليبرىء نفسه بتبرئتها والحق ان اثمها كاثم ما سبقها او اكبر، وقد اخطأ في تقليده بعض ساسة الدولة بجعل الترك من العرب كالفرنسيس من أهل الجزائر، وأخطأ أيضا في جعله هذا الصلح أثر قوة الحملة وهي لم يتم لها الظفر، وكان الامام قد رغب في الصلح قبلها وكاد يتم في وزارة حلمي باشا لولا ان اوقفه الاتحاديون لتنفيذ سياسة المدفع السابقة

«يناهزون ستين تابورا وتقدر خسارتهم بستة آلاف ومعظمهم مات بسبب الامراض التي كثيرا ماتنتشر بين الجنود لحرارة الاقليم»

- هل يتقاضى الامام راتبا من الدولة ؟

«نعم يتقاضى الف ومائة ليرة عثمانية مشاهرة ولمشايخ العربان رواتب مقننة أيضا»

- ماذا كانت فوائد الاتفاق بعد ان عقد ؟

«وزع الامام منشورا على جميع القبائل الموالية له يحذرهم من الخروج على الدولة والتعدي على الجنود النظامية والانصراف عن مناوأة الدولة الى الاهتمام بزراعة الارض فكان من ذلك ان الجندي النظامي اصبح يروح و يغدو بسلاحه الكامل في انحاء اليمن دون ان يعارضه معارض

« أما الرسوم الاميرية فتجبى بواسطة رجال الامام الذين يصحبون رجال الجندرمة ولم نسمع بعد عقد الاتفاق بشيء مما كان يقع بين الجباة و بين العربان الامر الذي كان يفضي الى امتشاق الحسام وسفك الدماء بين الفريقين

« أكثر بلاد الدولة أمنا اليوم هو القطر اليماني غير ان اليمن هي اليوم في حالة البداوة وان في خصب أرضها وطيب تربتها ما يساعد الدولة على نقلها من حال الى حال

«تمد الدولة اليوم خطا حديديا من الحديدة الى جيلة وما مدته الى الآن يقدر بثلاثة كيلو مترات، الا انها ساعية بتسوية الارض و بسط الطريق لكن مد السكة الحديدية لايجدي الاهالي نفعا اذا لم تكن البلاد غنية واذا أتيح لهذه البلاد ان تغنى فارضها ستكون كنز هذه الثروة

« ان الخط الحديدي يسهل نقل الجنود الا ان الدولة اذا جرت على سياسة عزت باشا عقدت مع مشايخ القبائل عقود الاتفاق في بطن الجزيرة وساعدت على زراعة الارض أصبح هذا الخط اقتصاديا اكثر منه عسكريا فان اليمانيين متى قعدوا عن قتال الدولة وتعاهدوا معها انصرفوا الى الزراعة والصناعة ، وإن ذكاء هؤلاء القوم يساعد كثيرا على انتشار المدنية في تلك الربوع وان من مصلحة الدولة ان يساس هؤلاء سياسة الحلم لا سياسة العنف والشدة

« في بعض الانحاء من اليمن تنبت الارض اربع مرات في السنة و بعضها تنبت

(قلت) وكيف كان ذلك ؟ قال « ان عزيز بك شاب غيور انف فخور يعز عليه ان يستمر القتل بين الجنود العثمانية و بين عرب البادية (كذا) وقد اتى هذا القطر والتحق بحملة اليمن وفي النية ان يوفق بين عزت باشا والامام يحيى حقنا للدماء وقد نجح مسعاه لدى قائد الحملة فان عزت باشا لم يكن ممن يحبون سفك الدماء دون طائل ولا ممن يقودون الجيوش بقصد التخريب والتدمير

« هذه العاطفة التي وجدها عزيز بك في قلب عزت باشا سهلت عليه سبيل الاتفاق مع الامام

« قلت ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق وأوكد لكم ان هذا البطل هو من اصدق الرجال الذين خدموا الدولة والامة معا ، فان خوفه على دولته من الانقراض لاشتغالها عن الامور الخارجية بتجريد الحملات على ابنائها ، و(حبه) بقاء العرب ذخرا للدولة تستصرخهم عند الحاجة ، حملاه على عقد الاتفاق ، وقد تمكن بطلاقة لسانه من اقناع الامام بان القتال اذا استمر بينه و بين الدولة فان الاجانب الذين يتربصون بنا الدوائر سوف يستولون على هذه البلاد

على هذه الفكرة بني اساس الاتفاق بين عزت باشا والامام يحيى ومن ذلك يظهر لكم ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق

— ما وجه الخلاف الذي من أجله كانت تسفك دماء الابرياء ؟

« ان الامام منذ أعوام كثيرة يدعي الامامة وانكم اذا قرأتم نص ختمه تعلمون وجه الخلاف وسبب خروجه على الدولة . كان للامام قبل الاتفاق ختم كبير نقش عليه : (نصره الله) ومن تحتها بصورة هلال (السيد يحيى بن محمد حميد الدين) ويلي ذلك كلمة (امير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) هذا هو ختم الامام قبل الاتفاق . وأما بعده فأصبح كذلك « امام الزيود السيد يحيى بن محمد حميد الدين » ومن ذلك تعلمون بسبب الحروب اليمنية ، فعزت باشا وعزيز بك لم يحقنا دماء أبناء الامة اليوم فقط بل انهما حقنا دماء أبناء كثيرة لم يخلقوا بعد ، والله يعلم كم كانت هذه الحروب تستغرق من الاجيال لولا هذا الاتفاق

— كم يبلغ عدد الجند في اليمن اليوم وما هي خسارتهم في الحرب الاخيرة ؟

وما نقدمه لهم من الاسلحة. واذكر لكم من هذا القبيل ان سلطانين من سلاطين شرقي اليمن لما سمعا باتفاق عزت باشا مع الامام وعلما باستقامة هذا القائد وروّيته قدما اليه وعرضا عليه الاطاعة للدولة، وقد اعترفا لعزت باشا بدسائس بعض الدول واطلعاه على رسائل سرية كان عمال تلك الدولة يبعثون بها اليهما

«ان عزت باشا يتبع الآن سياسة حسناء وقد احسن وفادة هذين السلطانين واعترف بسلطتهما شرقي اليمن واعطى كلا منهما علما عثمانيا وانعم عليهما بالخلع ومنحهما الاموال وعندي ان من الواجب على الحكومة ان تسير على هذه السياسة مع العرب ومع بقية العناصر العثمانية

«وقد ينبغي للحكومة حفظا لهذا الملك من الانقراض ان تسير في الداخلية على سياسة الحلم واللين وان تذخر هذه القوات للعدو الخارجي الذي يتهدد البلاد . اهـ

*

(المنار) ان ما رآه هذا الضابط العاقل من وجوب اتفاق الدولة مع الادريسي هو الصواب المحتم ، وان قتاله خطأ أو خطر ، وانه هو يتمنى الاتفاق والخضوع للدولة كما نعتقد ، وكنا قبل ان تقاتله الدولة وتقاتل الامام اقترحنا عليها الاتفاق معهما كليهما ، وكلمنا رؤف باشا في ذلك وجزمنا له بأن الامام والادريسي يرغبان فيه ويخلصان للدولة ما وفت بعهودهما، كما بينا ذلك في المنار . وقد تبين صدق رأينا في الاتفاق مع الاول وسيتبين في الثاني . ثم يتبين صدق رأينا في الاتفاق مع سائر امراء جزيرة العرب وزعمائها أيضا . وكان بعض الزعماء في حضرموت وغيرها كتبوا الينا من بضع سنين يخبروننا بدبيب الدسائس الاجنبية في بلادهم ، ورغبتهم في أن ترسل الدولة اليهم أعلامها وعمالها ليديروا أمرهم ، فعرضنا ذلك على احمد مختار باشا الغازي فقال انه الآن غير ممكن لوعورة الطرق وقلة اوفقد الرجال الاكفاء الذين يرضون أن يقيموا في تلك البلاد ، وتعذر اقناع السلطان بذلك . والآن قد سنحت الفرصة فعلى الدولة أن تغتنمها، وتجعل جزيرة العرب هي الركن الاقوى لمظاهرتها وتأييدها ، على نحو ما أشرنا اليه في الجزء الاخير من السنة الماضية

كان ساسة الدولة يظنون ان اصلاح جزيرة العرب وتقويتها خطر على سلطة

مرتين فاذا عنيت الدولة بزراعة البلاد اليمنية كان لها مورد جديد يزيد في ماليتها وانه ليؤسفني ان اصرح لكم بان الحكومة أرسلت كثيرا من الادوات الزراعية ولكنها لم ترسل معلمين زراعيين حتى الآن وهذا الاهمال كان السبب في تعطيل هذه الادوات

« ان حكومة الاستانة لم تغفل هذا الامر فقط بل انه مضى على عقد الاتفاق شهور ولم يصادق عليه الا اول من امس وكثيرا ما كان عدم وفائنا سببا في خروج مشايخ اليمن علينا فان الوفاء بالعهد عند العرب من الامور التي يتوقف عليها بقاء ثقة المحكوم بحاكمه »

ـ هل تعهد الامام لقاء الامتيازات التي منحته اياها الدولة بالمساعدة عند الحاجة ؟

« نعم وعد بتقديم مائة الف مقاتل بالعدة الكاملة وهذه قوة لا يستهان بها

ـ ما هي سياسة عزت باشا مع الادريسي وهل يمكن عقد اتفاق معه ؟

« من رأيي ان تعقد الدولة اتفاقا مع الادريسي ولكن الامتيازات التي تكون للادريسي هي لا شك غير امتيازات الامام فان الادريسي حديث في المهدوية غير ان في عزم عزت باشا ان يجرد عليه قوة من الجيش اليمني وستبدأ عما قريب الحركات العسكرية في عسير ، ومن رأي عزت باشا ان الادريسي قد ادعى المهدوية حديثا ، واما الامام يحيى فنسبه ثابت والامامة وراثية في عائلته فاذا عقد القائد معه اتفاقا يخشى من ظهور مئات امثال الادريسي ، فقضاء على كل دعوى من هذا القبيل يرى القائد من الضرورة خضد شوكة الادريسي ، ولكن رأيي الخاص هو ان عزت باشا اذا جرد على الادريسي عسكرا لا بد وان يرجع الى فكرة الاتفاق ، فاذا كان لعقد الاتفاق سبيل فمن واجب الحكومة ان لا تدع هذا السبيل »

ـ وهل في تلك الانحاء غير الامام يحيى والادريسي من مشايخ العرب يعتد بهم ؟

« يوجد شرقي اليمن بعض السلاطين وسياسة عزت باشا اليوم استمالة هؤلاء السلاطين دفعا لما يتهدد البلاد من الاخطار فاذا تغاضت الحكومة عن ارضاء هؤلاء فان دولة اجنبية تستميل اليها هؤلاء خفية بما تمنحهم اياه من الاموال

عن مال تؤديه . وقد وقف بعض اصدقائنا في بعض دور الكتب في الآستانة على صورة بعض المكتوبات الرسمية في ذلك وهذا نصها :

(١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من خليل باشا الى الجناب العالي الفاضل الاديب والكامل الاريب العالم العلامة والمنصح الفهامة حضرة أخينا الشيخ محمد بن احمد الحرازي سلمه الله تعالى آمين . و بعد السلام على الدوام وصلت كتاب حضرة اخينا الامام حفظه الله تعالى وذكر قدومكم الى بندر الحديدة وصحبتكم المبلغ المائة الالف الريال الفرانسة المعجلة فصادر الى طرفكم معتمدنا الحاج يوسف أغا لقبض المبلغ المذكور وتسليم البنادر الى طرفكم ويقيم عندكم لقبض المائة الالف الريال الفرانسة المؤجلة كل شهر خمسة وعشرين الف ريال فرانسة من أول شهر شوال عام سنة ١٢٣٤ وآخرها شهر محرم الحرام عام سنة ١٢٣٥ فليعلم ذلك . حرر في شهر رمضان عام الف ومائتين وأربعة وثلاثين سنة ١٢٣٤

صوره الختم
رب سهل
امور خليل

(٢)

الحمد لله تعالى

بلغني من يد القاضي محمد الحرازي وسيد الفيروز وأمير اللحية فتح الله موكلين من طرف الامام المهدي مائة الف ريال معجلة التي يوكلني بقبضها افندينا خليل باشا حفظه الله تعالى بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٣٤ وقبضتها بالتمام والكمال من المذكورين الموكلين والسلام ختام

صورة الختم
يوسف عبده
١٢٢٨

(تقريظ المطبوعات)

﴿ هداية الباري ، الى ترتيب احاديث البخاري ﴾

رتب السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي أحاديث (التجريد الصحيح لاحاديث الجامع

الترك يخشى أن يفضي الى ايجاد دولة عربية مستقلة يدعي حاكمها الخلافة ، وهذا هو السبب لجعلهم بلاد الحجاز خرابا ، ومتابعة الحرب في اليمن وغيرها كما أشار الى ذلك احسان بك ، ولكنه لايرجى منه ان يذكره بغير الصيغة التي ذكره بها . ولم يوجد في الدولة رجل امكنه ان يجعل الجزيرة ولايات تركية او عثمانية ، ولا ان يجعلها ولايات ممتازة مرتبطة بالدولة بعسكريتها وخارجيتها ، مع بقائها مستقلة في ادارتها

أما الآن وقد ظهر للعيان ان العرب أشد العناصر العثمانية حرصا على الارتباط بالدولة والاخلاص لها ، باستقتالهم في حرب ايطالية بطرابلس الغرب ، وشرائهم بقاء التبعية العثمانية بكل مايملكون من مال ودم ـ وظهر أيضا ان الدولة تعجز عن حفظ جزيرة العرب ـ وهي مهد الاسلام ـ من تمدي الدول البحرية كما عجزت عن الدفاع عن طرابلس الغرب ونيط الدفاع عنها بأهلها ـ وظهر أيضا ان الدولة العلية نفسها على خطر ، بعد ما اجمعت اوربة على عدم التزام معاملتها بقوانين حقوق الدول ، ـ اما وقد ظهر كل هذا فقد صار من الواجب المحتم على الدولة أن تعقد الاتفاق مع جميع امراء الجزيرة فتقر كل امير منهم على ماهو عليه ، وتساعده على التعليم والتمرين العسكري وسائر ضروب الاصلاح ، ويكون اهم أصول الاتفاق بينها و بينهم هو الاتحاد العام في الجيش عند الحاجة وكيفية الانجاد والدفاع عن المملكة

**

﴿ حال اليمن على عهد السلطان محمود الثاني ﴾

كان ابتداء تحرش الدولة العثمانية باليمن في سنة ٩٣٤ في عهد السلطان سليمان القانوني أي زهاء أربع مئة سنة وقد بينا ذلك في المجلد الثالث عشر نقلا عن كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) ومن ذلك ان الحرب كانت سجالا بين الدولة واليمانيين ، وبقيت كذلك الى الآن

ولما ولي السلطان محمود الثاني كانت الدولة محفوفة بالنوائب والاحداث ففي زمنه كانت فتنة الانكشارية ، والحرب الروسية ، وعصيان والي يانية ووالي بغداد ، وثورة اليونان ، وحرب ايران ، وحرب محمد علي باشا ودخوله الشام ، ثم حرب الوهابية في نجد والحجاز ، ولكن اليمن كانت راضية في ذلك العهد بالصلح بينها و بين الدولة العلية

التي [illegible]

التي يمكن [illegible] الاسلام [illegible] صالح [illegible]

الدين فكما [illegible] المشكلات الشرعية وفلسفة الدين تبحث أيضا في [illegible]

الاجماع والقياس وقدم لها الآن أربع عشرة مسألة شرحها [illegible] من أربعة

عشر عقدا ولكل منها [illegible] صفحة وفهرس مرتب على الحروف وثمن

مجموعة كل سنة (ما عدا الثانية والثالثة) كقيمة الاشتراك فيه في الصفحة الاولى

تضاف اليها أجرة التجليد حتى يزاد على الاول لمن يطلب السنة مجلدة · وقيمة

مجموعة السنة الثانية ستة قروش والسنة الثالثة ستة قروش اميرية

اعلان

(وقف [illegible] نسخة من تفسير القرآن الحكيم)

قد وقف العالم الفاضل الغيور على الاسلام مولوى محمد ثناء الله صاحب جريدة وطن في لاهور (الهند) [illegible] نسخة من كل جزء يصدر من تفسير القرآن الحكيم الذي يصدر في المنار ويجمع على حدته · وقفا على مساجد المسلمين في بلاد العرب وغيرها من ولايات الدولة العلية والبلاد الافريقية لأجل أن يقرأها المدرسون والخطباء في تلك المساجد دروسا على المسلمين لاعظام الواقف جزاه الله الخير ان هذا التفسير انفع كتاب لهداية المسلمين الى ما فيه خير الدين والدنيا · وقد وزعت ادارة المنار بعض النسخ من مجلدين من مجلدات هذا التفسير فنرجو من المدرسين والخطباء المستعدين لقراءة هذا التفسير في مساجدهم أن يكتبوا الينا بطلب النسخ مبينين والعناوين [illegible] الكتب [illegible] الاعانة [illegible] بعض [illegible] بعض [illegible] نرسل اليهم أيضا [illegible] الجزء [illegible]

الجزآن [illegible]

الصحيح) المعروف بمختصر الزبيدي لصحيح البخاري على حروف المعجم وسماه بالاسم الذي تراه في العنوان وطبعه مشكولا بالشكل الكامل ، وجعل في جانب كل صفحة جدولين يذكر في أحدهما اسم الراوي من الصحابة وفي الثاني اسم الكتاب وفي الهامش الباب الذي ورد فيه الحديث من كتب صحيح البخاري. ووضع في هامشه شرحا وجيزا للاحاديث مفصولا بينه وبين المتن بخط عرضي دالا عليه بالارقام . فكان مؤلفا من جزئين صفحاتهما ٥٢٨ ـ فهذه النسخة أمثل نسخ هذا الكتاب للمراجعة والمطالعة فنثني على همة السيد عبد الرحيم عنبر ونشكر له عمله هذا ونحث القراء على الاقبال عليه

***

﴿ توجيه النظر الى أصول الأثر ﴾

سفر كبير ألفه الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي نزيل مصر ، وطبع على نفقة الجمالي والخانجي الشهيرين . وظاهر التسمية ان الكتاب في علم أصول الحديث ومصطلحه ، وقد قال المصنف في التعريف به انه فصول « ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار ، وأكثرها منقول من كتب أصول الفقه وأصول الحديث » وكتب على طرة الكتاب ان الداعي الى تأليفه ماوقع عليه العزم من تحرير الكلام في السيرة النبوية المنتقاة مما كتبه ابن هشام

مهما قال المؤلف في تعريفه ، وسبب تأليفه ، فلا يخرج عما يسبق الى الذهن من قراءة اسمه ، فهو في علم الحديث . ولكن فيه استطرادات نافعة ، ومسائل محررة ، وأوابد مقيدة ، لا تكاد توجد مجموعة مع ما يناسبها في كتاب . وناهيك بسعة اطلاع الشيخ طاهر وحسن استحضاره واختياره . فمن ذلك الكلام في جمع القرآن وتدوين الحديث ، وابتداء التأليف ، وبحث التواتر ، والحديث المتواتر ، وقد أطال فيه كما أطال في بحث الحديث الصحيح ، وكتابي الصحيحين ، وبحث الجرح والتعديل وعلل الحديث . ومن الاستطرادات المفيدة الاستطراد في كتابة الحديث وضبطه والتصحيف فيه الى الكلام في الخط العربي وتدرجه في الترقي وعلائم الفصل فيه والحركات العربية والوقف وما ينبغي من وضع العلامات له ولا مالة والاشمام وغيرهما من كيفيات الاداء . وقد أطال في ذلك للحاجة اليه والبحث عنه في هذا العصر

وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغنى عنه بغيره وهو من الكتب الشرعية النافعة . ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز وثمن النسخه منه ١٥ قرشا

(الجزء الرابع) ربيع الثاني ١٣٣١ (المجلد السادس عشر)

{قيمة الاشتراك}
عن سنة ٨٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و ٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و ٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)



{تنبيه}
يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمستلم
الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها «المحرم» ومنتصفها «رجب»

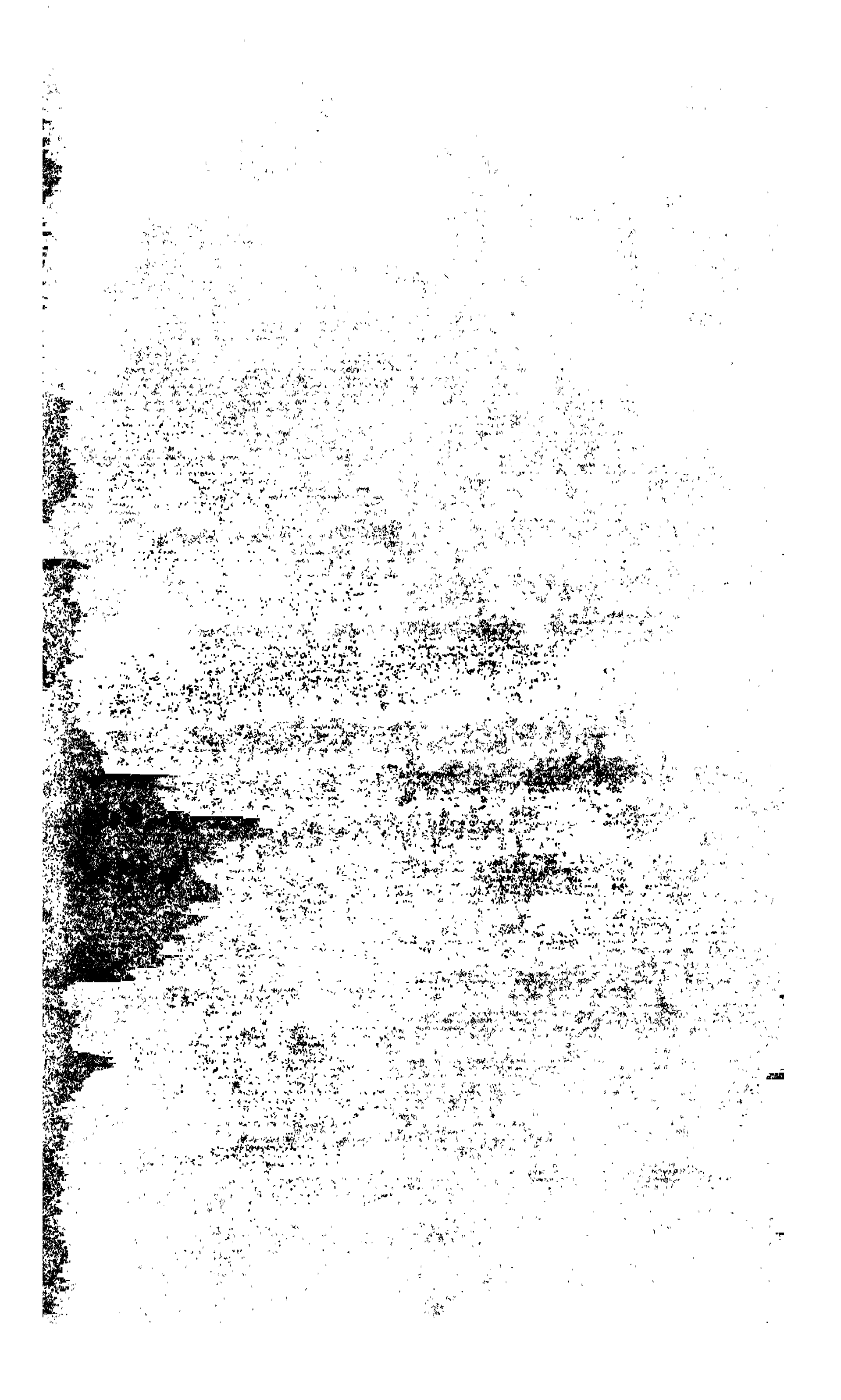
{مجلة شهرية}
تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا

(وكيل ادارة مجلة المنار ومدير مطبعتها : السيد صالح مخلص رضا)

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي «المنار بمصر»

{فهرس الجزء الرابع}





(أثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد)

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن قرش	الكتاب
٤		٣	تفسير الفاتحة
٤	٥	١	» سورة والعصر
٣٠		١٢	» القرآن الحكيم لكل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني جزء ٢
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٩	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	انجيل برنابا
٨		٤	شبهات النصارى
٦		٢	عقيدة الصلب والفداء
٤		١	المسلمون والقبط
٦	٥	٢	عقيدة الصلب والفداء
٦		٣	انتقاد مؤلفات جرجي بك زيدان
١٥		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع ذيله

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن قرش	الكتاب
٣٠		٢٠	تاريخ الاستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التأبين والمراثي)
٥٠		٦٠	لكل مجموعة من مجاميع السنة الاولى والرابعة الى الرابعة عشرة من المنار
٥٠		٢٠٠	المجموعة الثانية » »
٥٠		١٠٠	» الثالثة » »
٥٠		٨٠	» الخامسة عشرة
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز . تحت الطبع
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى في القضاء الشرعي لاصلاح حال المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٣٠		٢٠	اسرار البلاغة
٢	٥	٠٠	خلاف الامة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٨	تاريخ دول العرب والاسلام
		٢٠	» البابية

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و١٠ لغير المشترك

يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا كذلك وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد

اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

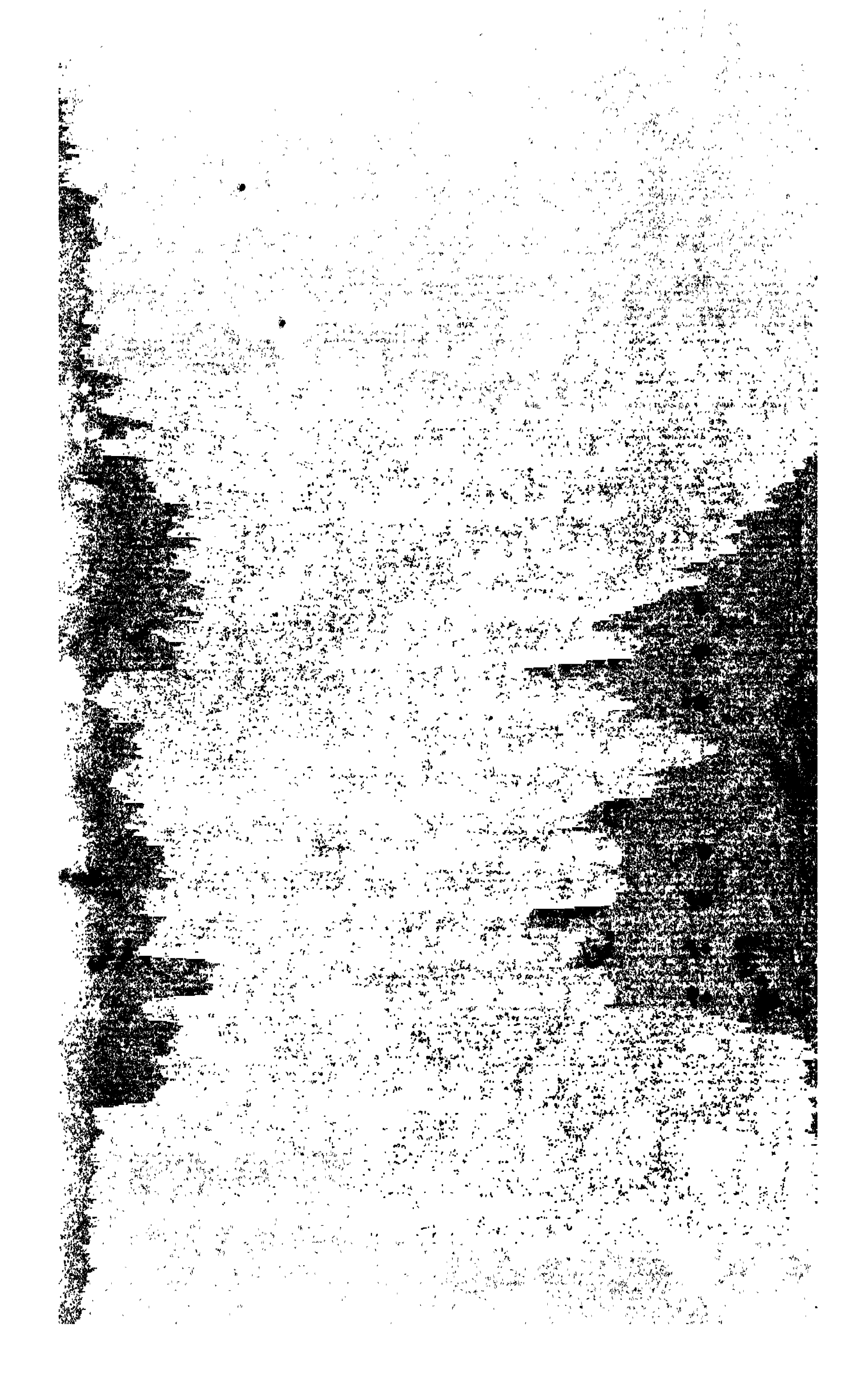
﴿ مصر ٣٠ ربيع الاول ١٣٣٠ هق - ١٠ الشتاء الثالث ١٢٩١ هـ ش ١٩ مارس ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١١٣ : ١١٦) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤ : ١١٧) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

أقول تقدم في بيان سبب نزول الآيات التي قبل هذه ان (طعمة) الخائن لم يكد



على اتهام اليهودي وبهته ، ومن سائر الناس الا من أمر منهم بصدقة أو معروف وإصلاح بين الناس ، وهذه الثلاثة هي مجامع الخيرات التي يحتاج فيها الى النجوى ، فيكون الاستثناء متصلا على ظاهر قواعد النحو . وأما على القول بأن النجوى هنا بمعنى التناجي فالظاهر ان الاستثناء منقطع أي لا خير في كثير من تناجي هؤلاء الناس ولكن من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فذلك هو الخير الذي يكون في نجواه الخير — والا فانهم يقدرون للاعراب مضافا محذوفا والتقدير لاخير في كثير من نجواهم الا نجوى من أمر بصدقة أو معروف الخ وقد تقدم تحرير مثل هذه المسألة في تفسير « ولكن البر من آمن بالله » من سورة البقرة ورأي الاستاذ الامام فيه (فليراجع في الجزء الثاني من التفسير)

وقال الاستاذ هنا ان الكلام في الذين يختانون انفسهم ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، ومعناه ان الغالب عليهم الشر فهو الذي يجري في نجواهم لأنه اكبر همهم — وذكر مسألة الاستثناء ثم قال — إن النكتة في ذكر الكثير هنا هو ان من النجوى ما يكون في الشؤون الخاصة كالزراعة والتجارة مثلا فلا توصف بالشر ، ولا هي مرادة من الخير ، وانما المراد بالنجوى الكثيرة المنفي الخير عنها النجوى في شؤون الناس ولذلك استثنى الامور الثلاثة التي هي مجامع الخير للناس اه

أقول إذا كان الكلام هنا في أولئك الخائنين فنفي الخير عن الكثير من نجواهم ظاهر ، ولكننا نرى الكتاب الحكيم يجعل النجوى مظنة الإثم والشر مطلقا ولذلك خاطب المؤمنين بقوله في سورة المجادلة (ياايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون ، انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهذا بعد ان بين ان بعض الناس نهوا عن النجوى ثم هم يعودون اليها، وهم اليهود والمنافقون . والحكمة في كون النجوى مظنة الشر في الاكثر هي أن العادة الغالبة وسنة الفطرة المتبعة في استحباب إظهار الخير والتحدث به في الملإ ، وان الشر والاثم هو الذي

يفتضح أمره حتى فرّ الى المشركين وأظهر الشرك والطعن في النبي (ص) كأنه كان قد أسلم ليتخذ من النبي (ص) والمؤمنين أعوانا ونصراء يعينونه على اتباع الهوى والخيانة بالعصبية على المخالفين ، وما علم ان الاسلام قد جاء ليبطل الخيانة والضلال ويمحق الأباطيل ويؤيد الحق والفضيلة ، أفلا يسمع هذا المبطلون من أهل أوربة الذين لا يزالون يقلدون قسوس قرونهم المظلمة مثيري الحروب الصليبية في زعمهم ان المسلمين كانوا في العصر الاول جمعية لصوص وقطاع طريق !! ألا يدلوننا على حكومة من أرقى حكوماتهم أو صلها دينها ومدنيتها وعلومها وحضارتها الى الرضا بمساواة أبنائها وأوليائها بأعدى أعدائها ، ويشددون في ذلك مثلما شددت الآيات التي تقدم تفسيرها في قضية (طعمة) مع اليهودي ؟؟ كيف ونحن نراهم في بلادنا لا يرضون بالمساواة بيننا وبينهم ، وان الرجل من أشرار جناتهم وتحوت صعاليكهم قد يقتل الواحد من خيار الناس في مصر فيحا كمه قنصل دولته كما يريد ، ويحكم عليه بأن يغيب عن الارض التي لوثها بدم الجناية زمنا طويلا أو قصيرا ثم يعود ان شاء ؟

فعلى هذا الذي تقدم يكون قوله تعالى ﴿ لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ وما بعده نزل في سياق تلك القصة وان ضمير « نجواهم » يعود على أولئك المختانين لانفسهم الذين يبيتون في ليلهم من الاقوال مالا يرضي ربهم ، وهذا هو المختار . والنجوى مصدر أو اسم مصدر ومعناه المسارة بالحديث ، قيل أصله من النجوة وهي المكان المرتفع عما حوله بحيث ينفرد من فيه عمن دونه ، وقيل من النجاة كأنه نجا بسره ممن يحذر اطلاعهم عليه ، ويوصف به فيقال قوم نجوى ورجلان نجوى ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان « وإذ هم نجوى » ومن استعماله بالمعنى المصدري في القرآن قوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » وقوله « وأسرّوا النجوى » وأجاز المفسرون هنا أن تكون النجوى بمعنى المتناجين أي المتسارّين ويكون المعنى : لاخير في كثير من المتناجين الذين يسرون الحديث من جماعة (طعمة) الذين أرادوا مساعدته

جميع الفقراء أو اكثرهم يتأذون بالاظهار لحرمه الله تعالى واوجب الاخفاء إيجابا .
فلما ذم الله تعالى النجوى و بين انه لا خير في كثير منها وكان مما قد يترتب على ذلك أن لا يتناجى المتعاونون على الخير فيما بينهم في أمر بعضهم بضعا بالصدقة الخفية على المستحقين لها من أهل الحياء والكرامة الذين يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف ، استثنى الحكيم الخبير هذا النوع من النجوى حتى لا يتحاماه المتورعون خوفا ان يدخل فيما لا خير فيه

وأما المعروف فقد يخفى وجه استثنائه وهو في اللغة ضد المنكر أي ما تعرفه وتقره النفوس وتتلقاه بالقبول ، لموافقته المصالح وانطباقه على الطباع والعقول ، قال بعض أهل الفراسة من العرب : اني لأعرف في عيني الرجل اذا عرف ، وأعرف في عينيه اذ انكر ، واعرف فيهما اذا لم يعرف ولم ينكر، الخ ولما كان الشرع مهذبا للنفوس ومرشدا العقول ، ومقوما لما مال وانآد من أحكام الفطرة البشرية بسوء اجتهاد الناس ، صار اعرف المعروف ماأرشد اليه أو أقره واستحسنه ،وانكر المنكر مانهى عنه وذمه وكرهه ، فالذي يؤمر بالمعروف على مسمع من الناس يستاء في الغالب من الآمر ، ولاسيما اذا كان من اقرانه حقيقة او ادعاء ، لانه يرى في امره اياه استعلاء عليه بالعلم والفضل ، واتهاما له بالتقصير أو الجهل ، واشرافا عليه بالتعليم والتهذيب ، من أجل هذا كانت النجوى به أبعد عن الايذاء ، واقرب الى القبول والامضاء ، وكان من هداية اللطيف الخبير ان يدخله في هذا الاستثناء ، ليكشف عنه محبو الاستعلاء ، ولا يتأثم به من يعرفون فائدة الاخفاء ،

وأما الاصلاح بين الناس فهو أيضا من الخير الذي قد يترتب على اظهاره والتحدث به في الملأ شر كبير ، وضرر مستطير ، فينقلب الاصلاح المطلوب افسادا ، وهذا مما لا يكاد يخفى على أحد عاش بين الناس واختبر أحوالهم فيما يكون بينهم من الخصام والشقاق والتنازع والصلح والتراضي بسعي محبي الاصلاح . فان منهم من اذا علم ان مايطالب به من الصلح كان بأمر زيد من الناس ، لايستجيب ولا يقبل ، ومنهم من يصده عن الرضا بذلك ذكره بين الناس وعلمهم بأنه كان بسعي وتواطؤ ، ومنهم من يشترط ان يكون خصمه هو الذي طلب مصالحته ، ومنهم

يخفى ، ويذكر في السر والنجوى ، وفي الحديث الشريف « الإثم ماحاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » وقلما يكتم الناس شيئا من الخير المطلق المتفق على كونه خيرا ، و إنما الغالب في كتمان بعض الخير واسراره وجعل الحديث فيه نجوى أن يكون ذلك الخير خيرا للمتناجين وشرا لغيرهم أو مؤذيا له واو من بعض الوجوه . كاسرار الحرب والسياسة التي يتوخى بها أهلها نفع انفسهم وضرر غيرهم فيكتمون اخبارها ويجعلونها نجوى بينهم لئلا تصل الى خصمهم وعدوهم الذي يضره ما ينفعهم ، وينفعه مايحبط عملهم ويبطل كيدهم . ويشبه ذلك مايكون بين التجار وغيرهم من طلاب الكسب من التناجي فيما يخافون ان يطلع عليه غيرهم فيسبقهم اليه او يشاركهم فيه ، فان ما يريدون ان يفوته من الكسب خير لهم وشر له

وهنالك أمور من الخير تتوقف خيريتها او كمال الخير فيها وخلوه من الشوائب على كتمانه وجعل التعاون عليه سرا والحديث فيه نجوى ، وهو ما ذكره الله تعالى من هذه الامور الثلاثة . فما استثناها الله تعالى من النجوى التي لا خير في اكثرها الا لانها يحتاج فيها الى النجوى وإني لم افطن لهذا الا عند كتابة تفسير الآية وليس عندي فيه نقل ، وقد عجبت للاستاذ الامام كيف ذهل عنه فلم يبينه ما لم اعجب لغيره ، فانه ابو عذرة هذه الدقائق في علم الانسان والقرآن على انني كنت أود لو كان بين يدي جميع كتب التفسير المعتبرة لاراجع تفسير الآية فيها (١)

أما الصدقة فهي من الخيرات التي لا مرية فيها وان اظهارها قد يؤذي المتصدق عليه ويضع من كرامته ، وقد يكون الجهر بالامر بها والحث عليها اشد ايذاء واهانة له من إيتائه إياها جهرا ولو كان ذلك مع الاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى ولهذا قال عز وجل « إن تبدوا الصدقات فنعما هي، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » فقد مدحها الله تعالى مطلقا ، وجعل إخفاء ما يؤتاه الفقير منها خيرا من إظهاره لان بعض الفقراء يتأذى بالاظهار ويراه إهانة له ، ولو كان

(١) انني اكتب هذا في الباخرة التي تحملني الى الهند في ليلة الجمعة ٢٦ ربيع الاول

حكيم ، وليس هو من قبيل جزاء الملوك والكبراء لمن يحسن خدمتهم ، وينال مرضاتهم ، بل هو أثر فطري طبيعي لارتقاء النفس بتلك الاعمال الصالحة ، التي لا يقصد بها رياء ولا سمعة ، الى ما يزيد الله صاحبها بفضله وكرمه

إن المؤمن الفقيه في دينه ، الذي هو على بصيرة منه ، يعمل الخير على هذا الوجه ، حتى ترتقي روحه ارتقاء تصل به الى ذلك الفضل ، وأما صاحب تلك النظرية الفلسفية فقلما يعمل بها ، وان عمل بها أحيانا فقلما يكون مخلصا في عمله ، واذا تعارض هواه وشهوته مع خير غيره ومنفعته ، فانه يؤثر نفسه ولو بالباطل ، على غيره من أصحاب الحق ، فاذا كان مما وصف الله تعالى به المؤمنين انهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فهؤلاء الفلاسفة ومقلدتهم يؤثرون أنفسهم على غيرهم ولو عن ظهر غنى ، ثم انهم يميلون في تأويل الخير والنفع مع الهوى ، وقد جرى لي حديث مع بعض كبراء المصريين في تحديد معنى الفضيلة فكان يتكلم بلسان الفلسفة ، وأتكلم بلسان الاسلام الجامع بين الدين والحكمة ، فلما حددها بما ينفع الهيئة الاجتماعية ، قلت اذا كان هذا هو المعنى فما هو الباعث للنفوس على العمل به ؟ قال هو اعتقاد كل فرد أن نفع الهيئة الاجتماعية نفع له فاذا صلحت عاش فيها سعيدا ، واذا فسدت لحقه شيء من فسادها فكان به شقيا ، قلت معنى الفضيلة اذاً أن يطلب الانسان نفع نفسه مع ملاحظة نفع الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فتختلف الاعمال التي تندرج في مفهومها الكلي باختلاف آراء أفراد الناس فيما ينفع الهيئة الاجتماعية وفيما هو أرجح من المنافع عند تعارضها . مثال ذلك اذا قدرت أن تسرق مال رجل أو تخونه فيه اذا استودعك اياه ففعلت ذلك لاعتقادك أنك تقدر على مالا يقدر صاحب المال عليه من نفع الهيئة الاجتماعية أو تنفقه فيما هو أنفع لها تكون بهذه السرقة وهذه الخيانة معتصما بعروة الفضيلة . قال نعم . قلت واذا قدر رجل على أن يخون آخر في عرضه ويزني بامرأته معتقدا انه لا ضرر في ذلك على الهيئة الاجتماعية لانه في الخفاء فلا يثير نزاعا ولا خصاما فلا ينافي الفضيلة ، أو أنه ربما ينفع الهيئة الاجتماعية بإيلادها ولدا يرث من ذكائه ما يكون به خيرا ممن تلدهم تلك المرأة من زوجها الشرعي ، أو بما هو أوضح من

من يشترط ان يظن الناس ذلك ، والجهر بالحديث في ذلك قد يبطل ذلك . فالاصلاح بين الناس يحتاج فيه الى الكتمان وان يكون الامر به والسعي اليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم ،

لو أطلق القول في الكتاب بأن كثيرا من النجوى لاخير فيه ولم يستثن من ذلك شيء لذهب اجتهاد كثير من المتورعين الى ان هذه الامور من ذلك الكثير فيتركون النجوى بها خوفا من الوقوع فيما لاخير فيه ، وحينئذ اما ان يرجحوا الجهر بالامر بها فيفوت الغرض المقصود منها ، ولو في البعض دون البعض ، وإما ان يرجحوا ترك الامر بها ألبتة ، لئلا يترتب على النفع المقصود من الصدقة الضرر ، وتأخذ من يؤمر بالمعروف العزة بالاثم ، ويتحول إصلاح ذات البين الى افساد . فهذا ماظهر لي الآن في المسألة

﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ بغى الشيء طلبه بالفعل وابتغاه ابلغ من بغاه في الدلالة على الطلب لانه يدل على الاجتهاد فيه والاعتمال له ، وانما تنال مرضاة الله تعالى بالشيء اذا فعل على الوجه الذي يحصل به الخير ويتم به النفع الذي شرع لأجله ، ويكون الفاعل له مظهرا لرحمته تعالى وحكمته ، مع تذكر هذا عند العمل والشعور به ، وبهذا القيد يكون المؤمن أرقى من الفيلسوف في عمله ، وابعد عن الغرور والدعوى فيه ، وأرسخ قدما في الاخلاص ، وتحري نفع الناس ، والثبات على ذلك وعدم مزاحمة الاهواء الشخصية له وترجيحها عليه ، ذلك بأن الفلاسفة — وأخص منهم فلاسفة هذا الزمان — يقولون ان الخير والفضيلة والكمال في الانسانية هو أن يفعل الانسان الخير لانه خير نافع للهيأة الاجتماعية التي هو منها . والايمان يهدينا الى هذا والى ماهو أعلى منه وأشرف ، وهو أن نشعر أنفسنا عند عمله أننا مظاهر لرحمة الله تعالى ورأفته بعباده ، ومجالي لحكمته في إصلاح خلقه ، وان لنا بذلك قربا معنويا من ربنا ، واننا نلنا به مرضاته عنا ، وصرنا به أهلا للجزاء الاوفى . في حياة اشرف من هذه الحياة وأرقى ، وان هذا الجزاء هو المعبر عنه بالاجر العظيم ، وناهيك بما يشهد الله تعالى بعظمته في كتابه

قال الاستاذ الامام لما بين الله تعالى في الآية التي قبل هذه وعده بالجزاء الحسن للذين يتناجون بالخير، ويبتغون بنفع الناس مرضاة الله عز وجل، اراد أن يبين في هذه الآية وعيده لاولئك الذين يتناجون بالشر، ويبيتون ما يكيدون به للناس، فهو يقول إن أولئك القوم مشاقون للرسول اذا كانوا يفعلون ما يفعلون بعد أن ظهرت لهم الهداية على لسانه صلى الله عليه وسلم، وقامت عليهم الحجة بحقيقة ما جاء به، وأما من لم تتبين لهم الهداية فلا يستحقون هذا الوعيد، وهم متفاوتون فمن نظر منهم في الدليل فلم يظهر له الحق وبقي متوجها الى طلبه بتكرار النظر والاستدلال مع الاخلاص فهو معذور غير مؤاخذ كالذي لم تبلغه الدعوة، وعليه جمهور الاشاعرة. والمشاقة بعد تبين الهدى انما تكون عنادا وعصبية أو اتباعا لشهوة تفوت بهذه الهداية اه

أقول المشاقة المعاداة مشتقة من شق العصاء أو هي مفاعلة من الشق كأن كل واحد من المتعادين يكون في شق غير الذي فيه الآخر كما قالوا. والكلام جاء بصيغة العموم وهو يصدق على (طعمة) كما ذكر في قصته وعلى قليل من الناس منهم بعض علماء اليهود في عصر النبي (ص) وإنما قلنا انه يصدق على قليل من الناس لان أكثر الناس فطروا على ترجيح الهدى على الضلال والحق على الباطل والخير على الشر اذا تبين لهم ذلك وعرفوه وناهيك بمن دخل فيه وعمل به ورأى الفرق بينه وبين ما كان عليه هو وقومه (كطعمة) ولا يشترط في هذا الترجيح الفطري والعمل به أن يكون قد تبين بالبرهان اليقيني المنطقي الذي لا يقبل النقض بل يكفي أن يظهر للمرء أن هذا هو الهدى أو أنه أهدى من مقابله إذا كان هناك مقابل. وسبب هذا ومنشؤه أن الانسان فطر على حب نفسه وحب الخير والسعادة لها والسعي الى ذلك واتقاء ما ينافيه ويحول دونه لذلك كانت شريعة الاسلام التي هي دين الفطرة مبنية على قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح فكل ما حرم فيها على الناس فهو ضارّ بهم وكل ما فرض عليهم أو استحب لهم

هذا عنده كأن تكون تلك المرأة لا تلد من ذلك الرجل — فهل يكون هذا العمل من مقومات الفضيلة المحدودة بما ذكرتم ؟ قال نعم كل من هذا وذاك يعد من الفضيلة في الواقع ونفس الامر اذا كان اعتقاد الفاعل بنفعه للهيئة الاجتماعية صحيحا، وان كان القانون لا يجيز الحكم له بحسب اعتقاده اذا ظهر الامر ورفع إلى القاضي ! !

أقول وقس على السرقة والخيانة والفاحشة جميع الرذائل حتى القتل فانها يمكن أن تعد من الفضائل على ذلك التعريف إذا ظن فاعلها انه ينفع الهيئة الاجتماعية كأن يقتل من يرى هو في سياسته أو اعتقاده أو عمله ضررا وان كان المقتول يرى ذلك نافعا ، فهذا المذهب الجديد في الفلسفة العملية هو شر مذهب أخرج للناس ، فان الرذائل فيه قد تسمى عقائل الفضائل ، والمفاسد تعد فيه من أنفع المصالح ، والحاكم في ذلك هو الهوى . ولولا افتتان ضعفاء النفوس ببعض من يقولون به لما استحق أن يحكى . وكان للفلاسفة الاولين مذاهب في الفضيلة معقولة ، وآراء صحيحة ، وقد أنطقهم الله تعالى بكثير من الحكم ، ولكن ثمرات عقولهم لم تكن دانية القطوف ، يجنيها القوي والضعيف ، ولم يكن لها ما لهداية الوحي من السلطان على القلوب والارواح ، والتأثير السريع في إصلاح شؤون الاجتماع ، فمن ثم كان الدين انفع من الفلسفة للناس وليس عندي شيء عن الاستاذ الامام في تفسير هذه الآية الا ما اسندته اليه في أول الكلام عليها ، وقوله في تفسير ابتغاء مرضاة الله إنها إنما تطلب بالاخلاص ، وعدم ارادة السمعة والرياء كما يفعل المتفاخرون من الاغنياء : تصدقنا أعطينا منحنا عملنا وعملنا ـ فهؤلاء انما يبتغون الربح بما يبذلون أو يعملون لا مرضاة الله تعالى ، ولذلك يشق عليهم أن يكون خفيا ، وان يخلصوا في الحديث عنه نجيا ، لان الاستفادة منه بجذب القلوب اليهم ، وتسخير الناس لخدمتهم ، ورفعهم لمكانتهم ، انما تكون باظهاره لهم ، ليتعلق الرجاء فيهم . اه ببسط وإيضاح (١)

﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾ الخ

(١) ارجز الاستاذ الامام في تفسير هذه الآيات وما بعدها وبعض ما قبلها لانها كانت دروس آخر السنة ، بل آخر دروس التفسير كما سيأتي

ولذلك يتركون الهدى الى كل مايقرهم عليه رؤساؤهم من البدع والضلالات كما هو مشاهد في جميع الملل والاديان

(الصنف الرابع) من لم يتبع الهدى لانه نشأ على تقليد أهل الضلال ، فلما دعي الى الهدى لم ينظر في دعوة النبي الذي دعي الى دينه ، ولا تأمل في دليله ، لانه صدق الرؤساء الذين قلدهم بأنه ليس أهلا للاستدلال وأن الله حرم عليه وعلى أمثاله النظر في الادلة والبينات ، وفرض عليهم أن يقلدوا أهل الاجتهاد ، ومن ينقل اليهم مذاهبهم من العلماء ، فمن قلد عالما ، لقي الله سالما ، ومن نظر واستدل ، زل وضل ، وهذا ما كان عليه جمهور أهل الكتاب في زمن بعثة نبينا (ص) وكذلك غيرهم من اصحاب الاديان المدونة كالمجوس ، وامثال هؤلاء اذا ترك رؤساؤهم دينهم أو مذهبهم يتبعونهم في الغالب ، ولا سيما اذا دخلوا في مذهب أودين جديد ليس بينهم وبين أهله عداوات دينية ولا سياسية تنفرهم منهم نفيرا طبيعيا ، ولذلك دعا النبي (ص) ملوكهم ورؤساءهم الى الاسلام وكتب لكل رئيس ان عليه اثم قومه أو مرؤوسيه اذا هو تولى عن الايمان ، ولم يجب دعوة الاسلام ،

(الصنف الخامس) كالذي قبله في التقليد لاهل الضلال تعظيما لجمهور قومه ومن نشأ على احترامهم من آبائه وأجداده ، واستبعادا لكونهم كانوا متفقين على اتباع الضلال ، وان يكون هذا الداعي قد عرف الهدى من دونهم ، أو أوحي اليه ولم يوح اليهم ، وهذا ما كانت عليه عامة العرب عند ظهور الاسلام ، والآيات المبينة لحالهم هذه كثيرة ليس هذا محل سردها ، وانما الفرق بينهم وبين مقلدة أهل الكتاب والاديان المدونة ذات الكتب والهيا كل والرؤساء الروحيين ، ان تقليد هؤلاء العرب أضعف ، وجذبهم الى النظر والاستدلال أسهل ، وكذلك كان ، وهو من أسباب ظهور الاسلام فيهم دون سائر الناس

(الصنف السادس) علماء الاديان الجدليون المغرورون بما عندهم من العلم الناقص بها ، الذين دعوا الى الهدى فلم يتولوا عنه اتباعا لرؤساء فوقهم ، ولم ينظروا فيه بالاستقلال والاخلاص ، بل اعرضوا احتقارا له لانه غير ما جروا عليه ووثقوا به ،

فيها فهو نافع لهم ، ولهذا كان غير معقول أن يتركها أحد بعد أن يعرفها وتتبين له وكان إن وقع لا بد له من سبب ، وهو ما اشار اليه القرآن الحكيم في قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) أي لا أحد يرغب عنها الا من احتقر نفسه وازراها بالسفه والجهالة . ونحن نبين اصناف الناس في اتباع الهدى وتركه وسبب ذلك فنقول

(الصنف الاول) من تبين له الهدى بالبرهان الصحيح ، ووصل فيه الى حق اليقين ، وهذا لا يمكن ان يرجع عنه اعتقادا ، ويندر جدا أن يرجع عنه عملا ، وللاستاذ الامام كلمة كبيرة في هذا المقام لا يقولها الا مثله من الاعلام ، وهي « الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس » وهو يعني الرجوع بالعمل اذ الانسان يملك من عمله مالا يملك من اعتقاده فمن كان موقنا بأن المخلوق لا يكون إلها ولا شريكا لله يؤثر في ارادته ويحمله على فعل مالم يكن ليفعله اولاه - لا يستطيع بعد اليقين الحقيقي في ذلك ان يعتقد ان المسيح او غيره ممن عبد ومما عبد من دون الله أو مع الله آلهة او شركاء لله ، ولكنه يستطيع ويدخل في إمكانه ان يدعوها من دون الله او مع الله ، وان يعبدها بغير الدعاء ايضا كالتمسح بها والتعظيم الذي يعده اهلها من شعائر العبادات ، لا من عموم العبادات ، وهو وان كان يستطيع ما اشرنا اليه من عباداتها لا يفعله ، أي لا يرجع عن الحق بالعمل ، الا ان يكون لما أشرنا اليه من السبب ، وسنبينه بعد ،

(الصنف الثاني) من تبين لهم الهدى بالدلائل المعتادة التي يرجح بها بعض الاشياء على بعض بحسب أفهامهم وعقولهم ، لا بالبرهان المنطقي المؤلف من اليقينيات البديهية أو المنتهية اليها ، وهؤلاء لا يرجعون عن الهدى الى الضلال وهم يعلمون أنه الهدى بهذا النوع من العلم الذي اشرنا اليه اذ يكفي أنهم معتقدون به أنهم على الحق والخير والصلاح ، فلا يشاقون من جاءهم بذلك ولا يتبعون غير سبيل أهله الا لسبب يقل وقوعه كما سيأتي .

(الصنف الثالث) من اتبع الهدى تقليداً لمن يثق به من الناس كآبائه وخاصة أهله ورؤساء قومه وهذا لا يدخل فيمن تبين لهم الحق والهدى لانه لم يتبين لهم شيء

الله عليه وسلم فهو الذي يقول الله تعالى فيه ﴿ نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ وهو الذي يصدق عليه قوله تعالى في سورة أخرى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون !) وهم أجدر الناس بدخول جهنم وصليها والاحتراق بها وسائر أنواع عذابها لانهم استحبوا العمى على الهدى ، وعاندوا الحق واتبعوا الهوى ،

وأما سائر الاصناف فيولي الله كلا منهم ما تولى أيضا كما هي سنته في الانسان الذي خلقه مريدا مختارا حاكما على نفسه وعلى الطبيعة المحيطة به بحيث يتصرف فيهما التصرف الذي يراه خيرا له ولذلك غير في أطوار كثيرة أحوال معيشته وأساليب تربيته وسخر قوى الطبيعة العاتية لمنافعه (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) فهو مربي نفسه ومربي الطبيعة التي ألّهها بعض أصنافه جهلا منهم بأنفسهم وهو لا متصرف فوقه في هذه الارض الا رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم. أقول هذا نسفا لأساس جبرية الفلسفة الأوربية الحاضرة بعد نسف أساس جبرية الفلسفة الغابرة ، هؤلاء الذين يظنون أن ما يسمونه الافعال المنعكسة تعمل في الانسان عملها ، وانه لا عمل له بها ، والصواب انه حاكم عليها كحكمها عليه فان ترك لها الحكم استبدت وان أراد أن يتصرف فيه وفيها فعل ،

قلت ان من سنته تعالى في الانسان أن يولي كلا من تلك الاصناف ما تولى ولكنه لا يصلي كلا منهم جهنم التي ساء مصيرها ، لان إصلاء جهنم هو تابع لما يتولاه الانسان من الضلالة في اعتقاده ، وناهيك به إذا تولاها بعد أن ظهرت الهداية له ، وذلك ان الجزاء أثر طبيعي لما تكون عليه النفس في الدنيا من الطهارة والزكاء والكمال بحسب تزكية صاحبها لها أو من ضد ذلك بحسب تدسيته لها ، ويدل على هذا وذاك قوله تعالى « نوله ما تولى »

واني لا أتذكر أنني اطلعت على تفسير واضح لهذه الجملة الحكيمة العالية « نوله ما تولى » وانما يفسرون اللفظ بمدلوله اللغوي كأن يقولوا نوجهه الى حيث

وجعلوه مناط عظمتهم ، وحسبوه منتهى سعادتهم ، وهم في الحقيقة مقلدون كعامتهم ، ولكن عندهم من الصوارف عن قبول الهدى ما ليس عند العامة من معرفة عظمة أسلافهم الذين ينتمون اليهم وما ينسب اليهم من العلم والصلاح والفضائل والكرامات ، ومن الأدلة الجدلية على حقية ما هم عليه ،

(الصنف السابع) الذين بلغتهم دعوة الهدى على غير وجهها الصحيح المحرك للنظر فلم ينظروا فيها ولم يبالوا بها لانهم رأوها بديهية البطلان ، ومن هؤلاء أكثر كفار هذا الزمان الذين لايبلغهم عن الاسلام الا أنه دين من جملة الأديان الكثيرة المخترعة فيه وفي أهله من العيوب والأباطيل ما هو كذا وكذا — كما اخترع وافترى رؤساء النصرانية وغيرهم على الاسلام ولاسيما ما كتبوه قبل تأليب الشعوب الاوربية على الحرب الشهيرة بالصليبية . فهؤلاء لايبحثون عن حقيقة الاسلام كما أن المسلمين لا يبحثون عن دين المورمون مثلا

(الصنف الثامن) من بلغتهم دعوة الهدى على وجهها أو غير وجهها فنظروا فيها بالاخلاص ولم تظهر لهم حقيقتها ولا تبينت لهم هدايتها ، فتركوها وتركوا إعادة النظر فيها

(الصنف التاسع) هم أهل الاستدلال الذين نظروا في الدعوة كمن سبقهم ولا يتركون النظر والاستدلال اذا لم يظهر لهم الحق من أول وهلة بل يعودون اليه ويدأبون طول عمرهم عليه وهم الذين نقل الاستاذ الامام عن محققي الاشاعرة القول بنجاتهم لعذرهم

(الصنف العاشر) من لم تبلغهم دعوة الحق والهدى البتة ، وهم الذين يعبر عنهم بعضهم بأهل الفترة ، ومذهب الاشاعرة انهم معذورون وناجون

هذه هي أصناف الناس في الهدى والضلال ، بحسب ما خطر للفكر القاصر الآن ، ولا يصدق على صنف منها انه تبين له الهدى الا الاول والثاني ، فمن يشاقق الرسول من أفرادهما في حياته ، أو يعادي سنته من بعده ، ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ الذين هم أهل الهدى ، وانما سبيلهم كتاب الله وسنة رسوله صلى

من الضالين الى الهدى لان علمه بحقيقة ما كان عليه ، وبطلان ما صار اليه ، لا يبرح يلومه ويوبخه على ما فعله ، ولا يبعد أن يجيء يوم يكون فيه الفلج له ،

أما السبب الذي يحمل من تبين له الهدى على تركه فهو لا بد أن يكون حالا من الاحوال النفسانية القوية كالحسد والبغي ، وحب الرياسة والكبر ، والشهوة الغالبة على العقل ، والعصبية للجنس . والقول الجامع فيه اتباع هوى النفس ، وقد ثبت أن بعض أحبار اليهود قد تبين لهم صدق دعوة النبي (ص) فتولوا عنها حسدا له وللعرب أن يكون منهم خاتم النبيين ، وايثارا لرياستهم في قومهم ، على أن يكونوا مرءوسين في غيرهم ، وارتداد جبلة بن الايهم عن الاسلام ، لما رأى أنه يساوي بينه وبين من لطمه من السوقة ، وارتد أناس في أزمنة مختلفة عن دينهم لافتتانهم ببعض النساء من الكفار . وعلة ذلك كله أي علة تأثير هذه الاسباب في نفوس بعض الناس هي ضعف النفس ومرض الارادة بجريان صاحبها من أول نشأته على هواه وعدم تربيتها على تحمل ما لا تحب في العاجل لاجل الخير الآجل ، وهذا هو مرادنا من ارجاع جميع الاسباب الى اتباع الهوى وهو ما أشرنا اليه من قبل . وهو يرجع الى ماقلنا من ان الانسان مفطور عليه من ترجيح مايرى انه خير له وأنفع ، وصاحب الهوى المتبع لايتمثل له النفع الآجل ، كما يستحوذ عليه النفع العاجل ، لضعف نفسه ومهانتها وعجزها عن الوقوف في مهب الهوى من غير ان تميل معه . وقد حكي أن الحجاج مد سماطا عاما للناس فجعلوا يأكلون وهو ينظر اليهم ، فرأى فيهم اعرابيا يأكل بشره شديد فلما جاءت الحلوى ترك الطعام ووثب يريدها ، فأمر الحجاج سيافه ان ينادي: من أكل من هذه الحلوى قطعت عنقه بأمر الامير ـ والحجاج يقول ويفعل ـ فصار الاعرابي ينظر الى السياف نظرة والى الحلوى نظرة ـ كأنه يرجح بين حلاوتها ومرارة الموت ولم يلبث أن ظهر له وجه الترجيح ، فالتفت الى الحجاج وقال له « أوصيك باولادي خيرا » وهجم على الحلوى وأنشأ يأكل والحجاج يضحك ، وهو انما أراد اختباره

ومن مباحث الاصول في هذه الآية استدلال بعضهم بها على حجية الاجماع لان مخالفه متبع غير سبيل المؤمنين وعبر بعضهم في بيان حجيته بأنه هو سبيل

توجه ، أو نجعله واليا لما اختار أن يتولاه ، أو يزيدون على ذلك استدلال كل فرقة بالآية على مذهبها أو تحويلها اليه أعني مذاهبهم في الكسب والقدر والجبر ، وتعلق الارادة الالهية أو عدم تعلقها بالشر ، والذي أريد بيانه وتوجيه الاذهان الى فهمه هو ان هذه الجملة مبينة لسنة الله تعالى في عمل الانسان ، ومقدار ما أعطيه من الارادة والاستقلال ، والعمل بالاختيار ، فالوجهة التي يتولاها في حياته ، والغاية التي يقصدها من عمله ، يوليه الله اياها ويوجهه اليها أيُ يكون بحسب سنته تعالى واليا لها ، وسائرا على طريقها ، فلا يجد من القدرة الإلهية مايجبره على ترك ما اختار لنفسه ، ولو شاء تعالى لهدى الناس أجمعين بخلقهم على حالة واحدة في الطاعة كالملائكة ولكنه شاء أن يخلقهم على ما نراهم عليه من تفاوت بالاستعداد والادراك وعمل كل فرد بحسب مايرى انه خير له وأنفع في عاجله أو آجله أو فيهما جميعا الخ مالا محل لشرحه هنا من طبائع البشر

وذهب بعضهم الى أن المراد من تولية الله لمثل هذا ما تولى هو ما يلزمها من عدم العناية والالطاف ، بناء على أن لله تعالى عناية خاصة ببعض عباده وراء ما تقتضيه سننه في الاسباب والمسببات ، وجعل الجزاء في الدنيا والآخرة اثرا طبيعيا للاعمال ، وما في ذلك من النظام والعدل العام ، والظاهر أن المراد بالجملة ما ذكرنا من حقيقة معناها وحاصله أن من كان هذا شأنه فهو الجاني على نفسه لأن من سنة الله أن يكون حيث وضع نفسه واختار لها ، وأن مصيره الى النار وبئس القرار ، نعم إن الله تعالى يختص برحمته من يشاء ويهب للذين أحسنوا الحسنى ويزيدهم من فضله ، ولكن ليس هذا المقام مقام بيان سبب الحرمان من مثل هذا الاختصاص اذ ليس من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مظنة له ، فيصرح بنفيه عنه ، وليت شعري أيقول الذين فسروا التولية بهذ النفي والحرمان من العناية والالطاف : إن هذا الصنف وحده هو المحروم من ذلك أم الحرمان شامل لغيره من اصناف الضالين ؟ وهل يستلزم حرمانه من ذلك اليأس من هدايته ثانية أم لا ؟ لا يمكنهم أن يقولوا في هذا الباب ما تقوم به الحجة ويسلم من الايرادات التي لا تدفع . والصواب أنه لا مانع يمنع من عودة هذا الصنف

تعالى في سورة البقرة (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) لماذا لا نسمع داعي الله الى هذا الحق هذا الاتحاد هذه الرابطة المتينة ؟ أليس لنا قلوب نعقل بها أم على الصدور أقفالها ؟ كلا فمنا العالمون ومنا المحامون ومنا الحكماء والمهندسون وكلنا أحرار . واذا لم نرجع الى الحق في عصر النور والحرية ونفك نفوسنا من قيود التقليد فمتى يا ترى ؟ أنتبع آباءنا ولو كانوا خاطئين ؟ واذا لم نعدل لنفوسنا في ضمائرنا فالى من يا ترى ؟ . وا أسفاه والله وا أسفاه . فاننا اذا نظرنا في شيء واتضح لنا الحق ظاهرا مبينا وكان خلاف ما يتبعه آباؤنا نجد في نفوسنا حرجا وصلابة وجمودا لما ألفينا عليه آباءنا مهما كان باطلا . ألا ترى أن من يعبد العجل يعبده بقلبه لانه وجد أباه له عابدا ؟ والمسلم والنصراني يعلمان انه آثم كافر ويريد كلاهما أن يهديه الى الحق ويود المسيحي أن يكون المسلم نصرانيا كما يرغب المحمدي أن يكون النصراني مسلما ويرى كلاهما انه على الحق وغيره على الباطل . لماذا لماذا لماذا ! لاشك اننا لآبائنا مقلدون ولو كانوا في ضلال مبين . عجباً عجبا ! أين العلوم العصرية ؟ أين النور الساطع ؟ أين الذكاء أين الحرية ؟ ألم تنقشع غيوم الجهالة أفلا تمحي ظلمة التقليد الاعمى ؟ كدنا اليوم نلمس السموات بالاختراعات فلماذا لا نفكر في الاتحاد والسلام ؟ لم لا نسير على طريق البحث لنهتدي الى الحق ؟

أيها القراء اني سرت مستقيما فوصلت الى باب الحقيقة بالبحث والبرهان فمن وجدني زائغاً فليقومني بقلم حاد وله مني مزيد الشكر وله الاجر من الله

ورد في الكتاب المقدس في انجيل متى اصحاح ٥ — (٣٨) سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن (٣٩) وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا . . . (٤٣) سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ٤٤ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)

انظر أيها النصراني الى هذه الوداعة والى هذا الاستسلام المتناهي هل تجد في ذلك تعصبا أو كراهية لاخيك المسلم ؟ كلا . وان الله يعلم ان الناس لا يصلحون بهذا الاستسلام المتناهي وظهرت عليهم آثار علمه بالمخاصمة والشحناء فأمرهم بالحكمة البالغة فقال في القرآن الشريف في سورة الشورى « والذين استجابوا لربهم وأقاموا

المؤمنين وقد علمت أن الاجماع الذي يعنونه هو اتفاق مجتهدي هذه الامة بعد وفاة نبيها في أي عصر على أي أمر . والآية انما نزلت في سبيل المؤمنين في عصره لا بعد عصره . وأتذكر انني بينت عدم اتجاه الاستدلال بالآية على حجية الاجماع في المنار . وكذلك رده الاستاذ الامام ، والامام الشوكاني في ارشاد الفحول . والآية التي تدل على الاجماع الصحيح هي قوله تعالى في هذه السورة (٥٨ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقد تقدم تفسيرها وبحث الاجماع فيها ، وزدته بيانا في المسألة الخامسة من المسائل التي جعلتها متممة لتفسيرها

﴿ الوفاق بين الاسلام والنصرانية ﴾

أرسل الينا صاحب الامضاء هذه الرسالة من بضعة أشهر فحالت كثرة المواد عن نشرها قبل الآن

دعاني حب الانسانية والسلام أن أبذل ما في وسعي للتصافي بين بني الانسان والتآخي بين بني آدم وتطهير قلوبهم من البغضاء والشحناء ونزع التعصب الذميم من بينهم ليعيشوا اخوانا في صفاء ونعيم . ولما كان الاسلام والنصرانية أكثر شيوعاً وأعظم عنصرا في الارض ابدأ في التآلف بينهما وأرجو القراء أن لا يستنكروا كبيرا على انسان ولا يستبعدوا مقدورا على أحد فان الله يهب الفضل لمن يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ويهدي من يشاء ولا حول لنا ولا قوة الا بالله

ولما قامت النصرانية بالكتاب المقدس وقام الاسلام بالقرآن الشريف استهدي كلا بكتابه واستميله بحكمه وألفته الى محكم آياته فان الناس عن كتاب الله لاهون ، وعن العمل بدينهم تائهون ، وانه لا تعصب بين الدينين ، ولا كراهية بين الفريقين الا ما ابتدعته سلطة الفرد من التنافر والدين نفسه منه بريء . قرأت التوراة والانجيل والقرآن فلم أجد فيها كرها ولا بغضا بل اتحادا وارتباطا (وما أشقى الانسان الا الانسان) فكلنا خلق الله نعبد الله ولا تخالف الامن سوء التفاهم بيننا فهلموا نعقد الاجتماعات ونتفاهم كتاب الله أولى من المراقص والملاهي . وكل فرد منا يمكنه أن يقرأه حتى اذا تدبره لابد وأن ينزع من نفسه كل تعصب منكر وان قلبي ليرتعش طرباً وسروراً وفؤادي ينتعش حناناً واشفاقا لما سأدوله محقق لكل عالم حليم حكيم وهو :

ان الكتاب المقدس يأمر المسيحي أن يكون نصرانياً مسلما والقرآن الشريف يأمر المحمدي أن يكون مسلما نصرانيا نعم نعم بينهما حب وسلام ، وائتلاف ووئام ،

كبيرة) فمحمد عليه الصلاة والسلام هو ابن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم

وورد في التثنيه اصحاح ١٨ (١٨ اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي ٢١ وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب ٢٢ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) فمحمد هو النبي الذي مثل موسى أتى بكتاب من كل الوجوه ولم يقم مثله من بعده غيره . انظر الى التخصيص في قوله «بين اخوته» اي بني اسماعيل جد محمد وقد دلنا على كيفية التمييز بين النبي الكاذب والصادق ونعلم ان محمداً صدق في كل ماأخبر به من الغيب وقوم الله طريقته وساعده ونشر دينه ولم يكذب قط ولو كان كاذباً لاهلكه الله . وكما ورد في التثنية ورد في القرآن الشريف في هذا المعنى « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين »

واقرأ قول داود مزمور ٤٥ (فاض قلبي بكلام صالح متكلم انا بانشائي للملك ، لساني قلم كاتب ماهر انت ابرع جمالا من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله الى الابد ، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك) وذلك لاينطبق على عيسى لانه لم يتقلد سيفا بل على محمد تماما .

واقرأ اشعياء اصحاح ٤٢ (١ هو ذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لايصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفيء الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ٦ انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونورا للامم ٧ لتفتح عيون العمي فتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن المساجين في الظلمة ٨ انا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قد اتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت اعلمكم بها ١٠ غنوا الرب اغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض ايها المنحدرون في البحر وملؤه الجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب مجدا ويخبروا

الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » أمر بالشورى وأمر بالقصاص اذا كان لمصلحة واستحسن الصبر والغفران، أليست هذه الآيات القصيرة كافية وحدها الان تكون توراة وانجيلا وقرآنا ؟ لو عمل الناس بها لعاشوا في هناء وسرور . فيا أيها النصراني أحب عدوك وبالاولى المسلم ابن عمك ويا أيها المسلم عليك بالصبر والغفران

ورد في الكتاب المقدس في انجيل يوحنا اصحاح ١٧ (٣ وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فما هو السبب الذي يدعوك أيها النصراني أن تخاصم المسلم وهو يؤمن بأن الله واحد وان السيد المسيح عليه الصلاة والسلام رسوله كما ورد في القرآن الشريف « انما إلهكم إله واحد » أيها المسلم اقتد بما قاله تعالى «ألم . غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » فافرح بما يكون لاخيك النصراني من النصر المبين على الكافرين وكن معه على اتحاد ووفاق . أغير ذلك دلائل على وجوب التصافي والتضامن بين الفريقين ونزع البغضاء من الطرفين ؟ نعم يوجد أكثر من ذلك اقرأ رسالة يوحنا الاولى اصحاح ٢ (١يا أولادي ! أكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ٢ وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا) فهو يقول ان المسيح يشفع ليس للنصراني فقط بل للمسلم بل لكل العالم أيضا . فعلام أيها المسيحي تبغض أخاك المسلم الذي آمن بالتوراة والانجيل وآمن بالمسيح وانه كلمة الرب . هل لانه آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وانه ليؤمن به بحق كما بشر به ابراهيم وموسى وداود وأشعيا وعيسى نفسه في الكتاب المقدس عليهم صلوات الله أجمعين

اقرأ الكتاب المقدس بتدبر واعتدال واذا وسوس اليك الجحود فاقطعه بسيف الحق وحرر نفسك من رق التقليد واذا أردت الاختصار فاني أورد لك بعض البشارات الصريحة . منها ماورد في التكوين ص ١٧ (٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وا كثره كثيرا جداً اثني عشر رئيسا يلد واجعله أمة

اللهِ أي الشريعة المطهرة وتعمل بها الآن فاترك للأذكياء ذوي العدل (الحكم) بأنها
آية محمد أم لا . وأما ماورد عن المسيح عليه السلام في الآية السابقة وهي قوله —
وكما كان في أيام نوح الى وقت دخوله الفلك كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الانسان
(المسيح) فانه يشيرالى أيام شريعته بأنها ٦٠٠ سنة لان نوحا دخل الفلك بعد ٦٠٠
سنة كما ورد في التكوين ص ٦ (٦ ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء
على الارض) . فمتى أثبتنا إن ظهور شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كان بعد شريعة
المسيح عليه السلام بمقدار ٦٠٠ سنة كان قول المسيح عيسى بن مريم حقا وذلك
لا يحتاج الى أدنى شك فبتطبيق التاريخ الميلادي على التاريخ الهجري يتضح أن ابتداء
الوحي ونزول الشريعة على محمد كان سنة ٦١٠ ميلادية وان ابتداء شريعة المسيح كان
بعد ٣٠ سنة من ميلاده كما في انجيل لوقا ص ٣ (٢٣ ولما ابتدأ يسوع كان له نحو
ثلاثين سنة) فتكون المدة بين الشريعتين هي ٥٨٠ سنة افرنكية تساوي ٦٠٠
سنة قمرية وذلك من أعجب العجب لان سني نوح كانت قمرية . فيا إلهي رحماك ! اللهم
رحماك بعبيدك بني الانسان كافة ، واهدهم صراطك المستقيم الحق ، واجعلنا اللهم مصدقين
لما قاله عيسى عليه السلام بأن ظهور شريعة محمد يكون بعد ستمائة سنة نعم ستمائة سنة

انك يارب هديت بني الانسان ، بعبدك ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام كما
قلت « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فكيف أشكرك ياالهي وكيف أشكرك ياأيها
المسيح عيسى على قولك الحق : ستمائة سنة

واذا لم يكفنا هذا الدليل الكتابي فامامنا الدليل العقلي والتاريخ أيضاً وهو اننا
جميعا بني الانسان على وجه الأرض في زماننا سنة ١٩١١ (مسيحية) كثير منا يتصفح
التوراة والانجيل والقرآن وسمعنا بالتواتر عن موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم
أجمعين ولكننا ولكننا مارأينا واحداً منهم بل سمعنا وقرأنا فقط انهم أتوا
بالكتب والمعجزات وكان كل منهم يقول : اعبدوا الله وأطيعوه . فهم في نظر الحق
سواء ولا يصح بأي وجه ان نصدق بواحد أو اثنين ونكذب الآخر ، وحيث اننا
صدقنا موسى وعيسى بمجرد كتابيهما وما سمعناه عن معجزاتهما فيلزمنا حتما ان نصدق
محمدا لانه جاء بكتاب وأظهر معجزات فهو معهما بالحجة سواء

هل هذا يكفيك أيها النصراني لأن تمد يدك الى أخيك المسلم وتصافحه على
الاتحاد والحب والارتباط بينكما فاذا لم يكفك ذلك فاقرأ الانجيل المقدس الاصحاح ١٤
من انجيل يوحنا (٣٠ لا أتكلم معكم كثيرا لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ

بتسبيحه في الجزائر ... ٢٢ لكنه شعب منهوب ومسلوب ...) تظن ياحبيبي النصراني ان كل هذا الاصحاح خاص بعيسى عليه السلام بما ورد في انجيل متى اصحاح ١٢ (هوذا فتاي) يقول فتاي ونرجع الى الاصل نجد هوذا عبدي وعندك ان عيسى ليس عبداً لله وأما محمد فهو عبدالله لم يكل ولم ينكسر ومات على فراشه محفوفا بآله واصحابه وأما عيسى عليه السلام فتعتقد أنه صلب ، تذكر ماورد في انجيل مرقص اصحاح ١٥ (٢٥ وكانت الساعة الثالثة فصلبوه) اما محمد فقد حفظه الله وكان يوحد الله وكسر الاصنام وهو ابن قيدار بن اسماعيل وان سالع من بلاد العرب ، وتأمل في كيفية الحج فان الناس من كل فج يفدون من الجزائر والبحر وملئه ومن اقصى الارض ينحدرون الى جبال عرفات ويغنون بتسبيحة جديدة قائلين الله اكبر لبيك اللهم لبيك ألوفا ألوفا وترفع البرية صوتها في البلاد التي سكنها قيدار جد محمد وتترنم سكان سالع. فهيئة الحج منطبقة تمام الانطباق على هذا الاصحاح في آيات ٨ و ٩ و ١١ وآية ٢٢ تدل على العرب وهم شعب محمد فانهم كانوا قبله شعبا منهوبا ومسلوبا

وإذا لم تكتف ياسيدي بالعهد القديم (التوراة والزبور) فهاهو العهد الجديد (الانجيل) أصرح بيانا وأوضح عبارة وأعظم دلالة على محمد صلى الله عليه وسلم. اني ألفتك أولا الى أول انجيل يوحنا من آية ١٩ الى آية ٢٥ (فسألوه وقالوا فمابالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي) ثم تذكر ما في ص ٦ آية ١٤ (هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم) ثم تدبر ما في ص ٨ آية ٤٠ (فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي (٤١) آخرون قالوا هذا هو المسيح) فهذه الآيات تقول لنا بوضوح وبدون أدنى شك ولا تأويل ان الناس كانوا ينتظرون ايليا والمسيح والنبي وحيث انه من ذلك الحين لم يظهر الا ايليا والمسيح لغاية ٦٠٠ ميلادية وكان من الضروري أن يأتي النبي المنتظر فلا شك أن يكون هو محمداً عليه الصلاة والسلام وقد أثبت ذلك الانجيل نفسه . قال لوقا ص ١٧ (٢٠ ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله؟ أجابهم وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة . . . (٢٦) وكما كان في أيام نوح كذلك يكون في أيام ابن الانسان (٢٧) كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون الى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع) فملكوت الله هو الشريعة أي طريقة النجاة بدليل انجيل متى ص ٢١ (٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره) فكأنه قال ان الشريعة المطهرة تنزع منكم وتعطى لامة غيركم تعمل بها . أما الامة التي أعطيت ملكوت

قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وان هذا المختصر لبرهان كاف ودليل واضح وبيان صحيح على ان محمدا رسول الله وجزى الله بوحنا خيرا لانه لم يلبس بمحمد شيئا وقد ازال عنا الشكوك والاوهام بأفصح كلام

فياأيها المسلم اعلم وتحقق ان أقرب الناس حبا اليك هو النصراني كما أراك الله ذلك بقوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون * واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » فأقرب الناس مودة وحبا للمسلمين هم النصارى لان منهم قسيسين ورهبانا يعلمون من التوراة والانجيل جميع البشارات التي تدل على محمد رسول الله فاذا سمعوا القرآن تفيض أعينهم دمعا ويخشون اظهار ايمانهم به ويقولون في نفوسهم ربنا آمنا . نعم تفيض اعينهم لانهم علموا انه نبي مثل موسى نعم تفيض اعينهم لانهم تأكدوا انه ابرع جمالا من بني البشر وانسكبت النعمة على شفتيه نعم تفيض اعينهم من الدمع لانهم تحققوا ان محمداً هو عبدالله ابن قيدار ابن اسماعيل بن ابراهيم نعم تفيض اعينهم دمعا لانهم كانوا يطلبون من الله مجيء شريعته في صلواتهم في كل حين قائلين (ليأت ملكوتك) نعم أعينهم تفيض من الدمع لعلمهم انه رئيس هذا العالم وانه المعزي روح الحق وهم يريدون الحق

فياأيها المسلم والنصراني تصافحا وتعانقا وانزعا من نفوسكما جهالة التعصب الاعمى لان الدين يأمر بالوفاق والاخاء فتصالحا ولا تفرقا يحكم الله　　عبد الحميد شكري

﴿ الاجتهاد والتقليد ﴾

(هذه هي النبذة التي وعدنا بها في جزء سابق التي نلقناها من شرح الاحياء)

« ان رعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل اليهم أن النظر في مسائل الشرع قد انسدت طرقه ، وعميت مسائله (١) وان الغاية القصوى عندهم ان يسئل واحد منهم عن مسألة فيقول : فيها وجهان أو قولان ، وقال الشافعي في القديم كذا وفي الجديد كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ومالك كذا ، ويرى انه علم قد ابرزه . وتراهم أبدا يقدحون في المجتهدين ، ويجادلون الطالبين ، ويحثون على تحصيل الام للشافعي ،

(١) لعلها مسالكه

شيء) اليس رئيس هذا العالم هو محمد رسول الله؟ افلا يثبت ذلك ما ورد في ص١٦ (٧ لكني أقول لكم الحق انه خير لكم ان أنطلق . لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ، ولكن ان ذهبت ارسله إليكم ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ٩ واما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي ١٠ واما على بر فلأني ذاهب الى ابي ولا تروني ايضاً ١١ واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ١٢ ان لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لاتستطيعون ان تحتملوا الآن ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم ١٥ كل ما للآب هو لي لذلك قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم)

ان الرئيس الذي أتى الى العالم بعد المسيح عليه الصلاة والسلام هو لاشك محمد رسول الله وانه هو هو المعزي هو روح الحق نعم هو محمد عليه الصلاة والسلام لان لفظ المعزي معربة عن اللفظ اليوناني الاصلي (بيركلوطوس) الذي معناه محمدا أو احمد وانما كان اللفظ هو (باركليطوس) على زعم بعضهم فمعناه يكون المعزى او المعين أو الوكيل وعلى كلا اللفظين فالمعنى ينطبق تماما على محمد رسول الله وان روح الحق هذا الاسم العظيم الذي يليق بهذا الرئيس جدير أن يطلق على محمد سيد بني آدم ، ثم تأمل انه حقيقة الرئيس فان المسيح عليه السلام فضله على الجميع لعلمه ان الله آتاه الكمال الاعظم ولذلك قال - لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي - فيكون بانطلاقه خير عظيم ليأتي محمد المعزي الرئيس الاكبر واكدذلك بقوله ان لديه أموراً كثيرة لا يستطيعون ان يحتملوها الآن واما متى جاء محمد روح الحق ورحمة العالمين فهو يرشدهم الى جميع الحق باحكام القرآن الشريف وانه لا ينطق من عنده بل بكل مايسمع كما ورد في القرآن الشريف « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » ويخبركم بالغيب وذلك كثير وانه بكت العلم الذين لم يؤمنوا بالمسيح ولام من عاب أمه مريم وشهد له بالبر وبكل كمال وعززه ووقره ومجده تمجيدا فنفى عنه القتل والصلب كما قال - يأخذ مما هو لي ويخبركم وكل ذلك في القرآن الشريف في قوله تعالى « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ماهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به

ذكرناه لفقهه لا لحكمه . فيكونون ملتبسين بهذا الاطلاق مع اني رأيت بعضهم اذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي .

(الثانية) العمل بالأرجح فالارجح من الاقوال ، فنقول الترجيح طرف من أطراف الاجتهاد فلاحظ لك فيه لانك اعترفت انك من جملة العوام المقلدين، وترجيح أحد القولين على الآخر ان كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك ولا يمكنك نقل الترجيح الى الشافعي فلزم الثاني فانت اذاً تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي ، ولعل الامام ترجح عنده القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه انت ، ولعله لا يدري ما ذكرته مرجحا ، فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها ، فانهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الاصحاب وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب .

ثم ان قولهم ترجيح احد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ فان الترجيح لا يتصور في المذاهب بوجه من الوجوه فان كون هذا حراماً ومباحا فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في الاحكام بوجه من الوجوه وانما يكون الترجيح بزيادة في احد الامرين لم يوجد في الثاني وهذا انما يتصور في الأدلة بان يختص احدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه ولم توجد الأخرة فان أرادوا هذا المعنى فقد اصابوا في المراد وأخطأوا في الاطلاق . واذا آل الامر الى الترجيح في الأدلة فلا بد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه واوصافه ، و بعد هذا يتحقق عنده مقابل الأدلة ، والا كيف يتصور ممن لا يعرف الأدلة وشروطها ان يكون بحكم مقابلها ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض . وانتم قد حكمتم على انفسكم بالعجز عن استخراج الأدلة واذا فقد معرفة الأدلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح

ثم ان المسألة اذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كأن لم يكن للمنقول فيها عنه قول أصلا ،

ولباب المحاملي ، أو غير ذلك من الكتب المبسوطة . حتى اذا وقعت واقعة كشف الكتاب فان رأى المسألة مسطورة حكم بها وان رأى مسألة أخرى فزعم انها تشابهها حكم بحكم تلك المسألة فهم حشوية الفروع كما ان المشبهة حشوية الاصول والعجب انهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفون القصور الى من سبق من الائمة ويقول بعضهم : ما بقي بعد الشافعي مجتهد ويقول (آخر) ما بقي بعد ابن شريح مجتهد . فانظروا الى قدح هؤلاء في الائمة المبرزين ، وانهم كانوا يقدمون على مالا يعلمون ، فان الائمة مازالوا في جميع الاقطار يراجعون في الفتاوى ، ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم ، كالمعروفين بنشر مذهب الشافعي كأبي اسحق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون ، وكذلك أئمة خراسان كامام الحرمين وأشياخه وتلاميذه كأبي حامد الغزالي والكياء والخوافي وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيي ومن كان في درجته من أصحاب الغزالي وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الارض مع صريح من فقه الشافعي . ومن تأمل فتاويهم رأى ما ذكرناه وكذلك الائمة المشهورون في مذهب مالك وأبي حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون في جميع الاقطار والمناكرة في ذلك مكابرة (ثم قال)

« واعلم انه لا يجوز الكلام في أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأي بل لا بد من طريق نصبها الشارع وللشارع طريقان نصبهما : طريق في حق المجتهد ، وطريق في حق العامي المقلد ، وطريق المجتهد النظر في الادلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها الى أحكام الله تعالى كما كان دأب الصحابة والتابعين ، وطريق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان في زمن الصحابة والتابعين ، وهذان متفقان على نصبهما

ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لا بد من معرفتها

(الاولى) اذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة ، تعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض ؟ فان قالوا نعمل بكل قول سقطت مقالتهم فان الفعل الواحد كيف يكون حلالا حراما في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة الى شخص واحد فهذا مما لا يمكن أن يقال به فان قالوا نعمل بالمتأخر دون المتقدم فنقول ما بالكم تنقلون المتقدم ، وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي ، وتعتمدون عليه وهذا لا يجوز أن يفعل على هذا الوجه بل ينبغي اذا نقلتموه لمن سألكم أن تقولوا : هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه وانما

البعض ولايكون عالما بالبعض فليس من شرط المجتهد ان يكون مجيبا عن كل يسأل عنه ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل فلايجوز لاحد أن يفتي في مسألة من المسائل الا اذا كان محيطا بأدلتها ومالا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى بعد هذه الحالة الا تحصيل الادلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص اواقيسة فاذا اطلع على دليل مسألة كان من أهل الفتيا في تلك المسألة ولا يضر كونه غير مطلع على دليل المسألة الاخرى

(ثم قال) واعلم ان الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الاحكام الشرعية مما هوعارف سلوك طرقها وله شروط وهي قسمان قسم في المنظور فيه وقسم في الناظر ، أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع فان محال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لايسوغ خلافها ، وأما الناظر فيشترط فيه أمران احداهما ان يكون عارفا بقوانين الادلة وشروطها وكيفية استخراجها ، والثاني أن يكون متمكنا من استخراج الدليل خاصا في المسألة التي يجتهد فيها ، ثم أطال الكلام في ذلك . اه

اللغة العربية (*)

﴿ من هم الاصليون في الجزيرة العربية ﴾

(القحطانيون (١) أم العاديون (٢))

هذه المسألة على ما يخيل لي من المسائل الصعبة التي لم يتصد لها أحد بعد فيما أعلم يرفع عنها الخفاء أو ليقطع فيها الالتباس وكأني بالشائع المتعارف ان العاديين والعمالقة

*) تابع لما نشر في الجزء السابق وهو خطاب للاستاذ جبر افندي ضومط

(١) أعني بالقحطانيين هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها

(٢) وأعني بالعاديين الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم عاد

وتعين عليه ان يراجع المنقول عنه ان امكن او تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه ، والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن ابي حنيفة والشافعي كثيرة وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم ، واختلت مناصبكم ، ونسبتم الى قلة العلم

فان قيل كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وانتم لستم باهل الاجتهاد باعترافكم قالوا نقيسها على مسألة مسطورة وربما تحدث فيحدث ويقول اصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسألة . فيقال لهم أتردّون الحكم الى اجتهادكم او الى اجتهاد الشافعي ؟ الاوّل لا تعترفون به ، واما الثاني فيقال عليه : قد افتريتم على الشافعي فانه لم يتكلم في هذه المسألة فكيف يحل لكم ان تنسبوا اليه ما لم يقل ؟ فان قالوا: نعني بكونها منسوبة اليه انها مقاسة على ما نص عليه . فاعلم ان في هذا الاطلاق تدليسا فانه يفهم منه حكم الشافعي وقد علمتم ان سائلكم انما سأل عما ذكره الإمام الشافعي فيحق لكم ان لا تطلقوا النسبة اليه، وايضا قولكم هذا ان كان عن اجتهاد فلا يمكنكم او عن تقليد فلا يمكن ايضا لانه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي او بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده

(ثم قال) اعلم ان الاجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة فان الاجتهاد في المسائل القياسية غير الاجتهاد في المسائل التي مستندها الفاظ الشارع ، وغير الاجتهاد في المسائل التي مستندها أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وكل نوع من هذه الأنواع يمكن العلم به مع عدم العلم بغيره فيمكن أن يكون الواحد ماهرا في القياس وشروطه ومراتبه وموارده ولا يكون عالما بتفاصيل الاخبار ولا مطلعا على صحيحها وفاسدها والعكس ، هذا بالنظر الى جملة الانواع وكل نوع مشتمل على صور ايضا فان القياس يستعمل في مسائل متعددة في البيوع والنكاح والقصاص فيمكن ان يكون الواحد منا مطلعا على مسائل النكاح عالما باقيستها معتنيا فيها ، ولا يكون مطلعا على مسائل البيع فليس الاجتهاد خطة واحدة لا تقدر أنواعه ، ولا تتكثر مسائله ، فعند هذا يمكن ان يكون الواحد مجتهدا في بعض المسائل مجيبا

عصبيتهم مع لسان العاديين وعصبيتهم أمراً واحداً . أقول هذا وأنا أرجح ما قلته
ولا أي ان العدنانيين (معظمهم ان لم يكن كلهم) عاديون (١) داراً ولساناً . واقامة
الدليل على ذلك خارج عن موضوعي ولعلي أعود اليه في فرصة أخرى

﴿ بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب ﴾
(وأن قرارة دارهم اليمن)

قلت ان المسألة صعبة الحل لما في الاخبار المنقولة الينا من التشويش والتضارب
وكان يمكنني أن أضرب عنها صفحاً الا أني لا أرى هيئة من أهل العلم والادب أرقى
من الهيئة التي أمامي الآن تستطيع أن تتبعني في هذه المزالق التاريخية ولذلك لا أرى
بداً من الاشارة الى البراهين التي حملتني على ترجيح ما قلت أي ان القحطانيين هم
أصليون في جزيرة العرب وقراراتهم منها اليمن وهم سابقون فيها على العاديين . وبيانه

(أولا) انه لا خلاف أصلاً بين العدنانيين والقحطانيين لا في تاريخ ولا في تقليد
أن القحطانية هي العريقة بسكنى اليمن وانها هي التي بقيت في البلاد بعد انقراض الدولة
العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالعرب البائدة بعد
ما نقلوا عنهم ما نقلوه من الغنى والقوة وضخامة الملك . ولو كانوا عريقين في البلاد
كالقحطانيين ولهم مثل ما لهم من العدد والتأصل في السكنى لكان يستحيل انقراضهم
حتى لا يبقى من يشار اليه منهم فالاقرب الى المعقول إذن ان المعنى بانقراضهم انقراض
دولتهم . ولما انقرضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهر بعدهم بالضرورة
سكان البلاد الذين كانوا خضعوا لدولتهم وظهورهم معناه خروجهم من ربقة العاديين
استرداد استقلالهم أولا ثم منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها الى ان
تم لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملةً . وهذا معنى انقراضهم

(ثانياً) كانت عاد في هذا الرمل من الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت
فكيف يعقل انهم انقرضوا ولغتهم باقية في هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف

(١) من أكبر الفروع العدنانية قيس عيلان . وقيل في عيلان هذا انه عبد لقيس وقيل فرس
له ولكنني ارجح ان عيلان تحريف عيلام . وعيلام بلاد شرقي راس خليج فارس وهي خوزستان
او قسم من خوزستان . وخوزستان تركيب فارسي يعني به بلاد خوز . وخوز وكوش احدهما محرف
من الآخر . وكوش وقيس كذلك في الارجح . وعليه فقيس عيلان تعني به كوش عيلام اي
اضيفوا الى المكان الذي جاؤا منه وهو ليس ببعيد

وغيرهن من القبائل العادية هم الاصليون وان القحطانيين تغلبوا عليهم وحلوا محلهم فانقرض هؤلاء وبقي أولئك . والذي أراه ان القحطانيين هم قرارة سكان العربية والاصليون في اليمن وجباله وما يليها من المواطن كحضرموت ونجد وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن . وان العاديين جاءوا اليها متأخرين ومع الايام وبالاستيلاء على طريق التجارة تقووا شيئاً فشيئا الى أن دانت لهم العربية كلها واخضعوا القحطانية لسلطتهم واستمروا على ذلك زمانا الى أن أصابت احدى دولهم جائحة سماوية في الراجح فذلوا وقامت القحطانية تطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة العاديين عنها فتم لها ذلك . وما زال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن الى زمن الى أن قام الفرع الحميري الظفاري فتغلب على البلاد واشتدت وطأته على أهل مأرب فارتحلوا في البلاد فنهم من قصد نجران ومنهم من أمّ عمان ومنهم من استمرت به رحلته حتى بلغ العراق وهم لخم وغسان . وأذلوا من بقي في البلاد من العاديين وأشياعهم من العدنانيين في الحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين ذلا شديداً فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والعدنانيين حتى ضرب بها المثل واستمر ذلك فيهم الى أن ظهر الإسلام فأخمد ظهوره شيئا من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في نفوسهم وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على ان تلك العداوة لم تلبث ان عادت الى شدتها في أيام المروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث انتقلوا . وبلغ من حدتها في الجيل الرابع للهجرة المبلغ الذي وصفه أبو الطيب المتنبي في احدى كافورياته حيث يقول في شبيب الخارجي وكان خرج فيمن تبعه من قيس على كافور وحاصر دمشق وكاد يفتحها عنوة

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

والذى يظهر لي أيضا ان العدنانيين الذين بقيت فيهم اللغة العربية كانوا من العاديين (الا من انضم اليهم بأخرة من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل) ولذلك أذلتهم القحطانية وناصبتهم العداء من حين ظهرت على العاديين أسلافهم في أوائل المسيحية ولم تأل جهداً عن اذلالهم والتحكم فيهم الى أن عادت لهم الدولة بواسطة قريش وبفضل الاسلام

فان لم يكونوا أي العدنانيين من العاديين والعمالقة في النسب فلا أقل من انهم كانوا حلفاءهم ينقلون لهم تجارتهم وبقوا على ذلك أحقابا متطاولة جعلت لسانهم

اخوانهم من العمالقة وطسم وجديس وجاسم ارض البحرين وعمان ونجد والحجاز الى تيماء . ولم يلبثوا مدة بعد دخولهم حتى صار لهم الغلب على كل الجزيرة وشادوا لهم دولة من اعظم واقوى الدول التي قامت في تلك البلاد ومن ثم غزوا (١) الشام ومصر والهند والعراق وما زال الملك فيهم الى ان ضعفوا في اواخر دولتهم الثانية فغلبهم على الملك يعرب بن قحطان وازال سلطتهم عن اليمن

﴿ نتيجة ما ذكرناه ﴾

ان المتدبر ما مرّ بنا « ان مهد السامية هو جزيرة العرب وأن القحطانيين هم الاصليون في البلاد وقرارتهم اليمن وان العاديين قدموا عليهم من ارض بابل » يحكم على ما ارجح ان القحطانية الاولى انشعبت الى فرعين فرع بقي في شبه جزيرة العرب وفرع ذهب شمالا الى العراق واستعمر بابل وهناك تأثل هذا الفرع وما زال اهله حتى زاحمهم النماردة ابناء كوش (٢) فخرج من هناك اشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح وراسن بين نينوى وكالح على ما جاء في التاريخ المقدس الاصحاح العاشر من سفر التكوين . وخرج ايضاً عاد وعماليق وقبائلهما فعادوا الى العربية بعد زمن طويل ونزلوا بين اظهر القحطانيين وكان قد تحيز لسانهم واستقل كما تحيزت قبائلهم واستقلت عن غيرها ايضاً

والارجح ان الذين رحلوا الى نينوى وكالح كانوا من الحضر اهل المدن والقرى بدليل انهم بنوا المدن حالا واما الذين رحلوا الى الجنوب فكان اكثرهم اهل ظعن وخيام . وعبارة العلامة ابن خلدون واضحة في ذلك فانه ذكر أنهم لما زاحمهم بنو حام انتقلوا الى جزيرة العرب وسكنوها بادية مخيمين . ويقوي ذلك ما هو متواتر مشهور من سكنى العاديين رمال الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت والشحر . وسكنى بديل وراحل وغفار من العمالقة بنجد وبنو الارقم منهم بالحجاز الى تيماء . وكل هذه البلاد من منازل اهل البادية والغالب على اكثر اهلها الترحل والانتقال كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة

---

(١) لا يبعد ان يكون غزوهم الهند غزو تجارة ومهاجرة اكثر منه غزو قهر وتغلب

(٢) كانت البلاد تسمى باسم الشخص او الشخص يسمى باسم البلاد وعليه فكوش هذا اما تسمى باسم البلاد كوش أو البلاد تسمت به فيكون اصل النماردة من كوش أو خوز وتعرف اليوم بالاهواز أو خوزستان وهي بلاد عيلام القديمة أيضاً

ينقرض أهل اللغة وتبقى اللغة نفسها ؟ ان هذا لغريب واغرب منه ان يكون العاديون الذين انقرضوا هم أهل البلاد الاصليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد فاتحين ولهم لغة خاصة بهم ثم بعد ان استمر ملكهم ولغتهم مئات سنين عدنا فرأينا في آخرها أن لغة البلاد حينئذ كانت لغة العاديين الذين انقرضوا لا القحطانيين الذين بقوا

(ثالثاً) يكاد يكون كالمجمع عليه ان اليمن دار القحطانية واليك مانقل في ذلك. قال الامام العلامة الطبري : وولد لعابر ابنان احدهما فالغ ومعناه بالعربية قاسم وانما سمي بذلك لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه وسمي الآخر قحطان فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالخ فنزلا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن (جزء أول طبع ليبسك وجه ٢١٧) وقال ايضا وجه ٢٢٢ ولحقت بنو قحطان ابن عابر باليمن فسميت اليمن حيث تيامنوا اليها

وقال ابن خلدون: فاما عاد فكانت مواطنهم الاولى باحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت . ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . (قال) وكان ابوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده - وعاش الف سنة ومئتي سنة - وذكر المسعودي ان الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق (الجزء الثاني طبعة بولاق وجه ١٩) . وقال ايضاً وجه ٢٠ ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال الف سنة او يزيد . ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا

وقال ايضاً (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال كانت مواطن العمالقة تهامة من ارض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق امام النماردة من بني حام وجه ٢٧ وقال أيضاً واما (جرهم) فقال ابن سعيد انهم امتان امة على عهد عاد وامة من ولد جرهم ابن قحطان ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك اخوه جرهم الحجاز — وجه ٣١

وظاهر من هذه النقول وغيرها ان القحطانيين اصليون في الجزيرة وقرارتهم منها اليمن واما العاديون واخوانهم العمالقة فجاءوا على اثر مضايقة الملوك النماردة لهم. فنزل العاديون احقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر ونزل بقية

العربية المحضة ونبذ من كلام حمير — شبام أقيان والمصانع وتخلى حميرية محضة والنفيس في هذه القطعة لهذا العلامة انه فرق بين الحميرية والعربيـة . وسمى البلدان التي كان يُتكلم فيها بالعربية أو بالحميرية الى أيامه . وأنفس منه انه بين الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية فقال في بعضهم أنهم فصحاء وفي آخرين انهم أفصح وفي آخرين ان لغتهم متوسطة أو خليطي كما بين الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية فقال عن بعضهم أنهم غتم وعن آخرين ان لغتهم حميرية محضة وعن آخرين انها حميرية متعقدة وعن آخرين انها داخلة في الحميرية المتعقدة أو فيها عسرة من اللسان الحميري

ثم اليك ما قاله في لغات أهـل حضرموت وسبأ قال ما نصه بالحرف الواحد : حضرموت ليسوا بفصحاء وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . سرومذحج (١) ومأرب وبيحان وحريب (وهي من بلاد سبأ) فصحاء ورديء اللغة منهم قليل . سكن الجوف (٢) فصحاء الا من خلطهم من جيرة لهم تهاميين . ثم الفصاحـة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران الى يام فارض سنحان فارض نهد . اه همداني وجه ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

يظهر من شهادة هذا العلامة ان أهل مأرب والجوف ونجران وهيَ البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئة والمعينية كانوا في أيامه أفصح من الكنديين قبيلة امرئ القيس وقبيلة المتنبي أشهر شاعرين قبل الاسـلام وبعده . وكذلك كانوا في صدر الاسـلام . فان مذحج وبني مرة وطيّ والاشعريين أبناء عريب بن زيد ابن كهلان بن سبا والهمدانيين أبناء مالك بن زيد بن كهلان بن سبا كلهم كانوا من فصحاء أهل العربية العدنانية المضرية في صدر الاسلام وقبله ومع انهم كانوا يدعون انهم هم والحميريين أبناء عم « لان كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ » لم يكن في لسانهم شيء من الحميرية بل كانوا في فصاحتهم العربية كفصاحـة قبيلة امرئ القيس المشهور ان لم يكونوا أفصح منهم . واذا نظرنا اليهم أي الكهلانيين من وُلد سبأ وممن كان منهم يسكن مأرب والجوف في الجيل الاول للمسيح أو فى بدأ الجيل الثاني رأيناهم أيضا غالبا يتكلمون بهذا اللسان العربي . وبيانه ان الأزد من ولد كهلان وكانوا في مأرب

(١) وفي الصحاح مذحج مثال مسجد أبو قبيلة من العرب وهو مذحج بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (٢) فمن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فمخرجه الى ... همداني وجه ٨٤

واری اني وصلت على غير قصد مني الى التقليد المشهور الذي يجعل السريانية اقدم من العربية لاننا رأينا الدليل التاريخي في جانب ان القحطانية متقدمة على العادية وسابقتها في الزمان . والقحطانية كما بينا من نص المؤرخين هي السريانية كما ان العادية هي العربية

﴿ تجريح ما قاله العلامة نولدكي ﴾

لنرجع الآن الى ما قاله العلامة نولدكي في شأن لغة سبأ . قال هذا العلامة ما يؤخذ منه أن اللغة السبئية هي قسيمة اللغة العربية وأخت لها انشعبتا من الفرع الجنوبي ونسبتها الى العربية كنسبة الحبشية اليها أي الى العربية . وأنا أقول ان كان يقصد بالسبئية الحميرية فبه لكن تكون السبئية والحبشية شعبتين من القحطانية أو السريانية لان القحطانية والسريانية كما بينا بالنص التاريخي هما لغة واحدة أو هما شعبتان من جذم واحد هو القحطانية القديمة . وان كان يريد أن السبئية هي لغة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان وانها كانت أيضا لغة بلاد سبأ التي عاصمتها مأرب وفيها السد المشهور فالاستاذ نولدكي واهم والتاريخ يعارض رأيه لان لغة أهل هذه البلاد أعني أرض سبأ (١) كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ولا تزال الى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك واليك البيان .

جاء في كتاب وصف جزيرة العرب للعلامة الهمداني طبع ليدن وجه ١٣٤ الى ١٣٦ قطعة خصها هذا العلامة بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه « فليطالع هذه القطعة في موضعها من أراد » والذي يظهر منها ان الحميرية كانت لا تزال لغة حية في كثير من جبال اليمن واليك ما يقول في لغة بعض تلك البلاد « حقل قتاب فالى ذمار » الحميرية القحة المتعقدة (وظفار مدينة هذا القسم). حراز والا خروج وشم وماضح والأحبوب والجحادب وشرف أقيان والطرف وواضع والمعلل — خليطي من متوسط بين الفصاحة واللكنة وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة لاسيا الحضورية من هذه القبائل — نجدي بلد همدان البون منه المشرق والخشب — عربي يخلط حميرية — من ذمار الى صنعاء متوسط — صنعاء في أهلها بقايا من

(١) أرض سبأ على ما يظهر من الهمداني هي بلاد عاد لانها الملاة التي يشرع عليها بيحان ومأرب والجوف ونجران والهجيرة همداني وجه ٢٧ وصف جزيرة العرب

القدر الذي وجده القوم من النقوش على ان لغة بلاد سبا أعني بلاد مأرب والجوف كانت لغة حميرية · وهذا التلميح بري منه العارف المتدبر ما يغنيني عن اطالة الشرح والاسهاب فان مقالتي والغرض منها لا يحتملان من اطالة الشرح فوق ما أطلته . ولكني ارجح ان المستقبل سيكشف لنا آثارا غير التي اكتشفت لحد الآن وتكون دلالتها وفقا لما نظنه وفوق كل ذي علم عليم

﴿ في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة الفاظها وعباراتها ﴾

(واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية وما الى ذلك)

« مما فاقت به سائر اخواتها ولا تقل فيه عن اعظم واشهر لغات العالم سواها »

ان العلامة نولدكي يُعجب باتساع قاموس هذه اللغة الشريفة ويذهب الى ان ذلك مقتبس عن الارامية بما كان لاهلها من مخالطتهم الاراميين بالتجارة والجوار . والذي حمل العلامة المومأ اليه على هذا التعليل هو على الراجح ما كان يظنه ان اللغة العربية هي لغة القبائل العدنانية في الحجاز ونجد فاستبعد من ثم ان يكون لمثل هؤلاء القوم الذين غلبت عليهم البداوة مثل هذه اللغة الواسعة . اما وقد تبين لنا ان هذه اللغة كانت لغة الدولة العادية دولة غلبت على البلاد العربية كلها وامتدت سلطتها الى الشام ومصر وافريقيا ودامت سيدة التجارة على ما نظن ما يزيد على الف وخمسمئة سنة اولا تحت اسم الدولة العادية وعلى نحو من ثمانمئة سنة تحت اسم الدولة السبئية (١) فلا داع لمثل تعليل العلامة نولدكي . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين أرباب تجارة وزراعة حتى بعد ان غلب عليهم الظفاريون

---

(١) اذا كان يعتمد على اشارات اللغة البعيدة فارجح ان اسم سبا جعل لقبا لهذه الامة التاجرة لان معنى « سبا » تاجر او تجارة وان الحبشة ومن جاورهم من البلدان لقبوهم بهذا اللقب وفقا لما عرفوه عنهم . فان هذا الاصل اي « سبا » يفيد في اللغة الحبشية معنى التجارة على ما سمعت ولا يزال مألوفا بهذا الاستعمال اما في لغتنا العربية فقد خرج عن هذا المالوف وبقي فيه ما يدل على سابق استعماله في قولهم سبأ الخمر وسباها . وفي السباء بمعنى بياع الخمر وفي السبأة بمعنى السفر البعيد الذي كانت تقتضيه تجارة العاديين . وفي السباء والسبا بمعنى العود يحمله السيل من بلد الى بلد . وشاع هذا الاستعمال حتى اطلق على بلادهم الاصلية فعرفت به أخيرا عند الحبشة والقحطانيين من اهل اليمن

فلما اشتدت عليهم وطأة الحميريين ملوك ظفار على الارجح ارتحلوا من ديارهم جماعات كثيرة فمنهم من وصل العراق ومنهم من وصل الشام ومنهم من وقف بنجران ومنهم بمكة ومنهم بيثرب ومنهم وهم الطائيون (وكانوا يسكنون الجوف) رحلوا أولا الى فيدو سميرا ثم احتلوا الجبلين اجا وسلمى وكل هؤلاء كانوا عرباً ومن الفصحاء الذين ترتضى فصاحتهم في العربية لم يسمع ولم يعرف اصلا عن ملوك الحيرة من المناذرة ولا عن ملوك الشام من الغساسنة ولا عن الاوس والخزرج من أهل المدينة ولا عن الطائيين في جبليهم (وهؤلاء هم الذين ارتحلوا من ارض سبا قبل سيل العرم او بعده بقليل) انهم تكلموا غير هذا اللسان العربي المضري . ولو كانت لغتهم الحميرية « اوالسبئية » لاستحال ان تنقرض فلا يبقى لها أثر في مدى اربعة قرون كما لم تنقرض الحميرية من ظفار ولا من بلاد صنعاء في مدى اربعة قرون مع انهم كانوا في ملكة المضريين ودولتهم الغالبة القاهرة بعزها وعز الاسلام وقد اسلم القوم عن آخرهم منذ بدء الاسلام

﴿ ماذا نصدق اذاً ﴾

« التاريخ والعقل ام الآثار التي وجدها القوم مؤخراً »

« في مأرب والجوف ونجران »

الجواب . أولى بنا ان نصدق التاريخ والعقل من غير ان نجرح في صدق الآثار وذلك بأن نقول ان دلالة الآثار مغلوط في تأويلها ويمكننا ان نؤولها بما يوافق التاريخ والعقل — وبيانه ان الآثار التي اكتشفها القوم (العلامة ادورد غلازر ويوسف هاليفي ويوليوس اوتين وتومس ارنو وآخرون) على ما نقله العلامة زيدان في كتابه النفيس (العرب قبل الاسلام) هي آثار واقعية لا نشك بها . ولا يُشك ايضا أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استولت على بلاد سبا في الجيل الاول قبل المسيح . نسلم بكل ذلك . ولكننا نقول ان هذه الدولة كان حكمها في بلاد سبا حكم دولة الاتراك الاخيرة في اليمن فانا لا نعدم آثارا ونقوشا كثيرة في صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية وكما لا يصدق الاستدلال بمثل هذه الآثار على أن لغة اليمن هي اللغة التركية كذلك لا يصدق الاستدلال بهذه

دخلت من مؤخره وخرجت من فيه فيسمع له زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقا او مطرا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح . اه

وقد نقل ياقوت هذا الوصف عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ولا يبعد ان يكون هشام هذا قد أخذ ما نقل عنه من الوصف عمن شاهدوا القصر قبل ان هدم بأمر الخليفة عثمان . ويوافق هذا الوصف المنثور ما جاء منظوما عن ذي جدن الهمداني قال

دعيني لا أبالك لن تطيقي	لحاك الله قد انزفت ريقي
وهذا المال ينفد كل يوم	لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه	بناه مشيدا في راس نيق
بمرمرة واعلاه رخام	تحامٌ لا يغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه	اذا يمسي كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رمادا	وغير حسنه لهب الحريق

والظاهر مما قاله هذا الشاعر في بيته الاخير أن آثار هذا القصر كانت ظاهرة في ايامه وكان يظهر عليها اثر النار لانهم استخدموها في هدمه على ما يرجح

وقد ذكر الهمداني عدة محافد وقصور في كتابه وصف جزيرة العرب واليك ما قال — ونذكر الآن المشهور منها ذكرا مرسلا فاولها واقدمها غمدان ثم تلفم. وناعط. وصرواح . وسلحين بمارب . وظفار وهكر . وضهر . وشبام .وغيمان. و بينون ور يام وبراقش. ومعين . وروثان . وارياب . وهندوهنيدة .وعمران والنجير بحضرموت اه وجه ٣ ٢

والارجح عندي ان معظم هذه الآثار كان في ايام الدولة العادية والسبئية الاولى دون الحميرية فان هذه كانت دولة ظلم و بغي اكثر مما كانت دولة تجارة وزراعة او دولة عدل وأمن . فان في زمانها خرب السد المشهور وأقفرت الجنتان في ارض سبا وفي ايامها كانت ملوك حمير تسطو على الاعراض وتحرق المخالفين

بمئات من السنين وسدهم شاهد يؤيد ماذكرنا . ان الامة التي بنت مثل سدمأرب وقصر غمدان وغير هذين من السدود والقصور والمصانع ووصلت من الغنى الى الدرجة التي ضربت بها الامثال لايستبعد ان تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .

والمرجح عندي انه لم يقم في سوريا ومصروالعراق دولة اعظم غني وتجارة من الدولة العادية في عمان وحضرموت واليمن . ولم يقتصر العاديون على التجارة — والتجارة لوحدها من اكبر الاسباب لارتقاء لغة الامة واتساع دائرة الفاظها وتراكيبها — بل كان لهم في الزراعة شأن لم يبلغ البابليون ماهو اعظم منه على خصب بلادهم وان فيها النهرين العظيمين الفرات والدجلة فانهم بنوا سد مأرب وثمانين سدا غيره في مخضب العلو

وبالربوة الخضراء من ارض يحضب ثمانون سدا تقلس الماء سائلا (١)

وسد مأرب هو احدى اعاجيب الدنيا وكان لهم عن يمينه وشماله الجنتان اللتان مازال صدى ذكرهما يتردد في أودية التاريخ مئات سنين بعد خرابهما . ولعلي لأ كون مبالغا اذا قلت ان نسبة سد اصوان على ضخامته في عصرنا الحاضر الى سدمأرب هي كنسبة الصبي الصغير الى الرجل الكبير وأما قصورهم وهيا كلهم التي بنوها فمنهما قصر غمدان . وقد بقي هذا القصر والهيكل قائما الى خلافة عثمان ابن عفان وكان من الفخامة والضخامة على مايضارع أعظم القصور البابلية . واليكم ماجاء في وصفه نقلا عن ياقوت الحموي

قال مانصه — فقال « ليشرح » ابنوا القصر في هذا المكان فبني هناك على أربعة أوجه وجها ابيض ووجها احمر ووجه أصفر ووجها اخضر . و بنى في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعا . وكان ظله اذا طلعت الشمس يرى على عينان (٢) و بينهما ثلاثة أميال . وجعل في اعلاه مجلسا بناه بالرخام وجعل سقفه رخامة واحدة وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم مايكون من الاسود . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل

(١) همداني وجه ١٠١ (٢) ارجع غيمان على مافي وصف جزيرة العرب

عليهما واضطرت كثيرين منهم الى الجلاء عن البلاد فجلا اهل بابل العظيمة وغيرها من مدن العراق الى ارض الجزيرة وعمروا راسن وكالح ونينوى وغيرها من المدن الاشورية وجلا كثيرون آخرون معظمهم من اهل البدو الى جزيرة العرب موطن اسلافهم الاقدمين ونزلوا الحجاز ونجد وارض سبا وعمان . وكانت لغتهم قد استقلت وتمايزت عن القحطانية التي فارقها اجدادهم الاولون في اليمن ثم ما لبثوا ان استولوا على ملك القحطانيين وضيقوا عليهم في يمنهم كما كان النماردة قد ضيقوا عليهم في جوار بابل فهاجر جماعة كبيرة منهم الى الحبشة وكان هاجر قبلها او اثناءها جماعة اخرى الى الامهرة والشطوط المقابلة من أفريقيا فكان منهم هناك الامهرية والحبشية . ثم هاجرت جوال اخرى من العمالقة والعاديين الى الشام وشطوط المتوسط اما راسا من العراق هربا من النماردة او من البلاد العربية بقصد التجارة والاستعمار . والارجح أن كان الامران معا . ومن هولاء المهاجرين كان العبرانيون وامم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية الفينيقية والعربية شعبتين من الفرع العادي والحميرية والحبشية من الفرع القحطاني

هذا ما تدل عليه التقاليد وما وصلنا اليه من شذرات التواريخ واظن ان الابحاث الفيلولوجية لا تنافيه ان لم تطابقه . ومعرفتي القليلة بالعبرانية والسريانية تسوغ لي بعض التسويغ ان اقول ان العبرانية اقرب الى العربية مما هي الى السريانية . ولو لم يكن بينهما من المقاربة الا ان في كلتيهما اداة للتعريف « ها » في العبرانية و « آ » في العربية فوُقف عند العرب مع الحروف القمرية على اللام بدلا من المدّ وادغم اي حرف المد بالحروف الشمسية — لكفى ذلك شبها في ان يجعل اللغتين صنوين من فرع واحد . وكذلك اقول ان الارامية ويدل فيها على التعريف بالوقوف على الالف (اي حرف المد) ينبغي ان تكون صنوا لتلك التي يدل فيها على التعريف بالوقوف على حرف الغنة اي « النون او الميم » فان

⁂ العرب من اليمن عن طريق البحرين عبروا الخليج الفارسي من هناك ثم لما قويت شوكتهم غزوا بابل وطردوا من كان سبقهم الى هناك فذهب بعضهم شمالا الى بلاد اشور وذهب آخرون جنوبا الى الحجاز ونجد والاحقاف وهي بلاد سبا كما صرحت بنا الاشارة الى ذلك

في الدين وتذل الكهلانيين والعدنانيين وتسومهم كل نوع من الخسف فاضطروا الى مهاجرة اوطانهم مرة والى الاستنجاد بالحبشة مرة اخرى وما زال سوء الحال والتدبير وشدة الظلم مرافقا هذه الدولة حتى انقرضت ولم تطل ايامها كثيرا . ولعل الاحباش كانوا خيرا منها للبلاد . فاتني ان اذكر أن هذه الدولة اعني العادية اولا والسبئية ثانيا اعتنت بالتعدين كما اعتنت بالتجارة والزراعة والصناعة ولا تزال آثار عشرات من معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والحجارة الكريمة في اليمن ونجد والحجاز وعلى جانب افريقيا المقابل شاهدة على ما كان لهذه الدولة والامة من الاقتدار والهمة والنشاط . وارجح ان المستقبل سيرينا من آثارهم التي لا تزال تحت الردم والرمال ما يزيد عن آثار اخوانهم الكنعانيين والفينيقيين

قلت واعيد القول ان امة كهذه الامة وشعبا كهذا الشعب الذي من بقاياه العرب العدنانية في نجد والحجاز والكهلانية في ارض سبا وحضرموت وعمان حري بان يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية . ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها فقد ماتت تلك و بقيت هذه وستبقى بعدُ اجيالا لا يعلمها الا الله مهما عورضت واضطهدت او صودرت واتهمت

أرى أني استوفيت كل ما في وسعكم من الاصغاء فلا يليق بي من ثم ان أحملكم فوق ما حملتم فدعوني اختم بذكر خلاصة ما اراني وصلت اليه بالمسلك التاريخي الذي سلكته في شأن الارومة السامية ونسبة اللغات المعروفة منها بعضها الى بعض فاقول (١) ان اللغة السامية كان مهدها في البلاد العربية والارجح ان قرارتها كانت بلاد اليمن وما اليها من السروات (٢) انشعب منها فرع الى بلاد بابل وبقي فرع في قرارته الاولى وهم القحطانية الاولى . ثم الفرع الذي اتجه شمالا الى العراق انشعب منه شعبتان شعبة تسكن المدن واخرى تسكن البدو . (٣) ما زال هذان الفرعان متجاورين الى ايام دولة النماردة (* فضيقت هذه الدولة

*) النماردة ملوك كوشيون من كوش او خوز وهي بلاد خوزستان الآن وكانت لغتهم الارامية كما يظهر فان نمروذ او نمروذو مصغر نمر في اللغة الارامية وارجح انهم جاءوا من بلاد =

العالم الاسلامي (١)

(مقالة مهمة عنه في العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة)

« بقلم السرهنري جونستون »

يذكر قراء الافكار الكرام ان السر جونستون هذا قد كتب مقالات شتى عن السياسة الشرقية خصوصا ، وعن الاسلام والمسلمين عموما ، فكانت كتاباته تقيم الدوائر السياسية في أوربة وتقعدها ، ليس لانه ضليع بالمواضيع الهامة فقط ، بل لانه ذو مكانة سامية أيضا في عالم الادب والاجتماع والسياسة فضلا عن سعة معارفه الجيوغرافية لانه قضى نحوا من عشرين سنة في البلدان الاسلامية يبحث وينقب ويراقب

والسر جونستون هذا هو أول من جهر بأسرار مقابلة ريفال بين المرحوم الملك ادوارد والقيصر نقولا الرومي واتفاقهما على أملاك تركيا في أوربة حلا لمشاكل مكدونية والاستانة . وهو من كتب في العام الماضي يمتدح من أعمال فرنسة وانكلترة التمدينية في المستعمرات الاسلامية بقارة افريقية ويقول بوجوب تسليم المانيا لفرنسة في اعلان حماية هذه على مراكش حتى يصبح العالم الاسلامي كله في افريقية تحت رايات الدول الافرنجية القادرة على ترقيته وتمدينه (٢) بعكس الحكومات الاسلامية التي لا تتمكن من ذلك لمجرد كونها اسلامية — على قوله — وأخيرا رأيناه يجهر بعبارة صريحة قائلا : ان العالم كله سوف يعترف بعد مئة سنة بحقيقة واضحة وهي ان ظهور النبي محمد كان أعظم ضربة على التمدن في كل الممالك التي استولى عليها المسلمون (٣)

---

(١) منقولة عن جريدة الافكار العربية التي تصدر في البرازيل (٢) قد كاد يمر قرن كامل على الجزائر ولم نر فرنسة مدنت أهلها ولا رقتهم (٣) هذه المكابرة دليل على تعصب المصنف فا استولى المسلمون في القرون الاولى على بلاد الا وصارت خيرا مما كانت عليه علما ومدنية وهل اقتبس هو وقومه المدنية الا من مسلمي الاندلس والشرق ؟

هذين الحرفين اعني حرف المد وحرف الغنة يبدل احدهما بالآخر . وفي العربية ما يدل عليه ويسمى تنوين الغنة ومعناه الوقوف على حرف الغنة بدلا من الوقوف على حرف العلة . واظن ان الحميرية (وهى التي سموها السبئية) هي التي رأوها وفيها هذا الضرب من الدلالة على التعريف اعني الوقوف على حرف الغنة (اي النون) فالاولى من ثم ان نقرن بالسريانية ونجعل صنوا لها

لكن هنالك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الاضافة ما يؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها فان طريقة الاضافة في هاتين اللغتين اعني العربية والعبرانية واحدة . وكذلك هي في السريانية والحميرية (او التي سموها السبئية) قريبة الشبه جدا ان لم تكن واحدة .

ومما يزيد المشابهة بين العربية والعبرانية طريق استعمال الفعل فان الماضي والمضارع يوضع احدهما موضع الآخر كثيرا في كلتيهما كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين . ويقل اعتمادهما على الصفة واقامتها مقام الفعل كما هو الشائع او الكثير في السريانية . ومن التهجم ان اقول ان السريانية في هذا تشابه الحميرية نظرا لقلة ما وقفت عليه من هذه اللغة ولكني اوجه انظار الباحثين الى هذا الامر

وهناك مشابهات اخرى بين العربية والعبرانية في الضمائر وحروف المضارعة مما لو جمعت كلها معا ارجح بها جانب الكفة من الوجهة الفيلولوجية كما رجح من الوجهة التاريخية اي ان العربية والعبرانية صنوان من جذم واحد

ان كنت وصلت في طريقة بحثي هذا الى الحقيقة او ما يقاربها او الى مايدل على الوجهة التي هي فيها فحسبي ذلك . والا فيكفيني أني نبهت الى اهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الفيلولوجي ولعل الحقيقة اقرب ان تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الاقل في الجانب الذي لايعارض فيه احدهما الآخر او ينافيه . واسمحوا لي ان اختم بتقديم مزيد تشكراتي لرئيسنا الفاضل الدكتور هورد بلس الذي دعاني الى درس هذا الموضوع اولا ولكم على ما اوليتموني من المجاملة وحسن الاصغاء ثانيا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اه

في هذا الموضوع كانوا يقولون لي ان النمسا والمانيا كانتا عاقدتين اتفاقا سريا مع تركيا على امتلاك طرابلس الغرب برضاها وانها اذا امتلكتا هذه الولاية القريبة منا تصبح حياتنا القومية مهددة بالاخطار المميتة ويصير استقلالنا تحت رحمة المانيا والنمسا . وسواء صح هذا القول أو لم يصح فان ايطالية تظل مخطئة لدى الشرائع والحقوق الدولية لانها فاجأت تركيا بهذه الحرب من دون أن تمهلها ريثما تكذب هذه الاشاعة أو تثبتها (١)

على ان الطليان مابرحوا يؤكدون مزاعمهم قائلين « ان الالمان كانوا أشد الناس حنقا علينا وأكثرهم تهيجا ، وليس ذلك حبا بسواد عيون الاتراك ، بل لاننا منعناهم من تحقيق آمالهم ألا وهي بسط نفوذهم السياسي والتجاري من طرابلس الغرب شمالا حتى الكونغو والقمران جنوبا »

وايطالية غير قادرة على تمدين الغير بعد ، فلذلك لم يتجاسر أحد من ساستها الذين باحثتهم على القول أمامي بأنهم غزوا طرابلس بقصد تمدينها وترقيتها . فان كثيرا من السياح الالمان وسائحين من الانكليز قد كتبوا مرارا أن ايطالية لم تأت عملا تمدينيا هاما لا في مصوع ولا في مقاطعة ارتيرة بالحبشة ، ليس ذلك فقط ، بل ان السائح في بلاد الصومال يرى البون شاسعا بين الصومال الطلياني والصومال الفرنسوي مثلا . فالبلاد الاولى باقية على ما كانت عليه قبل الاحتلال الايطالي من حيث الفقر والجهل والتأخر . أما الصومال الفرنسوي ففيه الخطوط الحديدية والمزارع الجميلة وكل آثار الارتقاء والتمدن في العلم . ومثل فرنسة في اسعادها مستعمراتها مثل الانكليز في السودان والمانيا في زنجبار

ولكن تسرع ايطالية الاخير في طرابلس الغرب لا يحوج أوربة أن تناوئها وتقاومها في أعمالها الاحتلالية هذه ، بل بالعكس ، يجب على أوربة أن تناصرها وتؤيدها بكل قوتها لان ايطالية اذا عادت خاسرة من هذه الحرب فالعار

(١) قد نشرت السفارة العثمانية في لندن تكذيبا رسميا لهذه الاشاعة التي راجت لاول مرة في الصحف الانكليزية . وبمجرد عدم وجود ألمان ونمسويين في طرابلس الغرب وعدم ذكر ألمانيا اسم طرابلس الغرب أمام الباب العالي في كل السنين الماضية كاف لتفنيد مزعم الايطاليين هذه الافكار الفاسدة

وليس المقام مقام أخذ ورد في هذه المقالة ولا هو مقام انتقاد وتخطئة فان المستشرقين النزيهين من علماء الفرنجة ذواتهم يسفهون هذه الاراء ويقولون ان الاديان كلها كانت في كثير من الازمنة آلات بيد السياسة الخداعة تهدم هيا كل العمران والرقي بمعاول التعصب الذميم فتترك وراءها الجهل العميم. والجهل أبو المصائب كلها وأولها التأخر والانحطاط

بَيدَ ان نشر مقالات كهذه بين معاشر الشرقيين تخطها اقلام الباحثين من علماء الافرنج وكبار ساستهم له فوائد جلى لا تخفى على أحد. وطالما رأينا كثيرا من رصيفاتنا الجرائد العربية المعتبرة تنقل عن الافكار تعريب هذه المقالات الهامة علما منها بفائدة نشرها بين عموم المشارقة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين وأمامنا اليوم العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر وفيها مقال عنوانه « أوربة والعالم الاسلامي » بقلم السر جونستون ذاته هذا تعريبه باختصار وتصرف :—
(ايت الجريدة لم تتصرف)

ان الحرب الايطالية العثمانية الحاضرة قد جددت المباحث عن الشرق والغرب، وعلى الخصوص عن علاقة الدول العظمى بملايين عديدة من البيض والصفر والسود يدينون بدين الاسلام. وهؤلاء المسلمون متحدون بعض الاتحاد — وليس اتحادا كاملا كما يزعم فريق من الكتاب بجهل حقائق الامور لانه لم يبرح بلاده قط، أي ان هذا الفريق لا يكتب عن تحقيق واختبار — واتحاد المسلمين الجزئي هذا موجه ضد أوربة النصرانية وخصوصا ضد الدول المستعمرة منها

واذا نظرنا الى عمل ايطالية الاخير في غزوتها طرابلس الغرب نظرة عمومية نرى انها مخطئة خطأ فاحشا لانها شهرت الحرب على تركيا فجأة ومن دون سابق مفاوضات تجيز لها هذا العمل، فضلا عن ان جنودها بعد احتلالهم طرابلس اجروا من الفظائع البربرية على النساء والاولاد ما ذعر له العالم المسيحي قبل العالم المحمدي، ولا عذر للايطاليين سوى قولهم ان امتلاكهم ولاية طرابلس الغرب ضروري لسكانهم كأمة مستقلة. وهذ العذر غير مقبول منطقيا، ولا جائز شرعا، أو في عرف الدول. بيد ان الصحافة الطليانية وساسة الايطاليين الذين حادثتهم

الافرنج في تركستان ومصر وتونس والجزائر . وعندي ان انكلترة وغيرها من دول الاستعمار العظمى تفعل حسنا اذا سمحت بضمير صالح في سبيل تعليم المسلمين العلوم الطبيعية التي تحارب العلوم الدينية علما منا بأن آفة الاسلام العظمى هي العلوم الدينية المبنية على القرآن وحده وهذه سدوتها الجمود ولحمتها التقيد بقيود الخرافات والاوهام (١)

وحالما يتحرر المسلمون من ربقة الاستعباد للعلوم الدينية عندهم يصيرون قادرين على ادراك الحقائق السياسية بأكثر جلاء ووضوح أي انهم يصيرون يميزون بين المصالح السياسية والاغراض الدينية كما صارت أوربة تفهم ذلك بعد أن تحررت من ربقة الاستعباد للتعاليم الدينيـة التقليدية التي كانت ضاغطة على حرية القول والعمل والفكر . ولما يصل المسلمون الى هذه الدرجـة من الارتقاء العلمي فتصير مساعدتنا لهم نافعة للفريقين أي انهم لا يعودون يمزجون الدين بالسياسة وبكل شيء بل يصبحون عالمين أسرار المنافع الاقتصادية والسياسية فيصادقون من ينفعهم نصرانيا كان أم مسلما ويعادون من يضرهم بقطع النظر عن دينه ومعتقده

(كلامه عن الاديان الثلاثة)

والقرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة عن التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس (٢) . ولما كان محمد يكره يهود بلاد العرب كرها شديدا صارت آياته في القرآن أشد وطأة عليهم مما هي على النصارى . وتعاليم القرآن فيها بعض المنافع مثل

---

(١) لا يوجد كتاب ديني في الارض كالقرآن يطهر العقول من الخرافات والاوهام ويكسر قيود التقاليد ويزلزل أركان الجمود وهذا هو السبب الحقيقي في حث هذا الكاتب قومه على مقاومة كل تعليم بني على القرآن لئلا يرتقي المسلمون به فيخرجوا من العبودية التي يريدها لهم كما علم من سابق قوله . ولو كان القرآن كما قال لكان هو وأمثاله أشد الناس حثا للمسلمين على اتباعه ليدوم ذلهم وقبولهم للعبودية . ولكن المسلمين كفوه مؤنة التنفير عن العمل بالقرآن من عدة قرون فهم يحرمونه على أنفسهم لانهم يسمونه من الاجتهاد الممنوع عند جماهيرهم

(٢) هذه فرية افتراها الكاتب فليأتنا من تلك الكتب بمثل ما في القرآن من التوحيد الخالص المفصل بالبراهين العقلية والطبيعية ، ومن هدم بناء التقليد وفك العقول من رق الرؤساء ليأتنا منها بجعل أمر الامة شورى بينها وشرعا بين جماعة أهل الحل والعقد من أفرادها الخ

لا يلحق بها وحدها بل يعم كل الدول الاوروبية النصرانية . فالمسلمون اذا نجحوا يصيرون يضمرون طرد الانكليز من مصر والسودان وطرد الفرنسيين من تونس والجزائر ومراكش وطرد الروس من أواسط آسيا الاسلامية . وعليه فمن الواجب على ايطالية خصوصا وعلى أوربة كلها عموما أن تبقى ساعية جهدها في الحرب الحاضرة كي ترسخ قدم الافرنج في شمالي افريقية من دون نظر الى كميات الخسائر الباهظة من المال والرجال في سبيل تحقيق هذه الامنية (١)

يعسر على الباحث الغربي أن يقترب من موضوع المسألة الاسلامية من دون حذر زائد . فان المسلمين يعدون اليوم ٢٣٠ مليونا بينهم أقوام من البيض تجمعنا واياهم جامعة الاصل الابيض الواحد (الاصل الآري) و ٦٠ مليونا منهم هم مثل الافرنج تماما من حيث جمال الهيأة وقوة البنية والاستعداد الكامل للارتقاء العقلي . وبعض المسلمين هو من أصل أوربي بحت لان كثيرا من الغوط والايطاليين والاروام والسلاف والارناؤوط والقوقاسيين اعتنقوا الدين الاسلامي سابقا بحكم أحوال قاهرة وهم الآن في مقدمة اتباع محمد رقيا وتهذيبا لا يقلون عن اخوانهم نصارى الافرنج قوة ونشاطا وجمالا وحسن استعداد لقبول التمدن الصحيح . وفي الهند وحدها ٦٤ مليونا من المسلمين هم أرقى الشعوب الهندية على الاطلاق . ومجرد وجود هذا العدد الكبير من المسلمين في الرعية البريطانية يجعل الحكومة الانكليزية أن تكون أكثر حكومات الارض اهتماما بالحرب الحاضرة

فان انكلترة اذا رفضت السعي لاجل مصلحة تركية مركز الخلافة الاسلامية العظمى تكون قد أحدثت سببا لاغضاب رعاياها مسلمي الهند الذين تعتمد انكلترة عليهم وحدهم عند الخطوب في تلك البلاد واذا هي سعت لمصلحة تركية فتتضرر ايطالية وبضرر الايطاليان يزيد المسلمون حركة وهياجا ضد الافرنج النصارى ويعلق في اذهان زعمائهم سهولة النجاح في محاولتهم التخلص من حكم النصارى

---

(١) ليعتبر المتعبرون بتعصب هؤلاء القوم وخذلهم للحق ونصرهم للباطل فان الكاتب على اعترافه ببغي ايطالية وكونها ليس لها عذر ما في الاعتداء على طرابلس يحث أوربة كلها على نصرها وتأييد باطلها لانها نصرانية تريد الاستيلاء على المسلمين ، ولئلا يطمع المسلمون الآخرون بتحرير أنفسهم من رق النصارى !!

حكم النصارى أرقى بكثير من البلدان الاسلامية (١) ليس ذلك فقط بل اننا إذا نظرنا الى المجر مثلا نرى ان المجريين والاتراك هم من اصل واحد قدموا الى اوربة من اواسط آسيا في بدء القرون الوسطى وكانت لغتهم واحدة و بعد ان حلّ المجر في النمسا واعتنقوا الدين المسيحي صاروا على تمادي الاجيال أرقى من اخوانهم الاتراك الذين حلوا في مكدونيا وعلى ضفاف البوسفور و بقوا معتنقين مذهبهم المحمدي وترى الفرق كبيرا اليوم بين المجر والاتراك من حيث الارتقاء والتمدن فالاولون نبغوا في الموسيقى والشعر والنقش والبناء والآداب والاقتصاد بينما الاتراك لا يزالون على حالة واضحة من التأخر في كل هذه الفنون

ورب معترض يقول ان الاسلام أبقى على كثير من العلوم والصنائع التي كانت النصرانية تحاربها على زمن الرّوم والاقباط والسوريين والرّومان فالاسلام أبقى آداب الرّوم والرّومان وعلومهم وأنعش العلوم الطبية والفلكية والرياضية وزاد في فنون البناء والهندسة وزخرفة القصور والجوامع وكان صلة متينة بين علوم الشرق والغرب بل كان الحلقة الوحيدة التي وصلت علوم اليونان والرّومان بالافرنج في القرون الوسطى ولولا هذه الحلقة لضاعت العلوم الطبية والفلكية وغيرها كثيرا ، نعم انني اعترف بصحة هذا الاعتراض ولكنني أجيب عليه قائلا ان علماء المسلمين الذين عنوا بالعلوم والمعارف ونشطوا الحركة الفكرية والعقلية من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر الميلاد لم يكونوا عربا ولا اتراكا بل كانوا يهودا او فرسا او قبطا او ارواما جبروا على اعتناق الدين المحمدي (٢) و بعضهم بقي على دينه لان

---

(١) لم تكن الحبشة النصرانية أرقى من مصر الاسلامية قبل الاحتلال ، ولم تكن انكلترة وفرنسة لتبلغ حذاء الاندلس أيام كانت الاندلس اسلامية ، فالحضارة لها سنن اجتماعية بينها القرآن وما عمل بها المسلمون كانوا أرقى البشر ثم تركوها فهبطوا بعد ان أخذتها عنهم أوربة دون دينهم الذي هداهم اليها

(٢) كذب مبني على مثله فان العرب كانوا أئمة هذه العلوم وعنها أخذها أخوتهم الذين تبعوهم في دينهم من الامم الاخرى والتاريخ شاهد عدل وعلماؤه المجردون من التعصب الديني والسياسي عدول أيضا كالدكتور غوستاف لوبون مؤلف (حضارة العرب) فليرجع اليه من شاء ثم ان العرب لم يجبروا أحدا على الاسلام كما فعلت أوربة في الاندلس وغيرها ولا خادعوا كما يخادع غيرهم الآن في كل مكان

النظافة وعدم وأد البنات والامتناع عن المسكر والزكاة والصدق في المعاملات ولكن ازدراءه بالنساء واباحة تعدد الزوجات وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمرأة تجعل تلك التعاليم الاسلامية حجر عثرة في سبيل الارتقاء العقلي والاجتماعي كيف لا والقرآن يحتقر المرأة والمرأة هي أم الرجل (١)

نعم ان الدين اليهودي لم يحسن التصرف تجاه النساء وهن نصف الجنس البشري ولكن التوراة صارت اليوم مرنة بيد الحاخاميين يفسرونها كما يشاؤون مما يطابق روح العصر ولا يخالف التمدن . وكذا الكنيسه الكاثوليكية في القرون الوسطى على الخصوص فانها كانت تضطهد العلم وتعيق مسير العرفان ولكنها لم تمكث على هذا الاضطهاد زمنا طويلا بل رأيناها بعد ذلك تبني المراصد الفلكية وتنشط نشر العلوم الطبيعية والطبية واللغوية والجيوغرافية و بالاختصار فان التعاليم المسيحية في أي مذهب من المذاهب لا تبقى جامدة بل نراها تتكيف وتتبدل حتى تطابق مجرى الاحوال بمرونة وليونة تامة

ليس ذلك فقط بل اننا نرى الكنيسة البابا وية كانت وما زالت تؤيد الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقي والكنائس البروتستانية تؤيد الاعمال الخيرية الآئلة الى منفعة بني الانسان وتخفيف و يلات المصابين وسد عوز المحتاجين وذلك في انشائها الجمعيات الخيرية لبناء المستشفيات والمدارس والملاجئ ، والكنيسة الارثوذكسية نراها على أشدها في روسيا والروس رغما عن شيوع السكر بينهم شيوعا عاما معيبا وعن تفشي الرشوة والمحسوبية وسائر ضروب الفساد في محاكمهم فهم أرقى بكثير من جيرانهم الاتراك علميا واجتماعيا وأفضل آدابا واخلاقا هذا مع علمنا بان روسيا حديثة العهد نوعا في العمران

واذا انعمنا النظر جيدا نرى البون شاسعا بين الممالك المسيحية والممالك الاسلامية من حيث العلوم والصنائع والفنون والاقتصاد والتدابير الصحية والعلاقة الزوجية بين الجنسين — اي اننا نرى البلدان المسيحية والبلدان التي هي تحت

---

(١) هذه فرية أخرى وحسبنا في ردها قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف »

فان البرتوغال واسبانيا اقفلتا باب مستعمراتهما الامركانية في وجه الاجانب وكانت النتيجة ان العلمين الاسباني والبرتوغالي اختفيا عن القارة الامريكية ، واملاك البرتوغال الباقية لها في افريقيا مهددة بالضياع إلا إذا كانت البرتوغال ترعوي فتفتح باب الاتجار والاستثمار أمام المتمولين واصحاب الشركات الاجانب

ورغماً عن كل ذلك فان الامم الضعيفة والدول الصغيرة لم تتمكن من المحافظة على كيانها او على املاكها إلا لانه يوجد في هذه الدنيا شيء يدعى « الضمير الادبي العام » وان شئت فسمه « محكمة الضمير الدولية العامة » . وهذه المحكمة الادبية هي وحدها التي منعت فرنسا والمانيا من تقسيم سويسرا وبلجيكا بينهما ، وهي التي منعت النمسا من ابتلاع الصرب وانكلترا من زيادة املاكها في غينيا على حساب فنزويلا ، وليس من يريد موت هذه المحكمة الادبية او ضعفها وخصوصا نحن المسيحيين الذين نعتقد ان للاديان علاقة مهمة في ارتقاء البشر وتمدنهم

نعم ان بالدين المسيحي كثيراً من الخرافات والزوائد المضرة وبالدين المحمدي كثيراً من الحسنات والفضائل ولكن البلدان التي تدين بالنصرانية لم تضطهد المسلمين وخصوصاً في القرنين الآخرين كما انها لم تجبرهم على رفض طقوسهم وعاداتهم مطلقاً ، فالمسلمون لهم تمام الحرية في السفر الى اية جهة ارادوها في اربعة اقطار المسكونة ولهم تمام الحرية في الدخول الى معابد النصارى واليهود في كل مدن الارض ولكن النصراني لا يقدر حتى هذه الساعة على الدخول الى مكة والمدينة كما انه لا يقدر على الدخول الى جوامعهم إلا ويكون معرضاً في اغلب الاحيان الى الاهانة ، وماذا تقول عن نوع المعاملة التي يلاقيها النصارى الموجودون تحت حكم دولة مسلمة حتى في هذه الايام ، فان حالة اقباط مصر الآن كحالة مسيحية سوريا وارمينيا ومكدونيا — ليست مما تشرح الصدر وتفرح القلب

نعم انني لا اعتقد بامكانية صيرورة المحمدي مسيحياً وخصوصاً في هذه الايام كما انني لا اتوقع من اليهودي في القرن العشرين ان يعود فيعترف بالمسيح حالة كون المسيح يهودياً من النظرة البشرية بل هو اعظم يهودي على الاطلاق ولكنني اعتقد ان عقلاء المسلمين وعلماءهم يقدرون على اقتفاء خطوات علماء النصارى واليهود في القرون الاخيرة واعني حذف الزوائد المضرة من دينهم والاستغناء عن كثير من تقاليدهم وعاداتهم وخرافاتهم العديدة حتى يجعلوا دينهم أهلا لكل حالة وصالحا للاتباع في كل زمان ومكان — أي حتى يفكوا عنه قيود الجمود كما فككناها نحن عن ديننا من قبلهم فيصير من السهل عليهم السير في سبيل الارتقاء والتقدم . اه

اميره أنعم عليه في إمكانية ذلك البقاء منة وكرما ، (وهنا يسهب السر هنري جونستون في وصف البلدان الاسلامية وما هي عليه من التأخر كمصر وتونس وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش واواسط افريقيا وتركيا وبلاد العرب زاعما ان علة هذا التأخر الوحيدة هي الدين الاسلامي ، الى ان يأتي الى مسألة طرابلس الغرب فيقول ان سبب انحطاطها هو حكم المسلمين عليها ايضا لانها من الزمن الذي دخلت به في حوزتهم من القرن الثامن للميلاد حتى الساعة لم ترَ إلا عوامل التخريب والتدمير فتركيا لذلك غير محقة بمحافظتها على هذه الولاية من النظرة الادبية كما ان ايطاليا غير محقة في اعتدائها عليها) ثم يستأنف الكلام فيقول :

ويظهر من كل ذلك ان الاديان كلها قاومت التقدم الانساني زمنا من الازمان ولكن الدين الاسلامي اشتهر بكونه غير قابل التكيف لما يطابق احوال الزمان والمكان كالدين النصراني والدين اليهودي (١) ولو فقه المسلمون ذلك وصار علماؤهم يبحثون عن طريق لحل تعاليمهم الدينية من قيود الجمود هذه لما تأخروا عن اللحاق باخوانهم المسيحيين في السير نحو الارتقاء والنجاح ، اي ان عليهم البحث في إيجاد طريقة لجعل دينهم مرنا لينا يقبل التكييف والتأويل والتفسير لما يطابق روح الزمان والمكان

أما من حيث قضية طرابلس الغرب فأكرر القول ان ايطاليا مخطئة في اعتدائها عليها من دون مسوغ شرعي او ادبي قط ، ولكن غيرها من دول الاستعمار فعل ذات الشيء عينه انما بهيئة مختلفة ، فإطلاقنا القنابل على الاسكندرية سنة ١٨٨٢ واحتلالنا وادي النيل وغزو فرنسا مراكش الآن وزحف روسيا على شمالي العجم وامتلاك المانيا جزءا من شرقي افريقيا — كل ذلك يؤيد حجة ايطاليا في قولها للدول انها فعلت ما فعلته تلك الدول ذاتها ، وعندي لو كانت طرابلس الغرب سهلت دخول الاجانب اليها واستثمار اموالهم فيها لما اقدمت ايطاليا على غزوتها ،

---

(١) الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتفق بأصوله مع العلم والمصلحة العامة في كل زمان ومكان من غير حاجة الى ترك شيء منه ولا تحريفه ، وابعد الأديان عن ذلك المسيحية التي هي نقيض الحضارة والمدنية المبنية على توفير الثروة واباحة الطيبات والزينة وهي تأمر بالتجرد من الغنى ومن كل زينة ونعمة والحضارة الاوربية الحاضرة لاتتفق مع تعاليم الانجيل قط

تركستان لم يظهر لعمال الحكومة فيها من أول وقته ولكن جمعية الاتحاد والترقي من الاتراك والتتر من أهل وطننا قد راقبوا ذلك من زمان ودققوا النظر فيه .

حقاً ان تركية الجديدة تدقق النظر من زمان بعيد في آسيا الوسطى . وإن آمال الترك فيها كبيرة جداً حتى انهم فتحوا قبل عدة سنين جمعية مخصوصة في الاستانة لنشر المعارف في تركستان ومقصدهم الاصلي من ذلك نشر فكرة الاتحاد بين المسلمين جميعا . والتتر من أطراف قزان وأورنبورغ أخذوا يشتغلون بنشاط وينشرون أدبيات اتحاد الاسلام بين مسلمي تركستان بصفة معلمين في المكاتب الجديدة هناك وكذا أصحاب المطابع وتجار الكتب . وعمالنا في تركستان لم يروا تلك الحركات الا في الوقت الذي تعذر فيه عدم الرؤية ، وبعد ما عرف ذلك الأجانب والحال أن ذلك الانقلاب الآخذ في الظهور بين ستة ملايين من مسلمي تركستان مهم جدا لا يصح عدم الاحاطة به

ان الضغط والتضييق على الافكار الجديدة قد جعل القشر الثخين المحيط بالعالم الاسلامي ينشق من بعض جهاته ويرى من وراء شقوقه انقلاب عظيم جدا بين مسلمي تركستان . وكان المحرك الاول لاولئك المسلمين والسبب فى ذلك الأنقلاب انما هو نحن معشر الروس : أدهشنا خيال وأفكار أولئك الاهالي بمعجزات المدنية الحاضرة مثل السكة الحديدة والتليغراف والكهرباء ولكن لم نقدر على التقرب من حياتهم المعنوية ولم نخطر في بالهم بعد التقرب منهم كيف ينبغي أن تكون المدنية وجهاتها المعنوية ، وكان يجب ذلك علينا عند ما كانوا يفركون عيونهم من ذلك النوم الذي لبثوا فيه عدة قرون ، فبقيت أحوالهم المعنوية في ناحية من نظرنا

فاتح تركستان (نون قا او فان) الذي هو اكثر الولاة نشاطا وعملا كان في ضلال مؤسف اذ فكر في مكاتب ومدارس المسلمين التي لا تناسب اقتضاء الزمان في شيء فجزم بأنها ستفنى وتزول من تلقاء نفسها ، وهذا القدر من فكره وحكمه معقول صحيح ولكنه ما فكر في ان محلاتها لا تبقى خالية أبدا . فها هي ذي قد أخذت تجدد ببناء المدارس الجديدة على انقاض القديمة بقصد معين معلوم وبرنامج يمهد السبيل لاتحاد المسلمين عامة تحت نفوذ تركية الفتاة

الحكام الروسيون يعلنون للناس أن الاحوال هناك حسنة للغاية والامن في نصابه، ولكن الحقيقة أن الخلاف الآن فيها والجدال مدهش جدا بين الروحانيين (علماء الدين) وأصحاب الافكار الجديدة : الروحانيون يحافظون على المكاتب والمدارس

اخبار العالم الاسلامي

﴿ روسية ومسلمو تركستان ﴾

نشرت جريدة (نوفي فريميه) الروسية الشهيرة مقالات بامضاء (يا . ذ . ف) عنوانها (سياسة عدم الالتفات) أو سياسة الاغضاء خطأ فيها التعجيل بتغيير الادارة في تركستان بأخذها من الادارة العسكرية وتسليمها الى الادارة الملكية وبين انه لايجوز النظر الى تركستان من حيث انها سوق تحضر قطناً للروسية فقط، بل يجب ان ينظر اليها من حيث هي بمنزلة القلب للعالم الاسلامي في الشرق الاقصى ولها أهمية سياسية كبيرة بالنسبة الى الروسية ، وهو يوجس خيفة من تركها على حالها قال :

يستيقظ الشرق ، وليست مسئلة اتحاد المسلمين جميعا على أساس المدنية الحديثة الاسلامية ـ وهي بغي (في الاصل تجاوز) ظهر من جهة الاتراك محبي الجامعة الاسلامية ـ من المسائل التي تمر من غير التفات من الروسية التي يسكن فيها قدر ثمانية عشر مليون مسلم .كانت نتيجة عدم الالتفات الى أحوال التتر المعنوية في أطراف فولغا أنهم سقطوا تدريجا في نفوذ الاتراك المستنيرين . مسلمو تركستان هم متأخرون في المدنية عن التتر في أطراف نهر فولغا والقريم، ومع ذلك أخذوا ينهضون من نومهم الطويل الذي مر عليه قرون كثيرة ونرى مع الاسف أن الآخذين في أيقاظهم ماكانوا منا بل من الاغيار وعلى وجه غير مطلوب البتة . ولا شك ان لذلك أسبابا : ان مسلمي تركستان كانوا أولا يخافون الروس جدا ويعدونهم أصحاب القوة والسطوة ، وقد ضعف هذا الاعتقاد فيهم بمرور الايام ، وبعد أن غلبنا في حرب اليابان وظهر عدم الانتظام بين المأمورين نقص نفوذ شوكة الروس من انفسهم، وارتقت حالهم من جهة الاقتصاد وغنوا فكان ذلك أيضاً سبباً في ضعف شوكة الروس شيئاً فشيئاً . هم لم يتربوا في روسية فقط بل ساحوا في الممالك الاجنبية واخذوا بعد رجوعهم ينتقدون ادارة تركستان التي فيها شيء كثير من الخلل حقيقة . ظهر لهم وجه الحاجة الى المعارف العصرية وعدم امكان تحصيلها في المكاتب والمدارس القديمة، وبهذه الكيفية تولد فيهم الميل الى المعارف المنيرة للأفكار . وان ذلك الانقلاب المعنوي التدريجي في مسلمي

هذه المذاكرة في حركة الجامعة الاسلامية بين الامبراطور ويلهلم ورئيس المبشرين لم تهتم بها جرائد روسية اهتماما يذكر ولكن جرائد آلمانيا كتبت فيها كثيرا وأوفتها حقها .

فجرائد حزب الكاثوليك اللاتي لهن ولع دائما باثارة شيء من الحركة الصليبية اهتممن جداً بقبول الامبراطور لرئيس المبشرين — ذلك الرجل الذي قدم من افريقية خصيصاً لاثارة الافكار العمومية الالمانية ضد الجامعة الاسلامية . أما جرائد حزب المحافظين البروتستان فلا يرين اندفاع آلمانية في مقاومة الجامعة الاسلامية لافكار فرقة « الكاثوليك الحربي » من الرأي السديد . فمن مجموع ذلك يتبين أن سياسة آلمانية فيها شيء من التردد في اختيار أي خطة من الخطط التي يجب السير عليها بازاء الاسلام . حقاً ان المسألة فيها نزاع الى الآن مثاره هذا السؤال : هل يمكن للجامعة الاسلامية أن تلعب دورا مهما في سياسة العالم . أم هي خيال محض طلع من رءوس شراذم قليلة من متعصبي المسلمين البعيدين عن حقيقة الاحوال ؟ فهذه المسألة لم يقطع فيها بعد

منذ زمان غير بعيد نشرت في جريدة (الطان) الفرنسية مقالة ذات أساس متين (٢) لواحد من علماء العرب في مسلك الجامعة الاسلامية وبروجرامها المفصل. تلك المقالة تجيب جوابا قريباً من الصحة عن كون هذه الجامعة ذا روح أو شبحاً من غير روح . ويفهم من تلك المقالة أن الدول اللاتي لهن السلطة على المسلمين ومن جملتهن دولة الروسية لا ينبغي لهن ترك الاهتمام بحركة الجامعة الاسلامية . وقال صاحب المقالة أيضاً أن مؤسسها الاول رجل افغاني ولد سنة ١٨٣٩ في بلدة كابل وباشر الحروب الدموية كلها في الافغان (يريد السيد جمال الدين)

ذلك الرجل ساح في بلاد الهند وايران وجزيرة العرب وبلاد تركية ومصر ونشر فيها فكرة اتحاد الاسلام . كما انه انتحل مذهب الماسونية في جهة أخرى. وذلك يدل على أنه ما نظر الى الاسلام من جهة الاعتقاد فقط بل اتخذه آلة وتكأة للمقاصد السياسية . ولرنان الشهير من محرري فرنسة ثناء مهم جدا على الافغاني . وفي آخر عهده جاء الاستانة ولقي فيها احتراما عظيما ثم توفي فيها . وظهر كثير من العلماء المروجين لفكر الافغاني فأسسوا في الاستانة مسلكا مخصوصا لنشر فكرة الاتحاد الاسلامي وظهرت آثارهم بين المسلمين لا في تركية وحدها بل أخذت ترى في جميع بقاع العالم التي يوجد فيها المسلمون وسهل أمرهم هذا كثيراً كون لغة العرب

(٢) قد نشرنا ترجمة هذه المقالة في جزء سابق مع التعليق عليها

القديمة الاصول ويحرصون على بقائها وأما الاغنياء والتجار فهم أشياع المكاتب الجديدة . ومن المؤسفات أن عمال الحكومة هناك لا يتداخلون في تلك المجادلات والاختلافات السياسية المهمة بين المسلمين بل يكتفون بالتفرج عليها من بعيد . ما علم الحكام الروسيون هناك بوجود مكاتب جديدة قصدها نشر فكرة اتحاد الاسلام الا منذ سنتين فقط . على أنهم ما علموا ذلك بأنفسهم مباشرة ، بل بالمصادفة وقت تفتيش (عراف باليان) والحال ان تلك المكاتب وجدت منذ عشرات من السنين

مسألة تربية مسلمي تركستان بروح القومية الروسية دون روح الترك « الجامعة الاسلامية » مسألة مهمة جدا لا يجوز تركها على حالها من غير التفات ولا عناية . ولكن يؤسفنا أن كثيرا من الفرص السياسية المهمة فاتت من غير التفات من الحاكمين اه المقالة الاولى من مقالات نوفي فريميا الروسية مترجمة عن جريدة وقت ومنها يعلم مقدار يقظة روسية وقطعها طريق العلم على المسلمين قبل ان يسلكوه ويعرفوا العالم وما فيه وما فتح لها باب الحذر والخوف الا ما يظهره أغرار الاتحاديين من الميل الى جذب مسلمي تركستان اليهم لتقوية العنصر التركي وبهذا يضرون أنفسهم ودولتهم وأولئك المساكين ، وعملهم هذا مخالف للجامعة الاسلامية ولكن روسية تتهمهم بها وان اعلنوا في جريدتهم طنين براءتهم منها

***

﴿ حركة الجامعة الاسلامية وسياسية آلمانية ﴾

تقول جريدة نوفيه فريميه الروسية في مقالتها الاولى (عدد ١٢٨٤٠) المعنونة بهذا العنوان :

منذ زمان غير بعيد قبل عاهل آلمانيا رسميا مقابلة رئيس المبشرين الكاثوليك في مستعمراتها في افريقية وحاوره طويلا في حركة الجامعة الاسلامية . وما قاله الرئيس للامبراطور في ذلك ، وما في اللائحة التي قدمها اليه غير معلوم لأحد (١) أما ما نشرته شركة (فولف) من الخبر الرسمي فهو أن الامبراطور ويلهلم ماوجد من الضروري أن يعدّ الجامعة الاسلامية شيئاً يخاف منه على مستعمرات ألمانية ولا رأى حاجة الى المقاومة الجدية لحركة الجامعة الاسلامية الحربية

(١) المنار نقلت البرقيات العمومية أن الامبراطور صرح بوجوب الضغط على الاسلام ودعاته ثم صححت بصفة رسمية ذلك البلاغ وقالت انه وقع فيه غلط

لى مراكش وإلقاء خطبته في طنجة كل ذلك كان مبنياً على ما ذكر من الاعتقاد في أمر الجامعة الاسلامية . لكن تبين الآن وجود هوة عميقة لا يسهل اقتحامها مع الصداقة للمسلمين والمحافظة على منافعهم الحقيقية ، ولذلك ضحت آلمانيا بمنافع الملايين من المسلمين في مراكش توصلا الى امتلاك قطعة من الارض في الكونغو . فكسرة مطروحة لها في أفريقية كانت كافية لهدم تلك الصداقة

ويوجد أيضا كثير من المسلمين في مستعمرات آلمانية نفسها في افريقية ، فكل حركة يراد بها الضرر على انكلترة من مساعدة الجامعة الاسلامية وازالة العقوبات من سبيلها تكون من غير شك حركة ضد موظفيها ومبشريها في أفريقية . والذي قاله الامبراطور ويلهلم للرئيس المار ذكره هو عبارة عن تدبير وقتي فقط

(وبعد ذلك كله) هل تريد آلمانية أن تسلك في مسلك واحد مع أوربا جمعاء ؟ أم هي تقصد أن تهيج تعصبات المسلمين الدينية وتخلق مشاكل وصعوبات هائلة وتلقيها على رأس أوروبة ؟ عن قريب تضطر ألمانية الى الاجابة على واحد من هذين الشقين

اه مترجما عن جريدة (وقت) الروسية

الدين كله من القرآن (*)

نكتب هذه الكلمة المختصرة بياناً للنصارى الذين يطعنون على القرآن ويرمونه بالتحريف لعدم وجود ذكر لرجم الزاني المحصن فيه فنقول : –

قد استنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحكام شرعية قليلة تخفى مآخذها لأول وهلة على الناظر في الكتاب العزيز وهذه المسائل مع كونها قليلة جداً معروفة ومتواترة بين المسلمين وأهم هذه المسائل هي :

(١) تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها

(٢) رجم الزاني المحصن

(٣) تحريم استعمال أواني الذهب والفضة

(٤) تحريم لبس الحرير على الرجال

(٥) النهي عن أكل الحمر الاهلية (وكان ذلك في واقعة خيبر)

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

اسانا عموميا بين المسلمين أجمعين . فبناء على ذلك لايستغرب وقوع الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام من اسماعيل غصبرنسكي محرر (جريدة اسلامية تصدر في بلدة باغجه سراني)

تنشر مجلات الاتحاد الاسلامي مثل (المقتبس) في نواحي العالم كلها ويقرأها المسلمون في جزيرة العرب وبلاد الهند حتى جزر البحر المحيط الكبير وفي أمريكا . وبواسطة أمثال تلك المجلات يعيش مسلمو لاهور الهندية مثلا ومسلمو تركية وهم متعارفون عن كثب وتشتد رابطة الاخوة بينهم

ليست حركة الجامعة الاسلامية في طور العدوان الآن بل هي خفية ومقتنعة بنشر فكرة الاخوة بين المسلمين جميعاً وليس عليها عيب في الظاهر . ولكن مع ذلك لايمكن للدول اللاتي لهن منافع تمس بالسوء من ناحيتهم غير المقاومة لهم في صورة قطعية .

نعم يظهر بين المسلمين حيناً بعد آخر بعض الآثار الحادة في نشر فكره الاتحاد الاسلامي مثل « أم القرى » ولكن الجامعة الاسلامية ترى الآن وجوب الامتناع عن كشف الستار عن خريطتها وتجتهد قبل كل شيء في تحصيل التعاون والاخوة بين المسلمين في أطراف شتى . على أن أرباب هذه الجامعة ليسوا جاهلين بالسياسة . ومن برنامج سياستهم المدبرة أن ما تسميه أوربة « خطر الجنس الاصفر » ينبغي أن يبقى بمثابة ألعوبة صبيانية . وهم يستفيدون من جميع الفرص لاخراج بروغرامهم من القوة الى الفعل واثارة أفكار أبناء جنسهم بعد ايجاد اتحاد الافكار بينهم . وتلك الفرص توجد دائما وتزيد عما يحسبه الموظفون والسياسيون الاوربيون أضعافاً مضاعفة

مثال ذلك في حرب تركية وايطالية الآن ان الايطاليين قتلوا بالرصاص كثيرا من عربان طرابلس الذين استولوا عليهم وهم عراة لوجود الاسلحة الممنوعة عندهم والعربي عند الاوربيين يعد في الدرجة الثانية بالنسبة الى جزاء الاعدام ، وليس له كبير أهمية ، ولكنه يعد أمراً كبيراً وتحقيراً دينيا عند المسلمين ، لذلك أثر على الطليان هذا تأثيرا سيئاً جداً في العالم الاسلامي فحصل بينهم هياج وغليان في الافكار واستفظعوا عمل ايطالية فوق العادة

كان الامبراطور ويلهم الى الآن عونا كبيراً لحركة الجامعة الاسلامية وكان الالمان يظنون ان هذه الحركة تصل الى درجة توجب الخوف عليهم في الوقت القريب وانها على ذلك تحدث صعوبات جمة للانكليز في الهند ومصر ، وتكون عوناً لهم لقرارهم في الاناضول . ذلك كان ظنهم . فسياحة الامبراطور ويلهم في الشرق وذهابه

والاقتتال بين الاشخاص والبيوتات وذلك يضعف الامة و يفرق كلمتها . والقتل في القرآن لا يباح إلا قصاصا للقتل وللافساد في الارض قال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) وهذا هو حكم لنا أيضا لقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فسادا أن يقتلوا) الآية ولا شك أن الزنا محاربة لله ولرسوله بالعصيان وسعي في الارض بالفساد . وقوله (يقتّلوا) يشعر بأن القتل لا يكون دفعة واحدة بل تدريجيا كما في الرجم والرجم معروف في الشرائع الالهية القديمة كالموسوية كما لا يخفى فلا عيب فيه . فبهاتين الآيتين خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم العام الوارد في قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الآية أي إن ذلك خاص بغير المحصن ونقل المسلمون عنه هذا التخصيص نقلا متواترا . أما عدم التصريح في القرآن برجم المحصن فهو للاشارة إلى أن الزنا مع الاحصان ومع ما في الاسلام من التسهيل في مسائل النكاح من حقه أن لا يكون معروفا بين المسلمين ولا فاشيا فيهم ومن الواجب أنه إذا وقع فلا يكون الا نادرا جدا وعجيبا غريبا بينهم فكأنه لا يحتاج لتشريع خاص به لشدة ندرته . وكأن لفظ الزاني اذا اطلق لا ينصرف عندهم الا الى غير المحصن وفي القوانين الوضعية كثيرا ما يدمجون الاشياء النادرة الوقوع في حكم واحد مع غيرها بحيث لا يتيسر إلا للمتضلع فيها استنباط حكمها من النص العام فكذلك مسألة رجم الزاني المحصن في الاسلام التي لم يذكرها القرآن للتنزه عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين

= لغير أبيهم . وفي الانكليزية اسم الزنا (Adultery) يفيد معنى الخلط فلذا كان في الشريعة الاسلامية عقاب الزاني غير المحصن من الذكور والاناث أخف من عقاب المحصن لان الاول لا يؤدي الى الفساد الذي يؤدي اليه الثاني ويلتمس لفاعله بعض العذر وكذلك في الشرائع المدنية لا يعاقبون الزوج اذا قتل زوجته والزاني بها ولا عقاب عندهم للزاني في غير المتزوجات اذا كان برضاهن وكن رشيدات ويعاقبون قاتله ولو كان أباها أو أخاها فان حق العصمة بيد الزوج فقط

(٦) منع بيع الامة اذا افترشها سيدها وولدت له

أما الامر بقتل المرتد فهو كما قلنا وقال السيد صاحب المنار كان خاصاً لظروف خاصة تقتضيها الحالة في ذلك الوقت لمنع تشكيك ضعاف المسلمين في دينهم بتلاعب بعض الناس بالدين ودخولهم وخروجهم منه كما قالوا (آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) ولمنع إفساد أمرهم وإفشاء أسرارهم وتشتت كلمتهم وإضعافهم باظهارها أمام أعدائهم شاكين منقسمين متفرقين ولمنع عبث المعتدين بهم الذين كانوا يظهرون الاسلام اذا تمكن المسلمون منهم ثم يرتدون ويؤذونهم اذا أفلتوا من أيديهم أو قووا عليهم . أما في غير هذه الاحوال فلا يجوز المسلمين قتل أحد لمجرد الارتداد قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأوجب تأمين المشرك الذي كان أبيح لهم دمه اذا جاءهم تاركا الاذى راغبا النظر في الدين وطالبا البحث فيه لكي لايدخله مكرها كما قال تعالى في سورة التوبة (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أي يجب تركه حتى يسمع القرآن ثم نرده الى أهله آمنا مطمئناً ليتروى فيه ويتدبر فان شاء آمن بعد ذلك وان شاء لم يؤمن بشرط أن يعد ونعرف منه انه لايعود لايذاء المسلمين فان ذلك كان كل مقصودهم . وأما الايمان والكفر فهما متروكان لحرية الشخص (ولو شاء ربك لآمن من في الارض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فهل بعد ذلك يقال ان الاسلام يكره الناس على الدخول في الدين ؟؟ !!

أما تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها فذلك لان العمة أو الخالة تعتبر كالأم وتسمى أما كما أن العم والخال يسمى كل منهما أبا قال تعالى في يوسف (ورفع أبويه على العرش) مع أن أمه كانت ماتت من قبل . وورد أيضا في سفر التكوين تسمية خالته أما له (راجع اصحاح ٣٥ : ١٩ مع ٣٧ : ١٠) وقال تعالى عن لسان بني يعقوب (نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا) فسموا (اسماعيل عمه أبا له

أما رجم الزاني المحصن فهو لان الزنا مع الاحصان إفساد في الارض وموجب لخلط الانساب (١) واضاعة حقوق العباد في المواريث ومؤد لوجود الشحناء والبغضاء

(١) حاشية : عند كثير من أمم الافرنج على ما نعرف لايسمى جماع غير المتزوجات (بالزنا) ويخصون هذا الاسم بوطء المتزوجات فقط لانه هو الذي يجر الى خلط الانساب ونسبة الابناء =

(كتاب الله) اما أن يكون منشؤها ما ذكرت فخلط فيها الرواة وخبطوا لعدم فهمهم المراد منها واما ان تكون من الاكاذيب التي ادخلها المنافقون على الغافلين من المحدثين افتراء على الله وعلى رسوله وعلى أصحابه (وكثير ما هي) والا فان القرآن باجماع المسلمين نقل متواترا عن رسول الله لفظا ومعنى مكتوبا في السطور ومحفوظا في الصدور عند جماهير الامة في كل زمان ومكان وكل ما ليس متواترا فهو ليس بقران كما لا يشك في ذلك أحد من المسلمين وانما هو من الاكاذيب والمفتريات لغش المسلمين في دينهم أو تشكيكهم فيه أو لتأييد رأي أو مذهب لبعض أهل الاهواء والاغراض أو لبعض الفرق الضالة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة أي شيء آخر عنه سوى القرآن لمنع مثل هذا الخلط وأن يختلط كلامه بكلام الله تعالى

وأما تحريم استعمال اواني الذهب والفضة فهو لان ذلك إسراف وكنزلهما مؤد الى الحرج على الامة والعسرة المالية . وكل من الاسراف والكنز مذموم في القرآن الشريف . قال تعالى (ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين) وقال (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) وقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

وأما تحريم استعمال الحرير على الرجال فهو لانه ينافي الرجولية والشهامة ويؤدي الى الاعجاب بالذات والفخفخة والخيلاء فضلا عما فيه من الاسراف وكل ذلك مذموم في القرآن قال تعالى (ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك) الآية فقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية هو مخصص بهذه الآيات أي إن الزينة مباحة إن لم تؤد الى الاسراف أو الكنز أو الاعجاب والخيلاء والغرور والا كانت محرمة كما في الآيات السابقة

وأما النهي عن أكل الحمر الاهلية فهو إما انه كان للحاجة اليها في ذلك الوقت أو لمرض فيها يخشى منه على المسلمين إذا أكثروا من الاقتراب منها وتناولها بالايدي (كالسقاوة والسراجة Glanders) أو لان اكلها مكروه لانها لم تخلق لذلك كما في قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)

وعليه فالرجم حق مما كتبه الله علينا في شريعته وإن لم يصرح به في القرآن لما وضحنا : هذا وفي اللغة العربية كثيرا ما يراد بلفظ (كتاب) المكتوب أي المفروض كما في قوله تعالى (كتاب الله عليكم) في سورة النساء وقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا له اوقات معينة وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الآية . فمن ذلك نشأ خطأ كثير من المحدثين والرواة إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه يقول مثلا (إن الرجم من كتاب الله تعالى) أي مما فرضه الله على المسلمين . فظنوا حديث (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما) (١) أنه آية من القرآن وشتان ما بين الفاظ القرآن وتراكيبه العالية وما بين هذا الحديث . وكذلك أخطأوا وخلطوا في كثير من الاحاديث الواردة في هذه المسألة كقول عمر ما مثاله (ان الرجم فريضة من كتاب الله تعالى ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها فيه) أي هذه الفريضة . فلو كان هذا الحكم معروفا بين المسلمين أنه من القرآن لكتبه عمر فيه ولما خشي أحدا ولما قال الناس إن عمر زاده . فقوله هذا يدل على أنه ليس من القرآن وانما يريد عمر به المبالغة في أنه فرض كفروض القرآن ولولا أنه ليس منه لكتبه فيه يعني أنه حكم كاحكام القرآن لا يجوز الشك فيه لعدم ذكره في القرآن (كتاب الله) . فلفظ كتاب الله في هذه العبارة الممثل بها هنا له معنيان (الاول) بمعنى المفروض الواجب (والثاني) بمعنى القرآن وفي اللغة من مثل هذا كثير كقوله تعالى (يكاد سنا برقه يخطف بالابصار، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لآية لاولي الابصار) فالابصار الاولى بمعنى العيون والثانية بمعنى البصائر والعقول . وقال علي رضي الله عنه فيمن جلدها ورجمها (جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله) أي لان الجلد صريح في القرآن والرجم صريح في السنة وهذا يدل على أن الرجم ما كان معروفا بين المسلمين أن فيه آية صريحة في القرآن وإنما هو يستنبط منه استنباطا . وجميع الاحاديث التي تدل على أنه كان من

---

(١) حاشية هذه العبارة رويت في كثير من كتب الحديث على أنها حديث لا على أنها قرآن كما في الجامع الصغير

أمثلتها ، وما فيها من ايقاظ العقل ، وتحريك الفكر ، والحث على العمل بالعلم ، وترتيب هذا الكتاب مخالف لترتيب الكتب المتداولة في المنطق فهو يقدم التصديقات على التصورات ، فيبدأ بمقدمات القياس فالقياس ، ثم يتكلم على الحد والنظر ، ويختم الكتاب بأقسام الوجود وهي المقولات العشر

لا تكاد تجد أحداً قرأ المنطق في هذه البلاد يستعمل أقيسته وحدوده أو يراعي اصطلاحاته في الاستدلال والمناظرة ، أو يشير اليها في مسامرة أو محاضرة ، بل لك ان تجزم بأنها قلما تخطر في بال أحد منهم في المواطن التي يحتاج اليها فيها. وسبب ذلك قراءة تلك المتون الوجزة التي يشتغلون عند قراءتها بحل عباراتها وفهم اصطلاحاتها لاجل أداء الامتحان بها ، فاذا وصلوا الى هذه الغاية واقتحموا عقبة الامتحان ، تم القصد ، وقضي الامر ، وليس في تلك الكتب جاذب يجذب الفكر الى الاشتغال بهذا العلم ومراجعته وترقية العقل به كما ترى في مثل هذا الكتاب للغزالي

مثال ذلك اختصارهم المخل في مادة القياس تراهم يكتبون فيها أسطرا قليلة ويذكرون لكل منها مثالا واحدا ، وأما الغزالي فقد كتب في (المجربات) زهاء صفحتين كصفحات المنار وفي (المشهورات) صفحتين ونصفا بين فيها خمسة اسباب لاثبات الذهن لها ووضح ذلك بالامثلة المتعددة ، ومن مزايا اسلوبه أنه يورد المسائل مورد الاستعمال والوقوع تارة بالخطاب وتارة بالحكاية عن الغائب أو المتكلم ، وهذا الاسلوب أوقع في النفس وأقوى في تقرير المعاني فيها من الاسلوب المعهود في الشمسية والبصائر وغيرهما وهو تحديد المطالب مجردة من لباس الاستعمال

وقد صدر هذا الكتاب بترجمة مطولة المؤلف وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ جواهر القرآن ﴾

مصنف للغزالي مشهور طبع من قبل واعاد طبعه في هذا العام الشيخ محيي الدين صبري الكردي كما طبع من قبل صنوه المسمى كتاب الاربعين وهما في الحقيقة كتاب واحد ينبغي جمعهما في غلاف واحد وقد سبق لنا تقريظ كتاب الاربعين

الى قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) والخلاصة أن حرمتها لا يمكن أن تكون كحرمة لحم الخنزير بالاجماع فهي (إذا سلم أن النهي عنها كان عاما) اما أن تكون مكروهة واما أن تكون من الصغائر ولذلك لم يذكرها الله تعالى في آيات تحريم المأكولات كقوله (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وغيرها وهذه الآية واردة في السور المكية والمدنية فلا يأتى فيها قولهم (إنها نسخت)

وأما منع بيع الامة إذا ولدت لسيدها فذلك لان بيعها تقطيع للارحام وذلك مذموم بقوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم) .فليتأمل في هذه الآية المكثرون من الطلاق ! !

والخلاصة ان الاسلام كله من القرآن وقد تخفى مآخذ بعض شرائعه اللهم إلا بعض المسائل العملية القليلة التي توضيحها بالعمل خير من توضيحها بالقول وكانت تتكرر بين المسلمين كثيرا ككيفية الصلاة والحج فلم يأت تفصيلها في القرآن الشريف . فأين تذهبون أيها النصارى . و بماذا تطعنون في الدين الحنيف ؟؟ . اه

تقريظ المطبوعات

﴿ معيار العلم ﴾

كتاب معيار العلم في المنطق لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي سارت بذكره الركبان ، وكان المشار اليه دون كتب هذا العلم بالبنان ، ثم طوت صحفه أيدي الحدثان ، حتى لم تعد تكتحل برؤيته عينان ، الى ان ظفر به وطبعه في هذا العام الشيخ محيي الدين صبري الكردي وشريكاه وهو متن مبسوط تبلغ صفحاته ١٧٥ صفحة كصفحات المنار ، وناهيك بعبارة الغزالي في بسطها وسهولتها وانسجامها وجلاء

والتحرير فان تاريخ كل علم من هذه العلوم — وهو أحد الاغراض — لا يحرره الا من عرف هذه العلوم كلها ، فلا بد من الاستعانة فيه الا لمن يقنع بمثل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته أو يزيد عليه قليلا مما كتبه ابن النديم أو غيره وإن لم يفهم الكاتب ذلك حق الفهم لعدم تلقيه لهذه العلوم عن أهلها

وجملة القول ان هذا الكتاب مفيد لقراء العربية في ترتيبه واسلوبه ومسائله فنشكر لمؤلفه عنايته ولعلنا نوفق الى توفيته حقه من التقريظ بعد إتمامه

***

﴿ الحراب ، في صدر البهاء والباب ﴾

كتاب جديد ألفه وطبعه في هذا العام محمد افندي فاضل بعد مجيء عباس افندي زعيم البابية البهائية الى القطر المصري ذكر في مقدمته مجيئه وما كتبته الجرائد فيه ثم قسمه الى مناطق في تاريخ البابية ودياناتهم وكتبهم وهدم أصولهم ورد أباطيلهم وقولهم بالوهية ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وذكر في المقدمة انه عرف من دعاة هذه الديانة بمصر أناسا يحذر المسلمين اربعة منهم هم أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وهم (١) المرزا حسن الخراساني التاجر بالقاهرة وهو عميدهم في أمورهم المدنية

(٢) المرزا ابو الفضل محمد بن محمد رضى الجرفادقاني الايراني وهو داعيتهم ومؤلفهم

(٣) فرج الله زكي الكردي صاحب مطبعة كردستان « وهو داعية كبير »

(٤) حسين افندي روحي ابن الملا علي التبريزي وهو صاحب مجلة تدعو الى هذا الدين ... كان يصدرها في القاهرة باسم (لسان الامم) — الى ان قال — وهو الآن صاحب مدرسة في القاهرة بخط الحسينية تسمى (المدرسة العباسية) نسبة الى عباس افندي زعيمهم . ومن الغريب ان يلقي المسلمون اولادهم في هذه المدرسة وهي — اذا صح انها للبابية كما هو الظاهر — فانها أشد افسادا لعقائدهم من مدارس دعاة النصرانية لان جعل المسلم نصرانيا عسر جدا وأما افساد عقيدته بتأويل القرآن وتحريف كلمه عن مواضعه كما تفعل الباطنية والبهائية منهم فهو إسهل من كل افساد ولكن أي غفلات المسلمين ليس بالعجيب ؟ ؟

﴿ تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

تاريخ آداب اللغة العربية فن توجهت اليه نفوس المعلمين والمتأدبين حديثا بعد ان رأوا الافرنج يعنون به و يصنفون فيه ، وقد كنا قرظنا في اول المجلد الرابع (١٣١٨) كتابا بهذا الاسم الذي جعلناه عنوانا هنا من تأليف محمد بك دياب .
وقد ظهر في هذا العام جزء من كتاب آخر بهذا الاسم للكاتب المؤرخ المشهور جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال قال انه « يحتوي على آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي - اي من اقدم أزمنة التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ » وسيعززه بجزء آخر أو أجزاء في تاريخها فيما بعد ذلك الى زماننا هذا

بدأ المؤلف هذا الجزء بمقدمة في تاريخ التأليف في هذا الموضوع بين فيها ان الافرنج لم يكونوا يعرفون هذا العلم وانما التفتوا اليه وعنوا به أخيرا وان العرب قد سبقوا إلى التأليف فيه « مثل سبقهم في غيره من المواضيع » وعدمن كتبه (كتاب الفهرست) لابن النديم ، وكتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) المعروف بموضوعات العلوم ، و (كشف الظنون) و (ابجد العلوم) ولكن هذه الكتب ليست على النهج الحديث الذي سبق الى التأليف فيه المستشرقون من الافرنج بلغاتهم ، ورجى المؤلف ان يكون هو أول من كتب على هذه الطريقة بالعربية وأول من سماه بهذا الاسم

ثم بين فيها الغرض من الكتاب وهو « (١) بيان منزلة العرب بين سائر الامم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي (٢) تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم ... (٣) تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره ... (٤) تراجم رجال العلم والادب .. (٥) وصف الكتب العربية باعتبار مواضيعها وكيف تسلسل بعضها من بعض .. » ثم بين تقسيم الموضوع وما يشتمل عليه هذا الجزء وهو الاول منها - وهوما بيناه في أول الكلام

ونحن نرى ان هذه الاغراض لا يضطلع بها رجل واحد يريد التحقيق

باب الأخبار والآراء

﴿ سفر صاحب المنار الى الهند ﴾

(اجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء اياه لحضور احتفالها السنوي)

جمعية ندوة العلماء في لكنوء اشهر من نار على علم وقد سبق لنا التنويه بها في المنار والكلام عن احتفالها بتأسيس مدرستها (دار العلوم) فهي جمعية اصلاحية من أنفع ما توجهت اليه همم المسلمين في هذا العصر لاحياء العلوم الدينية ووسائلها بأخذها من لغتها (العربية) مباشرة والعناية بتعليم هذه اللغة بل جعلها لغة المدرسة الرسمية . وبنشر هداية الاسلام والتأليف بين أهله ، كل ذلك معروف مشهور ، وامراء المسلمين وعقلاؤهم في الهند يؤيدون الندوة ويمدونها بالمال ، وحكومة الهند نفسها راضية عنها وتعطيها من خزينتها إعانة سنوية

كتب الي صديقي العلامة الشهير الشيخ شبلي النعماني أحد الاساطين التي قام عليها بناء هذه الجمعية ومحرر مجلتها (ندوة العلماء) بأن اركانها وأعضاءها العاملين قرروا دعوة هذا العاجز الى حضور احتفال الندوة الذي يكون في أول إبريل من هذا العام ، والتصدر في محفلها الشريف الذي يحضره العلماء الاعلام ، والامراء الكرام ، وقال أعزه الله انهم يرجون باجابتي لدعوتهم ، مزيد الاقبال من عظماء البلاد على ندوتهم ، وهذا من المبالغة بحسن ظنهم بهذا العاجز او المجاملة له ،

تعارض في إجابة هذه الدعوة الشريفة المانع والمقتضي بل ثم موانع كثيرة أهمها قرب العهد بتأسيس مدرسة (دار الدعوة والارشاد) وشدة الحاجة الى ان

قبل كتابة هذا أخبرني بعض نبهاء النجديين عن فرج افندي الكردي أنه حذف من بعض فتاوى ابن تيمية التي طبعها حديثا على نفقة بعض أهل الخير والدين فتواه البديعة في بيان كون سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وما كنت اظن ان التعصب للبابية يحمله على التصرف في كتب المتقدمين التي يطبعها ، لان هذا يبطل الثقة بجميع مطبوعاته

***

﴿ بشرى العالم ، بترك المحاربات واتفاق الامم ﴾

رسالة لفرج زكي افندي الكردي ادعى انها « تتضمن البشارات الالهية ، والبراهين العقلية ، بقرب حصول السلام ، بين الآنام » وهي عبارة عن ايهام وابهام ، واستمساك بعرى الاوهام ، وجمجمة وغمغمة منها ما لم يفهم ، ومنها ما يفهم ولا يعقل ، نشرها يبشر بها المسلمين بالسلام العام ، وصواعق المدافع تمزق منهم الاجسام ، وتدك المعاقل والآطام ، وقد استولى الافرنج على مملكة الغرب الاقصى من ممالكهم ، وزحفت جيوشهم الى بلاد فارس وطرابلس الغرب لاجل القضاء على الدولتين الباقيتين لهم ، كما صرحت بذلك صحفهم ،

وقد بث كاتب هذه الرسالة روح دعوة البابية البهائية في رسالته والظاهر انه ما كتبها الا لاجل هذا ، واظهر بشارته عنهم فيها هوما نقله عن القس (وليم مور) انه « أخبر بان الرب ينزل في سنة ١٨٤٣ ميلادي (كذا) وتبعه (كذا) ألوف من الناس » (قال فرج) « وهذا الكتاب مطبوع في اميركا فعلى رأي هذا القائل يكون قد مضى من ظهوره لهذا العام (اي سنة ١٩٠٥) اثنان وستون سنة » اه يعني بهذا ظهور الباب والبهاء فان الباب اظهر دعوته الباطلة بالقرب من تلك السنة التي ذكر ذلك القس ان الرب ينزل فيها ولعلهم يطبقونها عليها . وتلك السنة توافق سنة ١٢٥٩ الهجرة وهي السنة التي قالوا ان الباب اراد ان يحج فيها ويظهر دعوته بمكة . ولكن الله صرفه فلم يتح له ذلك

فياتعسا الدين هذه دلائله ، والقس وليم ميلر وامثاله انبياؤه ، ويا شقاء من يضيع شيئا من وقته بقراءة أمثال هذه السخافات الا من يحذر الاغرار منها ، والى الله المشتكى

الشيخ احمد العبد (بن الشيخ سليمان العبد شيخ الشافعية في الجامع الازهر) وهو مدرس للعربية والفقه فيه وان يكون ذلك تحت مراقبة لجنة المدرسة ، وان يكون الذي يمضي عني والمسؤول عن عمل الناظر هو من يعينه مجلس ادارة الجماعة نائبا عني في رياسة اللجنة مدة سفري . وقد عرضت هذا الاختيار على مجلس الادارة فأقره .

﴿ مدرسة علمية في الكويت ﴾

العرب أعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة . ويشهد لهم به التاريخ ، فشريعة حمورابي أقدم الشرائع المعروفة كانت عربية والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية ، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما كالمدنية اليونانية والرومانية

وللعرب في التاريخ القديم نومات طويلة ، تتلوها هبات ووثبات قوية ، وكانت نومتهم قبل الاسلام اطول نوماتهم زمنا ، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها أثرا ، وقد عادوا الى النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم ، وتلاميذهم في الحضارة يهبون من أمامهم : النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ، ومن مات فات ، ونحمد الله ان نراهم يستيقظون ، وان انشأوا يفكرون و يعملون ، ولكنهم في عملهم متحيرون ،

ومن أكبر المشروعات العلمية التي هي مناط الرجاء وموضع الامل ما توجهت اليه همة الشيخ مبارك آل الصباح صاحب الكويت من إنشاء مدرسة علمية دينية في بلده تكون مثابة للتربية القويمة والتعليم النافع الذي يحيي البلاد ويرقي أهلها في أنفسهم وفي أعمال معايشهم ، ويستوري زناد الذكاء العربي الكامن في فطرتهم، وان هذا الشيخ الجليل في عقله وغيرته وسعة تجاره ومكانه من الندرة في الامة العربية لجدير بأن يأتي هذا العمل من بابه ، وينوطه بار بابه ،

اختار ان يكون لهذه المدرسة لجنة تتولى جمع المال لها ، وتتعاون علي إنشائها

يكون ناظرها ومديرها هو الذي يتولى أمرها بيده ، ولكن حق هؤلاء الاخوان المظام أركان ندوة العلماء مما لا يمكن التقصير فيه ، ولسائر اخواننا مسلمي تلك الاقطار حقوق علينا . يجب أداؤها وان لم يطالبوا بها ، كما اننا نرجو ان نستفيد في مثل هذه الرحلة من علومهم ومعارفهم ، ومن مشاهدة اهتمامهم بالعلم والاصلاح ما نحن في أشد الحاجة اليه ، فان مسلمي الهند ومسلمي مصر هم الذين يتمتعون بالحرية التي يمكنهم ان يخدموا بها دينهم وأنفسهم دون سائر المسلمين

شاورت في هذه الدعوة اخواني أعضاء مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد فأجمعوا على استحسان الاجابة وأن أكون فيها ممثلا لهم لان مقصدنا ومقصد الندوة واحد وهو إصلاح التعليم الاسلامي وترقية شأن الاسلام والمسلمين . وكذلك شاورت غيرهم من الاخوان فكانت كلمة الجميع واحدة فأجبت الدعوة وعزمت ، وعلى الله توكلت ،

وكان سفرنا من القاهرة الى بور سعيد قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الأنور وركبنا الباخرة (مولتان) من بواخر الشركة الشرقية الانكليزية وفيها كتبنا هذه السطور ، ونسأل الله التوفيق وبلوغ المقصود ،

***

﴿ مدرسة دار الدعوة والارشاد ﴾

اخترنا ان يكون فتح دار الدعوة والارشاد في ليلة تذكار المولد النبوي الشريف تفاؤلا وتيمنا بأن تكون هذه المدرسة محيية لدعوته صلى الله عليه وسلم في العالمين ، وناشرة لهداية سنته بين احق الناس بها من المسلمين ، وقد وفق الله عز وجل وأقبل طلاب القسم الداخلي في تلك الليلة المباركة على المدرسة فباتوا فيها وكانت ليلة الجمعة الشريفة . ثم بدئ بإلقاء الدروس فيها للقسمين الداخلي والخارجي يوم السبت ١٣ لربيع الأنور ولله الحمد ، ويتذكر القراء اننا نشرنا النظام الاساسي لجماعة الدعوة والارشاد في ليلة المولد النبوي من العام الماضي أيضا

وقد كان من قضاء الله وقدره ان اسافر إلى الهند في هذا الشهر بعد افتتاح المدرسة وانتظام الدروس فيها ، فاخترت ان ينوب عني في أعمالها الادارية الموقتة

وقد قال لنا غير واحد ممن شهدوا الوقائع بأنفسهم أنهم لو لم يشاهدوا بأعينهم لما صدقوا ان الامر وصل الى هذا الحد الذي يكاد يكون من خوارق العادات. وقد علمنا منهم أن الموسم في هذه السنة لم ير أهل البلاد مثله من أعوام كثيرة وان الغنائم عظيمة ، وان الايطاليين قد أسرفوا في اطلاق قذائف مدافعهم من البر والبحر من غير حاجة في الغالب حتى أن العرب صاروا يقولون : هلموا بنا نضحك عليهم : فينصبون لهم قبل الفجر أشباحا فاذا رأوها فى أول النهار بنظاراتهم أمطروا عليها نارا من مدافعهم قبل أن يتبينوها ، وان الشجاعة التي ظهرت من العرب قد أدهشت العالم كله ، فنسأل الله تعالى حسن العاقبة

﴿ في مستقبل ايران ﴾ (*)

كتب مينشيقوف في جريدة (نوفيه فريمه) بمناسبة ارسال الجنود الروسية الى ايران هكذا

يجب أن نتبصر ونتأمل جيدا في فرقنا الجزائية المرسلة الى ايران حتى لا تكون النتيجة جزاء علينا ، ربما يستقبل الفدائيون عساكرنا في شمال ايران بعد الاتحاد مع أهل الخيام وعامة الايرانيين ويثورون جميعا علينا في جهات شتى وهذا الشكل من الحرب أصعب من الحروب النظامية الكبيرة لاسيما في بلاد مثل ايران التي ليس فيها شيء من السكك الحديدية وأبناؤها لايزالون بين التوحش والتمدن وهم مسلحون ببنادق الروس . وايران الشمالية ليست قوقاسا ولكنها تشابه القوقاس مشابهة تامة من جهة طبائع أبنائها وانتسابها الى مدنية الاسلام وأحوالها الاخرى. حروب فرقنا الجزائية في القوقاس امتدت ٥٠ عاما وأنفق عليها من الاموال أكثر مما أنفق على حرب بروسية في زمن القيصرة يليزاويته ولكن كانت نتيجة تلك الحروب أن ملكنا تلك البلاد الواسعة والاراضي الجيدة . لو كان الانكليز في محلنا أو النمساويون لكانوا استفادوا فوائد حتى بنسبة الالف الى المئة مما أنفقوا من

(*) معربة عن جريدة (وقت) نمرة ٨٩٥ في ٢٣ ديسمبر الشرقي سنة ١٩١١ الموافق ١٦ محرم سنة ١٣٣٠

وإدارتها ، ليكون ذلك من تربية الامة على الاعمال الاجتماعية التي يرجى دوامها، ويجعل كثيرا من الفضلاء يغار عليها ، ولو شاء لأنشأها من ماله الخاص وما ذلك على كرمه وسخائه ونجدته بكبير ، وما اختاره هو الأولى والانفع إن شاء الله تعالى

تألفت اللجنة برياسة نجله الكريم الشيخ نا سر مبارك الصباح وجمعت من التبرعات لأول وهلة ما يبشر بحسن العاقبة ونجاح العمل . وكان أول من لبى الدعوة ، وسبق الى تأييد هذه المبرة ، صديقنا المحسن العظيم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ، فقد تبرع لها بألفي جنيه وتبرع غيره من آل بيته الكريم بمبالغ عظيمة يليه منهم الشيخ عبد الرحمن ابراهيم

وقد كتب إلي هذا الصديق الابر الاوفى من بومباي أن لجنة المدرسة كلفته أن يطلب مني وضع برنامج للتعليم في هذه المدرسة وان أختار لها المعلمين الاكفاء فكان هذا الطلب نعمة له ولأعضاء اللجنة أن يمنوها عليّ إذ رأوني أهلاً لمشاركتهم في هذه الخدمة الجليلة . وقد كتبت اليه ثم الى اللجنة اسأل عن وقت فتح المدرسة وعدد من يرجى أن يكون فيها من الطلاب ودرجة معرفتهم ، وغير ذلك من المسائل التي يتوقف عليها تنفيذ ما شرفوني بطلبه مني . وقد كتبت هذه النبذة قبل أن يجيئني الجواب منهم ببيان ما سألت عنه ، وكنت أخرت الكتابة انتظارا لجوابهم ليكون الكلام أوسع فائدة

واتفق في أثناء ذلك ان جاءتني دعوة جمعية ندوة العلماء الهندية الى حضور احتفالها السنوي في هذا العام ، واقتضت الحال أن أجيب الدعوة وأن أزمع السفر قبل مجيء الجواب من الكويت في بيان ما سألت عنه ، وستكون المذاكرة الاولى في ذلك بعد وصولنا الى بومباي ان شاء الله تعالى

﴿ الحرب في طرابلس الغرب وبنغازي ﴾

بلغت أخبار انتصار المسلمين على الايطاليين في طرابلس الغرب و بنغازي الى درجة التواتر لكثرتها وتعدد رواتها بالبرقيات والرسائل ومشافهة من حضروا من ميادين القتال وهم كثيرون

(تسكه التركمان) وامتد بها الزمان حينئذ يجب أن نحسب أن قيام الثورات في القوقاس وفي تركستان واقع لامحالة . رؤساء الحركة ضد الروس في القوقاس هم الارمن وفي تركستان اليهود . أهالي تركستان أخذوا ينسون الآن تمام النسيان ماراأوا من يرمولف وأسقوبلف ويفدوكيموف وشير نايف وما دهاهم من ضربات هؤلاء الابطال . ومن الاسف أنه لايرى في الدور الاخير في تاريخ الروس مثل أولئك البواسل . وفي السنين الاخيرة أخذت البغضاء والعداوة بالتيقظ في تركستان لكل شيء أتى من جهة الروس . ووقائع انديجان وبخارى تدلان على وجود النار تحت الرماد . ومما يندهش له الانسان عدم القبض على سليم خان في القوقاس الى الآن . فاذا أصاب عساكر الروس شيء من الهزيمة في ايران فمن المؤكد بدء دور جديد لسليم خان يشبه دور الشيخ شامل في السنين الماضية . فيلزم مع إرسال العساكر الى ايران في آن واحد تقوية جنودنا في حدود تركية وفي القوقاس وتركستان . واذا لم نفعل ذلك يمكن ظهورا أحوال مؤسفة جداً

وقال مينشيقوف في آخر مقالته هذه : الانكليز والروس لا يستعبدون الاقوام الذين يستولون على بلادهم بل يخلصونهم تخليصا وأنا أمين ومطمئن جدا أن أهالي بولونيا والهند ومصر وكوريا وفاس يستقلون من جديد بعد قرون عديدة وتكون كل واحدة من هذه الامم دولة متمدنة بعد الفوضوية الاولى ويصرن ذوات اقتدار على حفظ استقلالهن . لعل ذلك يكون أيضا أحسن وأمثل طريق لايران

﴿ أخبار شتى ﴾

(عن احوال العالم الاسلامي)

أخبار بخارى

يستعدون لاصلاح الطرق ورصف شوارع بخارى، وعدد الشوارع التي يراد رصفها بالحجارة ثلاثة وستون شارعا على ما يسمع . ولكنه بناء على احتمال أن بعض العلماء يوهمون الاهالى عدم جواز ذلك في الشريعة استنسبوا الآن إصلاح بضعة شوارع فقط . وكذلك ينقلون كراهة بعض العلماء ومعارضتهم لمشروع

الاموال لأجل استيلائهم عليها . اما ايران فأي فائدة يمكننا أن نستفيد منها ؟ ومن المعلوم أننا لا نحارب حكومة ايران؟ فإذًا كيف نسترد الاموال التي ننفقها هناك ؟ توجد عساكر الروس في ايران منذ ثلاث سنين فاذا لم يكن وجودها فيها من غير شغل سببا في استتباب الامن بل سببا في تقوية الحكومة الاحتلالية فلا تكون نتيجة سكوت عساكرنا الجدد الآن غير الذي عرفنا من قبل وان كانوا الا ن قد ازدادوا عددا . وأما اذا أظهرت جنودنا شيئا من الحركة الفعالة فهذا يعد من الحرب

اسأل مرة ثانية من أين نسترد أموالنا التي ننفقها في ايران وجرت العادة أن يستولي المحاربون على أراضي العدو ضمانا للنفقات التي ينفقونها على الحرب ؟ فالواجب علينا اذًا اما ان ننفق النفقات الكبيرة لاجل الايرانيين تبرعا ونخمد لهم الثورات في بلادهم واما أن نحارب حقيقة ونستولي على مقاطعتي اذربيجان وخراسان ولكن إنفاق الذهب وإراقة الدماء لنفع الاجانب عادة قد قدمت فلا نعلم هل ترضى بذلك وكالة الامة (مجلس الدوما) أم لا ترضى؟ . يظهر أن المقصد من إرسال فرق الجزاء هو استتباب الأمن تماما في شمال ايران وذلك لا يتم الا باقامة عساكر الروس فيها مدة طويلة كما هي الحال في مصر وولايتي بوسنة وهرسك . ولا يخفى أن إشغال إيران بالجنود على هذه الكيفية يكون مقدمة لتقسيمها تماما . وأرى أن عمل ما هو المقصود بالذات حالا من غير تأخير أولى وأحسن من التطويل في الأمر من غير فائدة . لم يتداخل أحد في ضم اليابان لكورية ولا في ضم النمسة لولايتي البوسنة والهرسك . وكذلك عملت فرانسة ما أرادت في مملكة فاس – وان تداخلت بعض الدول – . و بقيت تركية وحدها (من غير نصير) في تسلط ايطاليا من غير حق على طرابلس الغرب وهكذا ...

فينبغي لروسيا اذا كانت تتوقع منافع دولة كبيرة في ايران أن لا تحجم عن أي شيء ولا عن انفاق النقود الكثيرة. لو صادف روسيا في ايران أدنى شيء من عدم التوفق وسوء الحظ ولو وقتيا يتولد منه ثلاث فتن وهي من جهة تركية والقوقاس وتركستان فيجب علينا إنهاء العمل في ايران بسرعة زائدة و بصورة توافق مصالحنا . حفظنا الله اذا كانت تشبه حركة جنودنا في ايران الآن بحركتها في حرب

مسلمو الصين في منشورية

بناء على دعوة اسماعيل افندي امام بلدة خار بين في منشوريا ذهبنا الى بلدة « فودزه دن » وتفرجنا على مساجد مسلمي الصين ومكاتبهم . الفرق قليل بين مساجدهم ومساجدنا . وهذا الفرق هو مثل عدم وجود المنارة وصورة الهلال في مساجدهم ووجودهما في مساجدنا، ومزين داخل مساجدهم بأنواع البسط وخصوصا بمصابيح الكهرباء (كذا)

يرى الداخل قرب الباب من الطرف الايمن صورة ثعبان كبير من الحجر مصبوغ بعدة ألوان وهو شعار دولة الصين وقد بلغنا أنهم مجبرون على وضعه في كل مسجد من مساجدهم . وهم لا يصلون في مساجدهم غير الجمع والاعياد . ولا يوجد في الجمع أكثر من ثمانين شخصا

ورأينا في فناء المسجد بيتا للمسافرين يوجد فيه في كل وقت مقدار عشرة من الغرباء والمسافرين . ويبلغ عددهم في أيام الجمع والاعياد أربعين أو أكثر والخدمة في هذا البيت واطعام الضيوف (المسافرين) فيه مجانا في يد واحد من أغنيائهم، وسائر الحاجات منوطة بأهالي المحلة . ويوجد بقرب دار المسافرين حمام ذو ثمان حجرات لاغتسال من يريد . وفيه الماء الفاتر والمناشف والخدمة وهو مفتوح في كل وقت، ودخلنا مكتبهم فاذا هو أحط وأدنى من حمامهم . ولكن بنوا في هذه السنة مكتبا بهمة واحد من أغنيائهم ولا بأس به . وعمروا القديم وجعلوه لسكنى الامام . والطلبة في مكتبهم قليلون جدا وكان عددهم في الشتاء عشرة فقط وهم أولاد أئمة القرى . أما التجار والزراع فهم لا يفكرون في تعليم أولادهم ولا يشعرون بالحاجة اليه فلا يوجد في المكتب تلميذ واحد من هذه البلدة وفيها ٣٠٠ بيت فيقاس على حال تلك البلدة أحوال مسلمي بلاد الصين الأخرى

مسلمو هذه البلاد لا يطلبون العلم إلا بقدر ما يوجد امام بعد موت كل امام وهم مع جهالتهم هذه متعصبون لدينهم غاية التعصب فهم لا يختلطون بالتتر قط

تدابير وتنوير البلد بالكهربائية . ومن العجب ان أرمنيا استأجر قصرا كبيرا لمدة عشر سنين يريد فتح سينماتوغراف فيه ولم يسمع من أحد كلمة في جواز ذلك أو عدمه

بخارى

ستة من ضباط أركان الحرب يتنقلون في بلاد بخارى حيث يفتشون الاحوال ويأخذون الحساب . كثير من هؤلاء المأمورين اشتهروا بعوالانهم وتحقيقاتهم في بخارى ومعهم كثير من الفرسان اه عن وقت نمرة ٨٣٦ أغسطس سنة ٩١٢

السكك الحديدية الجديدة في بخارى (*

فرقة من أغنياء تركستان رئيسهم اسكونسكي « روسي » أخذوا الرخصة من حكومة بخارى اوصل كثير من بلاد بخارى بالسكك الحديدية القصيرة الى محطات السكك الحديدية في آسيا الوسطى . وكذلك صدق السفير الروسي هذه الرخصة

ايركوتسكي

قر رأي مجلس بلدية ايركوتسكي على اعطاء ١٦٨٠ روبل لمدرسة المسلمين هناك كل سنة . وصدق الوالي ذلك القرار بشرط افتتاح قسم اللغة الروسية للبنين والبنات في المدرسة . والمسلمون الآن هناك يطلبون أن يكون المعلم والمعلمة من المسلمين لتعليم اللغة الروسية في تلك المدرسة

حول دار المعلمين

هي مدرسة روسية خاصة بالتر تهيء منهم المعلمين لتعليم اللغة الروسية . كان في بلدة قزان في يومي الثاني والثالث من شهر أغسطس امتحان الدخول في دار المعلمين والذين يريدون الدخول فيها في هذه السنة يزيدون على سبعين . ولا يقبل منهم الا خمسة وعشرون تلميذا . وبينهم كثير من طلبة المدارس الاسلامية حتى من الذين أتموا الصنوف العالية فيها واستلموا شهادة التدريس من المشيخة الاسلامية في بلدة أوفا . وكانت تلك المدرسة تحار في أول افتتاحها من جهة عدم وجود الطلبة الراغبين بالانتساب اليها

*) عن وقت أيضاً

وفاة عالم مأسوف عليه

توفي في أول أغسطس امام قرية بيوك قاراماني في لواء تتوش التابع لولاية « قزان » محمد عالم بن خالد وكان عمره خمسا وثمانين سنة رحمه الله . ومدة امامته في تلك القرية ٥٥ سنة . كان رحمه الله على ما يروون يشتغل زمن شبابه في الصيف على شاطئ نهر فولغا بسبب فقر أبيه أو يعلم أولاد القوزاق ويكسب من ذلك شيئا من النقود ثم يدخل المدرسة ويجتهد في تحصيل العلم . و بعد امامته كان مثالا حسنا لقومه باجتهاده وجوده وأعماله المفيدة الاخرى . بني باجتهاده مدرسة لتعليم أولاد المسلمين وعلم كبار القرية علم تربية النحل وتربية الحدائق والاشجار المثمرة مثل التفاح حتى صارت القرية مثل مصيف محاطة بالحدائق والاشجار المثمرة . وكان لا يطمع بشيء من الناس وفضلا عن ذلك كان ينفق كثيرا من أمواله في الخيرات مثل تعمير المسجد والمدرسة ومجاري المياه

منذ زمان غير بعيد بنى أهالي هذه القرية التي كانت أولا مشهورة بالفقر المدقع مسجدا كبيرا ومدرسة جيدة من غير طلب اعانة من الخارج . ويعلمون أولادهم فيها على الاصول الجديدة . وكذلك فتحت فيها مدرسة ابتدائية لتعليم اللغة الروسية ويوجد الآن فيها كثير من متخرجي المدارس الثانوية الروسية ، كل ذلك باجتهاد وارشاد ذلك العالم الفاضل الذي توفي يوم الاثنين أول هذا الشهر

وخلف أربع بنات وستة بنين ، واحد منهم الآن في مدرسة الصنائع في بلدة قزان والثاني في مكتب التجارة والآخرون أئمة مثل أبيهم ، وكان رحمه الله حليما سخيا ولم يدع مدة عمره احدا جاء بيته من طالبي المعروف من غير أن يسعفه حتى انهم ينقلون عنه انه دفع عدة مرات ثوبه الأخير للمحتاجين ، وكان يشتغل الى حد مرض موته في حديقته وهو محتذ حذاء الفلاحين وكان جيد السمع و يطالع الكتب والجرائد من غير عوينات (نظارات) ولم يترك صلاة ولا صياما منذ بلوغه جعله الله في رحمته الواسعة وألهم أهل بيته الصبر الجميل

واحد من الحاضرين لجنازته

لانهم أي « التتر » يأكلون لحم الفرس ويشربون الدخان ومنهم من لا يقصون الشارب حتى انهم يعدونهم من الكافرين . يوجد في محلة التتر عشرة من بيوت مسلمي الصين رجال بيتين منهم قد يصلون الجمع والاعياد في مسجد التتر أما الباقون فهم يذهبون الى مساجدهم في (فودزه دن) وان بعدت عليهم الشقة

تفتيش كتبخانه شيلابي

في ١١ يوليو وقت الظهر تماما أجرت شرطة شيلابي تفتيشا في دار كتب (كتبخانة) المسلمين ودام التفتيش ساعة ونصف ساعة وأخذوا الكتب التي تذكر أسماؤها بعد للنظر والمطالعة وهي: تفسير الفاتحة، الاسلام والنصرانية، ترجمة تاريخ أفغان، فرياد ، سياحت الكبرى، وجدان محاكمه سي خيوه ، صلاح الدين أيوبي، دور عالم، أوكى بالالر (يعني الايتام) ، يا بون محار به سى ، روسيه مسلمانلرينك احتياجارى، روسيه ايله تركيه محار به سى ، زندان ، ملت قايغوسى ، مرآت مجله سى ، داروينكيه رديه يعني (الرد على داروينكين)، حقيقت يازغى توياش، الشمس الربيعية، اشعار مير عزيز الاوقاصى، صبح صادق ، مجلات المنار، العصر الجديد ٥٧ كتابا أيضا جلدت بتلك الكتبخانة المار ذكرها . وكان التفتيش بسعاية واحد من شبان التتر المستفيد باستعارة بعض الكتب من هذه الكتبخانة

الاعانات الطبية

خصصت الحكومة لصحة المهاجرين في ولايتي أورغال وتورغاي ١٨١٠٠٠ روبل وقد لا يصيب جميع مسلمي الولايات الشرقية هذا المقدار من الاعانات الطبية

استفادة الناس من الكتبخانة

استفاد بمطالعة الكتب في الكتبخانة الاسلامية « نجات » ببلدة طرويسكي من أول السنة الى شهر يوليو (أو أغسطس) أحد عشر ألف شخص وأ كثر الاستفادة كان في شهري فبراير ومارس ثم يناير وفي يونيو كان ٧٣٤ شخصا فقط

الضراء ، ووقاك محذور الارزاء ، ووفقك فيما أصابك لعزائم العزاء ، واحق كلمة يقولها المحزون ، انا لله وانا اليه راجعون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بغداد في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٠ العبد

السيد محمود شكري

(١٣)

وكتب الفاضل المخلص والعامل في سبيل الاصلاح السيد عوض سعيدان

الحمد لله

مولاي الاستاذ الرشيد أدام الله وجوده

سلام الله عليكم أهل البيت

قرأت بالجرائد نعي اخينا السيد حسين وصفي شقيقكم الفاضل فأظلمت الدنيا في عين محبكم هذا . وقد حصل لنعيه رنة أسف بين أدباء هذه البلاد وستقام صلاة الغائب عليه بكها (يوم الجمعة) بالجامع الكبير وقد عرف السيد هذا بعلو الهمة والغيرة الوطنية التي تجلت فيه عند بزوغ شمس الدستور بالبلاد العثمانية وان مثل الفقيد اذا ظهر بذاك المظهر فهو اليق الناس به اذ هو من صميم السادات الاشراف ، الذين لهم على الناس الاشراف ، فهم صنائع ربهم ، والناس بعد صنائع لهم . فأحسن الله عزاكم وعظم أجركم واخلفه علينا وعليكم بخلف صالح . وقد وصلتني كتب أعظم تعزية من بعض الاخوان وأحدهم يقول : ان المسلمين بهذه الاطراف يكابدون من أنواع الهموم ماالله عالم به وزادهم نعي ثقة الاسلام بفاس وذبول غصن الادب بالشام . (يعني الفقيد) فانا لله وانا اليه راجعون . رحمه الله وغفر له آمين محب الفقيد

سنغافوره ١٩ صفر سنة ١٣٣٠ عوض سعيدان

(١٤)

وكتب العالم العامل السيد عبد الله بن محمد بن صالح الزواوي مدرس التفسير في الحرم المكي الشريف

السيد حسين وصفي رضا

﴿ أقوال أهل الفضل فيه ﴾

....

وعدنا في الجزء الماضي بكتابة نموذج من تعازي سائر البلاد والاقطار وانجازا للوعد ننشر ما يلي

(١٢)

وكتب الينا علم العلم والفضل في العراق العربي العلامة السيد محمود شكري افندي الآلوسي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة الامام الهمام ، وقدوة العلماء الاعلام ، سيدي السيد محمد رشيد رضا، الهمه الله الصبر والرضا على ما قدر وقضى ، أما بعد فقد طرق سمعي ، ما أجرى دمعي ، من الخبر الذي نشرته صحف بلاد الشام ، وكدرت به قلوب الاسلام ، من نعي الصنو الكريم ، والاخ البر الرحيم ، سمي جده الامام الحسين ، ووارثه في الفوز بالشهادتين ، ووالله لقد تجددت عليّ مصيبة ابن العم فابتليت بمصيبتين

وفي كل يوم للمنايا رزية ... تكاد لها الاكباد ان تتفطرا

تهيج احزانا وتبعث زفرة ... وترسل في فقد الاحبة منذرا

تكدر اخوان الصفا في انبعاثها ... وأي صفاء لامرئ ما تكدرا

فأسفا على شبابه ، ولهفا على فضائله وآدابه ، ولعن الله قاتله وضاعف عليه مزيد عذابه ، ولعمري انها لمصيبة تتفتت لها القلوب ، وتتصدع منها الصخور وتذوب ، الهمك الله الصبر الجميل ، وضاعف لك الاجر الجزيل ، وصرف عنك فوادح

بتاريخ ٢٤ شهر صفر ١٣٣٠ هـ

(الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الخ قرآن عظيم

حضرة العلامة الكامل استاذ الافاضل دام ظله وكثر مثله

بعد اهداء اسنى سلام وازكى تحية ، الى تلك الحضرة القدسية ، اداما رب البرية ، و بث الاشواق الخالصة القلبية ، ولا يذهب عن فطنتكم ما اصابنا لما اصابكم فاحزن القلب وأجرى الدمع ومن مصيبة ما اعظمها ورزية ما اكبرها وامضّها وقداثارت في صدورنا الاحزان بها الشرار ، وأسدات الهموم على قلو بنامنها الاستار ، منذ أبلغتنا الصحف نعي سعادة الاخ الفاضل قطب رحى الفضايل وانه مضى شهيدا بعد ما عاش سعيدا ولا غرو فانه من اهل بيت اصبح القتل لهم عادة ، وكرامتهم من الله الفوز بالشهادة ، وقد اخذ الحزن منا مأخذه ، واسفنا عليه اسفا فايق الوصف لولا سلوتنا بمثل سيادتك ، ملاذًا للامة ، ومعاذا من كل غمة ، ومعقدا آمال الباقين ، وجمالا للاسلام وثمالا للمسلمين ، وقد بلغني هذا النبأ الموحش ، وانا اذ ذاك في كاظمية بغداد مهاجرا اليها مع علماء النجف فذكرت لهم ذلك النبأ المفجع ليشتركوا معي في الحزن فعمنا الاسف جميعا والتفجع على فقيد العلم والدين والادب الخ

(٦٦)

وكتب العالم المستشرق الفرنسي موسيو لويز ماسنيون وهو من اصدقاء الفقيد المخلص ننشر كتابه كما ورد وهو

الى حضرة الشيخ الافضل ، شقيق صديقنا المرحوم وصاحب القلم الصدوق السيد رشيد رضا الافخم سلمه الله تعالى

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته فقد وجعنا كثيرا خبر وفاة

الحمد لله وحده

حضرة محترم المقام الفاضل الأمجد الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا افندي حفظه الله

بعد اهداء جزيل السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ومغفرته ورضاته. موجبه

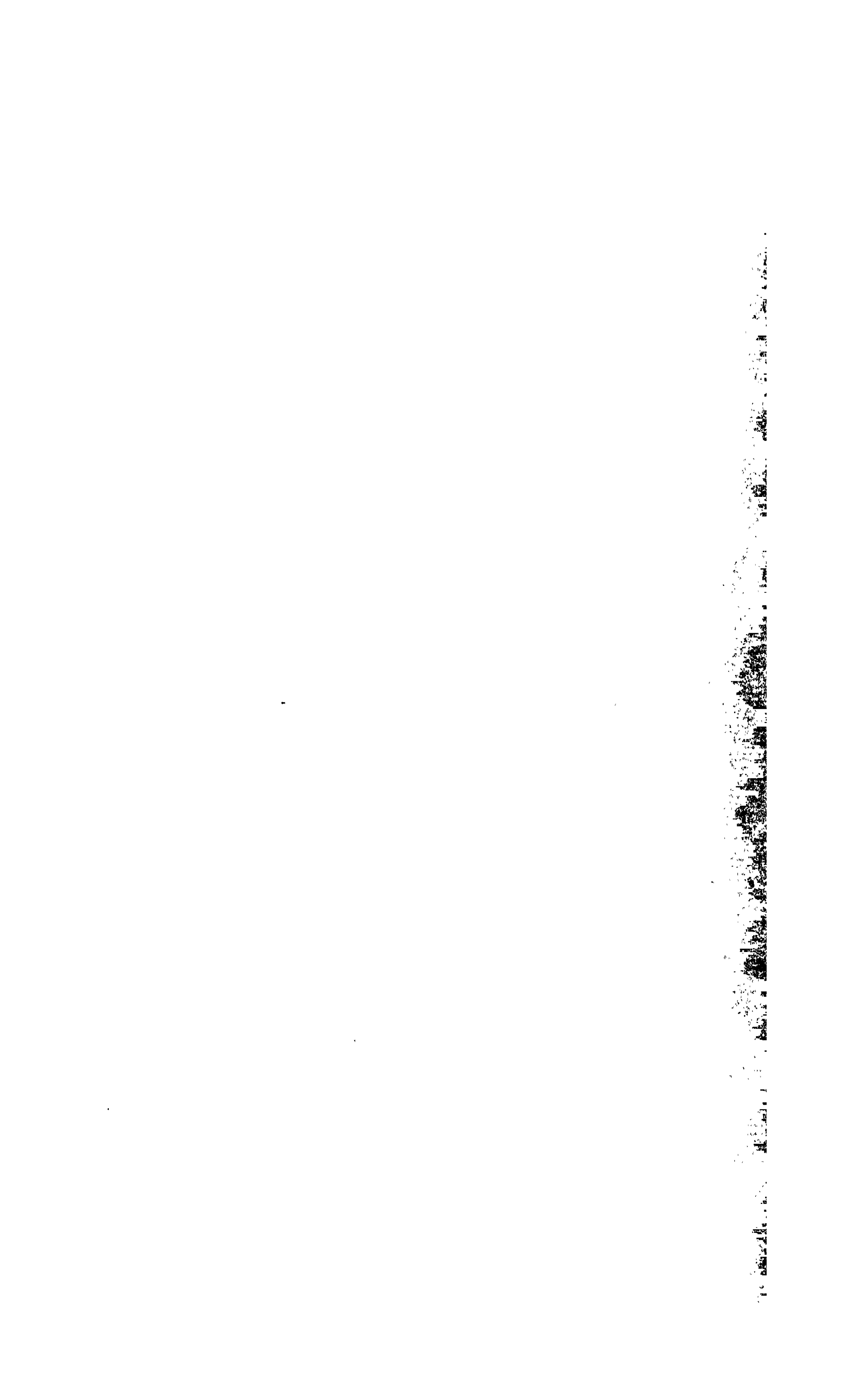
بعد السؤال عن عزيز الخاطر العاطر اعلامكم بتكدر خاطرنا مما رأيناه في جريدة الحضارة بوفاة من قدس الله روحه الى الجنة اخيكم المرحوم المغفور له السيد حسين وصفي رحمه الله رحمة الابرار ، واسكنه جنات تجري من تحتها الانهار ، ولقد ساءني جدا هذا النبأ الفاجع عظم الله اجركم واحسن عزاكم وطرح البركة في عمركم وعملكم وفي عمر اخوانكم وتكونون خير خلف لخير سلف

ثم انني واجهت محب الطرفين الشيخ محمد حسين افندي نصيف وزاد كدري ما اخبرني به من انه رأى في جريدة طرابلس انه كان وفاة الفقيد المرحوم العزيز بيد اثيمة كافأها الله سبحانه بعدله بما تستحقه ، وأنال الفقيد المرحوم بها السعادة وفاز بها ، فلقد كان في حياته مجاهدا اعز جهاد وعضدا لفضيلتكم في جهادكم الذي ارجو من الله سبحانه وتعالى لكم به زيادة الاجر وحصول النتاج الظاهر الذي ترونه وتقر به عينكم مع طول عمركم وحصول البركة في اعمالكم وتنالوا بذلك سعادة الدارين ويحصل لكل محبيكم كل ما املوه من النتايج الحسنة ثم أني ارجو ابلاغ جزيل سلامي مع سنة العزاء اخوانكم الكرام وكل من تحبون وان لا تروا علي في عدم المكاتبة فانكم لا تزالون في خاطري على الدوام وقائم بوظيفة الدعاء لكم تجاه بيت الله الحرام ولما ذكر حرر والسلام عبدالله محمد صالح

من مكة المشرفة ١٥ ص سنة ١٣٣٠ الزواوي

(١٥)

وكتب العالم المحقق والدراكة المدقق السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني صاحب مجلة « العلم » بالنجف . ننشر من كتابه ما يأتي قال :



شقيقكم المرحوم السيد حسين وصفي رضا لأن له في قلوب اصحابه مقاما خاصا على الخواص وكان في رجائي ان ألتقي معه لو شاء الله عن قريب لتجدد بالمخاطبات صداقتنا ، كان فتى كامل الفتوة من أشرف الناس همة ومنصبا ، ولما كنا بلطف الرب عز وجل نجتمع معه في مصر كنا نفهم انه فوقنا رتبة عند الله تعالى لشجاعته واجتهاده وصفاء نيته رحمه الله تعالى رحمة واسعة

زكي النفس ازكى الحياة مثله مثل الذين « كانت مطاياهم من مكمد الكثم » مضوا ولا عين ولا اثر وراءهم الا الألم يبقى في قلوبنا تحت توكل عقولنا للخالق مثل خمود نار الغبوق تحت الرماد في الليلة بين الآفاق. مثل الموت مثل الغروب وما انسى ما قال أبو بكر الشبلي البغدادي في المعنى

« انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه فانه يخاف المقام ، واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة كذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضيء »

هذا ولكم منا السلام وكل احترام لكم ولآلكم ولمن يعز عليكم ودمتم سالمين مجتهدين مع « مناركم » المنير

الفقير اليه سبحانه

عبده

لويز ماسنيون

في باريز يوم السبت ١٠ شباط سنة ١٩١٢ ٢١ صفر سنة ١٣٣٠

(للتعازي بقية)

(تنبيه) وقع غلط في ترتيب سطور صفحة (٩٢) من الجزء الثاني فان حق السطر الاول فيها وأوله (ولا يحسبوا) ان يكون في آخرها وقد رجمنا السطر المذكور وطبعنا مثله وألصقناه في آخر الصفحة المذكورة في بعض الاجزاء فليتنبه له في البعض الآخر

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

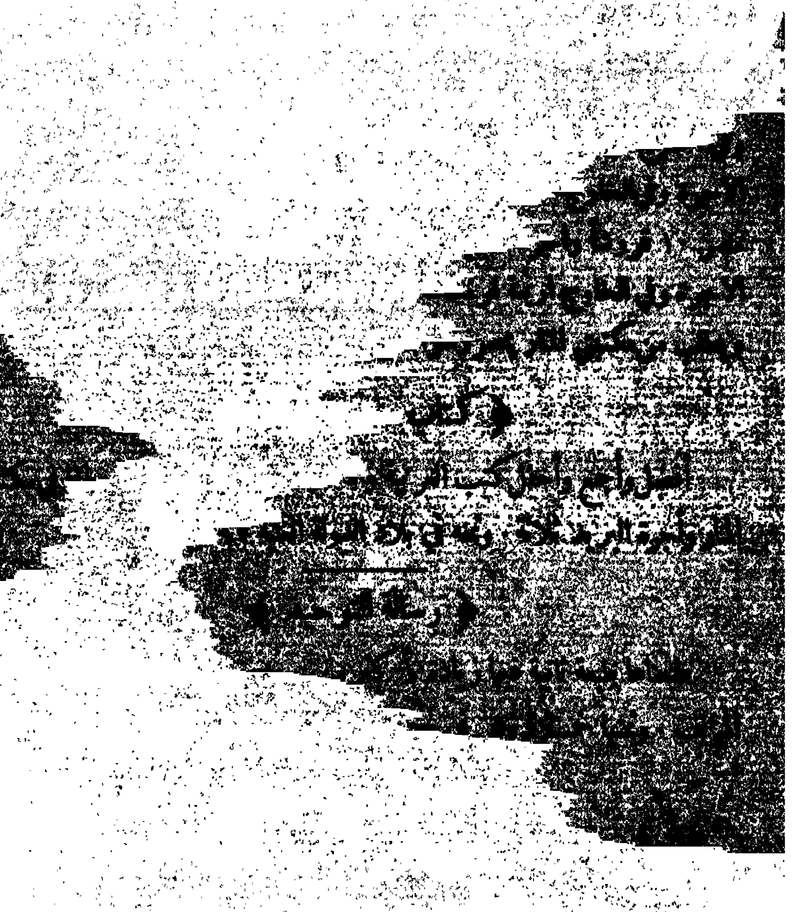
مصر ٢٩ ربيع الآخر ١٣٣١هـ ق ١٨ الربيع الأول ١٢٩١هـ ش ٧ ابريل ١٩١٣م

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٧٢) يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٣) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

لما قامت الحجة في الآيات الاخيرة على النصارى وفيما قبلها على اليهود وهم أهل الكتاب ، والمعرفة بالنبوات والشرائع ، وقامت الحجة قبل ذلك على المنافقين في اثناء السورة كما قامت على المشركين في سور كثيرة ، وظهرت نبوة النبي الخاتم ظهور الشمس ليس دونها سحاب ، لأن سحب الشبهات قد انقشعت بالحجج المشار اليها كل الانقشاع ـ نادى الله تعالى الناس كافة ودعاهم الى اتباع برهانه ، والاهتداء بالنور الذي جاء به ، فقال :



بلاغته وأساليب بيانه بحيث لا يشتبه فيها من تدبره وعقل معانيه ، بل تثبت في عقله ، وتؤثر في قلبه ، وتكون هي الحاكمة على نفسه ، والمصلحة له في عمله ،

مثال ذلك توحيد الله في ألوهيته وربوبيته ، هو أثبت الحقائق ، وأعلى ما يصل اليه البشر من المعارف ، وأفضل ما تتزكى به النفوس ، وتترقى به العقول ، وقد بعث به جميع رسل الله الى جميع الامم ، كان كل منهم يدعو أمته اليه ، وكان يستجيب الناس لهم بقدر استعدادهم لفهم هذه الحقيقة العليا ، ثم لا يلبثون أن يشوهوها بعدهم بالشرك وضروب الوثنية التي تطمس العقول ، وتدنس النفوس ، وتهبط بالفطرة البشرية من أوج كرامتها وعزتها التي جعلها الله أهلاً لها ، الى المهانة والذلة بالخضوع والخنوع والاستخذاء لبعض المخلوقات من جنسهم أو من أجناس أخرى فضل الله جنسهم عليها ، وكان أقرب الامم التاريخية عهداً بالانبياء والرسل اليهود والنصارى وكانوا على نسيانهم حظا مما ذكروا به لا يزالون يحفظون بعض وصايا رسلهم بالتوحيد ، ولكنهم لا يفقهون معناها اذ يلبسونها بالشرك في الالوهية كاتخاذ المسيح إلها بل اتخاذ من دونه من مقدسيهم آلهة أو أنصاف آلهة يزعمون أنهم وسطاء بينهم وبين الله في كل ما ينفعهم ويضرهم في معاشهم ومعادهم ، وبالشرك في الربوبية باتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ويحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم

هكذا كانت اليهود والنصارى في عهد بعثة النبي (ص) يتبعون أناسا من علمائهم وأحبارهم ومقدسيهم في عقائد وآداب وشرائع مشوبة بالوثنية والخضوع لغير الله تعالى ، لم تؤخذ من وحي الله المنزل كما هو الواجب في أمور الدين الخالص من العقائد والعبادات وسائر ما يتقرب به الى الله تعالى ، ولو كان البشر يستقلون بمعرفة هذا من غير وحي من الله لما كانوا محتاجين الى بعثة الرسل . وقد يزعمون أنهم كانوا متبعين لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام ، ولو صدقوا لما صار دينهم في شكل غير ما كانا عليه هما ومن كان متبعا لهما في زمنهما ، بحيث لو بعثا ثانية لانكرا كل ما عليه هؤلاء الادعياء أو أكثره . واذا كان الركن الاعظم لدينهما وهو التوحيد قد زلزل عند اليهود وزال من عند النصارى فكيف يكون دينهما هو دين موسى وعيسى

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ﴾ أي قد جاءكم من قبل ربكم، بفضله وعنايته بتربيتكم وتزكية نفوسكم ، برهان عظيم يبين لكم حقيقة الايمان الصحيح بالله عز وجل ، وجميع ما تحتاجون اليه من أمر دينكم - مبينا لكم ذلك بالدلائل والبينات والحكم ، وهو محمد النبي العربي الأمي ، الذي يظهر لكل من عرف سيرته في نشأته وتربيته ، وحاله في بعثته وسنته ، انه هو نفسه برهان على حقية ما جاء به : أمي لم يتعلم شيئا من الكتب قط ، ولم يعن في طفوليته ولا في شبابه بشيء مما كان يسمى علما عند قومه الاميين كالشعر والنسب وأيام العرب ، قام في كهولته يعلم الاميين والمتعلمين حقائق العلوم الالهية ، وصفات الربوبية ، وما يجب لتلك الذات العلية ، وما تتزكى به النفس البشرية ، وتصلح به الحياة الاجتماعية ، ويكشف ما اشتبه على أهل الكتاب من أصول دينهم، وما اضطرب فيه نظار الفلسفة العليا من مسائل فلسفتهم، و يرفع قواعد الايمان على أساس الحجج الكونية العقلية ، و يسلك هذا المسلك في بيان الشرائع العملية، والحكمة الادبية، والسياسة الحربية والاجتماعية، كلّ ذلك كان على طريق الحجة والبرهان، فلا غرو أن يسمى هو نفسه برهانا.

وهو برهان بسيرته العملية ، كما انه برهان في دعوته العلمية الشرعية ، فقد نشأ يتيما لم يعن بتربيته عالم ولا حكيم ولا سياسي ، بل ترك كما كان ولدان المشركين يتركون وشأنهم، وكان في سن التعليم وتكوّن الاخلاق والملكات يرعى الغنم نهارا وينام من أول الليل ، فلا يحضر سمّار قومه (مواضع السمر في الليل) ولا معاهد لهوهم ، واتجر قليلا في شبابه ، مع قومه من ابناء الجاهلية وأترابه ، فهو لم يصادف من التربية المنزلية والتأديب الاجتماعي في اول نشأته ، ما يؤهله للمنصب الذي تصدى له في كهولته، وهو تربية الامم تربية دينية اجتماعية سياسية حربية ، ولكنه قام بهذه التربية أكمل قيام ، وما زال يعجز عن مثل ما قام به من يستعدون له بالعلوم والاعمال ، فكان بهذا برهانا على عناية الله به ، وتأييده إياه بوحيه وتوفيقه ، وذلك قوله عز وجل

﴿ وأنزلنا اليكم نورًا مبينا ﴾ أي وأنزلنا اليكم أيها الناس بما أوحينا اليه كتابا من لدنا هو كالنور بين في نفسه، مبين لكل ما أنزل لبيانه، تنجلي لكم به الحقائق وتتبين

يتوقف عليه امتلاخها وانتزاعها من فنون البيان ، بحسب سنة الله تعالى في تحويل الامم من حال الى حال ، كل ذلك مما لا يعقل ان يتفق لرجل أمي لم يقرأ كتابا في الدين ولا في العلم ، ولا عاشر أحدا عارفا بهما ، كيف وقد كان ذلك فوق علوم الذين صرفوا كل حياتهم في الدرس والقراءة . بل نقول إن هذا البيان الاكمل لتقرير التوحيد واجتثاث جذور الوثنية الذي جاء به القرآن وأشرنا اليه آنفا لم يكن قط معهودا من الحكماء الربانيين ، ولا من النبيين المرسلين ، دع من دونهم من الأميين أو المتعلمين ، لهذا تعين ان يكون الله تعالى هو المنزل لهذا النور المبين ، (٢٦ : ١٩٢ وانه لتنزيل رب العالمين ١٩٣ نزل به الروح الامين ١٩٤ على قلبك لتكون من المنذرين ١٩٥ بلسان عربي مبين)

فمن تأمل ماقلناه بانصاف ظهر له به على اختصاره ان محمدا النبي الامي (ص) كان نفسه برهانا من الله تعالى أي حجة قطعية على حقية دينه ، وان كتابه القرآن العربي انزل من العلم الالهي عليه ، ولم يكن لعلمه الكسبي ان يأتي بمثله ، وانما أنزل نور مبينا الى جميع الناس، ليروا بتدبره حقيقة دين الله الذي يسعدون به في حياتهم الدنيا ، وينالون به في الآخرة ماهو خير وأبقى ، ولذلك قال

﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ﴾ الاعتصام الاخذ والتمسك بما يعصم ويحفظ ، مأخوذ من العصام وهو الحبل الذي تشد به القربة والاداوة لتحمل به ، والاعصم الوعل يعتصم في شعاف الجبال وقننها ، فالذين يعتصمون بهذا القرآن يدخلهم الله تعالى في رحمة خاصة منه لا يدخل فيها سواهم ، وفضل خاص لا يتفضل به على غيرهم ، ويدل على هذا التخصيص تنكير الفضل والرحمة ، ورحمة الله وفضله غير محصورين ولكنه يختص من يشاء بما شاء من أنواعهما . وقد فسرت الرحمة هنا بالجنة ، والفضل بما يزيد الله به أهلها على ما يستحقون من الجزاء ، كما قال في آية أخرى تقدمت (ويزيدهم من فضله) ويمكن ان يفسرا بما هو أعم من نعيم الآخرة جزاء وزيادة ، فيشملا ما يكون لاهل الاعتصام بالقرآن الذي هو حبل الله المتين من الخصوصية في الدنيا ، اذ يكونون رحمة للناس بعلومهم وأعمالهم وفضائلهم ، واجتماعهم وتعاونهم وتراحمهم ، يرحم

عليهما السلام ؟ . ــ هذه اشارة الى ما كان عليه أقرب الناس عهداً بدعوة الرسل الى التوحيد فما ظنك بغيرهم ؟ ، فما الذي فعله القرآن في بيان هذه العقيدة ؟

لو لم يجئ محمد عليه الصلاة والسلام في بيان التوحيد بغير عنوانه في الشهادتين (لا إله إلا الله) لما كان نوراً مبينا لهذه الحقيقة لان من أشرك من أهل الكتاب وأمثالهم من الامم القديمة كالهنود والكلدانيين والمصريين واليونان كانوا يقولون ان الاله واحد، و بعضهم كان يصرح بمثل كلمة التوحيد عندنا أو بها نفسها ولكنهم كانوا على ذلك مشركين يزعمون أن بعض البشر أو الحيوان أو الجماد ينفع أو يضر بصفة خارقة للعادة غير داخلة في سلسلة نظام الاسباب والمسببات، فيتوجهون الى تلك الاشياء المعتقدة توجه العبادة . و يزعمون ان ماجاءت به رسلهم من أحكام الدين غير كاف في بيان الدين فيجب تركه الى مايضعه لهم بعض رؤسائهم من أحكام الحلال والحرام من غير نظر في موافقته أو مخالفته له أي لما جاء به الرسل ، أو مع ضرب من النظر التقليدي فيه ، لدعمه به وارجاعه اليه

فلما كانت الوثنية قد تغلغلت في جميع الاديان المأثورة وأفسدتها على أهلها ، فقلد بعضهم بعضا فيما ورثوه منها ، أنزل الله لهداية البشر هذا النور المبين (القرآن) فكان أشد إبانة لدقائق مسائل التوحيد وخفاياها من نور الكهرباء المتألق في هذا العصر الذي نرى فيه السراج الواحد في قوة مئات أو الوف من نور الشمع، فبين لمن يفهم لغته حقيقة التوحيد بالدلائل والبراهين الكونية والعقلية ، وضرب الامثال المادية والمعنوية ، وضروب القصص والمواعظ ، والهداية الى النظر والتجارب، وكشف ماران على هذه العقيدة من شبهات المضلين، وأوهام الضالين، التي مزجتها بالشرك مزجا ، جمع بين الضدين بل النقيضين جمعا ، ولوّن أساليب الكلام فيها ونوعه لتتقبل النفس تكراره بقبول حسن، ولا يعرض لها من ترتيل آياته شيء من الملل، فكان بيانه في تشييد صرح الوحدانية ، وتقويض بناء الوثنية ، بيانا لم يعهد مثله في كماله وتأثيره في كتاب بشري ولا إلهي .

الا ان ادراك هذه الحقيقة العليا والاحاطة بها ، والعلم بما كان من ضروب الشبهات عليها ، والاباطيل المتخللة فيها ، و بما لها من التمكن في نفوس الناس، وما

لأخواتي بالثلث ؟ قال « أحسن » قلت بالشطر ؟ قال « أحسن » ثم خرج ثم دخل علي فقال « لا أراك تموت في وجعك هذا ، ان الله أنزل و بين ما لأخواتك وهو الثلثان » فكان جابر يقول نزلت هذه الآية فيّ « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »

وأخرج العدني والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في الفرائض بسند صحيح عن حذيفة قال نزلت آية الكلالة على النبي (ص) في مسير له فوقف النبي (ص) فاذا هو بحذيفة فلقاها إياه . فلما كان في خلافة عمر نظر عمر في الكلالة فدعا حذيفة فسأله عنها ، فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله (ص) فلقيتك كما لقاني والله لا أزيدك على ذلك شيئا أبدا . أقول ويفسر قوله « فلقيتك كما لقاني » مارواه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن ابن سيرين قال : نزلت « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » والنبي (ص) في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي (ص) حذيفة و بلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل عنها حذيفة ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة: والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني على ان أحدثك مالم احدثك يومئذ . فقال عمر : لم أرد هذا رحمك الله .

وقد بينا في الجزء الرابع من التفسير (ص ٤٢٢ ـ ٤٢٤) معنى الكلالة واشتباه عمر رضي الله عنه فيها وسؤاله النبي (ص) عنها بنفسه و بواسطة بنته حفصة زوج النبي (ص) وروى ابن راهويه وابن مردويه ان هذه الآية نزلت بسبب سؤاله عن الكلالة فلم يفهمها فكلف حفصة ان تسأل النبي (ص) عنها عند مارآه طيبة نفسه . وروى مالك ومسلم وابن جرير والبيهقي عن عمر قال « ما سألت النبي (ص) عن شيء أكثر ماسألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه في صدري وقال « تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء » . وروى أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي عن البراء بن عازب ان رجلا سأل النبي (ص) عن الكلالة فقال « تكفيك آية الصيف » وروى عبد بن حميد وأبو داود في المراسيل والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مثله وزاد « فمن لم يترك ولدا ولا والدا فورثته كلالة » وأخرجه الحاكم موصولا عن أبي سلمة عن أبي هريرة

الناس بالاقتداء بهم والاقتباس منهم ، ومن ذلك انهم يكونون رحماء للناس ، تحملهم رحمتهم على السعي لخير الناس ، و بذل فضلهم من علم وعمل ومال لهم ، فيكونون أئمة للناس برحمتهم وفضلهم

﴿ ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴾ أي ويهديهم تعالى هداية خاصة موصلة اليه صراطا مستقيما أي طريقا قويما قريبا يبلغون به الغاية من العمل بالقرآن ، أما في الدنيا فبالسيادة والعزة والكمال، وأما في الآخرة فبالجنة والرضوان ،فهذا الصراط المستقيم ، لا يهتدى اليه الا بالاعتصام بالقرآن الكريم ، فياخسارة المعرضين ، ويا طوبى المعتصمين ، وقد صدق وعد الله للصادقين ، ففاز من اعتصم من الاولين ، وخاب وخسر من أعرض من الآخرين، فعسى أن يعتبر بذلك المنتمون في هذا العصر الى هذا الدين . وقد سكت عن القسم الآخر المقابل لهؤلاء المؤمنين المعتصمين للعلم به من المقابلة ، والايذان بأنه بعد ظهور البرهان، وتألق نور البيان، لا ينبغي ان يوجد، وان وجد لا يؤبه له لأنه كالعدم .

(١٧٤) يَسْتَفْتُونَكَ ، قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ : إِنِ ٱمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ،وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ، فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ، وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ، يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا : وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

روى أحمد والشيخان وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم عن جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله (ص) وانا مريض لا أعقل فتوضأ ثم صب علي فقلت انه لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث ؟ فنزلت آية الفرائض . هكذا أورده في الدر المنثور عند ذكر هذه الآية . وهي المراد من آية الفرائض هنا للتصريح بذلك في روايات أخرى عند كثيرين منها ما رواه ابن سعد والنسائي وابن جرير والبيهقي في سننه عن جابر قال : اشتكيت فدخل النبي (ص) عليّ فقلت يا رسول :أوصي

واما الثاني وهو مجال الخلاف من الآيتين فهو ان الآية الاولى التي ذكرت بين آيات الفرائض في اوائل السورة لم تفسر الـكلالة وانما ذكرت مايرثه الاخوة للام إرث كلالة ، واجمعوا على ان المراد بالاخوة فيها الاخوة من الام . والآية الثانية بينت فرض أخوات العصب كـلالة واشترطت فيه عدم الولد . ولكن من تأمل الآيات كلها، علم انه لا خلاف ولا اشكال فيها ، ذلك أنه بين قبل الآية الأولى إرث الاولاد ثم ارث الوالدين مع وجود الاولاد وعدمه، ومع وجود الاخوة وعدمه ، ثم إرث الازواج مع وجود الاولاد وعدمه ، وهؤلاء هم الذين يدلون الى من يرثونه بانفسهم وكل من عداهم يرث بالواسطة فيعد كـلالة على الاطلاق ، ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى (٤ : ١١ وان كـان رجل يورث كـلالة او امرأة وله اخ او اخت فلـكـل واحد منهما السدس) ومعنى يورث كلالة يموت فيرثه من يرثه من اهله ارث كلالة او حال كونه أي الميت كلالة اي لا ولد له ولا والد ، فلو لم يعلم من اللغة تعلم من الآيات السابقة لانه تقدم فيها ذكر ارث كل منهما ، فتعين ان تكون الـكلالة عبارة عن عدمهما ، ولم يشترط ان لا يكون له زوج لأن العرب تطلق الكلالة على النسب دون الصهر ، ولولا ذلك لكـانت القرينة قاضية بأن يقال ان المراد بالكلالة هنا من ليس له ولد ولا والد ولا زوج (١) لأن الزوج يرث بلا واسطة كالاصول والفروع وقد ذكر فرضه ذكرا وانثى قبل ذكر الكلالة ، فعلم من هذه الآية ان الاخوة من الام أصحاب فرض في الكلالة وأن فرضهم هو فرض الام التي حلوا محلها في الارث ، وهو من القرائن على كون المراد الاخوة من الام . وبقي الاخوة من الأب والام معا أو من الاب فقط مسكوتا عنهم ، وقد بينت السنة ان من لم يفرض له فرض من الاقارب يحوز مابقي من التركة بعد الفريضة إن كان عصبة على قاعدة أخذ الذكر مثل حظ الانثيين وقاعدة كون الاقرب يحجب الابعد . فلما مرض جابر وله أخوات من عصبته أراد ان يوصي لهن لانه ليس لهن فرض وهو كلالة والعرب لم تكن تورّث الاناث فأنزل الله آية الفتوى في الـكلالة فجعل لهن فيها فرضا ،

(١) يطلق على الذكر والانثى

قال الخطابي : أنزل الله في الكلالة آيتين احداهما في الشتاء وهي الآية التي في أول سورة النساء وفيها اجمال وابهام لايكاد يتبين هذا المعنى من ظاهرها ؛ ثم أنزل الآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر سورة النساء، وفيها من زيادة البيان ماليس في آية الشتاء ، فأحال السائل عليها ليتبين المراد بالكلالة المذكورة فيها اهـ أقول وقد بينا في تفسير الآية الاولى أنها نزلت في الاخوة من الأم بعد بيان إرث الوالدين لأنهم يحاون محلها عند فقدها فيأخذون ما كانت تأخذه ثم عرضت الحاجة الى بيان حكم اخوة العصب عند مرض جابر فنزلت هذه الآية وما ورد أنها نزلت في السفر غلط سببه أن حذيفة لما تلقاها من النبي (ص) ظن انها نزلت في ذلك الوقت لانه لم يكن سمعها من قبل، وبهذا يجمع بين الروايتين وكثيرا ما كان يظن الصحابي عند سماعه الآية لاول مرة أو عند حدوث حادثة انها نزلت في ذلك الوقت أو عند حدوث تلك الحادثة وتكون قد نزلت قبل ذلك ، ومن علم هذا سهل عليه الجمع بين كثير من الروايات المتعارضة في أسباب النزول وهي كثيرة جدا . ومن الغلط على الغلط قول بعضهم ان السفر الذي نزلت فيه هو سفر حجة الوداع ، وانما كانت حجة الوداع في الشتاء وقد صرح في الروايات الصحيحة ان هذه هي آية الصيف ورواية نزولها بسبب سؤال عمر لا تصح

ثم ان اختلافهم في تفسير الكلالة له مثار من اللغة ومجال من الآيتين . اما الاول فقد قيل ان أصل الكلالة في اللغة مالم يكن من النسب لحا أي لاصقا بلا واسطة، وقيل إنما عدا الوالد والولد من القرابة وهو بيان للقول الاول، وقيل ماعدا الولد فقط، وقيل الاخوة من الأم .قال في لسان العرب عند ذكره « وهو المستعمل » وقيل الكلالة من العصبة من ورث معه الاخوة من الام . ويطلق هذا اللفظ على الميت الذي يرثه من ذكر ، وقيل بل على الورثة غير من ذكر ، وقيل على كل منهم والمرجح القرينة ، وهذا هو الصحيح لغة الذي يجمع به بين النصوص . والجمهور على أن الكلالة من الموروثين من لا ولد له ولا والد، وهو الذي قضى به أبو بكر (رض) وهو الحق وفيه الحديث الذي أرسله ابو داود ووصله الحاكم ، ولعله لو بلغهم كلهم لزال به كل خلاف

وجملة القول ان الكلالة من الوارثين من كلّ وأعيا عن ان يصل الى الميت الموروث بنفسه فهو يصل اليه بواسطة من يتصل نسبه به بالذات ، وأنما النسب المتصل بالذات الاصل والفرع ، وما علا من الاصول وسفل من الفروع هو عمود النسب فلا يكون كلالة ، فالكلالة من الوارثين اذاً هم الحواشي الذين يدلون الى الميت بواسطة الابوين أحدهما أو كليهما من الاطراف. والكلالة من الموروثين هو الذي يرثه غير الولد والوالد، فهذا ما كان يفهمه الصحابة لأنه المعروف في العربية ولا صحة لغيره ، وما اشتبه بعضهم الا لنفي الولد دون الوالد في هذه الآية ، لأنهم عهدوا أن القرآن خال من العبث واعتقدوا انه منزه عنه في ذكر ما يثبته وترك ما يتركه في معرض الحاجة الى بيانه ، وهم موقنون بأنهم حفظوا هذا القرآن أكمل حفظ وأتمه فلا يحتمل ان يكونوا قد نسوا أو تركوا ذكر نفي الوالد مع نفي الولد في الآية . ولهذا أغلظ حذيفة الرد على عمر في خلافته لما سأله عن الآية اذ توهم ان يحمله على ان يقول فيها شيئا برأيه . وعلى هذا يكون محل الاشكال هو نكتة نفي الولد دون نفي الوالد في الآية واليك تفسيرها متضمنا لهذه النكتة :

﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ أي يطلبون منك أيها الرسول الفتيا فيمن يورث كلالة كجابر بن عبد الله الذي ليس له والد ولا ولد ، وله اخوات من عصبته وهؤلاء لم يفرض لهم شيء في التركة من قبل ، وانما فرض للأخوة من الام السدس للواحد منهم والثلث لما زاد عن الواحد شركاء فيه مهما كثروا لانه سهم أمهم ليس لها سواه، فقل لهم ان الله يفتيكم في الكلالة التي سألتم عنها بقوله:

﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك ﴾ هلك مات ولا يستعمل منذ قرون الا في مقام التحقير ، وقد استعمله القرآن في غير هذا المكان بمعنى الموت مطلقا بقوله عن يوسف عليه السلام (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) و « ليس له ولد » صفة امرؤ أو حال من الضمير في هلك. والمعنى ان هلك امرؤ عادم للولد أو غير ذي ولد والحال ان له اختا من أبويه معا أو من أبيه فقط فلها نصف ماترك .

والنكتة في الاكتفاء بنفي الولد وعدم اشتراط نفي الوالد تظهر بوجوه: (١) أنه داخل

ولكن عمر (رض) أخذ بظاهر هذه الآية اذ نفت الولد ولم تنف الوالد، وروي انه رجع في آخر الامر الى رأي أبي بكر والجمهور (رض) . وروي أنه كان كتب رأيه في لوح ومكث يستخير الله مدة فيه يقول اللهم ان علمت فيه خيرا فأمضه ، حتى اذا طعن دعا بالكتاب فمحي ولم يدر أحد ما كتب فيه ، فقال : إني كنت كتبت في الجد والكلالة كتابا وكنت أستخير الله فيه فرأيت ان أترككم على ما كنتم عليه . وروى عبد الرزاق وابن سعد عن ابن عباس قال أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال « احفظ عني ثلاثا فاني أخاف ان لا يدركني الناس : اما انا فلم اقض في الكلالة ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لي عتيق » وروي أيضا ان عليا كان أنكر قول أبي بكر ان الكلالة من لا ولد له ولا والد ثم رجع الى قوله

وههنا عبرة يجب تدبرها وهي انني لم أر في سيرة عمر (رض) أغرب من هذه المسألة ولا أدل منها على قوة دينه وايمانه بالقرآن وحرصه على بيان كل حكم من الشرع بدليله، ووقوفه اذا لم تتبين له الحجة ، ولا سيما اذا كان الحكم في القرآن فلا مجال الاجتهاد فيه ، وقد سئل مرة عن الكلالة وهو على المنبر فقال : الكلالة، الكلالة ، الكلالة ، وأخذ بلحيته ثم قال والله لأن اعلمها أحب اليّ مما طلعت عليه الشمس من شيء، سألت عنها رسول الله (ص) فقال « ألم تسمع الآية التي انزلت في الصيف» فاعادها ثلاث مرات . رواه ابن جرير . فالظاهر ان صحت الروايات ـ أن عمر كان يحب ان يبين النبي (ص) أحكام الكلالة بالتفصيل فيسأله عن الكلالة سؤالا مطلقا مبهما لا يبين مراده منه فيذكر له (ص) ما أنزل الله ولا يزيده من اجتهاده شيئا ، فكبرت المسألة في نفسه وصارت اذا ذكرت تهوله وتحدث في نفسه اضطرابا فلا يتجرأ ان يستعمل اجتهاده ورأيه في فهمها . وقد عهد من كثير من العقلاء ما هو أغرب من هذا وهو ان يعجزوا عن تصور بعض الامور كبعض أرقام الحساب مثلا ويكون تصورهم وادراكهم لكل ماعدا ذلك صحيحا من غير ان يكون هنالك ما تخافه النفس ويضطرب له العصب كالقول في كتاب الله تعالى بغير بينة . فهل يعتبر بهذا من يقدمون اجتهادهم أو اجتهاد شيوخهم على ظاهر القرآن أوالسنة أو الذين لا يقدمون كتاب الله على كل شيء ؟

هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

وقد اختلفوا في الولد هنا هل هو على إطلاقه فيشمل البنت أو هو خاص بالابن كما يطلق أحيانا . وسبب الخلاف ان الاخت لاترث شيئا مع وجود الابن بالاجماع وأما مع وجود البنت فترث ، ومن قال ان الولد يشمل الذكر والانثى هنا لم ير ارث الاخت مع وجود البنت مانعا من اشتراط عدم وجود البنت لارثها النصف فرضا ، لأن الفرض الثابت لها هنا وهو النصف يشترط فيه عدم وجود البنت فانها اذا وجدت تجعلها عصبة ترث ما بقي بعد أخذ كل ذي فرض حقه من التركة ، وقد يكون هذا الباقي النصف وقد يكون أقل من النصف ، فاذا لم يكن ثم وارث الا البنت والاخت كان النصف للبنت فرضا والباقي وهو النصف للاخت تعصيبا لا فرضا فلا ينافي الآية ، لانه اذا كان مع البنت زوجة فانها تأخذ الثمن فيكون ما بقي للاخت أقل من النصف ، ولو كانت ترث النصف فرضا مع وجود البنت ووجد مع البنت زوجة الميت لعالت المسألة وكان النقص من السهام لاحقا بكل الانصباء فلا تقل سهام الاخت عن سهام البنت ، فعلم من هذا أن الولد المنفي هنا يشمل الذكر والانثى ولا إشكال فيه

﴿ وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ﴾ أي والمرء يرث أخته اذا ماتت إن لم يكن لها ولد ذكر ولا انثى ، ولا والد يحجبه عن إرثها كما علم من معنى الكلالة ومن الآيات والقواعد التي أشرنا اليها آنفا وبينا انها هي التي جعلت من الايجاز البليغ عدم ذكر اشتراط نفي الوالد، لانه كتحصيل الحاصل، كاشتراط كونه بعد الوصية والدين للعلم بذلك ، فان لم يكن لها ولد البتة ورثها وحده فكان له كل التركة ، وهو موافق لقاعدة للذكر مثل حظ الانثيين. والظاهر ان هذا هو المراد لانه مقابل إرث الاخت للنصف. وانما أطلق الارث ولم يبين النصيب لان الاخ ليس صاحب فرض معين لا يزيد ولا ينقص بل هو عصبة يحوز كل التركة عند عدم وجود أحد من أصحاب الفروض وأما عند وجود أحد منهم يرث هو معه فيحوز كلالة جميع ما بقي على القاعدة المبينة في الحديث الصحيح الذي ذكرناه آنفا ، فبنت الاخت في مسألتنا لها النصف فرضا اذا انفردت فهو يرث معها الباقي وهو النصف الآخر، فاذا ماتت عنه وعن

في مفهوم الكلالة لغة (٢) ان الاكثر أن الانسان يموت عن تركة بعد موت والديه لأن المال الذي يتركه اما ان يكون ورثه منهما و إما ان يكون اكتسبه وانما يكون الكسب في سن الشباب والكهولة ويقل في هذه الحال بقاء الوالدين فلم يراع في الذكر إيجازا—(٣) وهو العمدة أن عدم ارث الاخوة والاخوات مع الوالد الذي يدلون به قد علم من آيات الفرائض التي أنزلت أولا وتقدمت في أوائل السورة ، ومضت السنة في بيانها والعمل بها على ذلك - وعلم أيضا من القاعدة القياسية المأخوذة من تلك الآيات ومن هذه الآية ، وهي كون الاصل في الارث ان يكون للذكر من كل صنف مثل حظ الانثيين ، ومن قاعدة حجب الوالد لاولاده . قال تعالى في الآيات الاولى (فان لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلامه الثلث) أي والباقي وهو الثلثان لابيه عملا بالقاعدة . (فان كان له اخوة فلامه السدس) لان أولادها يحجبونها حجب نقصان فيكون ثلثها سدسا ، والسدس الآخر يكون لهم عند ابن عباس واما الجمهور فيقولون ان الباقي كله للاب لان الآية بينت ان وجودهما ينقص فرضها ولم تفرض لهم شيئا ، وعلى كل قول ليس لهم فرض مع وجود الاب الذي يحجبهم حجب حرمان لانهم لا يصلون الى أخيهم الا به وما يتركه من هذا المال وغيره يعود اليهم ، فلهذه الوجوه لم يكن لاشتراط عدم الاب فائدة فترك ايجازا للعلم به من لفظ الكلالة ومن الآية السابقة ، والقواعد الثابتة ، وكذا من قول النبي (ص) المبني على ماذكر والمبين له وهو ماروواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر » وليس الاستغناء عن نفي الوالد هنا مع ارادته الا مثل الاستغناء عن اشتراط ان يكون هذا الفرض من بعد وصية يوصى بها أو دين ، كل منهما علم مما قبله ، فاستغني عن اعادة ذكره ، بل الاستغناء عن ذكر نفي الوالد أقوى لما ذكرناه من العلم به من اللفظ ، وكون الغالب انه لا يوجد ، وكونه ان وجد يكون حجبه لأولاده معلوما قطعيا لانه منصوص ومقيس . وانما اطلت في هذه المسألة وكررت بعض المعاني لاضطراب المتقدمين والمتأخرين في الكلالة وعدم الاطلاع على بيان تام في التوفيق بين ما جرى عليه جمهور الصحابة واتفق عليه المتأخرون و بين عبارة القرآن المجيد ، والحمد لله الذي

راهة الحذر والتفادي وهو استعمال معروف وتكرر في القرآن (والله بكل شيء عليم) شرع لكم هذه الاحكام وسواها الا عن علم بأن فيها الخير لكم وحفظ مصالحكم وصلاح ذات بينكم ، كما هو شأنه في جميع أحكامه وأفعاله ، كلها موافقة للحكمة ، الدالة على إحاطة العلم وسعة الرحمة ،

ومن مباحث اللفظ والاسلوب في الآية انها تدل على أن المعلوم من السياق له حكم المذكور في اللفظ حتى في إعادة الضمير عليه ، فلا يتعين تقدير لفظ المرء في بيان مرجع ضمير «وهو يرثها » بل يصح ان نقول إن المعنى وهو اي أخوها يرثها الخ ومثله قوله « فان كانتا – وان كانوا »

ومن مباحث تاريخ القرآن وأسباب نزوله ماروي من كون هذه الآية آخر آية نزلت . روى الشيخان والترمذي والنسائي وغيرهم عن البراء قال : آخر سورة نزلت كاملة براءة (أي التوبة) وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » أي من آيات الفرائض كما صرح به بعضهم . وبهذا لاتنافي ماروه البخاري عن ابن عباس قال « آخر آية نزلت آية الربا » وروى البيهقي عن ابن عمر مثله ، وفي بعض الروايات عن عمر التعبير بقوله « من آخر مانزل آية الربا » رواه أحمد وابن ماجه ، قالوا المراد بآية الربا «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا » الآية . وذكر عمر أن النبي (ص) توفي ولم يفسرها . وفي روايات ضعيفة عن ابن عباس ان آخر آية نزلت أو آخر مانزل قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » الآية وهي بعد آيات الربا من سورة البقرة التي تقدم أنها من آخر مانزل أو آخره . قال في رواية الكلبي عن أبي صالح عنه: وكان بين نزولها وبين موت النبي (ص) أحد وثمانون يوما . ورواية الكلبي عن أبي صالح هي أوهى الروايات عن ابن عباس فلا يعتد بها . وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير انها « آخر مانزل من القرآن كله – قال – وعاش النبي (ص) بعد نزول هذه الآية تسع ليال ومات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول » وفي هذه الرواية بحث ليس هذا محله . وجملة القول انه لاسبيل الى القطع بآخر آية نزلت من القرآن وانما نقول ان هذه الآية من آخر مانزل قطعا ويجوز ان تكون آخرها كلها والله أعلم

بنت وزوج فللبنت النصف وللزوج الربع وللاخ الباقي وهو الربع . وقد أراد بعضهم أن يدخل الصور التي يرث فيها الاخ مع بنت الاخت في مفهوم « وهو يرثها ان لم يكن لها ولد » ففسروا الولد بالابن ولا مندوحة عن ذلك اذاً لان البنت لا تحجبه عن الميراث بالاجماع ، ولكن ارادة هذه الصور غير متعين وحكمها معلوم من النصوص الاخرى

﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ أي فان كان من يرث بالاخوة أختين فلهما الثلثان مما ترك أخوهما كلالة وكذا ان كن اكثر من اثنتين بالأولى كاخوات جابر وكن سبعا أو تسعا ، والباقي لمن يوجد من العصبة ان لم يكن هنالك احد من اصحاب الفروض كالزوجة والا اخذ كل ذي فرض فرضه أولا كما هو مقرر . وعبر بالعدد فقال اثنتين دون أختين لان الكلام في الاخوة والعبرة في الفرض بالعدد

﴿ وان كانوا اخوة رجالا ونساء ﴾ أي وان كان من يرثون بالاخوة كلالة ذكورا واناثا ﴿ فللذكر مثل حظ الانثيين ﴾ منهم على القاعدة في كل صنف اجتمع منه أفراد في درجة واحدة الا أولاد الام فانهم شركاء في سدس أمهم لحلولهم محلها ولولا ذلك لم يرثوا لأنهم ليسوا من عصبة الميت. وفي العبارة تغليب الذكور على الاناث وهو معروف في اللغة

﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي يبين الله لكم أمور دينكم ومن أهمها تفصيل هذه الفرائض وأحكامها كراهة أن تضلوا أو تفاديا بها من أن تضلوا ، والمراد لتتقوا بمعرفتها والاذعان لها الضلال في قسمة التركات وغيرها . هذا هو التوجيه المشهور زدناه بيانا بالتصرف في التقدير ، وهو على هذا مفعول لاجله . وقدم البيضاوي عليه وجها آخر فقال « أي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه ، ونقل الرازي عن الجرجاني صاحب النظم انه قال « يبين الله لكم الضلالة لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها » اه والكوفيون يقدرون حرف النفي أي لئلا تضلوا . والأول الذي عليه البصريون أظهر ، وفي حديث ابن عمر « لا يدعو أحدكم على ولده أن يوافق من الله ساعة اجابة » قيل معناه لئلا يوافق ساعة اجابة ، والاظهر تقدير البصريين أي كراهة أن يوافق ساعة إجابة ، وفي معنى

ذلك أحوالهم ومعاملتهم في وقت القتال ، وبهذه المناسبة ذكرت أحكام وحكم ومواعظ كثيرة تتعلق بالقتال والهجرة والامان وقتل الخطأ والعمد وصلاة الخوف والسفر ، وقد أكد في أثناء هذه الآيات أمر طاعة الله ورسوله . فهذا سياق بدئ من آية ٥٧ الى ١٠٣

بعد هذا جاءت آيات في خطاب الرسول بالحكم بين الناس بما أراه الله والاشارة الى واقعة أراد بعضهم ان يحابي الرسول فيها بعض المسلمين على أهل الكتاب ، وعقبها بما يناسب هذا المقام من الوعظ والوعد والوعيد ولا سيما وعيد من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ثم مسألة جواز المغفرة لما عدا الشرك يتبعها بيان شيء من ضلال مشركي العرب ثم بيان ان أمر النجاة في الآخرة منوط بالايمان والعمل لا بالاماني والانتساب الى دين شريف ونبي مرسل . فكانت أحكام هذه الآيات ومواعظها في شؤون أهل الكتاب والمشركين والمؤمنين جميعا ومزايا الاسلام ولذلك ختمها ببيان حسن ملة ابراهيم الحنيفية وهو المتفق على فضله عند هذه الطوائف كلها . ويمتد هذا السياق الى آية ١٢٥

تلا ذلك آيات في أحكام النساء واليتامى والمستضعفين من الولدان ونشوز النساء والعدل بينهن ، والاصلاح بين الازواج والتفرق ، دعمت بآيات في الوصية بالتقوى والتذكير بالله تعالى ووعده ووعيده والامر بالمبالغة في القيام بالقسط والشهادة بالحق ولو على الاقربين والاغنياء والفقراء من غير محاباة ولا شفقة . وذلك في نحو من عشر آيات

ثم عاد الى الكلام في أحوال المنافقين بعد التمهيد له بالامر بالايمان وذكر أركانه ووعيد الذين يتقلبون ويتذبذبون فيه ، فذكر موالاتهم للكافرين وسببها ومنشأها من نفوسهم ومخادعتهم لله ووعيدهم وجزاءهم وجزاء من تاب وأصلح منهم وجزاء المؤمنين الصادقين . وقد انتهى ذلك بآية ١٤٦ وهي آخر الجزء الخامس

ثم عاد الكلام الى أحوال أهل الكتاب في الايمان والكفر فافتتح بحكم الجهر بالسوء من القول ، وكون الاصل فيه القبح والذم ، وحسن مقابله وهو ابداء الخير في القول والعمل . وبعد هذا ذكر الذين يفرقون بين الله ورسله بدعوى الايمان

﴿ خلاصة السورة ﴾

افتتحت السورة بالامر بالتقوى وذكر بدء خلق الناس وتناسلهم، ثم بالاحكام المتعلقة بالبيوت (الاهل والعشيرة) وحقوق اليتامى والنساء المالية والادبية ، ومنها فرائض المواريث وارث النساء وعضلهن وعقاب من يأتي الفاحشة من الجنسين ، ومحرمات النكاح ومحللاته ، وغير ذلك من أحكام الازواج وحقوق الزوجية . فهذا نسق واحد في خمس وثلاثين آية تتخللها على سنة القرآن الوصية بالتقوى والترغيب في الطاعة والوعد عليها والوعيد على المعاصي وغير ذلك من المواعظ التي تغذي الايمان بالله وتزكي النفس

يلي ذلك محاجة أهل الكتاب من اليهود ممهدا لها بالامر بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك والامر بالاحسان بالوالدين والاقربين واليتامى والمساكين والجيران ، وتشنيع البخل وكتمان نعم الله ووعيد الكفر وعصيان الرسول . وذلك في بضع آيات ليس فيها من آيات الاحكام شيء الا ما ختمت به من آية التيمم المفتتحة بالنهي عن الصلاة في حال السكر . ثم صرح بعدها بحكاية أحوال اليهود في دينهم، وأخلاقهم و بين ما في ذلك من العبر ، وما يستحقون عليه من الوعيد ، ليعلم منه سنة الله وحكمه فيمن يعمل مثل عملهم ، وتكون حاله كحالهم ووعد من كان على ضد ذلك وهو الايمان والصلاح . وذلك من آية ٤٣ الى ٥٦

ولما كان في بيان أحوال اليهود ذكر حالهم في الملك لو كان لهم نصيب منه وهو الاثرة وحرمان غيرهم من أقل منفعة ، بين عقبه ما يجب أن تؤسس عليه الحكومة الاسلامية وهو أداء الامانات الى أهلها ، والحكم بين الناس كلهم بالعدل بلا محاباة ، واطاعة الله فيما جاء في الكتاب من الاحكام ، ورسوله فيما مضت به سنته من بيانها والقضاء بها او باجتهاده (ص) ، وأولي الامر وهم أهل الحل والعقد فيما يضعون للناس من النظام المدني والسياسي مما يحتاجون اليه بحسب المصالح العامة في كل عصر ، فيكون ما يضعونه مطاعا في الدرجة الثالثة

ثم شرع في بيان أحوال المنافقين وأخلاقهم وما يجب ان يعاملوا به وأهم

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ سبب نقل الروايات الموضوعة ﴾

(س٩) من صاحب الأمضاء

حضرة امام المرشدين ، وقدوة العلماء العاملين ، من يتلقى سؤال كل سائل ملهوف بالقبول والرضا ، الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا ، أبقاه الله للمسلمين يداوي كل مرض كان عارضاً ، آمين

ذكرتم في الجزء الثاني من منار هذه السنة تفسير قوله تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة الخ ورأيتكم ذكرتم كما ذكر غالب المفسرين بازاء تفسير (والمقيمين الصلاة) الرواية الموضوعة المنسوبة لعثمان من أن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها وذكرتم أيضاً أنها موضوعة وأن السابقين الاولين بعيدين عن ذلك الخ فاذا كانت الآية بريئة من نسبة هذه الرواية الموضوعة وكذلك باقي آيات القرآن قطعاً فما الداعي لذكر غالب المفسرين لهذه الرواية مع أن القرآن جميعه بريء منها فهلا تركوا ذكرها بازاء تفسير الآية حتى لايتأتى تشويش فكر لضعيف

ابراهيم محمد عريقات
من برنبال غربية

(ج) مامن أمة من الامم الا وفيها الصادقون والكاذبون ، وما من دين من الاديان الا وينتمي اليه المخلصون والمنافقون ، وقد كذب الزنادقة وأهل الاهواء على نبينا (ص) وأصحابه (رض) كما كذب أمثالهم على المسيح وحواريه وعلى غيرهم من الانبياء في الامم السابقة ، ولكن المسلمين امتازوا على جميع الامم بتمحيص كل

بعض والكفر ببعض ، و بيان عراقة هذا في الكفر ، وما يقابله من الايمان بالجميع ، وقفى على ذلك ببيان مشاغبة اليهود للنبي (ص) وحجته تعالى عليهم بمعاندة موسى وعبادة العجل ونقض ميثاق الله وقتل الانبياء وَ إيذاء المسيح وامه والافتخار بدعوى قتله . وختم ذلك ببيان حال الراسخين في العلم منهم والمؤمنين . وذلك في نصف حزب ينتهي بآية ١٦١

بعد هذا أقام الله حجته على صحة نبوة خاتم رسله بكون وحيه اليه كوحيه الى من قبله منهم، وكونه بعث الرسل الى كل الامم، اي فلم يجعله خاصا ببني اسرائيل، وكونه تعالى يشهد بما أوحاه الى رسوله اذ جعله مقرونا بالعلم الاعلى، منزلا على الأميّ الذي لم يتعلم شيئا ، وختم هذا ببيان حال من يكفر به وغايته التي يؤول اليها، ودعوة الناس كافة الى الايمان به . فتم هذا السياق ببضع آيات

ثم انتقل الكلام الى اقامة الحجة على النصارى وابطال عقيدة التثليث واثبات الوحدانية و بيان ماهو المسيح، وختمها بالوعد والوعيد و بيان ان محمدا رسوله تعالى برهان، وكتابه نور ، ودعوة الناس كافة الى الاهتداء بهما، و وعد من اعتصم بهذا الكتاب بالرحمة والفضل الالهيين ، وهداية الصراط المستقيم الذي يصل سالكه الى سعادة الدارين . وهذا هو ختم هذه السورة الحكيمة التي بين الله فيها أصول الحكومة الاسلامية وأهم فرائضها وأحكامها وناهيك بأحكام النساء والاهل والمواريث والنكاح وحقوق الزوجية والايمان والشرك والتوبة والقتال ، وشؤون المنافقين وأهل الكتاب ودحض شبهاتهم فهي أعظم السور الطوال فوائد

وأما الآية الاخيرة فهي ذيل للسورة في فتوى متممة لاحكام الفرائض التي في أوائلها . وقد بينا غير مرة الحكمة في أسلوب المزج في القرآن . وفائدة الاحكام أو المسائل التي تجعل ذيلا أو ملحقا لكتاب أو قانون هي ان الذهن يتنبه اليها فضل تنبه فلا يغفل عنها كما يغفل عما يكون مندمجا في أثناء أحكام أو مسائل كثيرة من ذلك النوع . فكأن جعل هذه الآية مفردة على غير فواصل في السورة يراد به توجيه النفوس اليها ، لئلا تغفل عنها ، وهذا الاسلوب صار مألوفا هذا العصر عند كثير من أمم العلم حتى في المراسلات الخاصة ، والله أعلم وأحكم

على ان رؤية مايؤثر أو البكاء بعد الاختلاج قد يكون كثيرا أو يقع نادرا ولا صلة بينه وبين الاختلاج بسببية ولا علية . وصفوة القول في الجواب ان هذه المسألة وهمية ومن ظهر له صدق شيء مما قيل كان واهماً ، وكثيرًا مايؤثر الاعتقاد في الانسان تأثيراً يكون سبباً في حدوث مايعتقده . فاذا اعتقد عقب اختلاج جفنه الايسر انه لابد أن يحدث له مايبكيه لايلبث أن يبكي مما لايبكي لولا وهمه هذا . وكثيراً مايرى الانسان أمرا حدث عقب أمر فيتوهم أنه سبب له وما هو في الحقيقة بسبب طبيعي ، ومن نشأ التشاؤم والتطير ، ولذلك جعل علماء المنطق القضية الشرطية قسمين حقيقية واتفاقية فالحقيقية ماكان فيها المقدم سبباً وعلة للتالي مثل : ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود . والاتفاقية مثل قولهم : ان كان الانسان ناطقا فالحمار ناهق . ومن البديهي أن نطق الانسان ليس سبباً لنهيق الحمار . فعليكم أن تتدبروا ذلك

﴿ استحلال حكم الحاكم المخالف للشرع والمانع من الحكم بالشرع ﴾

(س ١١ و ١٢) ومنه : ماحكم المستحل لحكم الحاكم المخالف للشرع المنزل وذلك كمحاكم مصر الاهلية وهل من مانع من رجوع جميع محاكم الحكومات الاسلامية للحكم بالشريعة الحنيفية واقامة الحدود خصوصاً الحكومة المصرية واذا لم تتمكن الحكومة المصرية مثلا من اقامة الحدود وغيرها من الاحكام الشرعية المعطلة لاسباب ظاهرية أو وهمية أفلا يمكنها وهي حكومة اسلامية رسميا أن تمنع ولو أربعة أمور فقط وأن تعكس قضاياها في قوانينها من ايجاب الى سلب لانها من أكبر أمهات فساد الاحوال وضياع الاموال في هذا القطر الاسلامي ألا وهي (الزنا والربا والخمر والقمار)

(ج) الاحكام الشرعية منها ما هو قطعي الثبوت والدلالة كالحدود الثابتة بنص القرآن وفي معناها كل ماهو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن استحل حراما من هذا النوع كان كافراً ، ولا يعذر بجهله الا من كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ بعيدا عن المسلمين منفردا عنهم . وما كان غير قطعي لا يكفر مستحله الا اذا ثبت عنده وكان غير متأول في استحلاله وانما يكفر جاحد هذا النوع بنحو استحلال حرامه لانه يكون مكذباً للشرع رادا له ، فمن استحل حكم الحكمة المخالف للشرع المنزل أي في القرآن يكفر اذا كانت الآية التي خالفها الحكم قطعية الدلالة أي نصا لا يحتمل التأويل ، ومثله ما اذا كانت دلالتها ظنية وكان المستحل يعتقد ان ذلك هو المراد منها ، وأما اذا اعتقد ان ماخالفه الحكم من ظاهرها ليس

ماروي عن نبيهم وعن أصحابه وان لم يكن قول الصحابي برأيه حجة شرعية عندهم ومن أظهر آيات صدق أئمة المحدثين أصحاب الجرح والتعديل وبيان علل الحديث أنهم لم يكتموا شيئا مما روي، ولم يحكموا مذاهبهم وآراءهم أوأهواءهم في ذلك ، بل نظروافي الرواية نظر المؤرخ العادل، فما ظهر لهم قوة سنده منها صححوه أوحسنوه، وما كان غير ذلك ضعفوه أو كذبوه ، ولم تحملهم صحة المعنى على تصحيح الرواية ، ولا مجرد كون المتن موضعاً للطعن والنقد ، على الحكم على سنده بالوضع ، بل فصلوا بين نقد المتون ونقد الاسانيد، فعني بهذا أناس وبذاك آخرون، ويقل من جمع بينهما، فجمعوا لنا كل ماروي وقيل فينا ،سواء كان لنا أو علينا ،فأما المفسرون فمنهم من لاهم له الا نقل مايراه في كتب من قبله من غير بحث ولا نقد ، ولاتمييز بين مايصح ومالا يصح لاجل نقده وبيان الحق، ومن هذا الباب نقلهم لما روي عن عثمان. ومن كان همه النقل فقط لايخطر بباله مايثيره نقله في نفوس القارئين ولا يحفل بذلك

﴿ اختلاج الاعضاء ﴾

(س ١٠) ومنه : ذكر الخوارزمي في كتاب (مفيد العلوم ومبيد الهموم) بابا لاختلاج الاعضاء جميعها وقال بأنه اذا اختلج عضو كذا يحصل من الخير كذا واذا اختلج عضو كذا يحصل من الشر كذا وهكذا الى آخر الاعضاء مابين خير وشر فهل لهذا الاختلاج من حكم وأصل واذا قيل بأنه لاأصل له نقول قد وجدنا غالب ماذكره الخوارزمي في باب الاختلاج عند التجارب صحيحاً فهل ذلك من الاسباب العادية أم كيف ؟ أفيدونا

(ج) مسألة اختلاج الاعضاء وكونها سببا للخير والشر ليست دينية ولاعقلية وأما التجربة فلايثبت بها مثل هذا الا بالاستقراء المطرد وأنتم تنفون ذلك بقولكم انكم وجدتم غالب ماذكره الخوازمي في باب الاختلاج صحيحاً ، وهذا اثبات لعدم صحة مقابل الغالب. ولا يكفي في الاستقراء تجربة واحد اذ يتفق أن يحدث له بعد الاختلاج مالايحدث لغيره ، وما يدريكم لعل غيركم رأى اكثر ما يقوله أهل هذا الزعم أو كله غير صحيح. ها أناذا رأيت في صغري أرجوزة في دلالة اختلاج أعضاء البدن علق بذهني أبيات منها طالما خطرت في بالي عند الاختلاج فظهر لي كذب الناظم . منها

وجفنه الاعلى يري مايؤثر ... وفي شماله بكاء يكثر
وجفنه الاسفل صحة الجسد ... وفي شماله بكاء لايحد

دون غيرها لان ارادة الامة لاترد . ولكن متى تريد ؟ ان من لاوجود له لاحياة له، ومن لاحياة له لا ارادة له ، فالمسلمون الآن ليسو أمة فنطالبهم بالاعمال الارادية التي هي من شأن الامم الحية، وانما هم أفراد متفرقون « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» لهذا كنا نقول منذ أنشأنا المنار : ان الواجب قبل كل شيء هو تكوين الامة .

بل أقول ان حكم محاكم البلاد الاسلامية بالعقاب على الزنا والسكر والقمار وامتناعها من الحكم بالربا لا يتوقف على جمع كلمة الامة الاسلامية ومطالبتها بذلك بلسان القال والحال بل يمكن بما هو دون ذلك، أما في البلاد العثمانية فلو طلب ذلك أكثر المبعوثين لكان قانوناً نافذا ولكن كان أكثر المبعوثين ممن لايرى ذلك والذنب على الامة التي تنتخب من لا تثق بدينه .وأما في مصر فلو انتدب علماء مصر للمطالبة بذلك يتبعهم السواد الاعظم من المسلمين ولا يبقى للحكومة مندوحة من اجابتهم متى قاموا يطالبونها مع علمائهم في كل مكان ، ولكن النفوس ماتت فلا يتجرأ أحد على طلب شيء باسم الدين . نعم ان الحكومة المصرية لاتقدر على منع الاجانب من بيع الخمر وشرائها، ولا بغايا الاجانب من فتح مواخير الزنا، ولا مصارفهم من الدين بالربا، ولا المحكمة المختلطة من الحكم به ، ومن ذا الذي يطالبها بذلك وهي تقصر في تنفيذ مواد القانون المصري التي وضعت للتشديد في أمر الفسق والقمار لان الكثيرين من رجال القانون يحبون التساهل في ذلك ، بل الامر أعظم من ذلك. وكأن السائل لا يعرف من أمر بلاده شيئا ، والا فسؤاله على غير ظاهره

واذا أراد العبرة بمسألة من المسائل المتعلقة بصعوبة الفقه الاسلامي وجمود التقليد اللذين أشرنا اليهما فليقرأ الرسالة الآتية وتعليقنا عليها . ولو كان ممن يقرأ المنار من أول صدوره لما احتاج الى السؤال عن مثل هذا فما من مسألة من المسائل التي يتوقف عليها فهم جواب هذا السؤال بالتفصيل الا قد كتبنا فيها مرارا ، ولكن الناس اتخذوا رؤساء جهالا مفسدين فصار السواد الاعظم من المسلمين في حيرة بين ألوف من دعاة الفتنة باسم المدنية أو الوطنية أو التقاليد الخرافية ، وما عساه يوجد من داع الى الهدى ينفر الناس عنه المضلون بالكذب والبهتان، ويعارضونه باغراء بعض المنافقين بمثل دعوته كالذين اتخذوا مسجد الضرار ، فالنتيجة لهذه المقدمات انه لاطمع في الحكم بالشريعة الا بتكوين أمة اسلامية تنصب لنفسها حكومة اسلامية ، وكم بينا الوسيلة لهذا التكوين وجاهدنا الذين لايزالون يمزقون شمل المسلمين ويحاولون تكوين أمم منهم جامعتها الوطن أو لغة غير لغة الاسلام ، كاحداث الوطنية بمصر والاتحاديين في المملكة العثمانية

هو المراد منها فلا يكفر ، فالكفر يناط بتكذيب القرآن أو استحلال مخالفته، فمن خالف غير مكذب ولا مستحل ولو لما ترجح عنده انه حكم الله من غير قطع كان عاصيا يجب عليه التوبة والعمل الصالح الذي يرجى أن يكون كفارة لذنبه ، فان أصر يخشى أن تحيط به خطيئته ويرين عصيانه على قلبه فيكون من الخاطئين، وأما مخالفة الناس أو المحاكم لآراء الفقهاء الاجتهادية فالامر فيه أهون والعبرة باعتقاد المخالف فان كان يعتقد انه من شرع الله كان عاصيا

وأما مسأله الحكم بالشرع فأئمة اليمن الزيدية لايحكمون الا بفقه الزيدية وأهل نجد لايحكمون الا بفقه الحنابلة. ولكن ترك الحكم بالشرع في الجنايات وبعض القضايا المدنية طرأ على البلاد الاسلامية التي قلدت المدنية الاوربية وانما يسأل السائل عنها، واذا أردنا أن نشرح جواب هذا السؤال شرحا تاما لايتم لنا ذلك الا بتأليف كتاب يكون من أبوابه باب استبداد ملوك المسلمين وأمرائهم بالاحكام وأسباب ذلك — وباب خضوع الامة لاحكامهم وأسبابه التي سهلت عليها قبول أحكامهم المخالفة للشرع ـ وباب فقه المسلمين ومآخذه ، وكون الفقيه عند سلف المسلمين هو المجتهد وأسباب ترك الإجتهاد ومقتضاه فقد الفقهاء العارفين بأحكام الشرع معرفة صحيحة أي بالدليل ، وسبب امتلاء كتب الفقه بالخلاف والاضطراب في تصحيح الاقوال المنقولة عن أئمة الفقهاء ، وسبب جعل اقوالهم أصولا للدين يستنبط منها المقلدون الذين ليسوا أهلا للاستنباط، وسبب مافيها من التشديد وسوء التأليف والتعقيد اللفظي والمعنوي وغير ذلك من الامور التي جعلت فهمها واستخراج الحكم الصحيح منها عسرا ـ وباب ماحدث للناس من شؤون المعاش والاجتماع والفنون والاحوال والعادات والعرف التي ترتبت عليها قضايا كثيرة لانص عليها في أصل الشريعة ولا تقبل الامة ولا حكوماتها أن يكون فيها مجتهدون يضعون لها أحكاما تتفق مع الاصول المقررة ـ وباب تغلب الافرنج على المسلمين واستيلائهم على اكثر بلادهم استيلاء رسميا تاما ووضعهم الباقي تحت نفوذهم واضطرارهم حكامه الى الخضوع لهم فيما يريدونه منهم ـ ثم ضعف العلم والدين في الحاكمين والمحكومين وافتتانهم بتقليد الافرنج في قوانينهم واستخراج الجواب من مجموع تلك الابواب

فاذا تأمل السائل عناوين هذه الأبواب ولمح بعض مايدخل فيها من المسائل علم ان ترك الحكم بالشريعة له أسباب كثيرة اثمها الاكبر على الملوك والامراء والعلماء ، وسببها الاكبر جهل الامة وتركها لحقوقها بغش رؤساء الدين والدنيا لها ليتسنى لهم استخدامها واستغلالها، فمتى أرادت الامة أن تحكم بشريعتها التي تؤمن بها حُكمت بها

واستبان الاحق بالقبول ، ولم يبق الا تطبيق العلم على العمل

ومن المعلوم ان كثيرا من مسائل القضاء الشرعية كمسألة فسخ عقد من يغيبون غيبة منقطعة انما يتمشى القضاء بها على بعض المذاهب دون بعض ، فكم من أقضية لا يتيسر القضاء بها الآن على مذهب النائب الشرعي الحنفي لانحصار قضائه في مذهبه الذي أنيب للحكم به ؟ وأما على غير مذهبه فيمكن القضاء بها الا ان أمر تنفيذ القضاء بها موقوف على توسيع الاذن للنائب الحنفي بأن يولي القضاء لمن يقضي بتلك النازلة على مذهبه ممن يراه أهلا للقضاء والحكم ، فاذا قضى هذا نفذ النائب الاصلي قضاءه فينفذ حينئذ .

وأما الوقائع لهذه القضية التي سهل العمل بها الآن وكان مغلقاً دونها ابواب التنفيذ فلا تحصى أيضاً فيعلم الناس ان من الرجال من يغيب عن زوجته غيبة ينقطع بها خبره أو يكون لا مال له حاضر ينفق عليها منه أو يعسر بنفقتها المعروفة فيفر من وجهها ويتعذر الانفاق عليها حينئذ لفقد مال له تعاش به أو تراش ، فكيف المخرج لهذه البائسة تبقى على هذه الحالة التي سكرات الموت أهون منها أم ترجع الى ماعسى ان يكون لها في الشرع الانور فرج ومخرج ؟ ... لاجرم ان لها فرجاً ومخرجاً والدين ليس بالجافي وان ضاق بها مذهب فقد يتسع لها مذاهب ، وأقوال الأئمة اشتملت على كثير مما فيه سعة ورحمة

انا لا أحصي مذاكراتي مع قضاة دمشق وسواها لحل هذه المعضلة ، وازاحة هذه المشكلة ، بل كثيراً ما فاتحت بها مبعوثي سورية وغيرها ممن رغبت اليهم في اقتراح توسيع المجلة بأبواب أخر لاسيما في بابي النكاح والوقف ، بل كلمت مرة في ذلك شقيق أحد الصدور العظام لما قدم دمشق ، كل ذلك لما يحمله قلبي من هم تلك النازلة وما يشغل فكري على المدى من تلمس المخرج لها .

ما اتفق اني تجولت في ضواحي دمشق ومراكز اقضيتها الا وشكا لي خيار نوابها ومن نزلت بهم هذه المسألة ضيق صدورهم بمصابها ، فكم يشكو آل الزوجة غيبة الزوج في بلاد اميركا مثلا وانقطاع خبره وطول مدة غيبته واهماله اقامة وكيل عنه ينفق على زوجته أو فقدان مال له ينفق منه عليها وعدم صبرها على ذلك لاسيما مع قلة ذات يدها وفقر آلها ؟ .

أحضروا لي مرة امرأة بهذه الحالة معلقة وذكروا أنه صار لزوجها بضع سنين في

﴿ إذن سلطاني عن فتوى شيخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي ﴾

أو

اوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي (*

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

لايخفى أن محاسن الشريعة المحمدية يسرها وسماحتها ومشيها مع المصالح في كل شؤونها ،ولذا كان من أوائل أصولها ودعائم قواعدها ان لاضرر ولا ضرار،واتساع الامر اذا ضاق ، ورفع الحرج والعسر، ونحو ذلك من قوانينها المقررة، ونواميسها المحررة ، فاليسر ورفع العسر لازم من لوازمها وخاصة من خصائصها، كما ان من مزاياها وفرة المآخذ لاحكامها، وتنوع المدارك لفروعها ، فقد فتح بفضل ذلك أبواب لمخارج لولاها لضاقت الصدور

وقد رحم الله سبحانه — وله الحمد — هذه الامة بكثرة مجتهديها وانتشار فقه أئمتها وتلقي ذلك خلفاً عن سلف حتى سهل الانتفاع بعلومهم وفروع أصولهم ، والاستمداد من مدوناتهم وفتاويهم ، وحتى أصبح أسلوب التفريع في كتب الفقه والفتاوي خير رائد لتعلم الحكم والقضاء وتوليد الفروع من الاصول ، وتعرف الاشباه والنظائر

أقول كتب الفقه وأعني بها كتب عامة الأئمة المجتهدين وأصحابهم وأتباعهم رضوان الله عليهم فهي التي تجلى فيها يسر الدين ورحمته وكاد أن لاتقع نازلة الا ويجد المنقب لهم كلاماً في أمرها ، هذا اذا نظر الى النوازل من الوجهة الفقهية وأما اذا نظر اليها من الوجهة الاصولية فلا ريب ان آيات الاحكام المنزلة ،وأحاديثها المصححة والمحسنة كافية وافية كلها بمنطوقها ومفهومها ، عامة لكل ماجد ويجد

من هنا كان الخلاف رحمة أي اختلاف المآخذ وتنوع وجوه المدارك وتعدد مناحي المصالح ، اذبذلك صار يتسنى تعرف الاقوى فالاقوى من الاقوال ،والاصلح فالاصلح من الاقضية لمراعاة الاحوال ، وارتفع الحرج من التحريج على الافكار

*) نشر هذه الرسالة بهذا العنوان في مجلة المقتبس الشهيرة صديقنا علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي نزيل مصر الآن، ورغب الينا ان ننشرها في المنار لزيادة الفائدة

المتداعيان شافعيين ان ينتخب المفتي الشافعي أو من كان أعلم وأفقه علماء البلدة وكان معروفاً بالعقل وموصوفاً بالدين والاستقامة ويفوض اليه ويطلب منه الحكم ثم يقوم بتنفيذه القاضي الحنفي وان يجرى على هذا الوجه أيضاً في المالكي والحنبلي . ولما كان يفهم من مآل مذكرة(؟) انه يجب على القضاة الشرعيين المعينين في تلك الانحاء ان يستحصلوا في ذلك اذناً من قِبل مستجمع الشرف وملجإ الخلافة وكان ذلك أوفق للمصلحة فقد استؤذن من حضرة ظل الله في الارض ان تجري المعاملات المذكورة بموجب الفتوى المتقدمة فصدرت ارادته التي من شأنها الاصابة آذنة بذلك ، وقد سطرنا لكم هذا الرقيم لتهتموا بعد الان بأن تعملوا بمنطوقه الجليل عندكم. »

في ١٠ صفر سنة ١٢٩٣ وفي ٢٣ شباط ١٢٩١ شيخ الاسلام

حسن فهمي

واليك صورة الفتويين الجليلتين من جانب المشيخة الاسلامية لهذا العهد تعزيزاً للفتوى المتقدمة ارسلتا لقضاء المدينة المنورة غب مراسلته لها بذلك :

عدد « نومرو » ٤٧

جواب الرسالة البرقية المؤرخة في ٢٥ نيسان سنة ١٣٢٨ :

يفهم من مؤدى التحريرات القديمة المتضمنة فسخ النكاح والمؤرخة في ١٠ صفر سنة ٩٣ وذات العدد التاسع والتسعين بعد المائتين ان للقاضي الحنفي الحق شرعا ان يعطي اذناً للاشخاص المسطرين ضمنها بأن يحكموا وفقاً للمذاهب الاخرى ، وقد بودر باشعار الكيفية الى جانب فضيلتكم مع نص دار الفتوى في ٩ جمادى الاخرى سنة ١٣٣٠ وفي ٣٠ مايس سنة ١٣٢٨

شيخ الاسلام عبد الرحمن نسيب

عدد « نومرو » ٩١

لما كان اشعر بمحررات جوابية مؤرخة في ٩ جمادى الاخرى سنة ١٣٣٠ وذات العدد السابع والاربعين بأن للقاضي الحنفي الحق شرعا ان يعطي اذناً للاشخاص المسطرين ضمنها بأن يحكموا وفقاً للمذاهب الاخري كما يفهم من مؤدى التحريرات القديمة المتضمنة فسخ النكاح والمؤرخة في ١٠ صفر سنة ١٢٩٣ وذات العدد التاسع والتسعين بعد المائتين أرسل لكم ذلك مطوياً مع رسالة برقية مقدمة بامضاء السيد محمد تحتوي بعض الجمل في ذلك الباب . في ٢٩ رمضان سنة ١٣٣٠ وفي ٢٩ آغستوس سنة ٣٢٨ شيخ الاسلام محمد جمال الدين

أميركا ولا كتاب منه ولا خبر، ولا حوالة بمال، ولا صلة بحال، ولا أهل له ولا وكيل، وأخذوا يبكون على نضوب ماء حسنها، وقرب الزهادة فيها، ووكس مهرها ، ووجودها بين أترابها كالمعلقة، لا مزوجة ولا مطلقة، وتجرع مرارة الفراق، وهموم تسيل الدم من المآق، وانهم كانوا كلما انتجعوا وجهاً لحل عقدتها لايجدون، وكان يعتذر لهم النواب بأن فسخ هذا النكاح سدت دونه الابواب، حتى يصدر الامر من المشيخة الاسلامية بالعمل على فسخه ، وابطاله ونسخه

أما الآن فقبل للنواب والقضاة في عامة المراكز والجهات قد صدر الامر تلو الامر من مقام المشيخة الجليلة مؤيدا بالارادة السنية بالقيام بفسخ هذا النكاح .واليك ماأذنت به المشيخة الاسلامية الجليلة لعام ١٢٩٣ وأرسلت أمرها بذلك للولايات ليحفظ في سجلات محاكمها الشرعية معرباً عن الاصل بالتركية (١) :

عدد (نمرو) ٢٩٩

« ورد من قبل علماء لواء السليمانية (كتاب يستفتون فيه) عما اذا كان الحكم العالي الناص بأن للقاضي الحنفي ان يأمر وفقاً للمذهب الشافعي بفسخ عقد من يغيبون غيبة منقطعة وتزويج زوجاتهم من غيرهم والمرسل(٢) سنة ١٢٧٢ جواباً على ماورد من متصرفية الموصل لايزال الى اليوم مستمراً أم لا ؟ ويرجون في كتابهم بعد الآن تعيين نواب عالمين بالمذهبين لينظر في الدعاوي الواقعة وتفصل على المذهب الشافعي فيما اذا كان الطرفان شافعيين أو على المذهب الحنفي فيما اذا كان المتخاصمان حنفيين أو احداهما فقط حنفياً يباعث ان كثيرين من أهالي السليمانية وكركوك وقرى سنجار واربيل شافعيون كما ان ولاية بغداد وأهل المغرب يتمذهبون بالمذهب المالكي وكذلك معظم أهل نجد حنابلة وقد حول كتابهم واستفتاؤهم الى دار الفتوى (وأجيب عنه) بأنه لما كان القضاة الكرام في زماننا مأمورين بأن يحكموا على المذهب الحنفي وانهم ممنوعون من تنفيذ حكم خلاف مذهبهم وان قضاء قاض على خلاف رأيه فيما هو مجتهد فيه لاينفذ على القول المفتى به كان جعل النائب مأذونا له بأن يحكم بأقوال بقية المذاهب مخالفاً للقول المفتى به ومؤدياً لتشويش أمور العباد . غير ان الكتب الفقهية المعتبرة صرحت بأنه يصح شرعاً تفويض ذلك الى رجل شافعي ليحكم فيها على المذهب الشافعي لذلك وجب في المسائل المختلف فيها كالطلاق والنكاح اذا كان

(١) المنار : أي مترجما بالعربية عن الاصل الذي هو بالتركية (٢) المرسل صفة للحكم معطوفة ويفهم منه ان أهل الموصل كانوا استأذنوا من المشيخة الاسلامية ان يحكم بينهم بمذهب الشافعي فأذنت لهم

المذهب الشافعي أو غيره فيها اذا احتاجوا الى ذلك في مثل الواقعة التي أشار اليها ناشر هذه الاوامر وفي غيرها من الوقائع، والعامي لامذهب له الا مذهب مفتيه والحكم يرفع الخلاف

وكان يمكن أن يحل شيخ الاسلام حسن فهمي افندي وغيره المشكلة بغير ما حلها به ولكنه أراد التفصي من الاذن لقضاة الترك الحنفية بالحكم بمذهب الشافعي أو غيره لجهلهم بهذه المذاهب ولئلا يضطرب أمر القضاء بتوسيع مجال الاحكام فيه وتتناوح أهواء القضاة ان أذن لهم بالحكم بما يرونه الاصلح من هذه المذاهب في كل واقعة، ولا يمكن جعل الاذن خاصا بمسألة أو مسألتين كفسخ النكاح، ولا تحب حكومة الآستانة أن تولي على كل بلاد قضاة من أهل المذهب الذي عليه جميع أهلها أو أكثرهم لان من سياستها جذب الناس الى مذهب الدولة — أراد الشيخ التفصي من ذلك وتعليل أمر القضاة بالحكم بالمذهب الحنفي وعدم تنفيذ غيره فعلله أولا بقوله « وان قضاء قاض على خلاف رأيه فيما هو مجتهد فيه لا ينفذ على القول المفتى به » فكان هذا تعليلا في غير محله لان القاضي المجتهد غير موجود عندهم فان كان موجوداً وجب أن يولى على أن يحكم باجتهاده وحينئذ لاينفذ مايحكم به على خلاف رأيه وان وافق المذهب الحنفي، فالحق انه لافرق في القضاة المقلدين الذين ليس لهم رأي في المسائل بين حنفي وشافعي ومسألة التنفيذ تابعة للسلطة فكل من عينه السلطان القادر على التنفيذ ينفذ حكمه مهما كان المذهب الذي أمره بالحكم به، وليست المسألة تعبدية

وقد كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى طاف على المحاكم الشرعية مفتشاً لها باذن الحكومة عقب توليته افتاء الديار المصرية وكتب تقريرا ضافيا في طريقة اصلاحها اقترح فيه عدم حصر القضاء في الحنفية توسعة على الامة، واقترح أيضا أن تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر ولاسيما الاحكام التي هي من خصائص المحاكم الشرعية، ونحن لايضاح المقام الذي نتكلم فيه نذكر عبارته، ثم ما أبديناها به في مقدمتنا لذلك التقرير عند طبعه، أما عبارته فهذا نصها :

﴿ الاحكام ﴾

«ماعليه العمل من أقوال العلماء في الاحكام الشرعية مذكور في الكتب مخلوطا بالخلاف والبحث وطرق الترجيح ومن رفعت اليه واقعة شرعية قد يصعب عليه الحكم فيها الا بعد مراجعته بعض المؤلفات الطويلة وربما احتاج الى مراجعة عدة

وبعد فان من يتدبر هذه الفتاوي الجليلة يعلم انه اذا عمل بها قضاتنا ونوابنا حينما تمس الحاجة اليها فانها تزاح بها آصار وغموم لاسيما في بعض مسائل الزوجية التي لايقضى بها على مذهب الحنفية ، ويسهل الحكم بها على المذاهب الاخر .

ومن الصور التي يفسخ بها النكاح على غير مذهب الحنفية اعسار الزوج بالنفقة أو انقطاع خبره ولا مال له ففي الصورتين لها فسخ النكاح ففي المنهاج وحواشيه (من كتب الشافعية) ان من أعسر بأقل نفقة أو كسوة أو مسكن ولم تصبر فلها الفسخ ان ثبت اعساره عند قاض باقراره أو بينة وكذا اذا انقطع خبره ولا مال له حاضر فلها الفسخ كما في كتاب النفقات . وفي الاقناع وشرحه (من كتب الحنابلة) انه متى تعذر الانفاق على الزوجة بأن لم يكن للزوج مال ولا نقد ولا عرض ولاعقار فلها الفسخ لتعذر الانفاق عليها من ماله كحال الاعسار . وفي بداية المجتهد للامام ابن رشد (من أئمة المالكية) مامثاله :وأما الاعسار بالنفقة فقال مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور وأبو عبيد وجماعة يفرق بينهما .

وكذلك يعتبر عند الحنابلة الشروط التي تحصل عند العقد وهي مايقتضيه العقد أو تنتفع به المرأة فكله لازم للزوج بمعنى ثبوت الخيار لها بعدمه وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « مقاطع الحقوق عند الشروط » وتفاصيل الفروع في المطولات .

لهذا كان من الواجب المحتم على نواب المراكز والالوية والاقضية ان يحتفظوا بهذه الاوامر الشرعية والفتاوي الجليلة في باب الزوجية وليقيدوها في سجلاتهم وليحافظوا عليها وليحفظوها لمحاكمهم ، وليقوموا بها في كل دعوى أقيمت على هذه الحال، ولينفذوا حكمها بما أمر به مشايخ الاسلام الاعلام، بتفويض ذلك الى من يقضي بها ثم ينفذون الحكم في الحال، وليرحموا من تنزل بهم هذه النازلة من البائسات، وليوفوا بما عهد اليهم من ذلك لاسيما وقد صدرت به الارادة السنية التي طاعتها في الحق من الواجبات ، ومن خالف من القضاة بعد وضوح المحجة ، فقد قامت عليه الحجة ، والله حسيبه ، وعليه حسابه . اهـ

﴿ المنار ﴾

ان حل المشيخة الاسلامية لهذا المشكل بهذه الصورة حسن يحصل به المقصود ويكفي للخروج من الحرج، وبه تفك قيود المحاكم الشرعية في القطر المصري وأكثر أهله شافعية فمالكية ، بل يجوز لمن يسمون حنفية تبعاً لآبائهم أن يطلبوا الحكم

(المنار) ليعلم القاريء ان هذا الاقتراح لم يقبل ولم تعمل به الحكومة المصرية مع شدة الحاجة اليه لا لاقامة العدل فقط بل لحفظ الدين أيضا ، وكان من سبب ذلك جمود قاضي مصر الذي يجيء من الآستانة وتعصبه وجمود سائر القضاة والعلماء وعدم وعدم اهتمامهم ، ولو أنهم اجتمعوا وألفوا الكتاب الذي اقترحه الاستاذ الامام وطالبوا الحكومة بتنفيذه لفعلت . فهذا الجمود والاهمال من العلماء قد كان اكبر أسباب اقتباس الحكومتين العثمانية والمصرية للقوانين الاوربية ، واتسع التشريع الاوربي بمصر اكثر من الاستانة لان نفوذ العلماء فيها أضعف ، وعنايتهم بشؤون الحكومة أقل .

ومما جعل عقبة في طريق تنفيذ اقتراح المفتي زعمهم أن الحكم لا يجوز أو لا ينفذ الا بمذهب السلطان مع ان السلطان أمر قضاه البلاد العثمانية بانابة من يحكم بغير مذهبه عند الحاجة وتنفيذ ما يحكمون به ، وانني عند طبع التقرير سنة ١٣١٧ ونشره كتبت له مقدمة بحثت فيها في هذه المسألة بحثا فقهيا أزلت فيها الشبهة ، ومهدت السبيل للعمل بالحنيفية السمحة ، فقلت في بيان الامر الثالث من الامور الاصلاحية التي اشتمل عليها التقرير وأعدت نشرها هنا آنفا ما نصه :

(الامر الثالث) ان تؤلف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في أحكام المعاملات الشرعية ينطبق على مصالح الناس في هذا العصر لاسيما الاحكام التي هي من خصائص المحاكم الشرعية يكون سهل العبارة لا خلاف فيه كما عملت الدولة العلية في مجلة الاحكام العدلية . ولا يكون هذا الكتاب وافيا بالغرض وافيا للمصالح الا اذا أخذت الاحكام من جميع المذاهب الاسلامية المعتبرة ليكون اختلافهم رحمة للأمة . ولا يلزم من هذا التلفيق الذي يقول الجمهور ببطلانه كما لا يخفى (*) . وقد أشير في صفحتي ٣٨ و ٤٠ من التقرير الى عدم التقيد بالمذهب الحنفي وتوهم بعض الناس ان هذا يمس حقوق مولانا الخليفة وان الاحكام بغير مذهب الحنفية لا تصح ولا تنفذ لهذا ونجيب عنه بأمور

(١) جاء في كتاب الاحكام السلطانية ما نصه « فلو شرط المولى وهو حنفي أو شافعي على من ولاه القضاء ان لا يحكم الا بمذهب الشافعي أو أبي حنيفة فهذا على ضربين أحدهما ان يشترط ذلك عموما في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقا لمذهب المولى أو مخالفاً له، وأما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها وأخرجه

(*) بينت في محاورات المصلح والمقلد نقض قولهم ببطلان التلفيق وكون مذهب الحنفية ملفق من ثلاث مذاهب

منها في أبواب مختلفة وكثير من القضاة لا طاقة لهم باستخراج الاحكام من هذه المطولات وفي الحق ان ذلك غير ميسور الا للقليل ممن يصح توليته القضاء اللهم الا بعد اصلاح طريقة تعليم الفقه في الجامع الازهر واعادتها الى ما كان عليه السلف الصالح وذلك أمر بعيد المنال الآن. نعم يجب ان يكون القاضي مقتدرا على البحث والمراجعة في المشكلات اما في كل حكم فذلك من العسر بمكان وقد كثر الخطأ في أحكام الاوقاف والطلاق والمهور والوصايا ونحو ذلك لهذا السبب

«ثم انه توجد شؤون للمسلمين تقضي الضرورة بالنظر فيها وبيان الاحكام التي ترفع الضرر وتقرر العدل ولا تخالف الشرع بل هي من قوامه كاحكام الغائب والمفقود الذي ترك مالا وهل يمكن اقامة وصي يخاصم له ويحفظ ماله ويدفع الخصوم عنه وتنفذ الاحكام عليه بالنيابة عنه ؟ وهي من المسائل الخلافية في المذاهب والوقائع فيها كثيرة ورجال المحاكم فيها مضطربون ، وكالزوجة يتركها زوجها بلا منفق أو يغيب عنها الغيبة الطويلة وتنقطع أخباره أو يكون معروف المقر ولا أمل في الوصول اليه لو حكم عليه بالنفقة، أو كان من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة أو السجن لمدد طويلة وتخشى على نفسها الفتنة أو لا تجد ما تنفق منه ولا من تستدين منه على حساب الزوج، ومثلها التي يكون زوجها حاضرا ولكنه لا ينفق عليها وهي مضطرة لما تنفق منه ، وكذلك التي يضارّها زوجها في العشرة - فجميع ذلك مما عمت به البلوى وكثرت فيه الشكوى من جميع انحاء البلاد ، وكثير من النساء يجن أنفسهن افتتانا أو اضطرارا للقوت لانهن لم يجدن السبيل الى دفع الضرورة أو الخلاص من الفتنة في المحاكم الشرعية على حالتها التي هي عليها الآن . أليس من الواجب ان نفزع الى الشريعة الاسلامية المطهرة لنجد فيها الوسيلة الى وقاية الاعراض والانفس مع ان المحافظة عليهما من اهم مقاصد الدين الاسلامي والشريعة السمحة ولا نعدم في نصوصها وسيلة الى أهم ما جاءت له

« كل ذلك يجب ان يوضع بين يدي لجنة من العلماء ليستخرجوا من الاحكام الشرعية ما فيه شفاء لعلل الامة في جميع أبواب المعاملات خصوصا ما لا يمكن النظر فيه لغير المحاكم الشرعية من الاحوال الشخصية والاوقاف ويكون ما يستخرجونه كتابا شاملا لكل ما تمس اليه الحاجة في تلك الابواب ويضم الى ما يستخلص في أبواب المرافعات الشرعية ويصدر الامر بأن يكون عمل القضاة عليه فاذا أغمض عليهم أمر راجعوا فيه من يكون في وظيفة افتاء الحقانية أو الديار المصرية وعليه ان ينظر فيه بنفسه أو مع لجنة العلماء على حسب الحاجة اهـ

لو ألف علماء الازهر اللجنة التي اقترحها الاستاذ الامام ووضعت الكتاب الذي أشار به وطلبت الحكومة المصرية من شيخ الاسلام في الآستانة الفتوى بالعمل ثم اذن السلطان الذي يعبر عنه بالارادة السلطانية لكان هذا أرجى مايرجى للاجابة ولتجرئة الميالين الى الاصلاح من علماء باب المشيخة في الاستانة وغيرهم على تعميم ذلك

جرت بيني وبين شيخ الاسلام موسى كاظم افندي مذاكرة في داره عندما كنت في الآستانة سنة ١٣١٨ تناسب مانحن فيه، فقد اخبرني انهم يشتغلون بوضع كتاب في الجنايات وغيرها لأجل محاكم اليمن (وكان اليمانيون صرحوا بأنهم لايقبلون الا الحكم بالشرع دون القوانين) قال شيخ الاسلام لكن لابد من إنشاء محكمة تجارية – وأحسب انه قال في الحديدة وفي صنعاء – لأن هنالك بعض اليهود وهم لايرضون بحكم الشرع لأنه لايجيز شهادتهم . فقلت له اذا التزمتم مذهب الحنفية فيما تضعونه من الاحكام المدنية والشخصية والجزائية فان كثيرا من المسلمين لايسهل عليهم قبولها مختارين، واما اذا اقتبستم من جميع كتب الشرع ولم تلتزموا كتب مذهب واحد فانه يسهل عليكم وضع كتاب موافق لمصلحة الناس لا يشكو منه مسلم ولا غير مسلم وشهادة غير المسلم تجدون لها حلا مرضيا في بعض الكتب المعتبرة ، وانا زعيم بأنه ما من مشكلة الا ويوجد لها حل يحل العقال بهذا الشرط . فقال الشيخ وأنا أعتقد هذا ولكن من يستطيع اقناع مشايخ (الفتوى خانه) به ؟الخ ولنا ان نقول ان من لم تقنعه الاقوال والاحاديث تقنعه الاحوال والحوادث رغم أنفه

العبرة في هذه الحادثة

لولا مطالبة الجمهور من أهل السليمانية والموصل لحكومة الآستانة بما ذكر في فتوى شيخ الاسلام من الحكم بمذهب الشافعي الذين ينتمون اليه لما خرجت تلك الفتوى والارادة السلطانية بالحكم بها ، وكنت سمعت من والدي رحمه الله تعالى ان السلطان ولى على أهل السليمانية قاضيا شافعيا لانهم كتبوا اليه انهم لايقبلون قاضيا يحكم بغير مذهبهم الذي يدينون الله به . ولا أدري أكان ذلك على ظاهره كما بلغه أم هو تكبير لصدور الارادة بفتوى شيخ الاسلام حسن فهمي افندي كما هو شأن الناس في تكبير الاخبار عند ما ينقلونها من قطر الى قطر ؟

وكيفما كانت الحال فالعبرة التي يجب أن يفهمها عامة المسلمين من هذه الواقعة هي ان الجمهور اذا عرف كيف يطالب الحكومة بالاصلاح فانها لاتجد لها مندوحة

مخرج الامر أو مخرج النهي وقال قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الامر أو لا تحكم بمذهب أبي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط فاسداً سواء تضمن أمراً أو نهياً ويجوز ان يحكم بما أداه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه أو خالفه ويكون اشتراط المولى لذلك قدحاً فيه ان علم انه اشترط مالا يجوز ولا يكون قدحاً ان جهل ، لكن لا يصح مع الجهل ان يكون مولياً لا والياً ، فان أخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فقال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه الا بمذهب الشافعي أو بقول أبي حنيفة كانت الولاية باطلة لانه عقدها على شرط فاسد وقال أهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط » اه المراد منه

(٢) لا يعدل عن مذهب الحنفية الا في الاحكام التي لا تنطبق على مصلحة الناس في هذا العصر اذا حكم فيها بمذهبهم وهذه حالة ضرورة أو حاجة تنزل منزلة الضرورة وبهذا الاعتبار تكون من مذهبهم لأن الحكم الذي تمس اليه الحاجة أو يضطر اليه يصير متفقا عليه

(٣) ان مذهب الحنفية واسع متشعب جدا بمعنى ان فيه كثيرا من الاقوال في كل مسئلة حتى قال كثير من فقهائه انه لا يوجد قول لمجتهد في مسئلة الا وهو موجود في مذهبنا لأحد أئمتنا أو مشايخنا ولو ضعيفا ومن المقرر عندهم أيضا ان القول الضعيف يقوى بأمر الامام بالعمل به وقد ألفت لجنة من العلماء مجلة الاحكام العدلية وأخذوا فيها ببعض الاحكام التي لا تصح في مذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى ولكنها صحت في مذهب غيره وقالوا انها وافقت أقوالا ضعيفة لعلماء الحنفية تقوّت بأمر السلطان ووجب الحكم بها . واذا ألف علماء الازهر الكتاب الذي اقترحه فضيلة مفتي الديار المصرية في هذا التقرير ولم يجدوا الوجهين اللذين قبل هذا كافيين لجواز الحكم بموجبه فيمكن طلب صدور الأمر به من السلطان أو نائبه اذا كان له هذا الحق ولا يمكن ان مولانا السلطان عبد الحميد أو سمو عزيز مصر الحالي يتوقفان في أمر رأى أكابر علماء الازهر ان فيه صيانة مصالح المسلمين وحفظ حقوقهم اه

وأقول الآن انه كان يمكنني بيان حل آخر لهذا الاشكال يصح شرعاً لا سياسة فتركته اتقاء فتن السياسة . وأما الحل الذي جرت عليه المشيخة الاسلامية وأذن به السلطان فتنفيذه في مصر أسهل من تنفيذه في سائر البلاد العثمانية لكثرة علماء الشافعية والمالكية هنا فالى متى هذا التواني والاهمال الذي ينفر الناس من الشرع لظنهم انه هو علة التضييق عليهم ويسيء ظنهم بالحكومة والمسيطرين عليها ؟ ؟

لائحة الاصلاح لولاية بيروت

﴿ وهي اللائحة التي صدقت عليها وقررت السعي في انفاذها ﴾

« الجمعية العمومية الاصلاحيه في بيروت »

المؤلفة من ستة وثمانين عضوا منتخبين انتخابا قانونيا من قبل المجالس الملية والرؤساء الروحيين لجميع الطوائف في بيروت ليمثلوا طوائفهم وينوبوا عنها في تقرير الاصلاح اللازم لولايتهم . وقد تم التصديق لهذه اللائحة وتفويض انفاذها الى لجنة الجمعية العمومية في الجلسة العامة الثالثة المنعقدة في دار المجلس البلدي في يوم الجمعة الواقع في ٢٣ صفر سنة ١٣٣١ و٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣

مادة أساسية ـــ الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية

(الادارة)

المادة الاولى ـ تقسم ادارة الولاية الى قسمين : القسم الاول هو المشتمل على الاعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الاساسية وهي المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبوستة والتلغراف وسن القوانين ووضع المكوس .

والقسم الثاني هو المشتمل على الاعمال المحلية المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية الخاصة

فكل مايتعلق بالقسم الاول منوط تقريره واجراؤه بالحكومة المركزية

وكل مايتعلق بالقسم الثاني منوط تقريره بمجلس الولاية العمومي

(الوالي ـــ حقوقه ووظائفه)

المادة الثانية ـ للوالي صفتان قانونيتان : الاولى تمثيل الحكومة المركزية وبهذه الصفة يتولى اجراء جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الاول طبقاً لقرارات الحكومة المركزية والثانية تمثيل حكومة الولاية التي يرأسها وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الثاني طبقاً لقرارات المجلس العمومي. أما حقوق الوالي ووظائفه فهي :

أولا ـ تنفيذ قرارات المجلس العمومي . ثانياً ـ الاعتراض على قرارات المجلس العمومي على الشروط الآتي بيانها في باب « الوالي والمجلس العمومي » ثالثاً ـ الاطلاع على لوائح المشاريع التى تعدها « لجنة المجلس العمومي » لابداء ملحوظاته عليها قبل تقديمها الى المجلس . رابعاً ـ تعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم

من اجابته الى طلبه ـ وان استمرار الحكام والعلماء على شيء واصرارهم على الجمود عليه باسم الشرع أو السياسة ليس برهانا قاطعا على كونه حتما لامرد له ولا مصرف عنه ـ وانه يمكن تقويم العامة للخاصة كما يمكن العكس . ولكن آفة العامة الجهل فهي لاتدري ماذا يجب ان تطلب من اصلاح أمرها ، وآفة الخاصة فساد الاخلاق فهو الذي يحول بينها وبين العمل بما تعلم من اصلاح أمر الأمة

الى الله نشكو مرض عامتنا وخاصتنا جميعا ، وعلاج هذا المرض أو الامراض يتكلم فيه الناس ، فيخلطون الخطأ بالصواب ، ويعز من يعرفه معرفة تفصيلية تامة ويعرف كيفية تنفيذه ، وهذا العارف العزيز يعز عليه أن يفرغ معرفته في قلب غيره ، لأن مسائل العلوم الاجتماعية يدعيها جميع الناس وقل ان يعرف حقيقتها منهم أحد

يقولون التعليم ، ويقولون التربية ، ويقولون الجرائد والمجلات ، ويقولون الاحزاب والجمعيات ، وأكثرهم لايعرف حق ذلك من باطله ، فنحن نرى فساداً كبيراً دخل على الأمة من قبل هذه الاشياء ، فالعبرة بروح التربية والتعليم والصحف والاحزاب والجمعيات لا بصورها وأشكالها ، وهذه الروح لاتكون صالحة مصلحة الا اذا كان القائمون بهذه الاشياء صالحين مصلحين ، فهل من السهل ان تعرف الأمة من عساه يوجد فيها من هؤلاء الرجال فتكل أمر الاصلاح اليهم ؟ انى ذلك وعوامها جاهلون ، وخواصها يخافون من كل مصلح على جاههم الذي يستغلون به جهل العامة ، فينفرون وينفرون منه ، وينهون عنه وينئون عنه ،

ليس هذا الموضع بالذي يسع الاطناب في هذا البحث ـ والمغرور بجهله المركب الذي يحسبه علما لايفيده ايجاز ولا إطناب ـ وانما نريد ان نذكر المستعد للفهم والاعتبار بأن دون ما يشتهون من حكومة لهم تحكم بينهم بشريعتهم عقبات أمنعها على المقتحم جمود المتدينين ، وأهونها جحود المتفرنجين ، لأن هؤلاء لا يزالون هم الأقلين ، واذا دام هذا الجمود فسيكونون الاكثرين ، ويعم سلطان ما ينسخ به الشرع من القوانين ، ويتبع ذلك انحلال عقدة الدين ، فأما الوسيلة لحياة الاسلام وحفظ شرعه فهي واحدة لا تعدد فيها ، ولا يمكن الجمع بين الدين الحق والمدنية الصحيحة بدونها ، الا وهي المبادرة الى تربية طائفة عظيمة من خيار نابتة المسلمين ، ليكونوا دعاة ومرشدين ، ينهضون بهذه الامة ، ويخرجون بها من هذه الغمة ، وهذا هو الذي تحاوله جماعة الدعوة والارشاد ، فعلى من كان على رأيها ان يتعاهدها بالاسعاد والامداد ، (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد)

منهم من كل لواء واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة فتجتمع بادارة مستشار المجلس العمومي

أما وظائف اللجنة فهي : أولا - مراقبة تنفيذ قرارات المجلس . ثانياً - درس المشاريع اللازمة للولاية واعداد لوائحها . ثالثاً - تعيين مهندسين اختصاصيين للاستعانة بهم في أعمالها . رابعاً - حق الاعتراض على الممتحنين الذين تقدم اليها «لجنة الامتحان» اسماءهم قبل عرضها على الوالي . خامساً - دعوة المجلس العمومي لاجتماع فوق العادة باتفاق ثلثي اعضائها ومصادقة مستشار المجلس

(الموظفون - تعيينهم وعزلهم)

المادة السادسة - الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية والدفتردار وباشمدير الرسومات وباشمدير البوسطة والتلغراف وقومندان الجندرمة وضباطها تعينهم الحكومة المركزية على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفة تامة ، ويستثنى من هذا الشرط والي الولاية لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع الاجراء

أما بقية الموظفين فينبغي ان يكونوا من أهالي البلاد ويجري تعيينهم على الوجه الآتي بيانه :

تعيين الموظفين

يمتحن طالبو الوظيفة امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلبون الدخول فيها فتقدم لجنة الامتحان اسمي الممتازين منهم الى لجنة المجلس العمومي وبعد مصادقتها يعرضان على الوالي فيعين احدهما . ولدى تعيينه يبلغ الوالي اسمه النظارة المنسوب اليها فيقيد في سجلها محافظة على حقوق ترقيته وتقاعده . وأما رؤساء العدلية فيعينون وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي

عزل الموظفين

الموظفون المعينون من قبل الولاية عدا رؤساء العدلية تكف يدهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها معاً . واما رؤساء العدلية فتكف يدهم بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين . وقرار كف اليد في كلا الحالين ينفذه الوالي . وللموظف المكفوفة يده الحق بمراجعة الوالي في خلال سبعة أيام من تاريخ تبليغه ذلك اذا كان موظفا في مركز الولاية وخمسة عشر يوماً اذا كان خارج المركز . فيحيل الوالي دعواه الى مجلس المستشارين ليحكم في

على الحكومة المركزية وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي . خامساً ـ تعيين الطلاب المتحنين الذين تعرض عليه لجنة الامتحان أسماءهم لاجل التوظيف. سادساً ـ دعوة المجلس العمومي في الميعاد المعين لاجتماعه . ويمكنه دعوته لاجتماع فوق العادة بمصادقة لجنة المجلس أو « مجلس المستشارين »

(المجلس العمومي — حقوقه ووظائفه)

المادة الثالثة ـ يؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضوا ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات وهم ينتخبون منهم رئيساً لهم بالاقتراع السري . (أما سائر الانتخابات العمومية فتبنى على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات)

أما حقوق المجلس العمومي ووظائفه فهي : أولا ـ تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية والمذاكرة في ما يعرض عليه من قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من أعضائه .ثانياً ـ وضع الانظمة الداخلية بشرط أن لا تمس شؤون السلطنة الاساسية . ثالثا ـ عقد القروض التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية . أما القروض التي تتجاوز هذا المبلغ فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية . رابعاً ـ اعطاء رخص لتأليف شركات مساهمة (آنونيم) عثمانية للمشاريع العمومية النافعة للتجارة والصناعة والزراعة وسائر الشؤون العمرانية داخل الولاية على شرط أن لا تتضمن امتيازاً . أما المشاريع التي تتضمن امتيازاً فيجب مصادقة الحكومة المركزية عليها . وتخول هذه الشركات الشخصية المعنوية بمعنى أن يكون لها حق التملك . خامساً ـ تقرير الضمائم الكسورية على المكوس المقررة . سادساً ـ تقرير رواتب موظفي ومستشاري الدوائر التي هي بادارة حكومة الولاية . سابعا ـ حق استيضاح الوالي وطلب عزله . لا يتدخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقا

(الوالي والمجلس العمومي)

المادة الرابعة — قرارات المجلس العمومي نافذة مالم يعترض عليها الوالي بمصادقة مجلس المستشارين خلال أسبوع من تاريخ تبليغه اياها فيعيد المجلس النظر في قراره واذا أصر عليه بأكثرية ثلثي الاصوات يكتسب القرار الصفة القانونية القطعية وعلى الوالي تنفيذه

(لجنة المجلس العمومي)

المادة الخامسة ـ ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع السري لجنة من أعضائه واحد

(الاراضي المحلولة)

المادة العاشرة - تسلم الاراضي المحلولة والاملاك الاميرية الداخلة ضمن الولاية الى المجلس العمومي وتكون برمتها ملكا للولاية

(الاوقاف)

المادة الحادية عشرة - لاعلاقة للادارة ولا للمجلس العمومي في الاوقاف بل يسلم كل وقف الى مجلس الملة المنسوب اليها لاستخدامه بموجب قانونها (بناء عليه جميع أوقاف المسلمين في الولاية تسلم الى مجلس ملتهم أسوة بباقي الطوائف)

(البلديات)

المادة الثانية عشرة - البلديات مستقلة بجميع أعمالها . ولها الحق بوضع الرسوم البلدية بمصادقة المجلس العمومي دون مراجعة الحكومة المركزية

(مجلس المستشارين)

المادة الثالثة عشرة - يؤلف مجلس يسمى مجلس المستشارين ويكون أعضاؤه رئيس المجلس العمومي (أو من ينيبه عنه من أعضاء لجنة المجلس) وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية

أما وظائف هذا المجلس فهي : أولا - تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية (بناء على هذه اللائحة) كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومي . ثانيا - تفسير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي: ثالثا - النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه . رابعاً - النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو احدى لجانه أو أية دائرة كانت ويكون حكمه مبرما ويرأس هذا المجلس والي الولاية وينوب عنه في غيابه رئيس المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس

(اللغة المحلية)

المادة الرابعة عشرة - ان اللغة العربية تعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية . وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلسي النواب والاعيان

(الخدمة العسكرية)

المادة الخامسة عشرة - تخفض الخدمة العسكرية الى سنتين وتقضى الخدمة أيام السلم في الولاية . وتنزل قيمة البدل النقدي للنظامية الى ثلاثين ليرة عثمانية وللرديف والاحتياط الى عشرين ليرة

(الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت)

وجوب العزل أو عـدمه . والموظف الذي يحكم مجلس المستشارين بعزله لا يجوز استخدامه في دوائر الحكومة ولا يعطى معاش معزولية. اما محاكمة المعزول جزائياً فتجري في المحاكم العدلية بمذكرة خاصة من المستشار الى المدعي العمومي .

واما موظفو الحكومة المركزية فتكف يدهم بطلب المستشار ومصادقة الوالي الذي يطلب عزلهم بعـد حكم مجلس المستشارين عليهم من النظارة المنسوبين اليها وينبغي أن يعين خلفهم في مدة ثلاثين يوما

واما المفتشون والمستشارون فيكون عزلهم بطلب الوالي من مجلس المستشارين وبحكم صادر من هذا المجلس

واما الوالي فيكون عزله بناء على قرار المجلس العمومي باكثرية ثلثي مجموع أعضائه .فتعين الحكومة المركزية خلفه في مدة أربعين يوماً

(المستشارون والمفتشون)

المادة السابعة — تعـين الحكومة المركزية مستشارين من الاجانب على شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث العربية أو التركية او الفرنسوية وذلك للدوائر الآتية في مركز الولاية وهي الجندرمة والمالية (وتلحق بها غرفة التجارة) والبوسطة والتلغراف والجمرك . وتعـين أيضاً مفتشاً أجنبياً عاماً لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية الداخلة تلك المسألة المراجع فيها ضمن دائرة اختصاصه

ويعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للدوائر الآتية : وهي مجلس الولاية العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس . ويلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثماني في أوقات العمـل . اما مدة الاستشارة والتفتيش فخمس عشرة سنة ويمكن تجديدها

(مالية الولاية)

المـادة الثامنة — واردات الولاية على نوعين : أحدها يعود برمته الى مركز السلطنة وهو حاصلات الجمارك والبوسطه والتلغراف والبدلات العسكرية . والآخر وهو عدا ماذكر من الواردات يعود برمته الى الولاية

(رواتب الموظفين)

المادة التاسعة - ينظم المجلس العمومي ميزانية الولاية السنوية فيدخل فيها رواتب جميع الموظفين والمستشارين عدا موظفي ومستشاري الجمارك والبوستة والتلغراف

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ﴾

(وبعد) فقد كتبت هذه المقالة ـ وهي بحث تاريخي عقلي في العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ـ تتميما للبحث السابق في (مسألة الصلب والفداء) راجيا من الله أن يوقظ بها الغافلين ، ويهدي بها الضالين ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، فأقول وبه تعالى وحده أستعين ، انه حسبي ونعم الوكيل :

اتفقت شهادة علماء النصارى الاقدمين على ان متى لم يكتب انجيله اليوناني الحالي ، وانما الذي فعله ـ كما سيتضح لك ـ هو أنه جمع بعض أقوال المسيح عليه السلام باللغة العبرية . وأقدم شهادة وصلت الى النصارى في هذا الموضوع هي شهادة (پاپياس) (Papias) أسقف هيراپوليس الذي استشهد في سنة ١٦٤ أو ١٦٧ ميلادية فانه كتب في منتصف القرن الثاني كتابا ضخما في خمسة مجلدات فقِدَ ولم يبق منه سوى جمل قليلة نقلها عنه اوسابيوس (Eusebius) وإيريناوس (Irenaeus) فمن هذه الجمل التي نقلها اوسابيوس (مات سنة ٣٤٠ م) قوله « ان متى كتب مجموعة من الجمل (Logia) باللغة العبرية » يعني بعض كلمات المسيح باللغة الآرامية « وقد ترجمها كل بحسب طاقته » اه ومع ان أوسابيوس المؤرخ وغيره وصفوا پاپياس هذا بسخافة العقل وضعف الادراك فانه لايوجد عند النصارى شهادة لكتبهم أقدم وأعظم من شهادته هذه على ضعفها فهي سندهم الوحيد من عصر المسيح الى منتصف القرن الثاني

وفي سنة ١٨٠ ميلادية ذكر ايريناوس الذي مات سنة ٢٠٢م ان متى كتب « انجيلا » باللغة العبرية (أو الارامية) ولا ندري لماذا فقدت كتابات متى العبرية ومن ترجمها ومتى ترجمت ؟ واذا لاحظنا أن الاصل الذي كتبه متى كان عبارة عن

(المنار) إنني اشكر لاخواني أهل بيروت هذا العمل الاصلاحي الذي أقيم على أساس الاتفاق بين مسلميهم ونصاراهم ، وان بذل الأولون في استمالة الآخرين ما لا يبذله غيرهم من الناس وهو أنهم رضوا أن تكون قلة النصارى في الولاية مساوية لكثرة المسلمين في الاشتراك بادارة حكومتهم ، فهذا برهان عملي قاطع على تساهل من يعدون أشد المسلمين عصبية في سورية. وقد صدق ولله الحمد حسن ظني في أهل بيروت اذ فضلتهم على جميع أهل بلادنا فيما كتبته عنها عند زيارتي لها بعد اعلان الدستور

واذا كنا نعد لهؤلاء المسلمين من المزية سماحهم ببعض حقوقهم لأبناء وطنهم ونشكر للجميع الوحدة الوطنية والاتفاق فاننا نعدّ على الجميع سماحهم بأقدس حقوقهم للمستشارين من الأجانب فقد منحوهم من الحقوق مالا يطلب من مثلهم وما هو خطر عظيم على مستقبل البلاد ، ولم يجعلوا لأنفسهم عليهم سلطة تبيح لهم مؤاخذتهم اذا اخطأوا ومعاقبتهم اذا أذنبوا ، على أن مؤاخذة الضعيف للقوي بالحق والقانون تكاد تكون متعذرة فكيف اذا كان القوي صاحب سلطة مطلقة لا توجب عليه للضعيف حقا ولا تفرض عليه مؤاخذة ؟ وانني اشير إلى أهم ما أنكرته من حقوق هؤلاء المستشارين في اللائحة لعلّ اخواننا يتدبرون ذلك فينقحون لائحتهم تنقيحا يتقون به الخطر ويقطعون ألسنة المعترضين والمقاومين لهم اتباعا لاهواء السياسة المركزية العنصرية ، ويقنعون المخالفين لهم بحسن النية ، لئلا يكون هؤلاء من حزب المقاومين بالهوى فتقوى بهم مقاومتهم فان لحسن النية تأثيرا وان كان صاحبه مخطئا ، والحكومة بين الفريقين ترجح ما تراه أولى لها . ويرون انتقادي لما أنكرته في موضع آخر من هذا الجزء

وكنت أود لو جروا على طريقة حزب اللامركزية بمصر فلم يقيدوا أنفسهم بهذه القيود الثقيلة في مسألة المستشارين من الاجانب ولكن يظهر ان المقترحين لتلك المواد لم يصادفوا من المخالفين لهم فيها من محص المسألة وقدر على الاقناع ، ولعمري ان ذلك ليس بالأمر اليسير ، والصواب أن يكون طلاب الاصلاح كافة على رأي واحد في القواعد الاجمالية التي تطلب من الحكومة المركزية ، لان التفرق ضعف والاجتماع قوة ، وحزب اللامركزية الادراية في مصر لم يتعرض في برنامجه للتفصيل لان الاتفاق عليه متعذر فعسى ان يكون هو الجامع للجميع

انا أقر بأنه لولا وجودي بمصر ووقوفي على دخائل السياسة والادارة فيها لما كان هذا القليل الذي اعرفه من تاريخها وتاريخ تونس كافيا للحكم في هذه المسألة التي عرضت لاخواننا أهل بيروت فكان رأيهم فيها محتاجا لزيادة المراجعة والتمحيص

وقوعها بخلاف هذا الانجيل فانه مرتب

وأما لوقا فانه أيضا ليس تلميذا للمسيح ولم يره وكذلك بولس أستاذه[1] ولا يوجد دليل على أنه كتب إنجيله بالوحي بل الظاهر من مقدمته أنه كتبه بالاجتهاد (١:١ ـ ٣) ولم يذكر ايضا هذا الانجيل صريحا في القرن الاول والثاني الى سنة ١٨٠ ميلادية وقد اعترف مؤلفه أنه وجد قبله أناجيل أخرى كثيرة وهو يدل على تأخر زمنه

وأما انجيل يوحنا فلم يذكره أحد أيضا إلا في أواخر القرن الثاني وفيه من الاقوال والآراء مالم يروه أحد غيره . مثال ذلك دعواه أن المسيح قال ٨ : ٥٨ (قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن) ولا ندري لماذا لم تذكر أمثال هذه العبارة في الاناجيل الثلاثة الاخرى ؟ فهل كان العالم غير مستعد لهذه التعاليم قبل كتابة إنجيل يوحنا كما يزعمون ؟ مع أن بحث الناس في « الكلمة » (Logos) بدأ قبل المسيح بقرون عديدة فكان الفيلسوف اليوناني زينو (Zeno) أستاذ الرواقيين من سنة ٣٤٠ ـ ٢٦٠ قبل الميلاد يعتقد أن « الكلمة » هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه، وكان الناس في زمن المسيح كثيري البحث في مثل هذه المسألة وغيرها ، شديدي الشغف بأمثال هذه الفلسفات اليونانية اليهودية التي نشأت عنها بعض العقائد المسيحية . ولذلك نجد بحثا طويلا في هذه المسألة في كتابات (فيلو) (Philo) الفيلسوف اليهودي الاسكندري الذي كان معاصرًا للمسيح وفي الترجوم الكلداني وأيضا في كتاب الحكمة (Wisdon) المنسوب لسليمان عليه السلام . فلماذا إذًا لم يذكر بحث « الكلمة» إلا في مؤلفات يوحنا دون سائر التلاميذ الآخرين مع أن البحث فيها كان شاغلا لاذهان الناس قبل المسيح وفي زمنه و بعده ؟ فان كان المسيح حقيقة قال تلك الجملة السابقة او نحوها فلماذا تركها الانجيليون الآخرون ولماذا لم يرشدهم روح القدس بعد حلوله عليهم إلى جميع الحق أو أهمه ليدونوه كما دوّنه يوحنا ؟ أم كان الخوف من اليهود هو الذي منعهم من ذلك كما يزعمون ؟ ولماذا لم يمنع هذا الخوف النصارى الاولين من المجاهرة بعقائدهم حتى نالهم من الاضطهاد والأذى والقتل

(١) هذا اذا صح أن كاتب الانجيل هو لوقا تلميذ بولس (قل ٢٤) لا واحدا آخر غيره

بعض عبارات للمسيح وكلماته (Logia) كما هو صريح شهادة (پاپياس) المذكور ظهر لنا أن واحدًا مجهول الاسم أخذ هذه المجموعة وترجمها وهذبها ورتبها وأضاف اليها ماشاء من الحوادث وغيرها لربط الجمل بعضها ببعض حتى صارت هي الانجيل اليوناني الذي سمي باسم (متى) فيما بعد . فهل بمثل هذا الانجيل يمكننا أن نثق ونحن لا نعلم من ترجمه ؟ ومن الذي توسع فيه ؟ وهل الترجمة صحيحة أم محرفة ؟ وهل الزيادات التاريخية التي فيه صادقة أم كاذبة ؟ وأين هو الاصل الذي ترجمه هذا المترجم ؟ واعلم انه لم يرو أحد من قدمائهم أن متى كتب انجيلا يونانيا كما يدعون الآن بلا برهان

فهذا هو حال انجيلهم الاول ومنه يعلم أن أول من نص على أن متى كتب « انجيلا » عبرانيا هو ايريناوس سنة ١٨٠ ميلادية أي في أواخر القرن الثاني ولا نعلم ان كان الانجيل اليوناني الحالي مترجما عن هذا الذي ذكره ايريناوس أم لا ؟

أما مرقس فانه جمع بعض أخبار المسيح وأقواله غير مرتبة كما هي الآن على ماصرح به پاپياس المذكور . وعليه فيَدٌ أخرى رتبت هذا الانجيل وزادت فيه، ثم زيد فيه شيئا فشيئا حتى صار كما هو الآن . ومن أحدث الزيادات فيه العبارات المذكورة في آخره (١٦: ٩ــ٢٠) ولذلك لم توجد في بعض نسخهم القديمة التي عثروا عليها لان زيادتها اذ ذاك لم تعم جميع النسخ ولكنها عمتها فيما بعد كما هو الحال الآن وهذه العبارات المشار اليها تتضمن ظهور المسيح لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية ورفعه الى السماء ودعوى اعطاء المؤمنين بالمسيح القدرة على خوارق العادات والمعجزات (عدد ١٧ و١٨) وهي دعوى يردها الحس والعيان وسيأتي البحث فيها

هذا وقد كتب مرقس ما كتب بعد موت بطرس وبولس كما صرح بذلك ايريناوس (Irenaeus) فلم يطلع اذًا بطرس على ماكتبه مرقس بالرواية عنه . ومرقس لم يجتمع بالمسيح ولم يره قط . فأي ثقة لنا بمثل هذا الانجيل ؟ وهو لم يذكر إلا في أواخر القرن الثاني كانجيل متى . وأما ماذكره پاپياس في منتصف هذا القرن فعن مجموعة أخرى من أقوال المسيح وأخباره غير مرتبة بحسب زمن

ويذكر لنفسه من الحوادث مالم يروه احد غيره

فالحق أن هذا الانجيل هو من وضع بعض أتباع يوحنا المتأخرين في أفسس كما قلنا ولذلك نجد أن پوليكارب (Polycarp) تلميذ يوحنا الخصيص لم يشر الى هذا الانجيل بكلمة واحدة مع أنه ذكر كثيرا من العبارات عن المسيح توجد في الاناجيل الاخرى وكذلك پاپياس (Papias) لم يذكره . وإن كان يوستينوس (Justin) الشهيد المتوفى نحو سنة ١٦٦ ميلادية يقول إن سفر الرؤيا هو ليوحنا لكنه لم يذكر أن يوحنا كتب هذا الانجيل مطلقا وهو ينقل كل ما يكتبه من حياة المسيح عن الكتاب المسمى (Memoirs of the Apostles) «مذكرات الرسل» تاركا ذكر جميع هذه الاناجيل الحالية. وما في كتاباته عن حياة المسيح يختلف كثيرا في بعض المسائل عما في انجيل يوحنا. فلو كانت هذه الاناجيل معروفة في زمنه لنقل عنها وخصوصا انجيل يوحنا فانه يناسب آراءه ومع ذلك لم يشر اليه بكلمة واحدة . وفي هذه «المذكرات» أشياء لا توجد في الاناجيل الحالية أو تناقضها

وقد صوّرت الاناجيل الثلاثة الاول المسيح بأنه ما كان يعلم أن يهوذا الاسخريوطي سيسلمه (متى ٢٨:١٩ ولو ٢٢:٣٠) الا في آخر حياته وأنه ما كان يعلم متى تقوم القيامة (١) (مر ١٣ : ٣٢) وأنه كان حزينا جدا ويستغيث بالله مرارا لينجيه من الصلب (مت ٢٦:٣٨ - ٤٤ ومر ١٤ : ٣٤-٤١) حتى صار يتصبب عرقا من كثرة الالحاح في الدعاء فنزل عليه ملك من السماء ليقويه (لو ٢٢:٤٣ و ٤٤) وأما الانجيل الرابع فصوره بأنه كان من أول الامر يعلم أن يهوذا سيخونه (يو ٦:٧٠ و ٧١) وأنه يعلم كل شيء (٦:٦٤ و ٢:٢٥ و ١٦ : ٣٠) وانه ما كان حزينا

(١) حاشية : اذا كان المسيح بمقتضى هذه العبارة لا يعلم متى تقوم الساعة باعترافه هذا ، فكيف يكون هو ديان الخلائق يوم القيامة؟ وقوله فيها (ان الابن لا يعلمها) نص على انه ليس باله . فان قيل : لعله يريد (الانسان يسوع) قلت ولِمَ لمْ يعبر بذلك ليكون قوله خاليا من اللبس والتضليل ؟ واذا كان أقنوم الابن متحدا بناسوته فكيف لم يعلم الناسوت مايعلمه اللاهوت والا فما معنى هذا الاتحاد ؟

وجاء أيضاً في انجيل يوحنا أن المسيح لما أشار عليه اخوته بالذهاب الى أورشليم لاجل العيد قال لهم (يو ٧ : ٨) (أنا لست أصعد بعد الى هذا العيد) ولكن لما مضى اخوته الى العيد مضى هو أيضا بعدهم متخفيا (يو ٧ : ١٠) فعبارته هذه لهم اما أنها كذب وغش ولذلك ذهب بعدها متخفيا واما انه ما كان يعلم أنه سيذهب الى العيد (أي جهل وتردد) وكلاهما مما يجب أن ينزه الله تعالى عنه وان كان قالها باعتبار الناسوت (وهو الجواب الذي صدعوا آذاننا به) قلت : وكيف لم يهده =

ما نالهم على ما يقولون ؟ فكيف يمنع الخوف « الرسل » من بيان الحق للناس ولا يمنع من هم أقل منهم من المجاهرة به في كل مكان وزمان !!

وهناك مسائل أخرى كثيرة مذكورة في هـذا الانجيل الرابع ذكرنا بعضها سابقا في مقالة الصلب ولا أثر لها في الثلاثة الاولى كدعواه أن يوحنا ذهب مع بطرس الى دار رئيس الكهنة وقت محاكمة المسيح ودخوله وحـده قبل بطرس ثم استئذانه له (١٨ : ١٥ و ١٦) وأنه دون سائر التلاميذ كان واقفا عند الصليب مع مريم أم عيسى (١٩ : ٢٦) وذهابه مع بطرس الى القبر بعد قيامة المسيح منه (٢٠ : ٢ و ٣) وتسميته نفسـه في أغلب الاوقات بالتلميذ الذي يحبه يسوع (٢١ : ٢٠ و ١٣ : ٢٣ ـ ٢٦) إلى غـير ذلك مما لم يرد في الاناجيل الاخرى وهي كلها مسائل موضوعة من مؤلف هذا الانجيل المبالغة في مدح يوحنا وتعظيمه وتفضيله عن باقي التلاميذ ولذلك لم يروها انجيل من الاناجيل الاخرى وهي من الاهمية بمكان عظيم لو صحت

ومما يلاحظه الانسان أن يوحنا يتكلم في رسائله بصيغة المتكلم وأما في هذا الانجيل فيتكلم دائما عن نفسه بصيغة الغيبة . وورد في آخر هذا الانجيل ٢١ : ٢٤ هذه العبارة (هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا . ونعلم أن شهادته حق) وهي تشعر بأن بعض أتباع يوحنا في أفسس أخذوا ما كتبه يوحنا وتوسعوا فيـه ومنه ألفوا هذا الانجيل ونسبوه اليه وعظموه فيه كثيرا واخترعوا له من الحوادث مالم يذكره غيرهم ثم قالوا (ونعلم أن شهادته حق) ولذلك ترى هذا الانجيـل أصح عبارة في اللغة اليونانية من سفر الرؤيا لمهارة كاتبيه فيها . ومن غرائب استدلال النصارى على أن لبطرس يدا في تأليف إنجيل مرقس أنه خال من مدح بطرس (مع أنه قد خص بطرس بالذكر في أعظم المقامات (مر ١٦ : ٧) وهو انجيـل مختصر وترك تفصيـل كثير من المسائل . وفي مقابلة هذا النقص والاختصار لم يذكر تفاصيل أخرى من الخالية عن المدح تكون مكتسبة من معلومات بطرس). ومع ذلك فاذا صح استدلال النصارى هذا في بطرس فكيف ساغ ليوحنا مدح نفسه كل هذا المدح حتى خص نفسه بحب المسيح اكثر من كل احـد سواه

لأنها تؤدي الى نسبة الجوع والجهل والظلم والعجز للمسيح حيث انه لم يعرف ان كان بالشجرة تين أم لا مع أنه لم يكن وقت التين كما ذكر مرقس (١١ : ١٣) ثم انه ظلمها وظلم صاحبها أو كل من كان ينتفع بها من السابلة بدعائه عليها حتى يبست وكان الاولى به أن يوجد التين فيها في غير وقته بقدرته فان ذلك يكون أفيد وأحكم وأدل على القدرة أو يشفيها ان كان عدم ثمرها لمرضها . لذلك ترك يوحنا هذه القصة كما ترك « كل » أمثالها خوفا مما تؤدي اليه !! فكل ذلك يدل على أن هذا الانجيل كتب في زمن كان فيه الناس قد تغالوا في المسيح ورفعوه لدرجة تقرب من درجة الاب (الله) (١) فهو مظهر من مظاهر ترقيهم في هذه العقيدة تدريجا

---

(١) حاشية مع ذلك ترى أن انجيل يوحنا لايزال ينص على أن الابن أقل من الاب ولذلك يقول عن لسان الابن (عيسى) ٥ : ٣٠ (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا * كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لاني لاأطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي أرسلني) وقال ٥ : ٢٢ (لان الاب لايدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن) وقال ٨ : ٢٨ (ولست أفعل شيئا من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي) وقال ١٤ : ٢٤ (والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للاب الذي أرسلني) وقال ١٤ : ٢٨ (لان أبي أعظم مني) وقال ١٢ : ٤٩ (لاني لم أتكلم من نفسي لكن الاب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) وهي كلها نصوص صريحة على عدم مساواته تماما لله تعالى ، وأن الله تعالى هو الذي أعطاه القدرة على كل شيء والكلام والعلم والدينونة ، وأنه أعظم منه ، وأن المسيح انما يعمل مشيئته تعالى وأن الله هو إلهه أيضا كما هو اله للناس يو ٢٠ : ١٧ اما قول هذا الانجيل ١ : ١ (والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله)فهو صريح في أن الكلمة غير الله وانما صارت الها للعالم كما صار موسى الها لفرعون على مايقول سفر الخروج (٧ : ١) راجع أيضا قول بطرس في سفر الاعمال بعد نزول روح القدس عليهم (ان الله جعل يسوع ربا ومسيحا) (أع ٢ : ٣٦) فلفظ (كان) في الانجيل بمعنى صار كقول القرآن الشريف (فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) أي يصير. فانجيل يوحنا كباقي أسفار العهد الجديد يجعل الابن مخلوقا قبل كل شيء (رؤ ٣ : ١٤ وكو ١ : ١٥ وقارنهما بيم ١ : ١٨) ولا يساويه بالله تعالى (رومية ١ : ٤) أما هذه المساواة فقال بها النصارى بعد زمن تأليف العهد الجديد في وقت كثرت فيه فرقهم ومذاهبهم واختلفت في هذه المسألة فلذا لم يمكنهم حذف هذه الاقوال (المنافية للمساواة التامة) من العهد الجديد لوجوده اذ ذاك عند طوائف أخرى تعرف هذه الاقوال فيه وتتمسك بها ضد الاخرين المخالفين لهم ولكن بعد انعقاد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ميلادية وحكمه على أتباع أريوس الموحدين بالكفر والزندقة فشت بين جمهورهم عقيدة مساواة الابن بالاب في كل شيء وأولوا هذه الاقوال وغيرها اذ بعد عدم امكانهم حذفها كلها لامناص لهم من تأويلها وذلك لميل الجمهور في ذلك الزمن للشرك والوثنية والعقائد الرومانية والفلسفة اليونانية واليهودية وغيرها ومع ذلك فقد أجروا بعض تحريفات راجت في نسخهم لاثبات ألوهية المسيح ومساواته بالله ولم يدركها أحد في تلك الازمنة لعدم حفظهم لكتبهم في صدورهم ولانتشار الجهل بينهم اذ ذاك وقلة نسخهم ووجودها عند رؤسائهم فقط وقد عرفت بعض هذه الاشياء الآن بالمراجعة والبحث في النسخ القديمة والحديثة =

لاجل الصلب (اصحاح ١٤ـ١٧) غير انه اضطرب قليلا (يو ١٢ :٢٧)وأنه أسلم نفسه لليهود طائعـا مختارًا (يو ١٠ :١٨) حتى كانوا يسقطون على الارض من هيبته (١٨ :١ـ١١) وقد ترك أيضا هذا الانجيل ذكر تجارب الشيطان له(١) وصيامه أربعين يوما وليلة لله تعالى (مت ٤ :١ـ١١) وصلواته الـكثيرة (لوقا ٦ : ١٢ و١١ :١ و٩ :١٨ ومر ٦ :٤٦ ومت ١٤ :٢٣) وصراخه وقت الصلب من الالم (مت ٢٧ :٤٦)وكذلك ترك قصة شجرة التين(٢) (مت ٢١ :١٨ـ٢٢ ومر ١١ :١٢ـ١٤)

= اللاهوت المتحد به الى الابت في عمل صغير كهذا وتركه يبدي كل هذا التردد والجهل؟ وما فائدة اللاهوت له اذاً وفي أي شيء أفاده؟ ولم اتحد به الله وهو لم يصلب معه بل تركه ولذلك قال (الهي الهي لماذا تركتني) ؟ ولم تعبدون هذا الناسوت العاجز الجاهل مع اللاهوت ولم تفرقوا بينهما ؟ فان قيل ولماذا ذكر يوحنا هذه القصة وهي منافية لمبدئه في كتابة تاريخ المسيح كما تدعي؟ قلت لعله لم يدرك ماتؤدي اليه أو ربما أنه كان يستحسن مثل هذا التضليل ويعجب بحيلة المسيح هـذه وتخفيه حتى عن أهله ويرى أن ذلك مهارة منه وسياسة عالية ومادرى أنها كذب مذموم ولا مسوغ له مطلقا ولا يصح صدوره من ابن الله ! !

(١) قصة تجارب الشيطان هذه للمسيح تشبه قصة قديمة للهنود في (بوذا) شبها يبعد أن يكون منشأه الصدفة والاتفاق لاالقياس والنسج عليها . ومما تمتاز به قصة الاناجيـل قولها (مت ٤ :٨ ولو ٤ :٥) ان الشيطان (بعد ان اخذه الى أورشليم كما في متى (عدد ٥ و٨) أو قبل ذلك كما في لوقا « عدد ٥ و٩ ») أرى المسيح العالم كله من جبل عال جدا ، فكيف يمكن ذلك والارض كروية ؟ واين هذا الجبل الذي يرى منه العالم كله ؟ فالحق ان كتبة الاناجيل كباقي أهل زمنهم كانوا يتوهمون أن العالم عبارة عن القطعة المحدودة التي عرفوها اذ ذاك من الارض (راجع أيضاً لوقا « ٢ :١ »)وملكها الرومان ولما تنبه بعض النصارى الى ذلك الغلط حـذفوا من انجيل لوقا قوله (في عدد ٥) « الى جبل عال » فلم يوجد في بعض النسخ القديمة وربما كان هذا الانجيل عند المحرفين له أكثر استعمالا من غيره أو كان تداوله قليلا عند غيرهم فلذا أقدموا على تحريفه في ذلك دون انجيل متى .ولا ندري كيف تجاسر الشيطان على مثل هذا العمل مع الهه حتى صار يحمله من مكان الى مكان طائرا به في الهواء ويمتحنه مرات ويعده باعطائه جميع ممالك المسكونة اذ هو سجد له !! فهل نسي الشيطان أن هذا الذي يجربه هو الذي أعطاه كل هذه السلطة (لو ٤ :٦) وأنه هو خالق السموات والارضين ، ورب العالمين ؟ فكيف نسي الشيطان ذلك ؟ وما الحكمة في رضوخ الههم للشيطان الى هذا الحد ، وتجرئه عليه في كل ذلك ؟! (راجع أيضاً ص ١٠٩ و١١٠ من رسالة الصلب والفداء)

« ٢ » قد ناقض مرقس متى في وقت ملاحظة التلاميذ يبس هذه الشجرة ، فجعله متى (في الحال) ٢١ :١٩ و٢٠ وجعله مرقس في(صباح اليوم التالي) ١١ : ٢٠ فيجوز أن الشجرة كانت مريضة من قبل وآخذة في الذبول وتم ذلك أو كاد بعد مضي ٢٤ ساعة (مت عدد ١٨ و١٩ عدد ٢٠) فتبين لهم حينئذ يبسها جلياً .فكان الواجب أن يذكر يوحنا (وهو ـ كما يقولون ـ المكمل لنقص الاناجيل التي قبله)هذه القصة من جديد لرفع تناقضها وبيان ان كان فيها شيء من الاعجاز املا ولكن كيف يفعل ذلك وفائدتها لا تذكر في جانب ما تجلبه عليه من الضرر العظيم كما بين في المنار

ولو ١٩ : ٣٠ ويو ١٢ : ١٤) فان قيل ان ذكرهم اركوب الحمار هو لانه كان تتميما لنبوة زكريا (٩ : ٩) قلت كذلك كان صراخ المصلوب (الهي الهي لماذا تركتني) تتميما للمزمور (٢٢ : ١) فلمَ لم يذكره يوحنا ؟ ألا يدل ذلك على أنه تحاشى ذكر كل ما من شأنه أن يقلل من درجة المسيح التي يريد رفعه اليها ليجعله كلمة الله القديمة التي وجدت قبل جميع المخلوقات وبها كانت المخلوقات ثم تجسدت وقبلت الصلب بارادتها لا رغما عنها كما يفهم من الاناجيل الاخرى ؟ (راجع رسالة الصلب ص ١٢٤ و ١٥٦ و ١٦١) فالحق ان كلا منهم كتب انجيله على استقلال وتوخى فيه غاية مخصوصة فذكر من الحوادث والاقوال ما يلائم غرضه ولو كان مكررًا في الاناجيل الاخرى

= أتانًا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما ٣ وان قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج اليهما فللوقت يرسلهما (ثم ذكر متى هنا عبارة زكريا السابقة) ٦ فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع ٧ وأتيا بالاتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما) وفي بعض النسخ (أجلسوه عليهما) ولا ندري كيف جلس يسوع أو أجلس على الاتان والجحش معا وما الحكمة في ذلك وكيف لم يخف أن يقع من فوقهما مع أن ركوب واحد منهما سهل وهو المعتاد !! ?? ولكن عدم فهم كاتب انجيل متى أوقعه في هذا الهذيان ولم يبال بمخالفة العقل والعادة في سبيل تطبيق هذه النبوة على المسيح كما هي عادتهم فاخترع قصة وجود الاتان والجحش معها وأركب المسيح عليهما معا !! وكيف سكت أصحاب الاتان والجحش (مر ١١ : ٥ ولو ١٩ : ٣٣) عن منع التلميذين من حلهما وأخذهما وهم لا يعرفونهما بل ربما لا يعرفون سيدهما المسيح نفسه ؟ وكيف تأكد انهما رسولاه حقيقة لا لصان ؟ وكيف يركب المسيح على جحش لم يجلس عليه أحد من الناس قط كما قال مرقس ولوقا ؟ فلعله فعل ذلك بمعجزة !!

فمن هذه القصة الصغيرة يتضح لك صدق قولنا مرارا في كتبة الاناجيل أنهم يعرفون نبوات العهد القديم أولا ثم يصطنعون منها حوادث للمسيح ويدعون انها وقعت فعلا تتميما لتلك النبوات القديمة ولا يبالون مهما أوقعهم ذلك في الغلط ومخالفة العقل والعادة . فهل يصح اعتبار هذه الاناجيل تواريخ صحيحة حرة وهي في كل ما كتب فيها متأثرة بنبوات اليهود عن مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه ؟ واذا سلم أن المسيح فعل ما حكاه متى وركب الاتان والجحش معا فما الذي يمنع منكري نبوته من القول بأنه انما اجهد نفسه وخالف العادة رغبة منه في تطبيق نبوة زكريا عليه لتصح دعواه بأنه هو المسيح المنتظر وان لم يقدر على تطبيق باقي النبوة عليه لخروجها عن استطاعته اذ ليس في وسعه ان يكون ملكا ولا منصورا ولا قاطعا لقوس الحروب ولا له ملك يمتد من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الارض فما قدر عليه (وهو ركوب الاتان والجحش معا) فعله وما لم يقدر عليه سلم فيه الامر لأتباعه ليقولوا فيه ما شاؤا والسلام . هذا شيء مما يقوله ملحدو النصارى في أوربة الآن وغيره كثير جدا جدا لا يحصى ولولا القرآن ومحمد الذي يكرهه النصارى ويحاربونه لقال (٣٠٠٠٠٠٠٠٠) من البشر في المسيح اضعاف اضعاف ما يقوله ملحدو أتباعه واليهود وغيرهم . فشكرا لله ولرسوله على ادبه العالي في المسيح الذي أدب به المسلمين والحمد لله رب العالمين

ولذلك اختلف هذا الانجيل المتأخر عن الاناجيل الثلاثة الاول في هذه المسائل وغيرها وتركها عمدا لغاية اه علمها العلماء من الناس الآن

فان قيل : لعل يوحنا اراد ان يكون انجيله مكملا للاناجيل الثلاثة الاولى فلذا لم يذكر ما ذكرته منعا للتكرار . قلت ان ما سبق بيانه لا يصح أن يعتبر تكميلا بل هو تناقض بين كما لا يخفى على المتأمل والظاهر من الاناجيل ان كلا منها كتب ليكون كاملا بنفسه لا مكملا لغيره والا اذا صح قولكم هذا فكيف ذكر يوحنا كثيرا من الحوادث التي ذكرتها الاناجيل الثلاثة مع انها ليست من الاهمية بمنزلة الاشياء التي تركها . مثال ذلك معجزة اطعام خمسة آلاف رجل قد ذكرها متى(١٤: ٢١) ومرقس (٦: ٤٤) ولوقا (٩: ١٤) فكيف بعد ذلك ذكرها يوحنا (٦: ١٠) وكذلك دخول المسيح أورشليم راكبا حمارا (١) قد ذكروه كلهم (أنظر مت ٢١: ٢ ومر ١١: ٢

= فمن ذلك ابدال لفظ (الرب) بالمسيح في ١ كو ١٠: ٩ وزيادة قولهم (يسوع المسيح) في أف ٣: ٩ وزيادة كلمتي (البداية والنهاية) في رؤ ١: ٨ وكلمات (أنا هو الالف والياء. الاول والآخر) في رؤ ١: ١١ وزيادة عقيدة التثليث في ١ يو ٥: ٧ و٨ وزيادة لفظ الله في يه ٤ و١ تي ٣: ١٦ وأع ٢٠: ٢٨ الخ الخ فكيف بمثل نقل هؤلاء الناس يثق الانسان وتلاعبهم بكتبهم أصبح محققا معروفا ؟ راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٧٦ و٧٧ ورسالة الصلب ص ١٦٢

(١) من المضحكات المخجلات المتعلقة بمسألة ركوب الحمار هذه ما يأتي :ـــ

قال زكريا في كتابه ٩: ٩ و١٠ (ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يابنت أورشليم . هو ذا ملكك يأتي اليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب . ويتكلم بالسلام للامم وسلطانه من البحر الى البحر . ومن النهر الى أقاصي الارض) الخ وعدم انطباق هذه النبوة على المسيح ظاهر فانه لم يكن ملكا لاورشليم ولا هو منصور ولم يمتد ملكه من البحر الى البحر ومن النهر الى أقاصي الارض ومنذ وجوده الى الآن استعرت نيران الحروب ولم تقطع قوس الحرب وتشتت اليهود بعده بقليل وخربت أورشليم ولم يتكلم بالسلام للامم بل قال مت ١٠ : ٣٤ (ماجئت لالقي سلاما بل سيفا) وعقب دخوله أورشليم أخذه اليهود وأهانوه وصلبوه وقتلوه كما زعموا فكيف تنطبق هذه النبوة عليه ولكن أبى الانجيليون الاربعة الا تطبيقها عليه لانهم ان لم يفعلوا ذلك لما انطبقت على أحد مطلقا لانه على زعمهم بعد عيسى مباشرة لم يبق الا مجيء القيامة في عصرهم !! فانظر الان كيف طبقوها عليه . قول زكريا (وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان) مفهومه أن الحمار هو عين الجحش ابن الاتان على طريق البدل المطابق وكذلك فهم مرقس ولوقا ويوحنا (مر ١١: ٧ ولو ١٩: ٣٥ ويو ١٢: ١٥) ولكن متى فهم أن الحمار غير الجحش ابن الاتان فقال ٢١: ٢ (ان المسيح قال لاثنين من تلاميذه . اذهبا الى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان =

رد في كتاب من كتب العهد القديم او الجديد الا في المؤلفات المنسوبة الى هذا الرجل . وما هي الا فلسفة يهود الاسكندرية وغيرهم سرت الى المؤلف فطبقها على المسيح . والمسيح براء مما ينسبه اليه ، او يرويه عنه ، كما هو ظاهر من الاناجيل الاخرى

فان قيل: لعل لوقا اراد ان يكون انجيله شخصيا لانه قدمه (لثاوفيلس) وربما ان هذا الرجل كان يعرف الوهية المسيح واقواله في هذه المسألة وما كان يشك فيها فلذا تحاشى لوقا ذكر كل مايثبتها له من اقوال المسيح ؟ قلت ان الذي يفهم من انجيل لوقا نفسه (١ : ٤) ان ثاوفيلس ماكان يجهل شيئا مما جاء في هذا الانجيل وانما كان الغرض من كتابته له تثبيته، فلماذا إذا لم يثبته لوقا في عقيدته في لاهوت المسيح ولم يرو له ماقاله المسيح نفسه في ذلك كما ثبته في غيرها من الحوادث وان كان يعرفها من قبل ؟ واي ضرر اذا ذكر لوقا اقوال المسيح في الوهيته حتى انه تجنب ذكرها (١) في إنجيله بالمرة ؟ وسماه انسانا ونبيا (لو ٢٤ : ١٩)

---

(١) لاحظ أن انجيل لوقا (مع أنه أوفى الاناجيل وأدقها وأصحها) هو أيضاً أبعدها عن عقيدة النصارى في ألوهية المسيح حيث أنه اعتبره انسانا من أول الامر الى آخره (أنظر مثلا لو ٢٢ : ٤٣ و٢٤ : ١٩) ولم يطلق عليه لفظ الرب (وهو في جميع اللغات لقب تعظيم بمعنى السيد والمعلم ونحو ذلك كما في (يو ١ : ٣٨ ومت ٢٣ : ٧ و٨)) لم يطلقه عليه الا مرات قليلة وظهر لهم أن بعضها زيد فيه تحريفاً في الازمنة الاولى (كما في أصحاح ٧ : ٣١ و٢٢ : ٣١ منه) وليس هذا فقط بل لم يجعل هذا الانجيل المسيح ديانا للخلائق جميعا مجازياً لهم بحسب أعمالهم كما فعل متى وغيره ولم يقل إن الملائكة هي ملائكة المسيح (قارن متى ١٦ : ٢٧ و٢٨ و٢٥ : ٣٢ و٣٣ و٢٤ : ٣١ بلوقا ٩ : ٢٦ و٢٧ و٢١ : ٢٧) ولم يذكر عبارة متى (٢٨ : ١٩) التي اتخذها النصارى إشارة الى ثالوثهم. قارن أيضاً كلمات الوداع في انجيل متى (٢٨ : ١٨ــ٢٠) بما في لوقا (٢٤ : ٤٦ــ٥٣) فأقرب الاناجيل لعقيدة النصارى هو انجيل يوحنا ويليه متى ثم مرقس ثم لوقا . قارن أيضاً قول متى ١٣ : ٤١. (يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الاثم) قارنه بقول لوقا ١٢ : ٨ و٩ (وأقول لكم كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الانسان =

فتجدها تتفق في بعض المسائل حتي في لفظها ثم تختلف في الاخرى حتى يتعسر أو يتعذر الجمع بينها وما دام هذا حال الاناجيل فهي من الوجهة التاريخية لا قيمة لها لانها تابعة للاغراض تدور معها حيث دارت

وقد ذكرت الاناجيل الثلاثة الاول (مت ١٩ : ١٧ ومر ١٠ :١٨ ولو ١٨ : ١٩) أن رجلا نادى عيسى (ص) بقوله « أيها المعلم الصالح » فانكر المسيح عليه ذلك تواضعا وقال له « لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله» وأما يوحنا فلم يذكر هذه القصة مطلقا كعادته وروى عن المسيح أنه كان يقول مرارا (يو ١٠ : ١١ و١٤) « أنا هو الراعي الصالح » وأنه قال (يو ١٠ : ٣٠) « أنا والاب واحد » وغير ذلك كثير مما لم تروه الاناجيل الاخرى. وان كانت العبارة الاخيرة التي رواها يوحنا ليست نصا في ألوهيته إذ حملها على المجاز سهل كما هو ظاهر وقد قال المسيح أيضا نحوها في تلاميذه (يو ١٧ : ١٤ - ٢٦) إلا أن روح العظمة والكبرياء التي في رواية يوحنا هذه لاتتفق مع روح التواضع التي ترى في رواية الآخرين عن المسيح . فان كان مارواه يوحنا عنه (مثل ٣ : ١٣ و٨ : ٥٨ و١٢ : ٤٥ و١٤ : ١٠ و١٦ : ٢٨ و١٧ : ٥) صحيحا فمن أقبح النقص ومن أعظم أسباب تضليل الناس في أمر المسيح أن يترك ذلك الانجيليون الثلاثة وخصوصا لوقا الذي تعمد أن يكون انجيله كاملا وجامعا لجميع أخبار المسيح وأقواله المهمة إذ قد تتبع - كما يقول عن نفسه (١ : ٣) - كل شيء من الاول بتدقيق . فلا يعقل أن مثل هذا الكاتب المدقق يترك كل أقوال المسيح المهمة في مبحث ألوهيته ليكملها له يوحنا أو غيره كما يدعون وان خالفوا قول لوقا نفسه وهو عندهم موحى اليه وكتب انجيله بالالهام الالهي بعد نزول روح القدس عليهم جميعا ! ! فلم إذا لم يوح اليه ماأوحي الى يوحنا مع أن يوحنا لم يرد أن يكون انجيله كاملا كلوقا (يو ٢١ : ٢٥) أم نسي الله ان يلهمه هذا المبحث العظيم ولم يعلم ان ذلك سيكون سببا في انكار كثير من الناس ألوهية عيسى في كل زمان ومكان وتكذيبهم يوحنا فيما رواه وانفرد به دون جميع زملائه الآخرين حتى أن تسمية المسيح « بالابن الوحيد » و « بالكلمة » بالمعنى الذي اراده يوحنا لم

يوقا (١ : ٣) والذي يعلم النصرانية من قبل (لو ١ : ٤) كان يجهل او يشك في

= ٦:٨٢ و١صمو٢٨: ١٣وبو ١٠: ٣٤-٣٧واجع أيضاً خر ٢١: ٦و٢٢:٨ و٩)
وربما كان اطلاقها على الله وهي جمع من بقايا أثر الشرك القديم والوثنية في اللغة العبرية، اذا لاحظت ذلك وتذكرت أن بولس ويوحنا كانا يهوديين صميمين لم تستغرب تسميتهما المسيح -وهو عندهم ديان القيامة الاعظم باذن الله (يو ٥ : ٢٧) -مرة أو مرتين إلها كما في (رومية ٩ : ٥ و١ يو ٥ : ٢٠) بعد أن وصفاه بصفات الحوادث مرارا ونصا على أنه أول مخلوقات الله تعالى (كو ١: ١٥ ورؤ ٣: ١٤) على ان عبارة بولس الواردة في رومية { ٩:٥ } اختلف فيها المفسرون والمترجمون فيرى بعضهم أن ما بعد قوله (حسب الجسد) جملة مستأنفة ومعناها هكذا « ومن على الكل هو الله مبارك الى الابد » أو « ومن هو الله على الكل يبارك الى الابد »راجع الترجمة الانكليزية المنقحة « Revised Version »

ومما تقدم يعلم أن ادانة الخلائق والتصرف في الكون ليس عندهم قاصرا على الله تعالى وحده كما هي العقيدة الصحيحة في دين الحق ودين التوحيد الحقيقي القائل كتابه (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) (مالك يوم الدين) (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) وقال مخاطبا محمد (ص) (ليس لك من الامر شيء) وقال (انما أنت مذكر لستَ عليهم بمسيطر) فأين هذه العقائد العالية من عقائد الشرك والتشبيه والتجسيم؟ وجاء في سفر التثنية (وأوامر التوحيد والتنزيه فيه وفي غيره من كتب العهد القديم كثيرة جدا) قوله ٣٢ : ٢١ (هم أغاروني بما ليس الها . أغاظوني بأباطيلهم . فأنا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم) وهي الامة الاسلامية الناشئة بين الاميين الجاهلين مصداقاً لقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الامي) الى آخر الآيات ثم قال سفر التثنية ٣٢:٣٤ (أليس ذلك مكنوناً عندي مختوماً عليه في خزائني ٣٥ لي النقمة والجزاء . في وقت تزل أقدامهم. ان يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة ٣٦ لان الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق . حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق ٣٧ يقول أين آلهتهم الصخرة التي التجأوا اليها ٣٨ التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية ٣٩ أنظروا الآن أنا أنا هو وليس اله معي. أنا =

ولو فرض ان لوقا لم يذكر الا ماجهله ثاوفيلس فهل يعقل ان هـذا الصديق العزيز

= قدام ملائكة الله . ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله) ثم راجع سفر الاعمال وهو من تأليف لوقا أيضا عندهم تره يقول فيه عن لسان بولس استاذه ان المسيح انسان وأن الله هو الذي أقامه من الاموات (أع ١٧ : ٣١) أنظر أيضاً (أع ٢ : ٢٤) وأما قول بولس في سفر الاعمال هذا (١٧ : ٣١) ان الله سيدين المسكونة بهذا الرجل (يعني المسيح) فهو لايدل على أنه كان يعتقد ألوهيته لانه سماه في هذه العبارة نفسها رجلا وقال ان الله هو الذي أقامه من الاموات (راجع أقواله في المسيح في ١ تي ٢: ٥ وأف ١ : ١٧ ورو ٥: ١٥و١ كو ٣ : ٢٣ وغل ٤: ١٤) وأيضاً فان تلاميذ المسيح أنفسهم سيدينون (بحسب هذه الاناجيل) أسباط اسرائيل الاثني عشر (أنظر مثلا مت ١٩ : ٢٨) وقال عيسى لتلاميذه (مت ١٨ : ١٨) (الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا في السماء) ولم يقل أحد من النصارى بألوهيتهم ولو أنهم كثيراً ماسجدوا لصورهم ولصور غيرهم من القديسين والقديسات في كنائسهم، وهذه العبارة الاخيرة ونحوها كانت منشأ سلطة البابوات العظيمة وربما أنهم هم الذين اخترعوها ونسبوها لعيسى وهو منها ومن أمثالها بريء، ومما يشعر بأن هذه العبارة هي من اختراع رؤساء النصرانية القدماء قولهم عن لسان المسيح قبلها (مت ١٨ : ١٧) (وإن لم يسمع (أي من أخطأ الى أخيه) منهم (أي من الشهود) فقل للكنيسة. وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار) فأي كنيسة كانت في ذلك الوقت يحاكم اليها تلاميذ المسيح وهو لايزال بينهم؟ فالحق أن هذه العبارة مما اضيف الى الانجيل بعد المسيح بمدة ويؤيد ذلك جواب المسيح الوارد في إنجيل متى (٢٠: ٢٣) لأم ابني زبدي بأنه لايقدر أن يعطي شيئا الا لمن أراده الله فكيف اذاً يتصرف تلاميذه في الكون كما أرادوا ؟ وقال بولس إنه هو والقديسين وسائر النصارى سيدينون العالم والملائكة !! فهل هؤلاء كلهم آلهة ؟ (أنظر ١ كو ٦ : ٢ و٣) ومن ذلك يعلم أن المسيح ليس وحده عندهم ديانا للخلائق بل هو أكبرهم وأعظمهم فهو كقاضي القضاة يوم القيامة . واذا لاحظت أن اليهود كانوا يسمون قضاة الدنيا آلهة (وبالعبرية ألوهيم) وهـذه اللفظة تطلق على المفرد وعلى الجمع فلذا كانت تطلق على الله تعالى وعلى عظماء البشر أو قضاتهم كما يفهم من(مز =

وهناك مسائل أخرى كثيرة ذكرها علماء النقد تدل على ان كاتب هذا الانجيل ليس يوحنا تلميذ المسيح بل ولا يهوديا ممن يعرفون أرض فلسطين ولا هيكل أورشليم ولذلك وقع في الغلط في أثناء وصف تلك البلاد ومعبدها . فمن ذلك قوله ١:٢٨ (هذا كان في بيت عنيا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد) كما في جميع النسخ القديمة وهي مدينة لاوجود لها في هذا المكان ولم يعرفها أحد حتى ولا أوريجانوس المتوفى نحو سنة ٢٥٤ ولذلك أبدلوها في نسخهم الحالية (ببيت عبرة) وقوله ٣:٢٣ (وكان يعمد في (عين نون)بقرب ساليم لانه كان هناك مياه كثيرة) وهذا الموضع أيضا ماعرف قط حتى ولا في القرن الثالث وأقرب مكان يمكن أن يقال انه هو المراد موضع في شمال السامرة ولكن الذي يفهم من انجيل يوحنا أنه في اليهودية (٣:٢٢ و٤:٣) وقوله ٤:٥ (فأتى الى مدينة من السامرة يقال لها «سوخار») وهي غير معروفة ويظن بعضهم أنها «شكيم» ويرد هذا الظن أن بئر يعقوب عند مدخل الوادي تبعد ميلا ونصف ميل عن شكيم ولا يعقل أن المرأة السامرية كانت تذهب هذه المسافة البعيدة لجلب الماء مع أن الماء غزير بالقرب من المدينة (راجع قاموس بوست مجلد ١ ص ٥٩٢) ومن ذلك أيضا قوله (يو٢: ١٤ و١٥) إن البقر والغنم كانت تباع في هيكل أوشليم وقد حقق العلماء أنه لم يكن لها موضع هناك بل كانت تباع في سوق بعيدة عنه خارج اورشليم (راجع كتاب دين الخوارق ص ٥٥٠) على أن هذه القصة ذكرت في الاناجيل الاخرى متأخرة عن الزمن الذي ذكره يوحنا (انظر متى ٢١ : ١٢ ومر ١١ : ١٥ ولو ١٩ : ٤٥) والظاهر أن الحق معها فان المسيح ماكان ليقدم على طرد الباعة وكب الدراهم وقلب الموائد وضرب الناس بالسوط (يو ٢ : ١٥) وهو لايزال في أول أمره في السنة الاولى من بعثته قبل أن يعرفه الناس مع أنه كان بعد ذلك يذهب الى أورشليم مختفيا خوفا من اليهود كما قال يوحنا نفسه (٧ : ١٠ – ١٣ و١١ : ٥٣– ٥٧) ثم قصة بركة بيت حسدا (٥ : ٢ – ٩) . ومع أن هذه البركة الآن غير معروفة مطلقا فمن العجيب أن يكون لها هذه الخاصية العظمى الذي ذكرها يوحنا في شفائها للمرضى الذين كانوا ينزلون أولا فيها بعد تحريك الملك ماءها مباشرة

وجود عيسى وفي جميع تفاصيل حياته وولادته من العذراء وفي صلبه وقيامته وصعوده الى السماء حتى فصل له لوقا كل ذلك تفصيلا ؟ واذا كان يجهل هذه المسائل أو يشك فيها فكيف لم يشك في ألوهية المسيح ؟ وكيف علم ثاوفيلس أقوال المسيح في ألوهيته ولم يعلم باقي تفاصيل قصته التي فصلها له لوقامع أن هذه الاقوال ما كانت منفصلة عن حوادث حياته كما يفهم من انجيل يوحنا ومن علم هذه علم تلك فلم فصَّلها اوقا عنها وتركها؟ واذا كان هذا الانجيل شخصيا فلمَ لم يكتب تلميذ من تلاميذ المسيح انجيلا عموميا يكون وافيا بجميع المسائل ؟ ولم اذًا جعلتم انجيل لوقا عموميا ونشرتموه بين الناس في كل زمان ومكان وهو غير واف بالغرض ؟ وأي انجيل عندكم أوفى منه ؟ وكيف يجب على البشر الايمان با كبر معضلة في العالم مخالفة للعقل ولما نقل عن جميع أنبياء بني اسرائيل وهي مسألة ألوهية المسيح كيف يجب الايمان بها لمجرد رواية شخص واحد خالف فيها جميع التلاميذ الآخرين وأتى بما لم يأتوا به ؟ وهل نسيتم أن من دعا لعبادة غير الله يجب قتله كما في سفر التثنية (١٣: ١ـ٥) واو كان مؤيدًا بالآيات والمعجزات؟ فكيف اذًا يصدق يوحنا هذا وهو لم تتواتر عنه أي معجزة ؟ ولو تواترت لما عافته من استحقاق القتل بنص التوراة . على أن جميع عباراته في هذه المسألة ليست نصا قاطعا كما بين في إحدى الحواشي الماضية وفي كتابنا دين الله ص٧٦و٧٧ وهي كلها مما يمكن تأويله. ولا أدري لمَ لم يأولوها وباعهم في التأويل أطول من جميع العالمين، ولهم في التعسف والتكلف آراء تعجز عنها الجن والشياطين، فالحق أن لوقا انما لم يرو ما رواه يوحنا لان كاتب انجيل يوحنا افتجره من عند نفسه افتجارًا وليس هناك من سبب آخر غير ذلك فلا تجهدوا أنفسكم في انتحال الاعذار والاسباب ولا تكونوا في كل شيء مكابرين ، وعن الحق دائما معرضين

= أميت وأحي. سحقت واني أشفي وليس من يدي مخلص. ٤٠ اني أرفع الى السماء يدي وأقول حي أنا الى الابد ٤١ اذا سننت سيفي البارق وأمسكت بالقضاء يدي أرد نقمة على أضدادي وأجازي مبغضيّ) فقارن هذه العبارات السامية الجليلة بأوهام النصارى في العهد الجديد هداهم الله الى سواء السبيل

خراب أورشليم مباشرة (راجع مثلا مت ١٠ : ٢٣ و١٦ : ٢٨ و٢٤ : ٣ و٢٩ – ٣٤ ومر ١٣ : ٢٤ – ٣٠) مع أن ذلك لم يتحقق ؟ قلت ان هذه الاقوال كانت تعزية المسيحيين الكبرى على مصائبهم في هذه الدنيا (١ تس ٤ : ١٨) من عهد المسيح الى أوائل القرن الثاني بعد موت يوحنا الذي كانوا يظنون أنه يبقى حيا الى مجيء المسيح عليه السلام (يو ٢١ : ٢٣) فاذا صح أن عيسى قال شيئا منها فلا بد أنهم لم يفهموا مراده الحقيقي فنقلوا عباراته محرفة حتى خرجت عن معناها الاصلي وشاعت بينهم على غير حقيقتها. والارجح عندي أن اليهود الذين دخلوا في المسيحية استنتجوا من كتبهم ان زمن عيسى هو آخر الزمان وأن القيامة قريبة جدا منهم كما يفهم من سفر أشعياء (٢ : ٢) وأرمياء (٢٣ : ٢٠) والتكوين (٤٩ : ١) ويوئيل ٢ : ٢٨ — ٣٢) فانتشرت هذه الاقوال بين النصارى الاولين (راجع أيضا أع ٢ : ١٦ — ٢١) وفشت فيهم حتى نسبوها الى المسيح نفسه وزعموا أنه قال ان القيامة ستقوم عند خراب أورشليم مباشرة (مت ٢٤ : ٣ و٢٩ — ٣٥) ولذلك قال سفر الاعمال أيضا نقلا عن يوئيل مايفهم منه أنها ستقوم عقب نزول الروح على التلاميذ يوم الخمسين (٢ : ١ — ٢١) فكان النصارى في القرن الاول وفي أوائل الثاني يظنون قرب مجيء القيامة فدخلت هذه الاقوال فيما كتب من الاناجيل اذ ذاك (كأصل انجيلي متى ومرقس القديم) وتداولها الناس بينهم واشتهرت عندهم هذه النبوات وصاروا يرتقبون تحققها يوما بعد يوم فلا يمكن بعد أن كتبت وشاعت أن يتلاعبوا فيها وأعين الناس متجهة اليها في ذلك الزمن . أما كاتب الانجيل الثالث فالظاهر أنه كان في زمن يئس فيه الناس من تحقق هذه النبوات وأمثالها في القرن الثاني أو الجيل الثاني كما يفهم من مقدمة انجيله فلذا شك في رواية ألفاظها الواردة في أصل الانجيل الاول والثاني وحور عباراتها تحويلا يجعلها أصلح للتأويل مما في الانجيلين الاولين ولم يذكر الاقوال الاخرى الواردة في انجيل متى التي أشرنا اليها هنا (راجع لو ٢١ : ٧ و٢٥ — ٣٢ تجد عبارته مخففة في هذا الموضوع عن سابقيه) ولم يمنعه اشتهار الفاظها الواردة في الاناجيل

ولا يذكرها يوسيفوس ولا غيره من المؤرخين في ذلك العصر فهي قصة كاذبة ولذلك حاول النصارى حذفها من الانجيل من قديم الزمان وهذا هو سبب حذفها في كثير من نسخهم القديمة كالسينائية والفاتيكانية ولكنها موجودة في الاسكندرية وغيرها فانظر الى مقدار تصرف هؤلاء الناس في كتبهم المقدسة !!

والخلاصة أن هذه الاناجيل الاربعة ما كانت معروفة الا في أواخر القرن الثاني وكان هناك كتب أخرى كثيرة يستشهد بها المؤلفون غير هذه الاناجيل كتذكرات الرسل(١) المذكورة سابقا وانجيل العبرانيين وانجيل الابيونيين والاناجيل المنسوبة الى بطرس وتوما والاثنى عشر وبرنابا ونيقوديموس وغيرها كثير وبعد ذلك صارت تشتهر الاناجيل الاربعة شيئا فشيئا حتى جعلت هي القانونية ورفض غيرها الذي ضاع اكثره وأعدموه تدريجيا . ولعل السبب في بقائها دون غيرها هو أنها أصح عبارة في اللغة اليونانية واقرب الى غرض النصارى في تلك الازمنة واقل تناقضا وخطأ من غيرها وربما كان مروجوها بينهم اكثر وأمهر من مروجي تلك وابرع منهم في حسن السبك . هذا وقد امتدت فلسفة اليهود في « الكلمة» (Logos) أو « الحكمة » كما يسميها سفر الأمثال (٨ : ١٢) وكتاب الحكمة ليشوع بن سيراخ (٢٤ : ٩) امتدت من الاسكندرية الى أسية الصغرى وهناك وجدت وسطا صالحا لنموها فامتزجت بآراء بولس وغيره في المسيح وفي الفداء والخلاص وهي الآراء التي فشت في النصارى وقتئذ ومن مجموع ذلك صدرت الكتب المنسوبة الى (يوحنا) من كنيسة (أفسس) وهي المدينة التي كان يوحنا مقيما فيها ولذلك لم تعرف هذه الكتب (الاناجيل والرسائل) المنسوبة اليه بين النصارى الاقدمين الا في آخر القرن الثاني كما سبق

فان قيل اذا كانت الاناجيل الحالية مما كتب في القرن الثاني فكيف لم يحذف النصارى منها أقوال المسيح الدالة على قرب مجيئه وعلى أن ذلك يكون عقب

---

(١) قد بين كثير من علماء الافرنج المحققين أن هذا الكتاب الذي كان ينقل عنه يوستينوس لا يمكن أن يكون هو هذه الاناجيل الاربعة بالمرة كما يدعي المبشرون الآن وقد اثبتوا ذلك بعدة براهين يطول بنا ايرادها هنا فمن شاء الاطلاع على شيء من ذلك فليقرأ كتاب (دين الخوارق) « Supernatural Religion » ص ١٨١ ـ ٢٦٧

الانجيلين (متى ومرقس) بحالتهما الحالية كما بينا يدل على أنهما لم يكونا بهذه الحالة في زمنه أو لم يشتهرا بها إذ ذاك بل كان انجيل متى عبارة عن بعض أقوال عن المسيح باللغة العبرية وانجيل مرقس عبارة عن مجموعة من أخبار المسيح وأقواله باللغة اليونانية الا أنها غير مرتبة كما سبق بيانه وربما كان الذي منع التلاميذ من الاعتناء بكتابة الانجيل هو توهمهم قرب انتهاء العالم فاذا صح أن نبوات يوم القيامة كانت في أصل هذين الانجيلين فمترجم الاول ومرتب الثاني لم يجسرا على محو يرها أو تحريفها نظرا لشهرتها بين الناس أو لظنهما أنها ربما تحققت عن قريب ولكن هذا السبب لم يكن عند كاتب الانجيل الثالث كافيا لمنعه من اصلاح ما اعتقد خطأه لتأخر زمنه ويأسه وخصوصا لانه كان كثير الاجتهاد والتدقيق كما هو صريح مقدمته ولم يقصد بكتابة انجيله أن يكون لجميع الناس بل لشخص صديق له يسمى ثاوفيلس فلا يهمه ان قبله الناس منه أو لم يقبلوه مادام متنعما بصحة ما استنتجه وكتبه وصدقه فيه صاحبه

البقية تأتي　　　　　　الدكتور محمد توفيق صدقي

﴿ خطأ وصواب الجزء الثالث ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٨٧	١	انه يجوز	انه لايجوز
١٨٧	٦	أن يعرفون	أن يعرفوا
١٨٩	٢١	تتكافؤ	تتكافأ
٢٠٩	١١	باولالى	بالاولى
٢١٨	١٤	ابتلي المؤمنين	ابتلي المؤمنون
٢١٨	٢٥	أنفسهم	الناس أنفسهم
٢١٩	٢٠	من شيء يوف	من شيء في سبيل الله يوف
٢٢٠	١٦	كبرائنا	كبراءنا
٢٢٣	١٥	والتبرئ	والتبرؤ
٢٣٧	١٩	يفتح مكتب	يفتح مكتبا

التي قبله وشيوعها بين الناس واعتقادهم لها من هذا التحوير لجزمه بخطإ روايتها . والا لكان المسيح نفسه هو المخطئ فيها وهو غير جائز طبعا

وأما الانجيل الرابع فتركها بالمرة وهو مما يدل على شدة تأخر زمنه وتحقق الناس من عدم صحتها و يأسهم منها يأسا تاما (١)

ولا يلزم من اشتهار هذه الافكار والنبوات بين النصارى في القرن الاول كله والثاني أن غيرها مما في الانجيل المنسوب لمتى ومرقس كان شهيرًا شهرتها ومعروفا بينهم مثلها فكاتباهما وان تحاشيا تحريفها أو تحويرها لشهرتها الا أن ذلك لا يضمن لنا صحة رواية الاشياء الاخرى التي ليست شهيرة بين الناس شهرة هذه النبوات . هذا وعدم علم بابياس المتوفى نحو سنة ١٦٤ ـ ١٦٧ ميلادية بهذين

(١) حاشية ـ لما كان النصارى في القرن الاول يعتقدون قرب انتهاء العالم كما بينا هنا وفي مقالة الصلب (ص ١٥٧) وأنهم آخر الامم وآخر الدهور وأن الساعة قريبة جداً منهم (رو ٢٢ : ١٠) و (ا بو ٢ : ١٨) و (اكو ١٠ : ١١) وأن بعضهم يبقى حيا الى مجيء القيامة (اكو ١٥ : ٥١ و٥٢ و١ تس ٤ : ١٥ ـ ١٨) لما كان هذا اعتقادهم كان هناك مسوغ زمني للقول بحصول التجسد والصلب والخلاص في زمن المسيح آخر الزمان كما يزعمون ولكن الآن وقد مضى على البشر عشرون قرنا (ولا ندري كم بقي من عمر العالم ؟) لا أنهم لمَ حصل الصلب وجاء المسيح في ذلك الزمن ولم يجيء في نهاية العالم أو في أول الامر بعد عصيان آدم مباشرة ؟؟ وحيث قد ظهر أن العالم لم ينته عقب المسيح مباشرة كما توهموا وقد وصل الرقي البشري الى درجة لم يصل اليها قبل المسيح ظهر لنا عدم التناسب بين حصول الصلب والزمن الذي حصل فيه فكان الاولى عقلا والانسب أن يحصل قرب نهاية العالم حتى تختم جميع القرابين والضحايا به ويختم به الزمان أيضاً

فان قيل ـ كلامك هذا صحيح اذا كان المسيح مجرد ذبيحة فقط ولكنه هو ذبيحة ومثال للبشر في تقديم أنفسهم ضحية لاجل اخوانهم الآخرين فلذا جاء في ذلك الزمن ليقتدي به الناس بعده في أرقى العصور . قلت : الظاهر من صلوات المسيح ودعائه وحزنه وتقوية الملك له وطلبه النجاة من الله ومحاولته الدفاع عن نفسه وتصببه عرقا وصراخه الخ الظاهر من هذا كله كما بيناه في مقالة الصلب (صفحة ١٢٢ ـ ١٢٥ وص ١٦١ وأيضاً ١٠٩) أنه لم يقدم نفسه باختياره بل أكره على ذلك اكراها وبذله الله بدل الناس ولم يشفق عليه كما قال بولس (رومية ٨ : ٣٢) فهو ليس مثالا حسناً لتضحية الذات في سبيل نفع الناس بارادته رغبة منه واختياراً (راجع أيضاً كتاب دين الله ص ٨٠) وعليه يكون صلب المسيح مجرد ذبيحة بشرية لارضاء هذا الاله المحب لسفك الدماء البريئة وليس فيه شيء آخر يستفيد منه الناس فكان الانسب أن يحصل صلبه في نهاية العالم أو في أوله وأما حصوله في ذلك الزمن (من زهاء عشرين قرنا) فلا أفهم له حكمة ولا أعرف له مناسبة ! ! فلعل المعجبين بعقيدتهم هذه من النصارى يهدوننا اليها . وفوق كل ذي علم عليم

الأخيرة ، فان المذاكرة حصلت بيننا وبينهم في هذا الموضوع ثلاث مرات بل اربع (مرات) بعد وصول رسلهم الينا فاذا أجبنا بما فيه الوفاق أعرضوا تيهاً وكبراً واحتقاراً لنا

فأولى المرات بواسطة محمد توفيق[1] في مجيئه الاخير فأجبناهم ذاكرين مواد بسيطة لأن في ذلك الوقت لم يكن قد وقع بيننا وبينهم سفك دماء. وتلك المواد هي أن نكون في جهاتنا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، ضابطين للبلاد من الفساد ، مع بقاء مراكزهم ، واليهم تساق الحاصلات ، وعليهم القيام بما يلزم من معاش القضاة والمترددين في مصالح البريات ، وان يبقوا (جازان) برتبة المعتاد ، وان لا يحدثوا زيادة من القوة في البلاد ، وان يفك أمير مكة صالح بن حسن وصاحبه من الحجاج ، وان

(١) هو الشيخ محمد توفيق الأرنؤطي الأصل المعدود من علماء الترك جاور في الازهر وعرف السيد الادريسي فيه وقد أرسله اليه الاتحاديون بعد الدستور غير مرة ليكشف لهم حقيقة أمره ، وقد كنت مرة في ناديهم الشهير (بنور عثمانية في الآستانة) حين جاءهم أول كتاب منه فأخبروني أنه أثنى عليه فيما كتبه ووصفه بالاخلاص للدولة ولمقام الخلافة وانه لايريد الا ارشاد الناس لما فيه صلاحهم في دينهم وطاعتهم للدولة . فذكرت هذا الكلام للصدر الاعظم حسين حلمي باشا : فقال الشيخ توفيق رجل بسيط ساذج الخ ولم أسمع يومئذ من رجال الجمعية مثلما سمعت من الصدر من الارتياب وسوء الظن . وقد اجتمعت بعد ذلك بالشيخ توفيق في الآستانة ثم في مصر بعد عودته المرة الثانية من اليمن وكانت الحكومة قد اظهرت العداوة للادريسي وآذنته بالحرب فسألته عنه فقال :انه على ماعهدت من قبل من الاستقامة والاخلاص ولكن الحكومة اعرف بسياستها . أو ماهذا معناه . وقد رأيت بعض اخواننا العرب في بمبي يطعنون في الادريسي فعارضتهم وذكرت لهم ما سمعته وما رأيته من بعض كتبه لأهله في السودان الناطقة باخلاصه للدولة حتى اضطره الاتحاديون بضغطهم الى ماكان من المقاومة .. فاقتنعوا

كتاب سياسي للعبرة والتاريخ

عثرنا على صورة هذا الكتاب الذي أرسله السيد محمد الادريسي
(الى الامام يحيى حميد الدين)

بتاريخ ١٦ ربيع الأول الأنور سنة ١٣٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن علي الادريسي الى جناب المولى ، الذي هو بالمحامد أولى ،[١] الامام يحيى حميد الدين أشرق الله شموس سعده ، وأعلى مراتبه على سنن جده، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد تقديم تحيات بين يدي نجوى هذه السطور ، تهديها اليكم نسمات الوداد ونفحات الاخلاص على أطباق النور ، فقد وردت كتبكم الكرام آخرها ماهو بصحبة السادة الاجلاء العلماء الاعلام ، السيد العلامة صفي الاسلام الصنو أحمد بن يحيى ابن قاسم عامر ، والصنو العلامة العزي محمد بن علي بن أحمد بن حسين الذاري ، والصنو العلامة الوجيه عبد العزيز بن يحيي بن المتوكل ، والصنو العلامة العزي محمد بن محمد الشرعي الحولي ، وقد سرنا وصولهم وشريف قدومهم وانشرح البال من لطائف علومهم ، وظرائف فهومهم ، وتذاكرنا في أبحاث شتى .

اما مادة الصلح بيننا وبين الحكومة فمن أول يوم وما ندعو اليه هو الوفاق ، وكلما أرادوا عقد ذلك نقضوه وكفي بما كان في هذه المدة

(١) حذف من هذا المكان ما أعتيد من الالقاب والسجع

فكشف عنا الغمة ونجانا كما هو سنته مع عباده المؤمنين ، وعكس عليهم القضية وساط عليهم عبادًا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا .

ثالثها كان بواسطة السيد الشراعي مع بعض اخواننا فأجبنا فكان الجواب منهم بالسكوت .

رابعها مع سليمان متصرف عسير لما أتانا جوابه[1] بعد أن قامت عليهم فتنة الطليان يدعونا فيه الى الوفاق ، وان نكون اخوانا ونهجر الشقاق ، فأجبنا عليه بالترحيب والتسهيل ، فارسلنا بعض خلص أصحابنا الى ان وصل بقرب معسكرهم وخاطبه بحضوره لاجل المذاكرة فيما يجمع الشأن فكان يساجل الى ان تمكن من أرزاق ومعاش لأنه في ذلك الوقت كان عادماً فلما رأى انه استغنى تكبر وأجاب بالغلاظة وأعداد الطوابير الجملة للمخالفين فرجع صاحبنا بذلك

ثم في هذه المدة مع مارأيناه من فتك الطليان بهم أخذنا العطف فامسكنا كل حركة ، وكتبنا لمن في مفرزة (ميدي)[2] ان دهمكم شيء فالكم مناعون . فكان منهم أن محمد علي[3] مر بطريق القنفدة، وليته لما مر قصر اشتغاله بمصلحة العسكر بل أخذ يحرق ماوجد في طريقه من بيوت

(١) قد وقفنا على كتاب سليمان باشا هذا للسيد وجواب السيد له وسننشرهما بعد (٢) ميدي ثغر من ثغور عسير بين الحديدة وجيزان او جازان وفيه قلعة عسكرية وهو الآن من الثغور التي بيد السيد وقد عثرنا على كتاب من القومندان التركي الذي عرض السيد عليه المساعدة على ايطالية (٣) هو محمد علي باشا الذي كان والي اليمن وقائدها العام

نتوسط فيما بينكم وبينهم من الصلح . وهذه المواد مما يضحك منها لأنها لبساطتها لا تكاد ان تكون مطالب . ولكن أدانا الى ذلك حب الراحة للبلاد والعباد .

فما كان الجواب الا بنقيض ذلك فساقوا تلك القوة التي يقدمها محمد راغب بك ومحمد علي باشا في جازان . وملأوه بالآلاف ، وازدادوا عدوانا على طلب الحجاج لحبسهم كما وقع في حبس بعض رجال (المع) في حج هذا العام . وأشعروا ان العسيري تابع لامارة حسين بن عون [١] وأرسلوا الينا بطريق مصر في حين وصول القوة العامة برفق عزت [٢] اني ان أردت السلامة افتح لهم الطريق الى الإمام التي تمر على طرف البلاد التي بيدنا ، ففوضنا الامور الى الله واستعنا به في مدافعتهم وبحمد الله قد كان ما كان

ثاني المرات بواسطتكم عند ما وصل اليكم عزيز [٣] ووافقنا كم فكان منهم الجواب بالتعليق على ماهو في حكم المستحيل وهو اجابتنا لحضور الاستانة . وقد تحقق لكم من هذا نهاية الاعراض ، مع انكم قد بذلتم الجهد كما أخبر عزيز عند وصوله مصر لبعض أصدقائنا بذلك ، وبما كررتموه من المراجعة فيما هنالك ، ومنع عزت وأخذ في تجهيز نحو تسعة وثلاثين طابورا الى ان حال بيننا وبينهم الله بما تداركنا به من رحمته

(١) أي جعلوا بلاد عسير تابعة لأمير مكة الشريف حسين بن عون (٢) هو عزت باشا القائد الاخير لحملة اليمن وهو الآن القائد العام لجيش الدولة في شطلجة بجوار الآستانة لمدافعة البلقانيين عنها (٣) هو عزيز بك علي المصري الذي كان واسطة الصلح بين الامام وعزت باشا في اليمن وهو الآن أمير العرب وقائدهم في في قطر بنغازي يجاهد ايطالية

منها كما ذكرنا ، وهذا مما أوقع الناس فى العجب ، فان الدولة لما عجزت عن اصلاح الداخلية كان يرجى منها حفظ الخارجية ، والقيام بالمدافعة عن الرعايا ممن قصدهم بسوء ، فعجزت الدولة الآن عن هذا وهذا فما بقي لهم الا أن يسعوا الناس بحسن الخلق لو كانوا يعقلون

ثم انه قد اشتد الخطب من الطليان بمحاصرتهم للحديدة الى حالة يخشى معها أن تحتل الحديدة فتكلمنا مع العسكر الذين في القلعة بأن بقاءهم بها ضرره على الاسلام والمسلمين لأن الحديدة اذا احتلت يتبعها ملحقاتها ومن ذلك هذه القلعة ، ومن المعلوم حسب أصولهم أنه اذا احتلت الحديدة وجاء المحتلون ببوابيرهم لاستلام هذه النقطة تبعاً للمركز ومعهم الاذن بالتسليم من كبراء الترك فان من في هذه النقطة لا يلتفت الى الإسلام ولا الى المسلمين ولا يهتمون بأمر الوطن بل حالا يعملون الترتيب اللازم في التسليم الى المحتلين ولو بطريق الحرب مع أهل الوطن بأن يضربوا من القلاع وتضرب البوابير من الساحل حتى يتصلوا بالمحتلين ويدفعوا لهم موقع الحرب ، ويسلموا أهل الوطن الى الاسر، كما فعلوا في بني غازي احدى متصرفيات طرابلس، فان أهلها عشية احتلال الطليان لما رأوا بوابير الطليان بالساحل أسرعوا الى مركز الحكومة ليستعدوا للقتال ويودعوا أهاليهم وأموالهم في محل مكين ، فمنعهم الاتراك وألزموهم الطمأنينة فرجعوا الى بيوتهم ، فلما جن الليل لم يشعروا الا والمتصرفية باجمعها صارت عساكر طليانية فقاموا للدفاع ولم يمكن الخروج من المنازل الا للرجال دون النساء والذرية ، وهم الآن تحت قبضة الطليان . واشتهر ان هذه المعاملة من

السادات العلماء لان هذا الرجل أكبر عداوته لاهل الدين لان ماناله من الشرف في الآستانة (كان) باسباب شنقه لعالم في اطنه أيام تنازع وقع بين المسلمين والنصارى هناك . ولما قدم جازان بالعساكر لم يختر لهم (خسته خانه) الا جامع تلك البلدة ولا يهمه أن تلوث بالنجاسة وتعطلت اقامة الجمعة فيه وكأنه يظن أن هذه هي الاسباب في ارتزاقه النياشين والرتب من باب « من رزق من شيء فليلزمه » وهذا هو السبب فى تجهيز ما وجهناه من الجند الى جهة الشام [1] لاجل مدافعة هذا الطغيان ، والمحافظة على مراكز أهل الدين والايمان

وقد حصلت المذاكرة بيننا وبين هؤلاء الاخوان في هذه الاحوال الى أن ساق بنا الكلام الى مفرزة (ميدي) وأخبرناهم ان الطليان قد ضرب قلاع الدولة ومراكزها من باب المندب الى جدة ، وهد تلك الحصون بمدافعه المسلطة ولم يبق الا هذه القلعة مع ان شيخ البلدة التي فيها قد سبقت له جناية مع الطليان بواسطة شهادة سبنوك طال الخلاف بين الترك والطليان فيه وتوقف الامر على شهادة هذا الشيخ وتهددته الدولة بالشهادة لها فشهد . فاذا قصد الطليان هذه المفرزة لا يقتصر عليها بل يتعداها الى تلك البلد لما جناه شيخها عليهم وسابقاً قد ضربوا هذه البلدة كما قد عرفته

ومن المشاهد ان هذه العساكر لجملة من فى كل موضع اذا ضرب الطليان المواقع هربوا من مواقعهم تلك الى محلات العامة ولم يدافعوا ولا يضرب مدفع واحد ، وقد ضربت هذه القلعة من نحو شهر وخرجوا

(١) هي الحدود الشمالية لعسير يسمونها جهة الشام

ناوؤهم بالعداء الاكبر واذا حصل منا معاشر المسلمين أدنى شيء معهم قامت القيامة . وبينما نحن في هذا الموضوع اذ ورد منكم كتاب كريم ، فتلقيناه بالترحيب والتكريم ، وسنوفي كل بحث مما أشرتم اليه حقه ان شاء الله

فأما ما أشرتم اليه من قولكم (والدولة العثمانية وان كان أمراؤها كما عرفتم فانه عند الشدائد تذهب الاحقاد ـ الى ان قلتم ـ أما ما كان سابقاً مما ذكرتم من تباعد العثمانية عن الصلاح فانه لا يغرنا الآن الانصاف)

وقد أنصف القارات من راماها . فلا يخفاكم أي حقد عندنا ؟ ولما جاءني كتاب سليمان (باشا) يجنح الى السلم في وقت قيام الطليان وافقت وأجبت بما صدرت اليكم صورته وأرسلت من أخصاء اخواننا من يقوم بحل هذه المشاكل كما قد أشرنا لكم في أول الجواب ولم نلتفت الى ماسبق منهم من الايعاد بأنواع المهالك حتى بشق بطون الحوامل فلما جاء جواب سليمان لذلك الاخ (يعني مندوبه) بالتهديد واعداد الطوابير للتربية تعجبنا من ذلك ومازلنا نتوقف عن عمل أي حركة رجاء أن يهتدوا الى الصواب فما كان بعد ذلك الا مرور محمد علي (باشا) في شهر ذي الحجة بحرق بيوت السادات والعلماء وأفاضل الناس كما قد ذكرنا لكم أول الكتاب . فياليت شعري مانصنع بعد هذا وهل فيه انصاف أعظم من هذا الانصاف حتى من كان لنا بالامس عدوا لدودا أصبحنا نتقرب اليه بالمودة لا لشيء * بل كان حباً للصلاح مزيدا * وهل من العقل بعد ذلك لنا ان نرمي بانفسنا اليه ولو على المهالك ؟ وهل هذا من الدين ؟ كلا وأصدق القائلين يقول (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)

ثم ان ما أشرتم اليه هو لم يزد عن كونه من قبلكم ولم ندر ماهم عليه

العساكر باسباب ما أخذه كبراؤهم من الطليان خفية . وبأسباب ذلك استقال الصدر فتبين ان بقائهم حينئذ في المواقع الحربية لا للدفاع وحماية الثغور كما هو اللازم لمن يتولى امارة المسلمين بل للاغراض الفانية ، وبيع البلاد للمصلحة الشخصية ، فمن ينع الاسلام فلينعه من الترك ، ومن يندب الدين فليندبه مما لهم من اختلاق الافك ، فلما خاطبناهم في النزول معنا ليبقوا مع العساكر العربية جنبا بجنب حتى اذا احتلت الحديدة يكون موقع المفرزة الميدية بأيدي المسلمين يؤدون فيه ما أوجب الله عليهم وان امتنعوا فلا الزام . وان أرادوا اللحاق بكبرائهم فلهم ذلك . فأبوا هذا وهذا « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

والعجب من هؤلاء الناس يذكرون اننا السبب في تركهم للمدافعة كما روى عنهم السادة الواصلون فليت شعري من أيّ وجه ؟ وأي قرب بيننا وبينهم في المسافة أن يقولوا نخشى أن نصلى بنارين اذ في الاقل بيننا وبين الحديدة ثمانية أيام ولو سلم هذا فما يكون جوابهم في احتلال الطليان لطرابلس ؟ وما المانع من المدافعة هناك مع أن أهل تلك الجهة من المخلصين للحكومة بل هم قائمون بالقتال للمحتلين من الآن ، ومن العجاب ان الحكومة قبل أن يحتل المحتلون رفعت الاسلحة والوالي والعسكر الا شيئاً قليلا وبعد ذلك لم تمد المجاهدين ولا بدرهم أو نفر . وفي عهدي انا عرفنا كم سابقاً ان في صبح ليلة خروج الاتراك من جازان وفي اليوم الذي بعده جاءت بوسطة بطريق البحر فوقعت بيد المجاهدين فاذا بعض رسائلها يحتوي ترجمتها على اعلان حرب ايطاليا لهم وانه يلزم مأميرهم هنا العناية برعايا الايطاليين وحفظهم ، فتعجبنا من حسن معاملتهم ، هذا لمن

ما رفع الدولة لأعلى مكان حيث ظفرت باليونان، واحتلت عاصمة ملكهم بقوة عظيمة القدر والشان ، فلما جاءت هذه النشأة الاخيرة من الاتراك تظاهروا بالحرية ليرضوا أهل الملل الاخرى وأن الاختصاص بدين الاسلام هم منه على فكاك ولهذا سموا أنفسهم بالجامعة العثمانية، ليوحدوا الملل هربا من الجامعة الاسلامية . وقد أرسل جنابكم الينا تلك الرسالة المؤلفة لشيخ الاسلام سري زاده محمد صاحب ونبهتم عافاكم الله على مافيها من الالحاد وجزاكم الله خيراً بتلك الافادة . فحينئذ حدث أمران: ضج أهل الاسلام من رغبة الاتراك عنهم ، وطمع أهل الملل في الاتراك لنفور الجمعية الاسلامية منهم ، فأخذوا في انتهاب البلاد منهم ، فاستقلت ولاية البلغار ، بعد ان كان ملكهم في زمن السلطان السابق برتبة ياوران ، وبيعت ولايتا البوسنه والهرسك علنا ، وطرابلس خفية ، وصدق لفرنسا على تبعية تونس، وحينئذ قامت الاجانب يغار بعضهم من بعض فمدوا أيديهم الى احتلال البلاد العثمانية لهذه الاسباب ولغير العثمانية بطريق أولى كتبريز وفاس كما ذكرتم ، مع ان فاس هذه منْ أعوام قريبة سعى السلطان السابق في استقلالها بواسطة ملك ألمانيا لتحفظ من غوائل الاجانب ، فتغيرت في هذه الايام السياسة الاسلامية من اهلها فكان ما كان في مسافة ثلاث سنوات، وهذه الرابعة أقبلت فيها تتداعى الشدائد من كل الجهات ، وكل فريق يمد يده الى ماشاء من النواحي المختلفات .

وقد عرفنا كم بمنشأ هذه الاحوال، لتعرفوا من هم السبب في محاق البلاد الاسلامية والاضمحلال ،فهم الاحق بالملامة،والتقريع والتوبيخ وسلب الكرامة

ويا ليت شعري ما المراد منا في الرابطة التي أشرتم اليها فان كان لقصد

اذ لم يرد من كبرائهم وأعيانهم من تحسن المخاطبة معه في ذلك وفي كيفية مواصلة الخطاب الى الاستانة لان ولاية اليمن صارت الآن منقطعة عن الولاية العثمانية للحيلولة بالقوة الايطالية

وأما ما أشرتم اليه (ان لو اقترن ما بيننا و بينهم بصلح ما بينكم و بينهم) فاعلم أيها الامام اني عند ما أتلو ذلك ، أجد خاطري ينكسر مما هنالك ، لانه حين أرادوا أن يغتنموا الفرصة فيّ وان كنتم جزاكم الله خيرا كررتم التوسط في الصلح لكن لا على طريق الشرطية بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم أوفق فآثرتموهم عليّ مع اني الصاحب القديم ، والخل الذي هو على العهد الى الممات مقيم :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
ومنازل في الارض يألفها الفتى وحنينه أبداً لاول منزل

وأما ماذكرتموه (ان الملل الكفرية كما عرفنا فوقت سهام انتقامها على الدين القويم ، وفعلت بالمسلمين أقبح الافاعيل الى آخر ماشرحتموه) فلا يخفاكم ان هذه الامة قد أخذت هذه الازمان الطويلة وهي في اطمئنان بال ، وسكون الاحوال، لما كان سلاطين آل عثمان قائمين بحماية الشرع الشريف، ولا مظهر لهم الا انهم نواب الامة الاسلامية في حقوق دينهم الحنيف ، ولا شك ان أهل الملل المختلفة لا يتجاسرون على هدم هذه السياسة لانها تستدعي الثورة العامة بين المسلمين وغيرهم في جميع الاقطار الشاسعة ولا أضر على الاجانب من هذه الحرب الدينية ، وبها كان يتهددهم السلطان السابق عند المشاكل الدولية، فيجنحون الى الموافقة ، فلهذا عشنا وعشتم طول النشأة لم نسمع في الخارج بمشاقة ، بل كان في آخر المدة الاخيرة

من الايمان بحلل كرامته ، بل ينصره وينتقم ممن عاداه كما وعد في كتابه العزيز ، وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا . فقال عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) . وقال عز وجل (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) واني والله عند هذه الآيات اعلم من أين أخذت هذه الدولة فتداعت عليها الاهوال من كل جانب جملة واحدة على غير أسلوب معروف ، ولا تقدير في الحساب مألوف (واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له)

فاجأها القهر الالهي بغتة وانقطعت في مدافعته كل حيلة فسبحان القائل (وما لهم من دونه من وال) . واني والله لا علم بدواء تلك العلة فهل من سبيل الى ان أكون الطبيب الرباني ، ولا تكاد تلبث هذه الدولة ساعة حتى يشفيها الله في جميع الانحاء لكن ان رجعت سياستها الى الصراط المستقيم الرحماني . وقد ذكرنا للسادة الواصلين تفاصيل الامور وأبدينا لهم مايصلح في المقام واكتفينا ببيانهم عن شرح ذلك هنا لأن للكلام مقامات طويلة ومباحث مختلفة ، كما سيوضحون لكم ، وهم من أفضل عباد الله وله الحمد ان جعل بيننا وبينهم التآلف وخالص الوداد في الله ، ومثلهم يقوم بالبيان وكونوا على يقين ان مافيه صلاح المسلمين والاسلام وحفظ البلاد بدون خداع فانا فيه على وفاق. وكذلك اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من (الشرف) الى (بني جماعة) وقد تحررت بذلك ورقة بخط العلامة المفضال بدر اللآلي السيد أحمد بن يحيي عامر ، هذا وشريف السلام وأسناه يعمكم ومن بالمقام ورحمة الله وبركاته

الامضا

التسكين المجرد الى ان توافق معهم الامور ثم يثبوا كأن لم يكن بيننا وبينهم صداقة كما كان بالعام الماضي اذ قدمنا لهم عشرة آلاف عود للسلك وأمنا لهم الطرق وتعهدنا لهم بالاصلاح حتى صاروا دولة حقيقة يروحون ويغدون بكل شرف، فما كان منهم الا تدبير الحيلة في الهجوم للقبض علينا فنجانا الله وآل الامر الى ماهم فيه من الاهانة والحيرة ولا حول ولا قوة الا بالله .

أولا توافق الامور كما هو المنتظر ان لم يستعطفوا خواطر المؤمنين واشتد الحال ان آل الى سقوط البلاد بأيدي الغير يسلمها الاتراك لهم ولا يلزمنا الا قبول ماحلوه وأبرموه فما في هذه الا اقامة الحجة علينا من الله ، وما المعذرة في ذلك المقام الالهي. وان كان القصد ان نكون نحن وهم شركاء في المواقع بدون خداع في الحال والاستقبال ، شركاء في الدفاع عن الدين ، شركاء في الرأي حتى نعلم مايراد بنا ، ونؤدي ماأوجب علينا ربنا ، ولا نكون ألعوبة للاتراك يسلموننا الى الغير متى شاءوا والعياذ بوجه الله بل نكون على أمن من ذلك كله ، فأهلا بالوفاق وسهلا .

وفي الحقيقة الحقير ان هو الا رجل قام بتأييد الله في هذه البرية القفراء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واقامة الشريعة التي لاحرز لنا دونها ولا عصمة ، ان كنا ممن يحتفلون بتعاليمها الالهية ويخدمونها

فقامت هذه النشأة الجديدة من الاتراك وحشدوا العساكر المصحوبة بالمدمرات والسيوف البواتر، وشاع وذاع انه صدرت ارادة سلطانية ؛ واشارة من لدن الجمعية ، باستئصالنا ، ولا يعلمون ان الامر بيد الله وهو أكرم الاكرمين ، لايضيع من منّ عليه من بريته ، وكساه

بطلب من مجلس المستشارين وبحكم من هذا المجلس . وقد جعلت اللائحـة للقسمين الاولين من الموظفين الذين تكف يدهم حق مراجعة الوالي في مدة معينة ولـكنها أوجبت على الوالي أن يحيل دعوى من يراجعه الى مجلس المستشارين الذين كان كف اليد من قبلهم ليحكم فيها . فهـذه حقوق تجعل أمر العزل كله بأيدي المستشارين الذين لايعرفون لغة البلاد ولا قوانينها ولا يشترط فيهم ذلك ولم يقيدوا بقانون آخر يحكمون به في العزل والايقاف . وهذه سلطة استبـدادية خطرة قد تقع على بعض الناس بالقوة القاهرة، وأغرب الغرائب أن يطلبها بعض الناس لانفسهم ويسمونها اصلاحا وانما طلبها مبني على قاعدة عدم وجود الا كفاء لادارة الحـكومة في البلاد ، فكيف يكون حال هؤلاء الموظفين الذين يقل فيهم الـكفؤ مع المستشارين الذين بأيديهم أمر رزقهم وهم يذلون الآن لرؤسائهم من الترك خوفاً من العزل الذي لايقطع الامل من العودة الى الوظيفة أو نيل خير منها ، فكيف يكون ذلهم لمن اذا عزلوهم يحرمون بعزلهم من خدمة حكومتهم طول حياتهم ؟؟

(٥) اغرب كل ما في هذه اللائحة على الاطلاق انها بعد ان جعلت أمر عزل الوطنيين في أيدي الاجانب ناطت بهم عزل أنفسهم أيضا كان واضعيها يحسبون انهم سيجدون في أوربة من المستشارين والمفتشين ، من يجري على سنة الخلفاء الراشدين، ونسوا انه لايعرف في أوربة كلها رجل سياسي رفع صوته بالرضاء بالغاء امتياز الاوربي على الشرقي في الحقوق والعقوبات ، بل المعروف عن الـكثيرين منهم أنهم لايرون أمة من أمم الشرق توازي صعلوكا اوربيا ، والذي يزيد هـذا الامر غرابة ان هؤلاء المستشارين الذين يعدون في تكافلهم واتحادهم في الشرق كأنهم رجل واحد قد جعلت اللائحة أمر مذنبهم مفوضا الى آرائهم وأهوائهم لا الى قانون يوجب عليهم الحـكم بمواد معينة في كل ذنب ، على حين انهم اذا قيدوا بقانون ونيط أمرهم بمجلس تأديب وطني أو مختلط لاتسهل معاقبتهم بما يوجبه ذلك القانون « هذا وما فكيف لو »

*

اقترحت اللائحة في المادة السابعة ان تعين الحـكومة المركزية المستشارين من الاجانب للشرطة (الجندرمه) والمالية والبوسطة والتلغراف والجمرك في مركز الولاية ومفتشا عاما منهم لـكل لواء — وان يعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحـكومة المركزية مستشارين للمجلس العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس ولـكنها لم تبين أعمالهم ووظائفهم في هذه المصالح وانما بينت في المادة الثالثة

﴿ انتقاد لائحة الاصلاح البيروتية ﴾

(الحقوق التي اعطتها اللائحة للمستشارين الاجانب)

(١) جاء في المادة الرابعة أن اعتراض الوالي على قرارات المجلس العمومي مقيد بمصادقة مجلس المستشارين . وهو قيد لا حاجة اليه لان مجرد اعتراض الوالي على قرار ما لا يقتضي الغاءه حتى يقيد فيه بما يمنع استبداده به ، ومن شأن الاعتراض أن يبنى على أحد أمرين اما مخالفة القوانين أو مخالفة المصلحة ، ولو قيدوه بهما لكان أولى حتى لا يكثر الاعتراض من الولاة البلداء فيضيع بهما الوقت . وما دام القول الفصل في الاعتراض للمجلس فالاعتراض اما أن ينفع وإما ألا يضر

(٢) في المادة الخامسة ان لجنة المجلس العمومي تجتمع بادارة مستشار هذا المجلس ومن حقوقها دعوة المجلس لاجتماع فوق العادة باتفاق ثلثي أعضائها ومصادقة مستشار المجلس . فهذا القيد لا حاجة اليه أيضاً وفيه هضم لحقوق اللجنة عظيم ، فاذا سوغنا أن يكون اجتماعها بادارة المستشار لاتخاذه اماما ومرشداً لها فيما هو أعلم به منها من وظائفها كلها أو بعضها ، فلم لا يجوز لها الاستقلال بطلب عقد المجلس اذ رأى ثلثا أعضائها الحاجة الى ذلك لامور تتعلق بمصلحة بلادهم يجوز أن لا يعرفها المستشار ؟ ألا يجوز أن تكون المسألة التي يدعونه لاجلها مهمة جدا في نظرهم وأن يكون للمستشار هوى في عدم اجتماع المجلس لها لان فيها تعارضا بين مصلحة الوطن ومصلحة أبناء جنسه الاوربيين ؟ بل فالمصلحة أن لا نجعل له حقا يمكن أن يضر ولا حاجة تدعو اليه أي ليس لنا فيه نفع . على ان القاعدة الاصولية ان دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح

(٣) في الكلام على تعيين الموظفين من المادة السادسة أن طالب الوظيفة يمتحن امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلب الدخول فيها . والظاهر ان الامتحان يكون باللغة العربية ولا تشترط اللائحة أن يكون المستشار عارفاً بها لانها معرفته للتركية أو الفرنسية تقوم مقامها ، ثم ماهي مواد الامتحان ولم يشترط في كل مستشار أن يعرف قوانين الدولة فنقول ان الامتحان يكون بموادها

(٤) في الكلام على عزل الموظفين من المادة السادسة أيضاً أن رؤساء العدلية تكف أيديهم عن العمل بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين ، وأن سائر الموظفين المعينين من قبل الولاية تكف أيديهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها فقط ، وان موظفي الحكومة المركزية يكون عزلهم

المسألة العربية عند الاتحاديين

من لم تفده عبراً أيامه   كان العمى أولى به من الهدى

كنا نقول: ان مصيبتنا بهؤلاء الاتحاديين الذين ورثوا ملك عبد الحميد أنهم أصحاب نظريات في السياسة والادارة يجربونها في هذه الدولة التي يجب الجري فيها على قواعد ثابتة لأنها لم تعد تحتمل التجارب ، وكنا نظن انها اذا لم تفاجئها الدواهي الخارجية في أثناء هذه التجارب فربما ظهر لهؤلاء العاملين خطأهم فرجعوا عنه ، وقد رأينا القوم خابوا وفشلوا في كل شيء واعترف بعضهم ببعض خطأهم وادعوا انهم رجعوا عن بعضه وأنهم سيرجعون عن بعض آخر ، ولكنهم لم يفوا بوعد ، ولا رجعوا عن سوء قصد ، ولا اعتبروا بالحوادث ، ولا تأدبوا بالكوارث ، بل ازدادوا كذبا وخداعا ، وهذا من الغرور ، الذي قلما يوجد في البشر له نظير ، والأمثلة على هذا كثيرة جدا ، بل أعمالهم اليوم هي عنوان أعمالهم بالامس ، لافرق بين ما كنت تراه منها في أول عهد وزارتهم « الحقية » اذ كانوا يدلون ببأسهم وقوتهم وجيوشهم ، وبين ما تراه على عهد وزارتهم « الشوكية » بعد أن أضاعوا ثلثي المملكة باضاعة طرابلس الغرب وبرقة وجميع الولايات الاوربية ، ومعظم الجزر البحرية ، وبعد افساد الجيش والتفريق بين العناصر واضاعة الاموال - فهم بعد هذا كله لم يتحولوا عن سياستهم السوءى في المسألة العربية الذي أحدثوها في هذه المملكة وقطبها عندهم الضغط والارهاب بالقوة من جهة ، والغش والمخادعة من جهة أخرى ، وغرضنا من هذا ان نقول كلمة في هذه المخادعة:

زرت الآستانة في اواخر سنة ١٣٢٧ وبقيت فيها الى آخر ما بعدها وكان مما اجتهدت في تلافيه سد ثغرة التنافر بين الترك والعرب : ولما حدثت طلعت بك الزعيم الاتحادي في ذلك وكان ناظرا للداخلية وقابضا على زمام الادارة والسياسة في الدولة أظهر لي قبول رأيي وكان مما قاله انهم عازمون على إنشاء جريدة عربية في الآستانة لأجل استمالة العرب ومودتهم ، فسألته عمن يقوم بادارة هذه الجريدة وتحريرها فقال: عبيد الله افندي مبعوث آيدين ، قلت: ان الرجل معروف ببغض العرب والعربية فلا أراه يزيد مسافة الخلف الا انفراجا واتساعا الخ ما دار بيننا في ذلك. ثم ظهرت الجريدة باسم العرب وكان ما كان من أمر قيامة الجرائد العربية عليها في سورية والعراق ومصر وأمريكة وغيرها من البلاد ، واشتهر عند الخاص والعام في هذه الاقطار ان هذه الجريدة أسست للتفريق بين العرب وغشهم ومخادعتهم وتحقير مصاحبيهم ، وايقاع الشقاق بين

عشرة فنذكرها واحدة واحدة في سلسلة انتقادنا هذا وهي أربعة

(٦) أول وظائف هذا المجلس تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية على ان يكون دستورا لحكومة الولاية ومجلسها العمومي، ولست أرى لاعطاء المستشارين هذا الحق وجها الا انه حكم بين الولاية والعاصمة والا فمجلس ادارة الولاية أجدر من المستشارين بفهم هذه القوانين ، ولعل حكومة العاصمة ترى حكمه أقرب الى مصلحتها اذا كان مؤلفا من الاعضاء المنتخبين ورؤساء المصالح الذين يعين بعضهم من قبلها وبعضهم من قبل الولاية ، على أن إعطاءهم حق هذا التفسير مطلق عام ولهم بذلك مجال واسع للحكم بالرأي والهوى . .

(٧) الوظيفة الثانية لهذا المجلس تفسير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي . ولست أرى لهذه الوظيفة وجها ألبتة ، فاذا اشتبه الوالي أو غيره فيما يضعه المجلس فينبغي أن يراجع المجلس فيه لانه أعلم بما يضع ، ويترتب على إعطاء المستشارين هذا الحق وجوب نقل كل ما يضعه المجلس بلغة البلاد الى اللغة الفرنسية لأنها ستكون هي اللغة التي يعرفها جميع المستشارين حتما ، وقد يكون هذا من مقدمات احتلال فرنسة للبلاد

(٨) الوظيفة الثالثة له النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه ، وقد أشرنا الى انتقاده من قبل ونقول هنا : أن الواجب المتعين أن يكون لكل مصلحة مجلس تأديب يتألف من رئيسها وبعض كبار الموظفين فيها ويجوز أن يكون مستشارها عضوا فيه

(٩) الوظيفة الرابعة له النظر والحكم (بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين) في كل خلاف يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أي دائرة (مصلحة) كانت ويكون حكمه مبرما (!!!) وقد انتقدنا مثل هذه الوظيفة من قبل ونريد هنا انتقاد جعل حكمه مبرما انتقادا شديدا مؤكدا ، فان هذا الحكم المبرم الذي لا يقبل النقض ولا المعارضة ولا يجوز فيه الاستئناف ، لا يصح أن يعطى الا للمعصوم من الخطاء والمنزه عن الهوى ، ولا يعقل أحد وجه الحاجة اليه ، ولا كيف يمنحه الناس للحاكم من تلقاء أنفسهم

تلك اشارة وجيزة الى ما رأيناه من خطأ هذه اللائحة في موضوع المستشارين ولنا عليها انتقادات أخرى لا حاجة الى بسطها . ولما كنا جازمين بأن الحكومة المركزية يستحيل ان تقبل هذه اللائحة ولاسيما الوزارة الاتحادية منها التي لا يرضيها الا استبداد العاصمة في المملكة فالواجب على طلاب الاصلاح المخلصين من أهل بيروت ان ينضموا الى حزب اللامركزية الادارية لتكون يد الجميع واحدة ويد الله على الجماعة كما ورد والله الموفق

حساً ، وربما كان هذا الغلو في الافساد الى هذه الدرجة من سوء اجتهاد الشيخ شاويش وجريا منه على ما تعوّد بمصر من إطلاق العنان لقلمه في مثل هذا حتى زجه في السجن غير مرة ثم اخرجه من القطر المصري كله ، واذا كان شأنه في التفريق بين المسلمين والقبط ماعلمه الناس وفيها حكومة منظمة ومحاكم تقيم القانون فكيف لا يكون شأنه في ذلك ما رأينا واشد مما رأينا منه في الآستانة وهو يرمي عن قوس جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة في المملكة العثمانية وينضح بسهامها ويكافأ على ذلك عال العثمانيين المنكوبين بجميع أنواع المصائب بشؤم هذه الجمعية

الشيخ عبد العزيز شاويش مفتون بحب الشهرة والزعامة وهو يحاول أن ينال بجاه الاتحاديين ما أعياه نيله بغلوه في الحزب الوطني المصرى ، والاتحاديون يرون من مصلحتهم ايجاد زعيم عربي يخدعون به العرب ، وليس الشيخ شاويش بأهل لهذه الزعامة ولا الاتحاديون قادرين على ما يبغون منه ، حتى انهم لو قربوا منهم بعض الافراد الذين نالوا الثقة بحق بين العرب لكان قربه منهم وثقتهم به مما يسرع بالتهمة اليه ويفيده الظنة ، فاذا بدرت منه بادرة تنافي مصلحة قومه عدت دليلا قاطعا على نفاقه وبيع ذمته للاتحاديين ، فكيف اذا يستطيعون جعل الشيخ شاويش زعيما عربيا ويرجون ان يؤثر كلامه في السوريين وهو قد اشتهر بالنفاق للترك والحط على العرب وفاق زعماء الحزب الوطني وكتابه في بغض السوريين منهم خاصة ! وهل ينسى السوريون من هؤلاء مطاعن جريدتهم اللواء فيهم وقولها في طائفة من جنودهم ما قاله مالك في الخمر اذ كانت باخرة تحمل بعض العسكر العثماني الى اليمن ففر بعضهم من بور سعيد او السويس وقيل انهم من السوريين فافترصت ذلك جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطني وعدوة السوريين كافة وشنعت على السوريين وعللت هربهم « بخسة منبتهم » ثم تبين أنهم غير سوريين

سيعلم الاتحاديون أنهم مخطئون في نظريتهم هذه كما ظهر لهم مثل ذلك في استخدامهم عبيد الله بمثل ما يستخدمونه له شاويشا وفي غير ذلك من أعمالهم المبنية على نظرياتهم الباطلة ، بل سيعلمون أن خداعهم هذا سيعود عليهم بضد ما يرون كما وقع لهم غير مرة ولم يعتبروا الا فليعلموا ان جميع من يفهم ويعقل من العرب يعتقد ان جمعية الاتحاد والترقي لا تريد بالعرب الا شرا ، ولا تستخدم لشيء يتعلق بمصالحهم الا من يكون عونا لها عليهم ، والسوريون منهم خاصة يعرفون ان كتاب الحزب الوطني كفريد وشاويش كانوا يبغضون جميع السوريين قبل أن يستخدمهم الاتحاديون في أهوائهم وان شاويشا قد غلا في ذلك وأفرط فلا قيمة لكلامه عند أحد منهم الا قيمة العدو المستأجر

مسلمي سورية ونصاراهم منهم ، وبهذا بطل الغرض من انشائها فاضطروا الى إبطالها

شاويش خلف عبيد الله

ثم بدا لهم أن ينيطوا هذه المفسدة برجل بعده بعض العرب منهم فلم يروا أحدا أهلا لذلك الا الشيخ عبد العزيز شاويش لانه كان قد مهد السبيل الى ثقتهم به بما كان ينصر جمعيتهم ويطري زعماءهم في جريدة العلم ، وبمقاومته لمشروع الدعوة والارشاد ثم بطعنه في مسلمي العرب وزعمه أنهم أضر على الدولة من نصارى البلغار والروم وغيرهم !!

● بمثل هذا تقرب شاويش الى جمعية الاتحاد والترقي عدوة العرب والاسلام ونال الحظوة عندها فأسست له جريدة في الاستانة كانت تنشرها في البلاد العربية بقوة الحكومة وهي (الهلال العثماني) ولكن نفوذ الحكومة قد عجز عن حمل الناس يتلقونها بالقبول ، ثم سقطت هذه الجريدة المنافقة بسقوط وزارتهم السعيدية ، فلما عادت لهم الكرة بفتنة أنور بك وألفوا الوزارة الشوكية أنشأوا لشاويش جريدة أخرى باسم (الحق يعلو) وسمى أحد شبان المصريين المتصلين به مديراً لها ليكون مدح شاويش واطراؤه فيها لنفسه سائغاً مقبولا ، ولئلا يكون اذا حالت الاحوال مسؤلا ،

لم أقرأ من هذه الجريدة الا عددا واحدا وجدت فيه دسيسة من شر دسائسهم في التفريق بين العرب واغراء العداوة والبغضاء بينهم الذي يراه الاتحاديون الوسيلة الى إضعافهم وأخذ منافذ الترقي والاصلاح عليهم في سورية ، وهو أنه زعم أن أهل الذمة الذين بيننا يتربصون بنا الدوائر فاذا أمكنتهم الفرصة فعلوا بنا أقبح مما فعل البلقانيون بمسلمي بلادهم من القتل والسلب والنهب والفضائح ... فما الذي حمل الاتحاديين على دفع الشيخ عبد العزيز شاويش على كتابة مثل هذا الكلام في مثل هـذا الوقت ؟ أليس المعقول ان مصلحة الدولة الآن تقتضي الالفة أو السكون في الولايات الاسيوية ، وهي مرتبكة في الحرب البلقانية ، لئلا تفتح على نفسها أبوابا جديدة من المشاكل ؟ ألم يكن الواجب على الشيخ عبد العزيز شاويش أن يكتم علمه بما قاله ان كان في ذلك على علم - وما هو علم ولا ظن بل هي فتنة - لئلا يكون سبباً لثورة في سورية تفضي الى خروجها من ملك الدولة كما خرج غيرها ؟ بلى! ولكن الاتحاديين علموا ان أواخي الوفاق قد شدت بين المسلمين والنصارى في بيروت وأجمعوا على أن يكونوا يداً واحدة في طلب الاصلاح لبلادهم ، وهذا مالا يطيقه الاتحاديون ، والظاهر أن تعريض البلاد العربية لاستيلاء أوربة عليها أخف على قلوبهم وأدنى الى سياستهم من اتفاق أهلها واصلاح حالهم فلهذا أوعزوا الى محضاء مفاسدهم بهذا من غير أن يحسبوا لعاقبته

﴿ الصلح بعد سوء العاقبة ، بسقوط يانية وأدرنة ﴾

كان زعماء الاتحاديين يزعمون أن سبب خذلان الجيش العثماني وانكساره في حرب البلقانيين هو ان وزارة مختار ووزارة كامل لم تحسنا ادارته ولم تكلا قيادته الى القادرين عليها، وانه لو تعين محمود شوكت باشا مفتشاً للجيش لتحولت الحال وكان الظفر للعثمانيين مضموناً، ثم عمدوا الى اسقاط وزارة كامل باشا لرضاها بالصلح وزعموا انهم لا يصالحون الا بعد أن ينقذوا أدرنة ويعيدوا شرف الجيش اليه بالظهور على البلقانيين، وان قوته ومعداته كافية لذلك لا ينقصها الا ان تكون الادارة والقيادة في أيدي الاتحاديين ، وقد نقلنا بعض مزاعمهم هذه وبينا أنهم لاغرض لهم الا الاستيلاء على الدولة بهذه الفرصة وانهم لا يستطيعون ان يصلوا الى صلح شريف كالصلح الذي كان يريده كامل باشا وهو به زعيم بأن يجعل أدرنه ولاية اسلامية مستقلة فاصلة بين البلقان والآستانة . ثم صدقت الحوادث آراءنا ففتحت اليونان يانيا عنوة وفتحت البلغار أدرنة عنوة ، وفقدنا كل ما كان فيهما من السلاح والذخائر وهو معظم ما بقي عند الدولة وأخذ منا عشرات الالوف أسرى فهل هذا هو الشرف العسكري الذي أرجعوه بجعل الصدارة مع الحربية بيد محمود شوكت باشا ؟

كان المنافقون للاتحاديين يعظمون أمر أدرنة على عهد الوزارة السابقة ويزعمون انها اذا سقطت في أيدي البلغار حرباً أو صلحاً فقد سقطت الآستانة وسقطت وراءهما الدولة والاسلام! . فلما أخذت أدرنة عنوة وحصونها أمنع من جميع حصون البلاد المحصنة في الدولة وعلم جميع الناس أنه لا يوجد في هذه المملكة حصن يمتنع على حكومة صغيرة كالبلغار قام هؤلاء المنافقون يجعلون سقوط أدرنة وأخذها عنوة من قبيل الظفر للدولة لان الاعداء علموا ان أخذ بلادها لا يمكن الا بخسارة كبيرة !!! وأين البلاد المحصنة كادرنة في الدولة ؟؟ ومثل هؤلاء المنافقين لا يكلمون ولا يخاطبون وانما يتمثل عند ذكر تهافتهم هذا بالحديث الصحيح المتفق عليه « ان ما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت »

ومنهم من يقول ان أخذها عنوة اقل ذلا من أخذها صلحا بالنزول على حكم الدول الكبرى لان الرضاء بما تقترحه الدول يطمعها فينا ويجعلنا تحت سيطرتها !!

وكان يمكن تسليم هذا الكلام على علاته لو أن الدولة سلمت بعد أخذ أدرنة من سيطرة الدول وتحكيمهن في أمر الصلح وأمر الجزر ولكنها لم تسلم من ذلك بل عادت بعد

لايذاء عدوه . فاذا كانوا يريدون إرضاء العرب فلا طريقة لذلك الا ترك الجمعية لمقصدها الأول وهو العصبية التركية وجعل العرب والترك كالاخوين الشقيقين لاترجيح لاحدهما على الآخر في شيء والا خسروا العرب أو خسروا أنفسهم ، وانه يستحيل في اعتقادي الجمع بين بقاء الدولة وبقاء سلطة الجمعية فيها وهي على طريقتها الاولى

لولا ان هذه الجريدة منشأة بأموالنا لافساد ذات بيننا باغواء المفتاتين على حكومتنا لما كتبت في شأنها كلمة واحدة اذ ليس الشيخ عبد العزيز شاويش أحق بان يلتفت الى قوله من صبية الحزب الوطني الذي يخلقون كل يوم من الكذب والبهتان ويخترعون من الغش والتمويه مانعرض عنه ونمر به كراما كما أرشدنا الله تعالى في كتابه ، فنحن نحذر قومنا من دسائس جمعية الاتحاد والترقي لامن شاويش .

فالذي ينبغي لكل محب لقومه محترم لنفسه من العرب أن لايعنى بقراءة هذه الجريدة المستأجرة بمال السحت ولا يبالي بما يسمعه عنها . وعلى أصحاب الجرائد العربية الصادقة المحترمة أن لاتردد صوتها ، ولا تنقل عنها ولا ترد عليها ، ولكن يجب عليهم أن يحيطوا بكل مافيها ، فان رأوا فيها مفسدة لابد من درئها وتفنيد باطلها فليكن ردهم على المستأجرين دون الأجير ، وعلى الكلام دون المتكلم ولا يغتروا بما عساه يكتب فيها من مدح العرب او دعوى السعي لخيرهم ، فقد رأوا مثل ذلك في جريدة (العرب) وعلموا انه خداع وتغرير ، و « لايلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهل رأوا شرا من افاعي جحر الاتحاديين ؟ فجريدة « الباطل يسفل » التي سميت بضد معناها شر خلف للجريدة التي سميت (العرب)

الوفاق بين المسلمين والنصارى

وعلى عقلاء البلاد السورية ان يعتبروا بهذا الافساد فيزداد استمساكا بحبل الوفاق والتآلف الذي وفقهم الله له ، وان يعنى كتاب المسلمين منهم خاصة برد كل كلام يكتب لافساد ذات بينهم باسم الاسلام وتحريك نعرة العصبية الدينية فان هذا الافساد مخالف لهدي الاسلام ، ولا تغرنهم سفسطة بعض اجراء الاتحاديين وزعمهم انه يجب احترام شاويش بكونه من علماء الدين لالأن شاويشاً ليس من صنف علماء الدين ولا زيه زيهم ولا سمته سمتهم اذ هو يحلق لحيته ويعفي شاربه خلافاً للسنة بل لان كلامه باطل يراد به ماهو شر منه والعبرة عندنا بالحقائق والمقاصد ، لا بالرسوم والظواهر ، وحسب العامي الذي يشتبه عليه الكلام ، ان يعلم انه صادر عمن جاهروا بعداوة العرب بالقول والعمل ، فهذه آية لاتخفى على أحد

أخذ أعظم بلادها وأكثر ذخائرها بالقوة القاهرة الى تفويض أمر الصلح الى اولئك الدول بلا شرط ولا قيد وذلك شر ماوصلنا اليه من تسليم الامر الى الدول وقبول سيطرتها وما بعده أعظم منه ، وسيرى القراء صدق رأينا في هذا كما رأوا مثله كثيرا وجملة القول إن هؤلاء الاتحاديين قد عجلوا على هذه الدولة مالم يعجل عبد الحميد فهم الذين استبدوا بالامر كل هذه المدة لم يخرج الامر من أيديهم الا شهورا لم يجدد فيها شيء لم يكن من آثارهم وعمل أيديهم، ولا يزالون يمنون علينا بكلمة الدستور أو «مشروطيت» فلا كانوا ولا كان دستورهم الخادع ولا مشروطيتهم الخاطئة الكاذبة

﴿ مستقبل الدولة العثمانية ﴾

قد عرف القراء قبل هذه الحرب رأينا في الدولة. وانه يخشى عليها سرعة الزوال اذا ظل أمرها في يد جمعية الاتحاد والترقي ، واما بعد هذه الحرب فقد صار يخاف عليها الزوال كل أحد حتى عوام العثمانيين . وقد كنت أعتقد وأقول منذ بدأت هذه الحرب البلقانية : اذا ذهبت ولايات أوربة من الدولة فلا يمكن ان يبقي الترك حكومة الدولة نيابية بقانونها الاساسي الحاضر، وناهيك بها اذا ظل أمرها في أيدي الاتحاديين غلاة النعرة التركية وان من مقاصد صلحهم مع امام اليمن والسيد الادريسي ان يقل عدد العرب الذين لهم حقوق في ادارة الدولة ، وقد قامت الشعوب العثمانية تطلب الاستقلال الاداري الداخلي المعبر عنه باللامركزية الادارية وتريد الحكومة ان تلهيهم عن ذلك بقانون جديد وضعته للولايات لا ترضى به ولاية باختيارها . وجملة القول في الدولة انه لا بد من انقلاب عظيم في شكلها العام الدستوري وفي ادارتها الداخلية

واما حالتها الخارجية فالظاهر لنا ان دول أوربة المسيطرة عليها لا تريد الآن ان تحدث في ولاياتها الاسيوية تقسيما . وقد بلغنا ان بريطانية العظمى — وهي صاحبة النفوذ الاعلى في السياسة الاوربية العامة تريد وتقنع الدول بما تريد — ان تمهل الدولة خمس سنين لاصلاح بلاد الاناطول وتساعدها على ذلك بمساعدتها على عقد قرض لا يقل عن عشرين مليوناً من الجنيهات . ونحن نعلم ان انكلترة لا بد ان تختم هذه الحرب باظهار مساعدة للدولة ترمي به الى عدة أغراض منها ارضاء مسلمي الهند الذين اشتد سخطهم عليها . وسنبين سائر هذه الاغراض اذا صار ما بلغنا أمراً مفعولا

حكمت علينا كثرة المواد الضرورية ان نؤخر شكرنا لأهل عمان والعراق على اكرامهم ايانا في رحلتنا الاخيرة كما أخرنا كثيراً من التقاريظ والاخبار

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وما كان منها خصوصيا أو ما يختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم (السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

وإذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

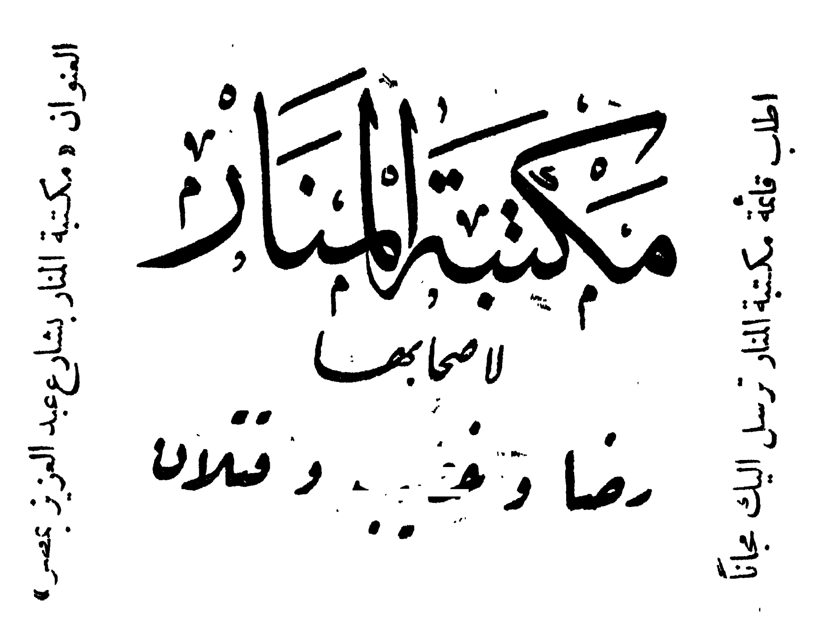
(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار أو أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكندا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسة وأفريقية الشمالية والغربية (كتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلاد التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورن و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و٤ بسوس و ٦١ سنتافوس في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فننا في المانية وسائر مستعمراتها و ١١ فلورين و ١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها و٤ ريالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيلبين و٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أو يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعاتنا أو الاجزاء المفقودة



هذه المكتبة مستعدة لتصدير مطبوعات المنار وسائر المطبوعات لخارج القطر المصري ولتصدير مايطلب منها من الكتب والادوات المدرسية وليس على الطالب سوى ارسال الثمن مع أجرة البريد والمكتبة لاتسأل عن الصادرات اذا كانت غير مسجلة (مسوكرة)

والمرجو من طلاب الكتب أن لا يعتمدوا على غير ادارة المنار بطلب مطبوعات مطبعة مجلة المنار في الجملة وأما مايطلب منها فردا كنسخة ونسختين فهو كسائر الكتب يطلب من «مكتبة المنار بشارع عبد العزيز» في خطاب مستقل يرسل اليها ولا يرسل باسم الادارة

اعلان

تعلن مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطائق الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعربية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخابرة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار بمصر)

(الجزء الثاني عشر)　　ذي الحجة ١٣٣١　　(المجلد السادس عشر)

المنار ١٣١٥

﴿قيمة الاشتراك﴾

عن سنة ٨٠ قرشا صاغا في مصر والسودان و ٤ ريالات في المملكة العثمانية و ٢٢ فرنكا في الخارج و ١٩ شلنا في الهند و ٩ روابل في روسيا (ويجب الدفع سلفا)

﴿ تنبيه ﴾

يجب أن يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشئ المجلة والمستلم

الاشتراك في المجلة يكون دائما من أول سنتها « المحرم » ومنتصفها « رجب »

﴿ مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران ﴾

(لمنشئها)
السيد محمد رشيد رضا

(مدير الادارة والمطبعة)
السيد صالح مخلص رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

﴿ فهرس الجزء الثاني عشر ﴾

محمد رمضان

﴿ وكيل مجلة المنار ﴾

(المسؤلية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣ فرنكات و١١ سنتيم أو شلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليمات لمصر والسودان وقرش صحيح (صاغ) أو ٢٦ سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج . ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

﴿ اعلان ﴾

ليس لنا وكلاء متجولون في فلسطين وسورية والمشتركون يعلمون وكلاءنا في يافا وحيفا والقدس وبيروت ودمشق وحمص وحماه وطرابلس الشام وقد كنا أعطينا دفترا من عدد ٥٣٠ الى عدد ٥٤٩ الى الاستاذ الشيخ محمد القلقيلي فأخبرنا بأنه لم يحصل شيئا بموجبه وسيرده الينا فليس لأحد من المشتركين ان يسلم اليه شيئا من دلات الاشتراكات

الادارة

﴿ اعلان ﴾

قد ترك وكيلنا في مصر محمد افندي رمضان تحصيل اشتراكات المجلة لاشغال خصوصية دعت الى ذلك وسلم قسائم الوصولات الينا فاقتضى اعلانه . وكذلك وكيل المنار في طرابلس الشام مصباح افندي الشهال

الادارة

﴿ اعلان ﴾

يمكن استحصال جميع مطبوعات المنار من حضرة الشيخ محمد النادي وكيل المنار في الشرقية والدقهلية

الادارة



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣١ هـ ق ١٠ الخريف الثالث ١٢٩١ هـ ش ٢٩ نوفمبر ١٩١٣

تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٦ * ١٨) يَأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (١٧ * ٠) قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُبِينٌ (١٨ * ٠) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُ سُبُلَ السَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَٰطٍ مُسْتَقِيمٍ

بين الله تعالى لرسوله (ص) والمؤمنين أنه أخذ الميثاق على أهل الكتاب من اليهود والنصارى من قبل ، كما أخذه على هذه الامة الآن ، وأنهم نقضوا ميثاقه ، وأضاعوا حظا عظيما مما أوحاه تعالى اليهم ، ولم يقيموا ما حفظوا منه . وهذا البيان من دلائل نبوته (ص) التي هي من معجزات القرآن الكثيرة . ثم ناداهم

﴿ أثمان مطبوعات المنار عدا أجرة التجليد ﴾

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن صـ	الكتاب
٤		٣	تفسير سورة الفاتحة
٤	٥	١	» سورة والعصر
٣٠		١٢	» القرآن الحكيم ثمن كل جزء منه
٨		٥	المصلح والمقلد
٦		٥	أم القرى (طبع المنار)
٦		٣	الانقلاب العثماني
٥٠		٢٤	شرح عقيدة السفاريني
٦		٥	رسالة التوحيد
٨		٥	الاسلام والنصرانية
٨		٤	الدين في نظر العقل
٢٠		٥	دين الله في كتب أنبيائه
٣٠		١٥	انجيل برنابا
١٢		٢	الصلب والفداء ص ١٦٨
٨		٤	شبهات النصارى
١٠		٣	نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص ٢٤٠
٤		١	المسلمون والقبط
٦		٣	انتقاد مؤلفات زيدان
١٦		٩	التوسل والوسيلة
١٦		٨	سيرة خديجة
٥٠		٢٥	العلم الشامخ مع الذيل

البريد مليم	الثمن مليم	الثمن صـ	الكتاب
٤٠		٢٠	التربية الاستقلالية
٣٠		٢٠	تاريخ الأستاذ الامام (المنشآت)
٣٠		١٠	تاريخ الاستاذ الامام (التأبين والمراثي)
٥٠		٦٠	ثمن مجموعة السنة الاولى وال ٤ ـ ١٤ من المنار
٥٠		٢٠٠	ثمن المجموعة الثانية » »
٥٠		١٠٠	» الثالثة » »
٥٠		٨٠	» الخامسة عشرة
٥٠		٨٠	» السادسة »
٣٠		٢٠	دلائل الاعجاز. طبعة ثانية
٣٠		٢٠	أسرار البلاغة
٤		٢	اغاثة اللهفان
٤		٢	الجرح والتعديل (للقاسمي)
٦		٤	اصلاح المحاكم الشرعية
٢		١	فتاوى في القضاء لاصلاح المرأة
٦		٥	اعمال مجلس ادارة الازهر
٢	٥	٠٠	خلاف الأمة
٢	٥	٠٠	الصوفية والفقراء
		٣	تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي

ثمن كل جزء من المنار (ان وجد) للمشترك ٨ قروش و١٠ لغير المشترك

يضاف خمسة قروش لكل جزء من اجزاء التفسير أو التاريخ ولكل نسخة من انجيل برنابا وأسرار البلاغة وقرش واحد لرسالة التوحيد اذا كان المطلوب من الورق الجيد.

اجرة التجليد الافرنجي بالكعب الجلد خمسة قروش لكل كتاب يكون ثمنه من عشرة قروش فصاعدا واربعة قروش لما دون ذلك والتجليد الممتاز عشرة قروش لكل مجلد

المبصرات ، ولولا ماجاء به النبي من القرآن والاسلام لما أدرك ذو البصيرة من أهل الكتاب ولا من غيرهم حقيقة دين الله ، وحقيقة ما طرأ على التوراة والانجيل من ضياع بعضها ونسيانه ، وعبث رؤساء الدين بالبعض الآخر باخفاء بعضه وتحريف البعض الآخر ، وظلوا في ظلمات الجهل والكفر لا يبصرون . والكتاب المبين هو القرآن ، وهو بين في نفسه مبين لما يحتاج اليه الناس لهدايتهم ، ولولا عطفه على النور لما فسروا النور الا به ، فان الاصل في العطف ان يكون المعطوف غير المعطوف عليه ، ولكن العطف قد يرد للتفسير ، وهو الذي أختاره هنا لتوافق هذه الآية وما بعدها قوله تعالى في أواخر سورة النساء (٤:٧٢ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا ١٧٣ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقد قال هنا بعد ذكر هذا النور :

﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ فبين مزية النور والكتاب المبين بضمير المفرد فقال « يهدي به » ولم يقل بهما ، فكان هذا مرجحا لكون المراد بهما واحدا وهو القرآن . وثم شواهد أخرى تؤيد ما اخترناه غير آيتي النساء ، كقوله تعالى في المهتدين من أهل الكتاب في سورة الأعراف بعد ذكر بعثة النبي (ص) اليهم (١٧ : ١٥١ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وكقوله تعالى في سورة التغابن (٦٤ : ٨ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) على ان هذا المعنى لا يتغير اذا قلنا ان النور هنا هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فانه هو المظهر الأكمل للقرآن ببيانه له وتخلقه به كما قالت عائشة (رض): كان خلقه القرآن . ولا نعدم لذلك شاهدا من آياته فقد وصفه الله تعالى في سورة الاحزاب بقوله (وسراجا منيرا)

وليرجع القارئ الى تفسيرنا لآيتي النساء اللتين ذكرناهما آنفا فقد بينا في تفسيرهما معنى كون القرآن نورا مبينا بما ينفعه في فهم ماهنا .

وقد ذكر الله هنا لهذا النور ثلاث فوائد (الاولى) انه يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ، أي ان من اتبع منهم ما يرضيه تعالى بالايمان بهذا النور يهديه

بعد ذلك ووجه اليهم الخطاب في إقامة الحجة عليهم بقوله عز وجل :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ قيل ان هذه الاية نزلت في قصة إخفاء اليهود حكم رجم الزاني حين تحاكموا الى النبي (ص) في ذلك وستأتي القصة في هذه السورة . والصواب أن الآية على إطلاقها فكان رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لاهل الكتاب كثيرًا من الاحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم، منها حكم رجم الزاني وهو مما حفظوه من أحكام التوراة (كما تراه في ٢٢ : ٢٠ - ٢٤ من سفر التثنية) ولم يلتزموا العمل به ، وأنكروه أمام النبي (ص) فأقسم على عالمهم ابن صوريا وناشده الله حتى اعترف به . فهذا مما كانوا يخفونه عند وجوب العمل به أو الفتوى . وكذلك أخفوا صفات النبي (ص) والبشارات به وحرفوها بالحمل على معان أخرى . اليهود والنصارى في هذا سواء . وهذا النوع غير ما أضاعوه من كتبهم ونسوه البتة ، كنسيان اليهود ماجاء في التوراة من خبر الحساب والجزاء في الآخرة . وما أظهره لهم الرسول مما كانوا يخفونه عنه وعن المسلمين كانت الحجة عليهم فيه أقوى ، لانهم كانوا يعلمون أنه أمي لم يطلع على شيء من كتبهم، ولهذا آمن من آمن من علماء اليهود المنصفين واعترفوا بعد ايمانهم بما بقي عندهم من البشارات وصفات النبي (ص)

﴿ ويعفو عن كثير ﴾ مما كنتم تخفونه فلا يفضحكم ببيانه . وهذا النص حجة عليهم ايضا لأنهم يعلمون انهم يخفون عن المسلمين وعن عامتهم كثيرًا من المسائل لئلا يكون حجة عليهم إذ هم لا يعملون به ، كدأب علماء السوء في كل أمة : يكتمون من العلم ما يكون حجة عليهم ، كاشفا عن سوء حالهم ، أو يحرفونه تحريفا معنويا بحمله على غير معناه المراد

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ في المراد بالنور هنا ثلاثة أقوال: احدها انه النبي (ص) ، ثانيها أنه الاسلام ، ثالثها انه القرآن . ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورا هو انها للبصيرة كالنور للبصر ، فلولا النور لما أدرك البصر شيئا من

(١٩) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ؟ (٢٠*٢٠) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠*٢١) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (*) . قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ . يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٢١*٢٢) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، أَنْ تَقُولُوا : مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ . فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ . وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

أقام الله الحجة على أهل الكتاب كافة ، ثم بين ما كفر به النصارى خاصة ، فقال ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ قال البيضاوي : «هم الذين قالوا بالاتحاد منهم ، وقيل لم يصرح به أحد منهم ، ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا: لا إله الا واحد ـ لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم، توضيحا لجهلهم ، وتفضيحا لمعتقدهم ، » وذكر الفخر الرازي في تفسيره ان هذا القول مبني على عقيدة الحلول والاتحاد ، وأنه لازم مذهب النصارى وان كانوا لايقولونه أو لا يقوله أحد منهم. وصرح بعض المفسرين بان هذا المذهب مذهب اليعقوبية منهم خاصة . وذلك ان السابقين من المفسرين والمؤرخين ذكروا ان النصارى ثلاث فرق: اليعقوبية والملكانية والنسطورية . واعلم ان أمثال الزمخشري والبيضاوي

(*) قال علماء المصحف ان كلمتي أبناء واحباء هنا كتبتا في بعض المصاحف بالالف كما تكتب في الرسم المعتاد وفي بعضها بالواو هكذا « ابنؤا الله واحبؤه »

— هداية دلالة تصحبها العناية والإعانة — الطرق التي يسلم بها في الدنيا والآخرة من كل مايرديه و يشقيه ، فيقوم في الدنيا بحقوق الله تعالى وحقوق نفسه الروحية والجسدية وحقوق الناس . فيكون متمتعا بالطيبات مجتنبا للخبائث ، تقيا مخلصا ، صالحا مصلحا ، و يكون في الآخرة سعيداً منعما، جامعا بين النعيم الحسي الجسدي، والنعيم الروحي العقلي . وخلاصة هذه الفائدة انه يتبع دينا يجد فيه جميع الطرق الموصلة الى ماتسلم به النفس من شقاء الدنيا والآخرة ، لانه دين السلام والاخلاص لله ولعباده ، دين المساواة والعدل ، والاحسان والفضل

(الفائدة الثانية) الاخراج من ظلمات الوثنية والخرافات والاوهام التي أفسد بها الرؤساء جميع الاديان واستعبدوا أهلها — الى نور التوحيد الخالص الذي يحرر صاحبه من رق رؤساء الدين والدنيا ، فيكون بين الخلق حرّاً كريما ، و بين يدي الخالق وحده عبداً خاضعا . وقوله « باذنه » فسروه بمشيئته و بتوفيقه . والاذن العلم. يقال أذن بالشيء اذا علم به ، وآذنته به أعلمته فأذن ، و يقال أذن بالتشديد وتأذن بمعنى أعلم غيره ، ويقال أذن له بالشيء اذا أباحه له . وأذن له أذنا استمع. والظاهر أن الإذن هنا بمعنى العلم أي يخرجهم من الظلمات الى النور بعلمه الذي جعل به هذا القرآن سببا لانقشاع ظلمات الشرك والضلال من نفس من يهتدي به ، واستبدال نور الحق بها ، بنسخه وازالته لها ، فهو اخراج يجري على سنن الله تعالى في تأثير العقائد الصحيحة في النفوس واصلاحها إياها — لا انه يحصل بمحض الخلق واستئناف التكوين من غير أن يكون القرآن هو المؤثر فيه

(الفائدة الثالثة) الهداية الى الصراط المستقيم . وهو الطريق الموصل الى المقصد والغاية من الدين في أقرب وقت ، لانه طريق لاعوج فيه ولا انحراف فيبطئ سالكه أو يضل في سيره ، وهو أن يكون الاعتصام بالقرآن على الوجه الصحيح الذي أنزله الله تعالى لأجله ، كما كان عليه أهل الصدر الاول قبل ظهور الخلاف والتأويل ، بأن تكون عقائده وآدابه وأحكامه مؤثرة في تزكية الانفس وإصلاح القلوب واحسان الاعمال ، وثمرة ذلك سعادة الدنيا والآخرة بحسب سنن الله في خلق الانسان .

أما مسألة التثليث فغير واضحة في العهد القديم كما هي في العهد الجديد . وقد أشير الى هذا في (تك ص ١) حيث ذكر « الله » و « روح الله » الخ (قابل مز ٣٣ : ويو ١٦ : ١٠ و٣) والحكمة الالهية المشخصة في (أم ص٨) تقابل الكلمة في (يو ص١) وربما تشير الى الاقنوم الثاني . وتطلق نعوت القدير على كل اقنوم من هذه الاقانيم الثلاثة على حدته » اه بحروفه

والحق ان العهد القديم ـ أي كتب الانبياء الذين كانوا قبل المسيح ـ ليس فيها شيء ظاهر ولا خفي في عقيدة التثليث لأنها عقيدة وثنية محضة . ومن أغرب التكلف تفسير الحكمة في امثال سليمان بالكلمة بالمعنى الذي يريدونه وهو وهم لم يخطر في بال سليمان ، ولا المسيح عليهما السلام، وسترى انهم قالوا : ان استعمال الكلمة بهذه المعنى لم يرد الا في كلام يوحنا ! ! وقد كان جميع أنبياء الله تعالى موحدين ، اعداء للوثنية والوثنيين . وانما يصح ان يقال ان التوحيد ظاهر جلي في العهد الجديد أيضا ، والتثليث فيه هو الخفي . فان العقيدة التي يدعو اليها دعاة النصرانية ، والعبارات التي يذكرونها في ألوهية المسيح والتثليث لاتفهم كلها من العهد الجديد ، بل هنالك عبارات يتحكمون في تفسيرها وشرحها كما يهوون ، على خلاف شهير فيها بين متقدميهم ومتأخريهم

والعمدة عندهم في هذه العقيدة أول عبارة من انجيل يوحنا وهي « في البدء كانت الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة » وقد اطلقوا لفظ الكلمة على المسيح ، فصار معنى الفقرة الثالثة من عبارة انجيل يوحنا : والله هو المسيح بن مريم . وهذا عين ما أسنده القرآن اليهم ، فكيف يقول البيضاوي والرازي انه اسند اليهم لازم مذهبهم ؟

قال بوست في قاموسه : « يقصد بالكلمة السيد المسيح ولم ترد هذه اللفظة بهذا المعنى الا في مؤلفات يوحنا (١ : ١ ـ ١٤ و١يو ١:١ ورؤ ١٩ : ١٣) وقد استعمل الفيلسوف (فيلو) لفظة « الكلمة » غير انه يقصد بها غير ما قصد يوحنا » اه

أقول قد بينا في تفسير « فنسوا حظا مما ذكروا به » انهم قالوا ان يوحنا ما كتب انجيله في آخر عمره الا إجابة لاقتراح من ألحوا عليه بذلك للادلة التي ذكروها .

والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرءوا كتبهم ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم الا قليلا ، وانما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة . ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن وروح القدس بأنها الوجود والعلم والحياة ، فالقول بها لا ينافي وحدانية الخالق . وكان يقول مثل هذا بعض علماء النصارى لعلماء المسلمين ، والظاهر ان بعض المتقدمين كان يعتقد هذا ، كما انه يوجد الآن في نصارى اوربة وغيرهم كثير من الموحدين الذين يعتقدون ان المسيح نبي رسول لا إله . ولعله لم يبق في النصارى من يقول بتلك الفلسفة ، لأنهم في كل عصر يغيرون في دينهم ماشاؤا ان يغيروا في فلسفته وغير فلسفته. وكان أكبر تغيير حدث بعد هؤلاء المفسرين مذهب (البروتستانت) أي اصلاح النصرانية ، حدث منذ أربع قرون وصار هو السائد في أعظم الامم مدنية وارتقاء كالولايات المتحدة وانكلترة وألمانية . نسف هذا المذهب أكثر التقاليد والخرافات النصرانية التي كانت قبلها ثم إستبدل بها تقاليد أخرى فصار عدة مذاهب في الحقيقة ، ومع هذا ترى هؤلاء المصلحين الذين زعموا انهم أعادوا النصرانية الى أصلها لم يستطيعوا ان يرجعوها الى التوحيد الصحيح الذي هو دين المسيح وسائر أنبياء بني اسرائيل ورسل الله اجمعين ، فهم لا يزالون يقولون بألوهية المسيح وبالتثليث ويعدون الموحد غير مسيحي، كما يقول ذلك الفرقتان الكبيرتان الاخريان من فرق النصرانية في هذا العصر ــ وهم الكاثوليك والارثوذكس ــ فجميع فرق نصارى هذا العصر تقول ان الله هو المسيح بن مريم ، وان المسيح بن مريم هو الله . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . والظاهر ان النصارى القدماء لم يكونوا متفقين على هذه العقيدة كما قال مفسرونا

قال (الدكتور بوست) في تاريخ الكتاب المقدس عند الكلام على لفظ الجلالة ما نصه :

« طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر : الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، فالى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، والى الابن الفدى، والى الروح القدس التطهير . غير ان الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الاعمال على السواء.

الى قوله -- ولا تقولوا ثلاثة) وذلك ان زعمهم « ان الله هو المسيح بن مريم » جزء من عقيدة التثليث المأخوذة عن قدماء المصريين والبراهمة والبوذيين وغيرهم من وثني الشرق والغرب. وقد أوردنا هنالك من شواهد كتب التاريخ وآثار الاولين ماعلم به قطعا ان النصارى أخذوا هذه العقيدة عنهم . وسنعود الى ذكرها عند تفسير قوله تعالى من هذه السورة « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » -

قال تعالى في تبكيت هؤلاء الناس ورد زعمهم :

﴿ قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ﴾ أي قل أيها الرسول لهؤلاء النصارى المتجرئين على مقام الالوهية بهذا الزعم الباطل : من يملك من أمر الله وارادته شيئا يدفع به الهلاك والاعدام عن المسيح وامه وعن سائر أهل الارض ان أراد عز وجل ان يهلكهم ويبيدهم ؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتجهيل ، أي إن المسيح وامه من المخلوقات التي هي قابلة لطروء الهلاك والفناء عليها كسائر أهل الارض، فاذا أراد الله ان يهلكهما ويهلك أهل الارض جميعا لايوجد أحد يستطيع ان يرد ارادته ، لانه هو المالك لامر الوجود كله ، ولا يملك أحد من أمره شيئا يستطيع به ان يصرفه عن عمل يريده ، أو يحمله على أمر لايريده ، أو يستقل بعمل دونه . تقول العرب : ملك فلان على فلان أمره . اذا استولى عليه فصار لايستطيع انه ينفذ أمرا ولا ان يفعل شيئا الا به أو باذنه . قال ابن دريد في وصف الخمرة التي لم يكسر المزج حدتها، ولم تبطل النار تأثيرها :

لم يملك الماء عليها أمرها * ولم يدنسها الضرام المحتضى

وقوله تعالى « فمن يملك من الله شيئا » أبلغ من مثل هذا القول لأنه نفى ان يملك أحد بعض أمره تعالى فضلا عن ملك أمره كله . فصار المعنى انه لا يوجد أحد يستطيع ان يرد أمره أو يحوله عن ارادته بوجه ما ولو الدعاء والشفاعة ، اذ لايستطيع أحد ان يشفع عنده الا بإذنه لمن ارتضاه، فالامر في ذلك كله له وحده عز وجل . ويدخل في عموم ذلك المسيح نفسه وغيره من الانبياء ، وكذا الملائكة

فلولا هذا الاقتراح والإلحاح لما كتب ، ولو لم يكتب لم تعرف هذه العقيدة — فثبت ان هذه العقيدة لم يذكرها المسيح نفسه في كلامه ولا دعا اليها أحد من تلاميذه الذين انتشروا في البلاد للدعوة الى انجيله ، ولم يعرفها أحد الا في العشر العاشر من القرن الأول الذي كتب فيه يوحنا انجيله هذا ان صح ان يوحنا الحواري هو الذي كتبه ـ ولن يصح ـ ولا يعقل ان يسكت المسيح وجميع تلاميذه عن هذه العقيدة اذا كانت هي أصل الدين كما تزعم النصارى ، بل الذي تتوفر عليه الدواعي ان يقررها المسيح نفسه في كلامه ، ويجعلها تلاميذه أول ما يدعون اليه و يكررونه في أقوالهم ورسائلهم .

ولا يغرنك ما أشار اليه (بوست) من الشواهد عن رسالة يوحنا ورؤياه فتظن أن هنالك نصا أو نصوصا في اثبات هذه العقيدة ، كلا ! ان الشاهد الذي عزاه الى أول رسالته الأولى هو : « الذي كان من البدء ، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة » فكلمة الحياة لا تفيد هذه العقيدة الا بتحكمهم . وأما الشاهد الذي عزاه الى الرؤيا فهو : « ١١ ثم رأيت السماء مفتوحة واذا فرس ابيض والجالس عليه يدعى امينا وصادقا وبالعدل يحكم و يحارب ١٢ وعيناه كلهيب من نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو ١٣ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض نقيا ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد » فانت ترى ان هذه الاوصاف لا تنطبق على المسيح وانما تنطبق على اخيه محمد عليهما الصلاة والسلام، فمن اسمائه الصادق والأمين ، و بالعدل كان يحكم و يحارب الخ ولم يكن للمسيح شيء من هذه الصفات . ولفظ « كلمة الله » هنا لا يفيد معنى تلك العقيدة ولا يشير اليها لأن كل شيء وجد بكلمة الله وهي كلمة التكوين (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

وأما الدليل على كون هذه العقيدة وثنية فهو يظهر لك جليا فيما كتبناه في تفسير قوله تعالى من هذا الجزء (٤ : ١٦٩ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم —

وما بينهما ، أي ما بين اجرام واجزاء هذين العالمين العلوي والسفلي بالنسبة اليكم .

وهذا الملك والتصرف مما تعترف به النصارى ، ولكنهم زعموا ان صاحب هذا الملك العظيم والتصرف المطلق والكمال الاعلى قد عرض له بعد خلق آدم ـ الذي ندم وتأسف من كل قلبه أنه خلقه ـ أمر عظيم ، وهو ان آدم عصاه فاقتضى عدله ان يعذبه هو وذريته ! واقتضت رحمته ان لا يعذبهم ، فوقع التناقض والتعارض بين مقتضى صفاته فلم يجد لذلك مخرجا يجمع به بين مقتضى العدل والرحمة ، الا أن يحل في بطن امرأة من ذرية آدم ويتكون جنينا فيه فتلده انسانا كاملا وإلها كاملا ! ثم يعرض نفسه لشر قتلة لعن صاحبها على لسان رسله وهي الصلب ، فداء لآدم وذريته ، وجمعا بين عدله بتعذيب واحد منهم هو وحده البريء من الذنب ، ورحمة الآخرين إن آمنوا بهذه العقيدة ولو بغير عقل ، ثم انه لم يتم له هذا الجمع لأن اكثر البشر لم يؤمنوا بها !! فهو لا بد أن يعذبهم في الآخرة . على أنه عذب كثيرا من الناس بمثل ما عذب به و بغير ذلك ومنهم المؤمنون بتلك العقيدة ، فلماذا لم يكن تعذيبهم في الدنيا فداء لهم ؟ وهل هذا هو الجمع بين العدل والرحمة ؟ !

ولما كانت شبهتهم على كون المسيح بشرا إلها ، وانسانا ربا ، هي أنه خلق على غير السنة العامة في خلق البشر ، وانه عمل اعمالا غريبة لا تصدر عن عامة البشر ، قال تعالى في رد هذه الشبهة ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ أي لما كان له ملك السموات والأرض وما بينهما ، كان من المعقول أن يكون خلقه للاشياء تابعا لمشيئته ، فقد يخلق بعض الاحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا انوثة كاصول أنواع الحيوان ، ومنها ابو البشر عليه السلام ، وقد يخلق بعضها من ذكر فقط أو انثى فقط ، وقد يخلق بعضها بين ذكر وانثى ، ولا يدل شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات على بعض على حلول الاله الخالق فيها ، بل هذا لا يعقل ولا يمكن . فامتياز الارض على عطارد أو زحل بوجود الاحياء فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلا على كون الارض إلها لذلك الكوكب الذي فضلته بهذه المزية . كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها أو ربا لمن لم توجد فيهم هذه المزايا ، لان المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق ، فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا نسبته الى

عليهم السلام. فاذا كان المسيح لا يستطيع ان يدفع عن نفسه الهلاك او عن والدته كما انه لا يستطيع غيره ان يدفعه عنه اذا أراد الله تعالى انزاله به، فكيف يكون هو الله الذي بيده ملكوت كل شيء ؟

ومن غريب تهافت هؤلاء الناس انهم قالوا ان شر نوع من أنواع الاهلاك وهو الصلب نزل بالمسيح ــ الذي هو الكلمة ، والله هو الكلمة بزعمهم ــ ولم يستطع ان يدفعه عن نفسه ، وأنه استغاث بربه خائفا وجلا ضارعا خاضعا ليصرف عنه ذلك الكأس فلم يجبه الى ما طلب !! وهم يكابرون انفسهم في دفع هذا التهافت بمثل قولهم: انه كان له طبيعتان ومشيئتان، ثنتان منهما إلهيتان وثنتان بشريتان ، وليت شعري اذا كان هذا ممكنا فهل يمكن معه ان يجهل المسيح بطبيعته البشرية طبيعته الالهية فيعترض عليها بمثل قولهم عنه في انجيل متى (٢٧ : ٤٦ الهي الهي لماذا تركتني) و يستنجدها غير عالم بما يمكن وما لا يمكن لها بمثل ما قالوه عنه في انجيل متى (٢٦ : ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : ياأبتاه ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ــ الى ان قال ــ ٤٢ فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا : إن لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك) ؟ كلا إن هذا أعظم حجة عليهم مصدقة لحجة القرآن ، فان مشيئة الله لا يردها شيء .

ثم ان الطبيعة البشرية هي التي خاطبت البشر فاذا كان هذا شأنها ، لا يقبل قولها ولا يوثق بتعليمها ، فكيف تجعل مع الطبيعة الاخرى شيئا واحدا ، يسمى ربا و إلها و يعبد ، والناس ما رأوا الا الطبيعة البشرية ، ولا عرفوا غيرها ولا سمعوا الا كلامها ولا رأوا الا أفعالها ؟ والنكتة في عطف من في الارض جميعا على المسيح وامه التذكير بأنهما من جنس البشر الذين في الأرض وما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . واناجيلهم تعترف بأن المسيح كان كغيره في الشؤون البشرية كما سيأتي في تفسير « ما المسيح بن مريم الا رسول » الآية

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما ﴾ الظاهر ان هذه الجملة حالية أي فمن يملك من الله شيئا ان أراد اهلاك المسيح وامه واهل الارض قاطبة والحال انه هو صاحب الملك المطلق والتصرف الاستقلالي الكامل في السموات والارض

أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون ان تعملوا) وفي هذا المعنى ماجاء في الرسالة الاولى من رسالتي يوحنا (٣ : ٩ كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لان زرعه يثبت فيه ، ولا يستطيع ان يخطىء لانه مولود من الله ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد ابليس) فعلم من هذه النصوص وأشباهها ان لفظ « ابن الله » يستعمل في كتب القوم بمعنى حبيب الله الذي يعامله الله معاملة الاب لابنه من الرحمة والاحسان والتكريم . فعطف أحباء الله على أبناء الله للتفسير والايضاح ، وانما تحكم النصارى بهذا اللقب فجعلوه بمعنى الابن الحقيقي بالنسبة الى المسيح و بالمعنى المجازي بالنسبة الى غيره من الصالحين . ومعنى الابن الحقيقي محال على الله تعالى لانه عبارة عن الولد الذي ينشأ من تلقيح الرجل بمائه لبعض ما في رحم المرأة من البيض . فالمعنى المجازي متعين كما ترى وسنوضحه في تفسير (وقالت النصارى المسيح ابن الله) ولما كان ما ذكرناه مؤيدا بالشواهد هو المعنى المراد لاولئك المتبجحين من اليهود والنصارى حسن ردّ الله تعالى عليهم بقوله لنبيه محمد (ص) :

﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ﴾ أي قل لهم أيها الرسول : اذا كان الامر كما زعمتم فلم يعذبكم الله تعالى بذنوبكم في الدنيا كما تعلمون من تاريخكم الماضي وكما ترون في تاريخكم الحاضر . ومن هذا العذاب لليهود ما كان من تخريب الوثنيين لمسجدهم الاكبر ولبلدهم المرة بعد المرة ، ومن ازالة ملكهم من الارض ، وللنصارى ما نكل به بعضهم ببعض . وهو شر من تنكيل الوثنيين والنصارى باليهود . أي ان الاب لا يعذب ابنه والمحب لا يعذب حبيبه ، فلستم اذا أبناء الله ولا أحباءه ، بل أنتم بشر من جملة من خلق الله تعالى ، وهو عز وجل الحكم العدل لا يحابي أحدا ، وانما يغفر لمن يعلم انه مستحق المغفرة ، و يعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب ، فهو يجزيكم بأعمالكم ، كما يجزي سائر البشر أمثالكم ، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم وسلفكم وكتبكم ، فانما العبرة بالايمان الصحيح والاعمال الصالحات ، لا بمن سلف من الآباء والامهات

﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ﴾ أثبت الله تعالى في

خالقه كنسبة سائر المخلوقات اليه تعالى واما الامتياز ببعض الافعال الغريبة فهو معهود من البشر أيضا ، ونقل ذلك عن جميع الامم والملل ، وقد ادعت الامم الوثنية لأصحابها الالوهية والربوبية ، وأجمع الانبياء من بني اسرائيل وغيرهم على توحيد الله تعالى وسموا تلك الغرائب بالآيات الالهية ، وقالوا ان الله تعالى قد يؤيد بها أنبياءه ورسله . فلماذا خرجتم ايها النصارى عن سنة النبيين والمرسلين ، واتبعتم سنة الوثنيين كقدماء الهنود والمصريين الذين جعلوا غرابة خلق مقدسيهم وغرابة بعض افعالهم ، دليلا على ألوهيتهم وربوبيتهم ؟ ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فكل ما تعلقت به مشيئته ينفذ بقدرته ، وانما يعد بعض خلقه غريبا بالنسبة الى علم البشر الناقص لا بالنسبة اليه تعالى . وكذلك غرابة بعض افعالهم ، تكون عن علم كسبي يجهله غيرهم ، أو قوة نفسية لم يبلغها سواهم ، أو تأييد رباني لا صنع لهم فيه ولا تأثير .

روى ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : أتى رسول الله (ص) ابن أبي وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلمهم وكلموه ودعاهم الى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ماتخوّفنا يا محمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فانزل الله فيهم ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ الى آخر الآية . ومن قرأ كتب اليهود والنصارى رأى فيها لقب « ابن الله » قد أطلق على آدم . (انظر انجيل لوقا ٣ : ٣٨) وعلى يعقوب وداود مع لقب البكر (انظر سفر الخروج ٤: ٢٢ و ٢٣ والمزمور ٩٨: ٢٦ و ٢٧) وكذا على افرام (انظر نبوة ارمياء ٣١ : ٩) وعلى المسيح عليهم السلام ولكن بدون لقب البكر . وأطلق مجموعا على الملائكة وعلى المؤمنين الصالحين . وهذا الاستعمال كثير في العهد الجديد . ومنه ماحكاه متى في وعظ المسيح على الجبل (٥ : ٩ طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) وقال بولس في رسالته الى أهل رومية (٨ : ١٤ لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله) وجاء في سياق المناظرة بين المسيح واليهود من انجيل يوحنا ما نصه (٨ : ٤١ أنتم تعملون أعمال أبيكم ، فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني — الى ان قال — ٤٤

الله ، وهم الذين يكثرون هذه الدعوى ويتبجحون بها ، ثم ان التعبير بالمضارع « يعذبكم » ينفي ان يكون المراد تعذيبا خاصا بطائفة وقع في الزمن الماضي . وأقوى أجوبته الأول ولكنه لم يفطن لما فيه من القوة ولم يبينه بيانا تاما ، على انه لم يحرر أصل الدعوى فيهتدي الى تحرير الجواب . والصواب ان هذا الاشكال لا يرد على الاسلام والقرآن ، واليك البيان الصحيح الذي يتضاءل به حتى يدخل في خبر كان :

كان اليهود يعتقدون انهم شعب الله الخاص ميزهم لذاتهم على جميع البشر فلا يمكن أن يساويهم شعب آخر عنده وان كان اصح منهم ايمانا وأصلح عملا ، وانهم لا يكونون تابعين لغيرهم في الدين ، فلا يصح ان يتبعوا محمدا (ص) لأنه عربي لا اسرائيلي . والفاضل لا يتبع المفضول بزعمهم . ولا يمكن ان يؤاخذهم الله على الكفر به لأنهم شعبه الخاص المحبوب ، فهو لا يعاملهم الا معاملة الوالد لأبنائه الاعزاء والمحب لمحبوبه الخاص . واما النصارى فقد أربوا عليهم في الغرور ، وان كان النبي الذي يدعون اتباعه قد جاهد غرور اليهود جهادا عظيما ، فهم يدعون ان المسيح قد فداهم بنفسه وانهم أبناء الله بولادة الروح ، والمسيح ابنه الحقيقي ، ويخاطبون الله تعالى دائما بلقب الأب . وقد كانت جميع فرقهم في زمن بعثة النبي (ص) اشد من اليهود فسادا وافسادا وفسقا وفجورا وظلما وعداوانا بشهادة مؤرخي الامم كلها منهم ومن غيرهم ، ومع هذا كله كانوا يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وانهم غير محتاجين الى اصلاح في دينهم ولا دنياهم ، ولهذا رفضوا ما دعاهم اليه النبي (ص) من التوحيد الخالص والفضائل الصحيحة والاعمال الصالحة ، وردوا ما جاءهم به من كون مرضاة الله تعالى ومثوبته لا تنالان الا بتزكية النفس واصلاحها بالتوحيد والعمل.

هذا حاصل ما كان عليه اليهود والنصارى من الغرور بدينهم وبأنفسهم وبأنبيائهم الذين تركوا هديهم وضلوا طريقهم ، وقد عبر الكتاب الحكيم عن ذلك هنا بأوجز لفظ واخصره وهو قولهم « نحن أبناء الله واحباؤه » وحاصل رده عليهم : انكم من نوع البشر الذي هو من جنس مخلوقات الله تعالى ، وانه ليس لكم ولا لغيركم من طوائف البشر امتياز ذاتي خاص ولا نسبة ذاتية اليه تعالى ، لأن جميع خلقه بالنسبة اليه سواء ، وقد مضت سنته في البشر بأن يعذبهم في الدنيا بما كسبت

هذه الآية مثل ما أثبت في التي قبلها من أن له ملك السموات والأرض وما بين أجرامها وأجزائها من المخلوقات ، الا أنه ختم تلك بكونه على كل شيء قديرا ، لان المقام مقام الغرابة في الخلق، وامتياز بعضه على بعض. وختم هذه ببيان كون المرجع والمصير اليه . لأن المقام مقام الجزاء على الاعمال، وذلك ان السموات والارض ومن فيهما و بين عالميهما نسبتها اليه تعالى واحدة ، وهي انه الخالق المالك الرب ذو التصرف المطلق في كل شيء بمقتضى العلم والحكمة، والعدل والفضل، وهي المخلوقات المملوكة، وجميع من يعقل فيها من الانس والجن والملائكة عبيد له لا أبناء ولا بنات (١٩: ٩٤ ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وفي ختمها بقوله « واليه المصير » اشعار بأنه سيعذبهم في الآخرة على هذا الكفر والغرور والدعاوي الباطلة، فيعلمون عند ما يصيرون اليه انهم عبيد آبقون يجازون ، لا ابناء ولا أحباء يحابون

وقد استشكل بعضهم كون تعذيبهم دليلا على بطلان دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، لأنه إن أريد به عذاب الآخرة لاتقوم به الحجة عليهم لانكارهم إياه، وان أريد به عذاب الدنيا أورد عليه انه غير قادح في ادعائهم لأن النبي (ص) وأمته لم يسلموا من محن الدنيا كالذي حصل في وقعة احد وقتل الحسن والحسين عليهما السلام ، ونحن نعتقد أن الذين ابتلوا بهذه المحن من أحباء الله تعالى . وأجاب الرازي عن هذا الاشكال بثلاثة أجوبة حاصل الأول اننا نعتقد ان النبي (ص) وخيار أمته من أحباء الله تعالى ولا ندعي أنهم أبناء الله تعالى . وحاصل الثاني ان المراد عذاب الآخرة وقد اعترف به اليهود اذ قالوا «ان تمسنا النار الا اياما معدودة» وحاصل الثالث ان المراد به المسخ الذي وقع ببعض اليهود قبل الاسلام أضيف الى المخاطبين لأنهم من جنسهم . قال الرازي بعد شرح الأجوبة بعبارة أخرى : وهذا الجواب أولى لأنه تعالى لم يكن ليأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يحتج عليهم بشيء لم يدخل بعد في الوجود ، فإنهم يقولون لا نسلم أنه تعالى يعذبنا ، بل الأولى ان يحتج عليهم بشيء قد وجد حتى يكون الاستدلال قويا متينا . اه

ونحن نقول ان هذا الاخير أضعفها وانهم لا يعترفون به أيضا ، وانه لا حجة فيه ولا في الثاني على النصارى فيكون تسليما لهم أو إقرارا على دعوى انهم أبناء

فأنت ترى أن هذه الآيات تبين لنا سننه تعالى في البشر ، وان الجزاء انما يكون على الاعمال ، لا على الاسماء والالقاب ، وهذا هو الذي يصدقه الوجود وتشهد به تواريخ جميع الاقوام والاجيال . غاية الامر ان شأن أهل الايمان الصحيح والدين القيم أن يكونوا أعرف بسنن الله تعالى في خلقه ، فتكون ذنوبهم التي يعاقبون بها موعظة يتعظون بها ، وتمحيصا يكمل نفوسهم بالعبر و يعلي شأنها ، وان يكونوا من المتقين لكل ما جعله الله سببا للخيبة والخسران ، كالظلم والبغي والعدوان ، والتنازع والتفرق والغرور وعدم النظام . وبهذا يكونون من أحباء الله تعالى و يكون ما حل بهم من قبيل تربية الوالد لولده ، ولا يحسن أن يسمى تعذيبا ، لان مرارة الدواء الذي يشفيك من السقم ، ليس كالسوط الذي لا يصيبك منه الا الألم .

ومن راجع تفسير هذه الآيات في الجزء الرابع من تفسيرنا هذا يتجلى له الحق في ذلك تمام التجلي . ولكن المسلمين لم يعتصموا بهذا البيان ، فيتقوا غرور أهل الكتاب ، بل اتبعوا سننهم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، الى ان آل الامر الى ضد ما كان ، فترك جماهير أهل الكتاب ذلك الغرور بدينهم ، واهتدوا بسنن الله في الامم والدول التي كانت قبلهم ، فساروا عليها في سياسة ملكهم ، وكان آخر حوادث غرور دولهم الكبرى غرور دولة الروسية ، في حربها مع دولة اليابان الوثنية ، على انه لم يكن غرورا دينيا محضا ، بل كان ممزوجا بالاستعداد الدنيوي مزجا . و بقي من اتبعوا سننهم من المسلمين ، ثابتين على تقليد أولئك المخذولين ، وفتن بعضهم بالمتأخرين المعتبرين ، ولكنهم ما احتذوا مثالهم في أمر الدنيا ولا رجعوا في مثله الى هدي الدين ، (وما يتذكر الا من ينيب)

أقام الله الحجة على أهل الكتاب ودحض شبهتهم التي غرتهم في دينهم ، فحسن بعد هذا ان يذكرهم بحجته عليهم يوم القيامة اذا هم أصروا على غرورهم وضلالهم ، فقال :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ﴾ أي قد جاءكم رسولنا المبشر به في كتبكم ، المنتظر في اعتقادكم ، فان الله أخبركم على لسان

أيديهم ، و يعفو عن كثير من أعمالهم و يغفرها فلا يعجل لهم العذاب عليها . وذلك بحسب مشيئته ، المطابقة لعلمه وعدله وحكمته ، فاذا كان لكم امتياز ذاتي على جميع البشر فلم يعذبكم بذنوبكم في هذه الدنيا كما يعذب غيركم بذنوبهم؟ وأنتم تعلمون هذا علم اليقين من أنفسكم ومن تاريخكم. والمضارع «يعذبكم» هنا لبيان الشأن والسنة في معاملتهم ، فهو يدل على ان هذا التعذيب ثابت في كل زمان متى وقع سببه ، ووجدت علته . والكلام في سنة الله في الأمم والشعوب ، وتاريخهم فيه كتاريخ غيرهم قبل البعثة وفي زمنها و بعدها : ماعذبت أمة من الامم بشيء الا وعذبوا بمثله ، فلو كانوا ابناء الله واحباءه ولو مجازا بحسب مابيناه بالشواهد من كتبهم ، لما حل بهم ماحل بغيرهم ، أولم تكن لهم ذنوب يعذبون بها كما قال (١ يو٣: ٩)

اذا فقهت هذا ظهر لك ان إشكال الرازي غير وارد أصلا ، فان الكلام في الامم والشعوب وابطال دعوى ان يكون شعب منها ممتازا عند الله بذاته، لا تجري عليه سننه في سائر خلقه، و النبي (ص) لم يدع أن أمته لها مثل هذا الامتياز ، وان كل من انتمى اليها كان من ابناء الله ولا من أحبائه مهما عملوا من الاعمال، فيقال: لم غلب خيارهم اذا في غزوة أحد وعاملهم الله بما يعامل به سائر الناس؟ يثبت لك هذا ما أنزله الله تعالى في شأن غزوة أحد من الآيات، فقد بين فيها أن ما أصاب المسلمين انما أصابهم بذنوبهم، إذ خالف الرماة أمر نبيهم وقائدهم، وتنازعوا واختلفوا في أمرهم، وان الايام دول، والعاقبة للمتقين، فهم الذين يتعظون بالحوادث فلا يعودون الى مثل ماعوقبوا به . وقد قال تعالى في فاتحة سياق هذه القصة (٣: ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ١٣٨ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ١٣٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) ثم قال (١٥٢ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه، حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) الخ آية ١٥٥ ثم قال(١٦٥ أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم) الخ

عباس قال : دعا رسول الله (ص) يهود الى الاسلام فرغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه . فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب : يامعشر يهود اتقوا الله، فوالله لتعلمون انه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: انا ماقلنا لكم هذا وما انزل الله من كتاب من بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده . فانزل الله الآية . اي انزلها في هذا السياق متضمنة للرد عليهم

ومن مباحث اللفظ في الآية أن الفترة من فتر الشيء اذا سكن أو زالت حدته . وقال الراغب : الفتور سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة ، وذكر الآية .والمراد بها هنا انقطاع الوحي وظهور الرسل عدة قرون . وقوله «أن تقولوا» تقدم مثله ، ومنه « يبين الله لكم أن تضلوا » في آخر سورة النساء . وتقدم وجه اعرابه ، وان بعضهم يقدر له : كراهية أن تضلوا أو أن تقولوا ، ومثله اتقاء أن تقولوا ، بل هذا أحسن و بعضهم يقدر النفي فيقول : لئلا تقولوا . والمعنى على كل وجه ما ذكرناه آنفا من منعهم من هذا الاحتجاج وقطع طريقه عليهم .

فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ،اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ انا عربي وليس العرب مني ﴾

(س ٤١) من صاحب الامضاء بمصر

مولاي السيد الامام منشئ المنار نفع الله به المسلمين

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فاننا نلتمس كتابة جواب على سؤالنا هذا في المنار الاغر لكشف الغمة عن صحة الحديث المسؤل عنه ومعناه

السؤال: قرأنا في جريدة المفيد البيروتية كتاب تهديد جاءها من بعض الترك يذم

موسى انه سيقيم نبيا من بني إسماعيل أخوتكم ، وعلى لسان عيسى بن مريم بانه سيجيء بعده البارقليط روح الحق الذي يعلمكم كل شيء ، ولا تزال هذه البشارات في كتبكم ، وان حرفتموها بسوء فهم أو بسوء قصد منكم ، وهو النبي الكامل المعهود الذي سأل أجدادكم عنه يحيى (يوحنا) عليه السلام ، ففي أوائل الانجيل الرابع ان اليهود أرسلوا كهنة ولاويين فسألوا يوحنا : أأنت المسيح؟ قال لا. أأنت ايليا ؟ قال لا . أأنت النبي؟ قال لا . وهذا هو الرسول محمد النبي العربي الامي الذي لم يتعلم شيئا ، وهو يبين لكم على فترة أي انقطاع من الرسل ، وطول عهد على الوحي ، جميع ماتحتاجون اليه من أمر دينكم ، وما يصلح به أمر دنياكم ، من العقائد الحق التي أفسدتها عليكم نزغات الوثنية ، والاخلاق والآداب الصحيحة التي أفسدها عليكم الافراط والتفريط في الامور المادية والروحية ، والعبادات والاحكام التي تصلح بها أموركم الشخصية والاجتماعية ـ فترك التصريح بمفعول « يبين لكم » لإفادة العموم ـ ويدخل فيه ما بينه لكم مما كنتم تخفون من الكتاب لإقامة الحجة عليكم . ولو لم يكن رسولا من عند الله تعالى لما عرف هذا ولا ذاك مما تقاصرت عنه علوم احبار كم ورهبانكم ، وحكمائكم وساستكم . جاء رسولنا محمد يبين لكم كل هذا ليقطع معذرتكم ويمنعكم يوم القيامة ﴿ أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير ﴾ يبشرنا بحسن عاقبة المؤمنين الصالحين المتقين ، وينذرنا ويخوفنا سوء عاقبة المفسدين الضالين المغرورين.

﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يبين لكم ان أمر النجاة والخلاص ، والسعادة الابدية في دار القرار ، ليس منوطا بأمانيكم التي تتمنونها ، وأوهامكم التي تغترون بها ، بل هو منوط بالايمان والاعمال ، وان الله تعالى لايحابي أحدا من الناس ، قال تعالى (٤ : ١٢٢ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من الله وليا ولا نصيرا ٤ : ١٢٣ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فلا يعجزه أن يريكم صدق نبيه بنصر دعوته واعلاء كلمته عليكم في الدنيا ، لتقيسوا على ذلك ان عقلتم ما يكون من الامر في الدار الاخرى .

روى أبناء اسحق وجرير والمنذر وابي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن

العرب . وليس الغريب أن يحفظ هـذا بعض المتعلمين المتفرنجين الذين أفسدت السياسة عليهم دينهم فكان من عصبيتهم الجنسية التركية بغض العرب ، ولكن العجيب الغريب وصول هذه المفسدة الى عوامهم الذين نسمع ان أكثرهم باق على فطرته الاسلامية يحب العرب تدينا لانهم قوم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

وقد سمعت من بعض من شهد هـذه المحاورات انهم كانوا يجيبون عن الحديث بأن أصله « أنا عربي وليس أعرب مني » وأنهم رووه محرفاً. ولا أدري أهذاشيء كان سمعه ممن أجاب بمثل هذا الجواب ؟ أم ظن أن أصله ماذكر نصححه بظنه ؟

واني أورد هنا بعض الاحاديث الواردة في منـاقب العرب إتماما للحجة على أولئك المنافقين من الترك وتثبيتاً لاخواننا المؤمنين الصادقين منهم ومن غيرهم . فنها قوله (ص) « أحبوا العرب لثلاث : لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنـة عربي » رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وكذا العقيلي ووضع السيوطي بجـانبه في الجامع الصغير علامة الصحة . ومنها « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم في صحيحه والترمذي عن واثلة . ولفظ الترمذي « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيـل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً » الخ فهذا الحديث الصحيـح يدل مع قوله تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) ان العرب بني اسماعيل هم صفوة أصفياء الله من البشر كلهم وصفوتهم قريش وصفوة قريش بنو هاشم ، فهم لب الالباب ، وخاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والتسليم صفوتهم فهو سيد ولد آدم على الاطلاق، فكيف يتبرأ من قومه الذين اصطفاهم الله تعالى واصطفاه منهم ؟ ومن عساه يستبدل بهم في عرف أولئك المنافقين ؟ وقد روى الحاكم هذا المعنى من حديث ابن عمر بلفظ آخر وهو : « ان الله اختار من آدم العرب واختار من العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم» وروى أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « حب العرب ايمان وبغضهم نفاق » وسند هذا ضعيف يؤيده ويقويه سائر الاحاديث في الباب مما تقدم وما هو في معناه كحديث « لا يبغض العرب الا منافق » رواه عبد الله بن الامام احمد في زوائده عن علي كرم الله وجهه ، وحديث « لا يبغض العرب مؤمن » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وحديث « من

فيه العرب جاء فيه حديث « انا عربي وليس العرب مني » فهل من سند صحيح لهذا الحديث بهذه الرواية ام برواية اخرى؟ واذا صح افلا يكون النبي (ص) قد تبرأ من عموم العرب وهم قومه وهو منهم ؟ وما سبب ذلك اذا صح ؟

ثم اننا نسمع بشيوع هـذا الحديث في امـة الترك حتى ان كل من خدم في العسكرية « الجهادية » سمعه منهم بروايات منها « انا عربي وليس الاعراب مني » ومنهـا « انا عربي وليس أعرب مني » فأية الروايات أصح ؟ افيـدونا لازلتم ملجأ لحل الغوامض سائل

(ج) لا يصح شيء من ألفاظ هذا الحديث بل هو موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم . وانا لم أسمعه من أحد الا من بعض افراد عسكر بلدنا الذين حضروا حرب البلقان الاولى وحرب الروسية للدولة وغيرهم ممن أدوا الخدمة العسكرية مع أمثالهم من الترك . نقل الينـا هؤلاء ان بعض أفراد الترك كانوا يحتقرونهم ويقولون لهم : ان الله قد ذم العرب في القرآن العظيم الشان بقوله (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) وان النبي (ص) قال فيهم « أنا عربي وليس العرب مني » فمن هؤلاء من كان يتعجب من هذه الاقوال ولا يدري ما يقول كالاميين . ومنهم بعض الاذكياء الذين يقرءون القرآن كانوا يجيبون عن الآية بمـا يقابلها من قوله تعالى في سورتها - التوبة (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) فيفهم من مجموع الآيتين ان تلك في كافري الاعراب ومنافقيهـم ، وهـذه في مؤمنيهم الصـادقين الصـالحين ، وان المدح والذم فيها ليس للجنس . ولـكن لم أسمع من أحد ولا عن أحد منهم أنه أجاب بأن الاعراب هم سكان البادية خاصة والواحد أعرابي ، وان علة كون كفارهم ومنافقيهم أشد كفراً ونفاقاً من أمثالهم في الحضر هي جفوة البداوة وقسوتها وخشونتهـا كما هو معروف عند جميع الامم ، وان التعرب أي سكنى البادية كان محرما على المؤمنين بعد الهجرة لوجوب ملازمة النبي (ص) ونصرته

وأما الحديث فلم يكن أحد من أولئك العوامّ يعلم ان بعض الناس قد كذب على الرسول (ص) ونسب اليه أحاديث لم يروها عنه أحد من نقلة حديثه منها ماله معنى صحيح ومنها ما معناه باطل كلفظه . وهذا القسم منه ما لا يعرف بطلان معناه الا العلماء ، ومنه ما هو بديهي يعرف بطلانه كل من شم رائحة الاسلام كقول أولئك السفهاء من الترك انه (ص) قال « أنا عربي وليس العرب مني » اذ لا معنى لهذا النفي الا التبرؤ من قومه

الشرعية انه كان قال للأمير منذ سنين : ان في يد مولانا (وفي الاصل افندينا) ثلاث مصالح لا يمد الانكليز اليها أيديهم الآن لأنها دينية ، اذا أصلحتها تحيي بها المسلمين وهي الاوقاف والازهر والمحاكم الشرعية . فهذه الكلمة المسجلة في المنار منذ سنين تدل على ان أهل الرأي من المسلمين كانوا يخافون من أوائل العهد بالاحتلال أن تفضي سيطرته الى الدين بجعل معاهد العبادة والتعليم الديني والقائمين به وبالوظائف الدينية تحت سيطرة غير المسلمين ، وكذلك ريع الاوقاف الاسلامية المحبوسة على مصالح المسلمين ، فلا يبقى للمسلمين استقلال ما حتى في أمر دينهم ، فماذا يكون لهم من الاستقلال في أمر دنياهم ؟

وإنما جاء هذا الخوف مما يعلمونه من تصرف بعض الاوربيين في مستعمراتهم الاسلامية كتصرف فرنسة في أوقاف الجزائر وتونس وفي جعلها المساجد والتعليم الديني تحت سيطرتها ، وذلك أشد ما بغضها الى مسلمي تلك البلاد وإلى جميع المستنيرين من مسلمي الارض . ولكن الانكليز أوسع من الفرنسيس صدرا ، وأكبر أناة وروية وصبرا ، وأعلم بمداراة شعور الأمم وأدق خبرا ، وأدرى بمسالك التدريج في إحكام النفوذ والسلطة وأصح فكرا . وبهذه المزايا التي نبغوا فيها ، وبما في مصر من الاستعداد الطبيعي للعمران في أرضها وأهلها وحكومتها ، وبتغلغل الأوربيين فيها وما لهم فيها من الامتيازات والاملاك والديون - بهذا كله امكن لهم (أي للانكليز) أن يسلكوا في في ادارتها والسيطرة على حكومتها مسلكا لطيفا لم تشعر الامة بثقل وطأته ، ولا بأنها فقدت شيئا كان لها قبله . ذلك بأنهم كانوا يتقون كل ماله علاقة بالدين ، ويعملون سائر الاعمال بالأوامر الخديوية العالية وقرار النظار الوطنيين . وبأن الجرائد المعارضة لم تكن تنتقد أحدا من رجال الانكليز الا قليلا، وانما كانت تبالغ في انتقاد الوزارة المصرية وتلصق كل ماتنكره من الاعمال بها، وكانت عاقبة هذا ان كل إصلاح حصل في مصر حفظ ونسب الى المحتلين . وكل ما كان ينتقد عليهم أو على الحكومة المصرية بسببهم قد نسيه الجمهور، إما لأنه سلبي، وإما لأنه ألف، وإما لانه عمل عارض ليس له صورة باقية . واما تأثير هذا المسلك في خارج القطر المصري فهو أنه قد جعل للانكليز اسما سميا ، وقدرا عليا ، وصار مسلمو الشرق والغرب ، يفضلونهم به على جميع الافرنج أو جميع دول الارض .

لاجل هذا عجب كثير من الناس في هذه الأيام من تصدي لورد كتشنر الى تحويل مصلحة الاوقاف الاسلامية الى نظارة مع علم الناس بأن النظار مجبورون على

احب العرب فهو حي حقا » رواه ابو الشيخ عن ابن عباس .

فهذه الاحاديث تدل على ان هؤلاء الذين عرفوا ببغض العرب كلهم من المنافقين المبغضين لله تعالى ولرسوله (ص) وقد اشتهر عن بعض أهل الجراءة منهم التصريح ببغض الاسلام ، والنيل من مقام خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، والطعن في الخلفاء وسائر الصحابة الكرام ، وهم يتعمدون إذلال العرب وإهانتهم انتقاما من الاسلام ، ولا غرو ففي حديث جابر عند ابي يعلى بسند صحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » اللهم اعز الاسلام واعز العرب ، اللهم وأعز من أعز العرب وأذل من أذلهم الى يوم القيامة .

﴿ تحويل مصلحة الأوقاف العمومية بمصر الى نظارة ﴾

الاوقاف العمومية هي المحبوسة على المصالح الاسلامية العامة كالمساجد والمدارس والتكايا أو عمل البر والخير مطلقا أو مقيدا . ومنها أوقاف الحرمين الشريفين والجامع الأزهر. فمنها ما وقف على ذلك ابتداء ومنها ما آل صرفه الى بعض هذه المصالح بعينه أو مطلقا ، كأوقاف الملوك التي لاتراعى شروطها والأوقاف التي جهلت شروطها أو تعذر صرفها فيها . وقد كانت هذه الأوقاف قبل النظام الجديد الذي أوجده (محمد علي الكبير) في مصر تابعة لحال حكومتها في الفوضى والاختلال والضياع، ثم أدخلت في سلك النظام حتى جعلت نظارة من نظارات الحكومة قبل الاحتلال الانكليزي . ثم جعلت مصلحة مستقلة ناظرها الشرعي هو الحاكم العام للبلاد (الخديو) وهو يوكل عنه مديرا يتولى الاعمال الادارية العامة، وأضيف اليها كثير من الاوقاف الخصوصية لثقة بضبطها . وما يناط بالقاضي الشرعي من تلك الاعمال كالاذن بالاستبدال وتولية النظار وعزلهم يرجع فيه الى قاضي مصر . وقد ترقت هذه المصلحة بالتدريج وكثر دخلها ، وعمر كثير من مبانيها وأرضها . ولكن الناس ينتقدون إدارتها وديوانها بأشد مما ينتقدون به نظارات الحكومة ومصالحها ، وكان المخلصون منهم يتمنون أن يكون نظامها أتم من نظام تلك النظارات والمصالح وارتقاءها أكمل لتكون حجة على اقتدار المصري على الاعمال العامة بدون مراقبة الاجنبي وسيطرته، حتى لايكون للمحتلين وجه للتعرض لها ووضعها تحت سيطرتهم

حدثني شيخنا الاستاذ الامام في سنة ١٣١٦ عند حدوث مسألة إصلاح المحاكم

فيعلم من هذا ان معنى جعل مصلحة الاوقاف نظارة هو وضعها تحت مراقبة الانكليز أي ان الاموال التي تقام بها شعائر الاسلام في المساجد — ومنها ما هو للحرمين الشريفين — والتي ينفق منها على التعليم الديني تكون تحت مراقبة وساطة المستشار المالي الانكليزي والمعتمد السياسي البريطاني مادام هذا هو الشكل الذي تدير به بريطانية حكومة هذا القطر . ولا يوجد مسلم يرضى بهذا باختياره، فكان من المنتظر أن تقوم قيامة القطر بالمعارضة والاحتجاج على هذا العمل ، ثم تردد صداه جميع البلاد الاسلامية ، ولكن حال دون ذلك ما أشرنا اليه وما نبينه من الاسباب والتمهيدات التي اتخذت والاسراع في التنفيذ . وكيف كان ذلك ؟

ان الذي شاع وذاع في البلد هو أن اللورد عرض المشروع على الخديو وقال ان حكومة لوندرة جزمت به ، فعارض الخديو أولا ، ثم اتفقا على استفتاء الآستانة بناء على ان هذا المشروع يتعلق بالدين والسلطان هو الخليفة صاحب السلطة الدينية العليا ، فرفع الامر الى الآستانة فجاء الجواب حالا في أيام العيد بأن تحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة جائز لان الامر في الاستانة كذلك . فقطعت فتوى الخليفة كل كلام في شكل المشروع كما قطعت جهيزة قول كل خطيب ، الا أن بعض الجرائد كالمؤيد بينت الفرق بين نظارات الاستانة ونظارات مصر بأن تلك مستقلة تحت سلطة الخليفة، وشيخ الاسلام هو العضو الاول في مجلس النظار ، وهذه تحت مراقبة دولة أجنبية ، ولكن اللورد تلافى هذا الاعتراض قبل وقوعه بما اعلن وأشيع من خبر اتفاقه مع الحكومة على أن لا يكون لنظارة الاوقاف الجديدة مستشار انكليزي بل تكون مستقلة في أعمالها ويكون لها مجلس أعلى من المسلمين تقيد به تصرفات الناظر كالمجلس الاول في الجملة

الحق أقول ان هذا كان مؤثرا ، وان جواب الاستانة لم يفعل في القلوب والافواه، فعله في الجرائد والاقلام، فالذين لم يقولوا فيه شيئا بأقلامهم، قد قالوا بقلوبهم وأفواههم، ولكن ايقنوا بأنه لابد من تنفيذ المشروع، فصار همهم في جعله مسوّرا بما يكفل استقلال أوقافهم، وصرف أموالها في مصالحهم، وجعل القول الفصل فيها لهم دون الاجانب . فكان جمهور الامة يودّ تأخير صدور الامر العالي به الى أن تنعقد الجمعية التشريعية في أوائل السنة الآتية ـ وما هي ببعيد ـ لتصدق عليه وتقرره فتطمئن به قلوب الامة . وقد كررت جريدة المؤيد القول في هذا الاقتراح . وكتب سعد باشا زغلول الشهير بمعارفه القانونية والاجتماعية وباستقلال الرأي مقالا في المقطم نقلته سائر الجرائد اقترح فيه

ان يكونوا تحت سيطرة المعتمد الانكليزي في مصر كما هو الواقع ، وكما صرح به ناظر خارجية انكلترة رسميا ، وكما يفهم من اقتراح لورد كرومر من قبل (وسيأتي نصه) ولكن اللورد أعد للأمر عدته ، واقنع به حكومته ، وحكومته وثقت من حكومة الآستانة بأنها تساعدها على ماتريد عمله في مصر من هذا الامر وغيره وان كان له علاقة بالدين ، لتعمله بنفوذ الخليفة الذي جربت بريطانية نفوذه الديني في الهند . وكانت الاسباب في مصر ممهدة بما أضعف قانون المطبوعات من حرية الجرائد . وما كان يخشى الا من الازهر ، وقد شاع في البلد ان الازهريين شرعوا في معارضة قوية لكن الحكومة تلافتها بسرعة وحزم . فقدر اللورد كتشنر على ما تمناه لورد كرومر ولم يجرأ على تنفيذه

مدح لورد كرومر في تقاريره مصلحة الاوقاف ولا سيما تقرير سنة ١٩٠٢ ووصف تقدمها وشهد بأنها تعطي جميع المستحقين كل بارة يستحقونها في وقتها ، وانهم لم يكونوا يصلون الى حقوقهم من قبل هذا النظام . وأشار في بعض التقارير الى انتقاد بعض الناس عليها وحاجتها الى الاصلاح . وقال في تقريره عن سنة ١٩٠٤ — وهي السنة التي عقد فيها « الاتفاق الانكليزي الفرنسي وصدق عليه غيرهما من الدول — ان دخل الديوان بلغ في هذه السنة ٣٠٣٠٠٠ ج م » ونفقاته ٢٢٠٦٠٠ ج م فالزيادة ٨٣٠٠٠ ج م وان مال الاوقاف الاحتياطي بلغ ١٧٥٠٠٠ ج م في آخر ديسمبر سنة ١٩٠٤ (قال) وفي سنة ١٨٩٦ كان العجز في حساب ديوان الاوقاف ٢٧٠٠٠ ومن ذلك الوقت انقلب العجز الى زيادة تتعاظم عاما فعاما حتى بلغ مجموع الزيادات في الثماني سنوات الاخيرة لا اقل من ٤٠٩٠٠٠ ج م (أي زهاء نصف مليون جنيه مصري) ثم قال في خاتمة الكلام عنه بعد ذكر تنظيم هراري باشا لحساباته ما نصه :

« ولم يجر في الاوقاف مايذكر غير ذلك ولا تزال ادارتها قاصرة جدا كما يعترف بذلك أولو الالباب من المسلمين . غير ان هذا الموضوع ليس من المواضيع التي يتعرض لها مشيرو الدولة البريطانية كثيراً » اه أي لتعلقه بأمر الدين

ثم قال في تقريره عن سنة ١٩٠٥ بعد التصريح بأن ديوان الاوقاف أصلح في السنوات الاخيرة بعض الاصلاح ما نصه : « واعتقادي ان الاصلاح الوحيد المرضي هو وضع هذا الديوان تحت ادارة ناظر مسئول يكون عضوا في مجلس النظار وتتيسر مراقبة أعماله كما تراقب سائر النظارات . أما الآن فانه تحت ادارة مدير عمومي مستقل عن مجلس النظار على الغالب » اه وانما قال : على الغالب ، لان حسابات الاوقاف تحت مراقبة نظارة المالية

﴿ صورة الأمر العالي بتحويل مصلحة الاوقاف الى نظارة ﴾

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على أمرنا الصادر في ١٣ يوليو سنة ١٨٩٥ بالتصديق على لائحة الاوقاف ومراعاة لرغبتنا في زيادة تحسين السير في جميع المصالح العمومية بحكومتنا وتمكين رعايانا من الاشتراك في مراقبة مرافق الامة طبقاً للقوانين النظامية

ونظراً للازدياد الذي طرأ على الاعمال القائم بها ديوان عموم الاوقاف واتساع نطاق الامور الموكولة اليه وتعددها فضلا عما هو منظور لها من النماء

ونظراً الى الفائدة التي تترتب حينئذ على جعل هذا الديوان نظارة يتولى شؤونها ناظر بعنوان « ناظر الاوقاف » يدخل في هيئة مجلس النظار ، ويعطى له توكيل منا بالصيغة المقررة من قديم الزمان ، ويدير الاعمال التي من اختصاص ديوان عموم الاوقاف بنفس المسؤولية الملقاة على عاتق سائر النظار في نظاراتهم ، بحيث يبقى لمصلحة الاوقاف استقلالها الذاتي ، وتكون ميزانيتها قائمة بنفسها على حدتها، ويكون على هذا الناظر السهر على حسن سير تلك المصلحة ، واستعمال أموالها في شؤون الامة الاسلامية، والمحافظة على الاحترام الواجب للشروط والقيود المدونة في الوقفيات طبقاً لاحكام الشرع الشريف ، مع الاهتمام باقامة الشعائر الدينية والاعمال الخيرية المتعلقة بها كما يجب ، والرجوع الى المحكمة الشرعية في جميع الاحوال التي نصت اللائحة الحالية على الرجوع فيها اليها

ولما كان من الضروري دقة البحث في التعديلات والتحسينات التي قد تدعو الحاجة الى ادخالها في نظام مصلحة الاوقاف ، ومن المفيد ان يضم الى الناظر المشار اليه مجلس يعاونه في هذه المهمة ويحل محل مجلس الاوقاف الاعلى الحالي بنفس الاختصاصات المخولة له ، بحيث تبلغ نتيجة هذا البحث الى مجلس النظار ، كما ان كل تعديل في النظام الحالي يجب تقديمه الى الجمعية التشريعية المناقشة فيه ثم عرضه علينا لصدوره في صيغة قانون —

فبعد موافقة رأي مجلس النظار امرنا بما هو آت

المادة الاولى ـ تنشأ نظارة للاوقاف يتولى ادارتها ناظر يعاونه وكيل نظارة وتحل محل ديوان عموم الاوقاف

المادة الثانية — يتألف المجلس الاعلى من ناظر الاوقاف بصفة رئيس ومن

ان يكون رأي الجمعية التشريعية قطعيا نافذا فيما يعرض عليها من ميزانية نظارة الاوقاف وما يوضع له من اللوائح والنظام . وقد ايد اقتراحه بالبيان الذي صادف استحسان جمهور المسلمين - وانما قلت جمهور المسلمين لأنه يوجد في المسلمين كما يوجد في غيرهم من الشعوب من لا يبالي بالمصالح الدينية العامة ، ومن لا يبالي بالمصالح الدنيوية العامة ايضا ، ومن لا يعرف له رأي لانه إمّعة يتابع كل أحد في مجلسه ، وناهيك بمن يدهنون لأصحاب السلطة والنفوذ في كل شيء

ونشرت نبذة في جريدة المؤيد عزيت الى عالم من كبار العلماء تتضمن اقترحا آخر ربما كان اصدق معبر عن رأي الجمهور في هذا الامر لأني سمعت بعض الأذكياء يتحدثون به قبل نشر المؤيد له ويقولون ان هذا هو الذي يوده جميع المسلمين. وهاك نص تلك النبذة :

﴿ الرأي الاسلامي العام في مسألة الاوقاف ﴾

لعالم من كبار علماء المسلمين

عرف القراء رأي المؤيد الخاص في هذه المسألة المهمة . وقد كان همنا في هذه الايام مصروفا الى الوقوف على الرأي الاسلامي السائد في جميع الطبقات المفكرة من المسلمين فيها . فعلمنا بعد كثرة السؤال واكتشاف الآراء ان جمهور المسلمين لم تظهر لهم فائدة معقولة في هذا التغيير والتحويل في ادارة هذه المصلحة الاسلامية فكان هذا داعية الوسواس وسوء الظن ، وسرى فيهم اعتقاد أن هذا التغيير تمهيد لصرف أوقاف المسلمين في بعض الامور العمومية التي يجب الانفاق عليها من خزينة الحكومة أو من جميع طوائف الامة ، فيشارك المسلمين غيرهم من الطوائف في منفعة أوقافهم التي وقفها سلفهم لمصالحهم وشعائرهم الخاصة عبادة لله تعالى وتقربا اليه. ونحن نبرئ الحكومة وكذا المحتلون من ارادة ذلك أو الرضاء به . ونقترح على أولي الامر مولانا الخديو ورجال حكومته أن يجعلوا في نص لائحة الاوقاف الجديدة أو الامر العالي الذي يصدر في هذه المسألة مايزيل وسواس الامة وتطمئن به قلوبها وهو أن لا يصرف شيء من أموال الاوقاف في غير الشعائر الاسلامية والتعليم الاسلامي وسائر المصالح الخاصة بالمسلمين ، حتى يعلم الخاص والعام ان أوقاف المسلمين سالمة لهم كغيرهم من الطوائف التابعة للحكومة المحلية (محفوظ)

ثم صدر الامر العالي بالمشروع وفي مقدمته اشارة الى معنى هذا الاقتراح . وفيه من الضمان مايراه القراء وهذا نصه :

وقد كان سألنا بعض كبراء الانكليز هل تحويل مديرية الاوقاف الى نظارة جائز في الدين الاسلامي أم لا ؟ فكان مما قلناه في الجواب : اذا كان المراد من هذا التحويل تسمية المتولي لامور الاوقاف والمتصرف فيها « ناظرا » فهذه التسمية هي الموافقة لاصطلاح الشرع ، اذ الذي يعرف في كتب الفقه لفظ « ناظر الوقف » « ونظار الاوقاف » وأما لفظ « مدير الوقف » فلا يذكر فيها ، واذا كان المراد من هذا التحويل تغيير نظام ادارة الاوقاف وجعل الناظر المتولي لها تحت سيطرة اجنبية كما هو شأن نظار الحكومة المصرية غير مستقل بعمله فيكون له حكم آخر ... وذكرنا له ذلك الحكم بالاجمال وان التفصيل فيه يتوقف على معرفة ذلك التغيير ما هو

تعيين نظار الاوقاف وعزلهم من حقوق قضاة الشرع . وكان ناظر الاوقاف العمومية التي يديرها الديوان قبل هذا التحويل هو الخديو عباس حلمي باشا، وكان مدير الاوقاف وكيلا شرعيا عنه . والمفهوم من نص الامر العالي ان الامر في هذا بقي كما كان ، وان الناظر الجديد ناظر سياسي يكون وكيلا للناظر الشرعي ، فهو كما جعله ناظرا سياسيا يجعله وكيلا شرعيا عنه، لجميع تصرفاته الشرعيـة تكون له بصفة الوكالة عن الناظر الشرعي، والذي له بالاصالة وصفة النظارة هو ماعدا ذلك كالمشاركة في اعمال مجلس النظار

ومن هنا يظهر الفرق بين الناظر في الاستانة والناظر في مصر عند الفقهاء ، فالذي يولي النظار هناك هو صاحب السلطة الشرعية العليا هناك وهنا ، وهو الذي يولي شيخ الاسـلام وقاضي مصر ويأذن لشيخ الاسلام بتولية قضاة الشرع وعزلهم ، وهو الذي يولي خديو مصر نفسه فليس له من السلطة الشرعية الا ما اعطاه في فرمان توليته

وبقي من مباحث هذه المسألة أن الحكومة جعلت شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية عضوين في المجلس الاعلى لهذه النظارة ليطمئن المسلمون على كون أوقافهم لايتصرف فيها الا على وفق شرعهم وحسب مصالحهم ، وكون معاهد التعليم الديني تبقى مضمونة التقدم والارتقاء . ورضاء المعتمد الانكليزي بهذا مع عدم تعيين مستشار انكليزي لهذه النظارة مما يقصد به اقناع المسلمين بأن الانكليز لايريدون من هـذه النظارة شيئا ينافي مصلحة المسلمين المحضة .

وقد يقال هنا لم يجعل نصف أعضاء هذا المجلس من علماء الشرع ونصفه من علماء الادارة والنظام مع كون الترجيح في هذه الحالة بين النصفين يكون للناظر الذي هو من القسم الثاني وان لم يحضر من اعضائه الا واحد فقط ؟ واذا فرضنا الآن ان الشيخين ارتأيا في المجلس رأيا أو اقترحا اقتراحا مبنيا على جعل بعض الأعمال

شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ومن ثلاثة أعضاء آخرين يكون تعيينهم منا بناء على طلب مجلس النظار

فاذا حدث مانع لناظر الاوقاف تكون رئاسة المجلس الاعلى لوكيل نظارة الاوقاف واذا حدث مانع لواحد من العالمين المشار اليهما فيقوم مقامه عالم آخر يعينه مجلس النظار

وتكون مداولات المجلس صحيحة ان حضره اربعة من الاعضاء على الاقل

وعند انقسام الآراء يكون رأي الرئيس مرجحاً

المادة الثالثة - تكون ميزانية الاوقاف نافذة المفعول بمقتضى ارادة خديوية تصدر منا بناء على طلب نظارة الاوقاف وتصديق المجلس الاعلى وبعد اخذ رأي الجمعية التشريعية

ويقدم للجمعية التشريعية ايضا الحساب الختامي لكل سنة بعد انقضائها

المادة الرابعة - تلغى جميع النصوص المخالفة لأمرنا هذا وفي جميع النصوص الاخرى يكون اسم - ناظر الاوقاف - ونظارة الاوقاف - بدلا من مدير عموم الاوقاف - وديوان عموم الاوقاف

المادة الخامسة - على رئيس مجلس النظار تنفيذ أمرنا هذا. ويسري العمل به بمجرد نشره في الجريدة الرسمية

صدر بسراي القبة ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٣١ - نوفمبر سنة ١٩١٣ عباس حلمي

* *

هذا هو نص الأمر العالي الخديوي بجعل مصلحة الاوقاف نظارة. وخير ما فيه النص في مقدمته على صرف أموال هذه الاوقاف في مصالح المسلمين ومراعاة الاحكام الشرعية فيها . فان هذا النص يؤمن المسلمين من ضياع شيء من أوقافهم على غير مصالحهم اذا روعي والتزم . وبهذا تكون هذه المصلحة خيرا مما كانت عليه من هذا الوجه فان كثيرا من أهل العلم والدين ينتقدون تخصيص خمسة آلاف جنيه من أوقاف المسلمين لمدرسة الجامعة المصرية التي هي مدرسة دنيوية عامة ، لا تعاليمها اسلامية ولا معلموها ولا طلابها من المسلمين وحدهم . وقد صدر الامر العالي الخديوي بتعيين احمد حشمت باشا ناظر المعارف ناظرا للأوقاف وهو الذي اتفق على الثقة به الأمير والعميد ، وله في الامة ذكر حميد ، وههنا بحث شرعي مهم :

نظارة الاوقاف في نظر الشرع الاسلامي

لم نكتب في هذه المسألة شيئا قبل انتهائها اذ ليس من عادتنا الدخول في السياسة او الادارة المصرية العملية وانما نكتب ما نكتب في بعض المسائل لأجل العبرة والتاريخ.

والشركات والسمسرة ، وعني باصلاح مدرسة الزراعة ومدرسة الهندسة ومدرسة الصنائع التي كانت من قبل

واهتم بمدارس البنات كما اهتم بمدارس البنين فحول التعليم فيهما من الطريقة النظرية والمحفوظات اللسانية الى الطريقة العملية ، بتعليم كل ما تحتاج اليه ربات البيوت في ادارة بيوتهن ، وأنشأ مدرسة جديدة داخلية سميت مدرسة التدبير المنزلي يتعلم البنات فيها الدين والادب وحفظ الصحة والحساب وجميع أعمال البيوت من طبخ وغسل وكي ثياب وخياطة وتطريز وترقيع .

وحوّل التعليم عن اللغة الانكليزية الى اللغة العربية في التعليم الاول والثاني وبعض التعليم العالي ، وانشأ لجنة لاجل ترجمة الكتب بالعربية . وفتح ابواب الامل لمن يترجم الكتب التي تحتاج اليها المدارس بشراء النسخ الكثيرة منها . وشرع في طبع عدة كتب نفيسة من آثار علمائنا على نفقة دار الكتب الخديوية . وآخر ما عني به جعل تعليم اللغة العربية عمليا أيضاً لتكون اللغة ملكة في اللسان والقلم . وكان آخر ما أصدره من المنشورات في ذلك وهو :

﴿ المنشور الاول ﴾

وضع علماء العصور السابقة الشكل في اللغة العربية ليدل على هيئة النطق بالحروف الهجائية في صيغ الكلمات ، فهو من الاجزاء الضرورية في الكتابة العربية ، والمحافظة عليه من اقوى الاسباب في صحة اللغة ، ومن أعظم وسائل التسهيل على القارئين

وتركه يؤدي في كثير من الاحيان الى الخطأ أو الالتباس في نطق الالفاظ ، والى صعوبة القراءة . فمن الواجب استعماله في الكتب على العموم ، وفي كتب التعليم على الخصوص ، وفي كتب تعليم اللغة العربية على الاخص

ولكن كتب تعليم تلك اللغة المستعملة بالمدارس كثير منها خال من الشكل بالمرة والقليل منها مشكول شكلا غير واف بالحاجة

وبما ان الشكل من الاهمية بالمكانة العظمى ، وعليه المدار في انتشار صحيح اللغة بين الجمهور على العموم ، والمتعلمين على الخصوص ، رأت النظارة أن تلفت المؤلفين الى التدقيق في رعاية هذا الامر الاساسي فيما يؤلفونه من كتب التعليم ، ولا سيما فيما يختص منها بالمكاتب والمدارس وسائر معاهد التعليم التي تحت اشرافها

وتعلن النظارة انها من الآن فصاعدا لا تقبل من كتب تعليم اللغة العربية للمكاتب

مطابقا لحكم الشرع أو لمصلحة المعاهد الدينية وخالفهما فيه سائر الأعضاء وهم الاكثر فكيف يتحقق ما ذكرناه من حكمة تعيينهما وهما لا يرجح لهما رأي في المجلس الا اذا وافقهما الناظر وسائر الاعضاء ، وهؤلاء اذا خالفوا الشيخين نفذ رأيهم حتما ؟ لا أجد لهذا السؤال جوابا يؤيد الحكومة الا أن وجود الشيخين يضمن ما ذكر من موافقة الشرع والمصالح الاسلامية ببيانهما للمجلس ما عساه يخفى على سائر الاعضاء من الاحكام وحاجات المعاهد الدينية . ولا يخشى حينئذ أن يخالفهما سائر الاعضاء وكلهم من المسلمين الذين تجتهد الحكومة في جعلهم من أهل الاستقامة واستقلال الرأي .
والحق ان استقامة أعضاء المجلس الاعلى لهذه النظارة واستقلالهم وكفاءة الناظر هي التي عليها المدار في الاصلاح المطلوب ، فنسأل الله تعالى لهم التوفيق

﴿ الاصلاح في نظارة المعارف ﴾

(في عهد أحمد حشمت باشا)

ان المصريين الذين تعلموا في المدارس المصرية من أميرية وأهلية وأجنبية يعدون في هذا القطر بمئات الالوف ، وفيهم ألوف كثيرة يحملون شهادات التعليم الثانوي والتعليم العالي . ولكن الذين ينفعون البلاد بعلمهم قليلون جدا ، وأكثرهم كل على الامة ينفقون كثيرا ولا يربحون الا قليلا . ويندر أن يوجد فيهم من يقدر على الاستقلال بعمل يحصل به قوته ، فجمهور الفلاحين الاميين خير منهم وأنفع للبلاد لان مدار حياتها على عملهم، وأكثر ما يستخرجونه من خيرات الارض ينفقه المتعلمون في شهواتهم وزينتهم ولهوهم فيجعلون للاجانب الحظ الاوفر من هذه الاموال ، ثم ان حظ أكثر هؤلاء المتعلمين من الحياة المعنوية ليس أشرف ولا أرقى من حظهم من الحياة المادية بل ربما كان دونه.

ومن بحث عن أسباب ذلك يعثر في أول الطريق بالسبب الاول له وهو القصد من التعليم ، ذلك ان أكثر المتعلمين يقصدون من التعلم شهادة يكون لهم بها رزق مضمون من الحكومة . فهم لا يقصدون تهذيب أنفسهم وتكميلها بالفعل ولا الاستعانة على الاعمال الاستقلالية التي ترقي الامة . فاذا جاوز هذا السبب يلقاه وراءه السبب الثاني، وهو كون التعليم نظريا لا عمليا في الغالب . فمن تدبر هذين السببين يعرف قيمة ما شرع فيه حشمت باشا من الاصلاح العظيم بفتح أبواب التعليم العملي لعلوم اللسان وعلوم الحياة ، إذ أنشأ مدارس جديدة للزراعة والصناعة والتجارة وما يتعلق بها من علوم الاقتصاد والقوانين وفنون مسك الدفاتر والمحاسبة وأعمال المصارف (البنوك)

تاريخ الجهمية والمعتزلة (*)

(٨) أول من تكلم في القدر

اشتهر ان أول من احدث القول بالقدر (معبد الجهني) قال الذهبي في الميزان: هو تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة ، فكان اول من تكلم في القدر . قتله الحجاج صبراً لخروجه مع ابن الاشعث اه وكان أولا يجلس الي الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لما رأوا عمرو بن عبيد ينتحله

ويروى ان من اول تكلم في القدر (غيلان بن ابي غيلان الدمشقي) ويقال انه اخذ عن معبد ، ولا منافاة فالاولية نسبية ، يعني ان كلا منهما سبق وتقدم على كل من خاض في القدر بعدهما .

وغيلان هذا كان مولى عثمان بن عفان ، وكانت داره بدمشق في ربض باب الفراديس شرقي دمشق . وحكي ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كان لام غيلان على رأيه ، فكفّ عن ذلك حتى مات عمر، فلما مات سال غيلان في القدر سيل الماء ، وكان يفتي الناس لما حج مع هشام سنة (١٠٦) . قال الاوزاعي : قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام ابن عبد الملك ، فتكلم غيلان وكان رجلا مفوّها ، ثم اكثر الناس الوقيعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر ، واحفظوا هشام بن عبد الملك عليه ، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه

---

*) تابع لما نشر في ج ١١ م ١٦ ص ٨٣٩

الاولية ، والمدارس الابتدائية والثانوية ، الا ما كان مشكولا شكلا تاما · سواء كان مقدماً اليها لتقرره من جديد أم مطلوباً اعادة طبعة مما سبق لها تقريره

كما انها تفضل من الكتب المذكورة الخاصة بالمدارس العالية ما كان بالشكل التام

﴿ المنشور الثاني ﴾

ملخصه أن كل ما يقدم الى النظارة من المؤلفات التاريخية والجغرافية او يطلب منها اعادة طبعه يجب ان تضبط فيه الاعلام بالشكل التام ، وكذا كل كلمة يمكن ان يقع فيها الالتباس ·

﴿ المنشور الثالث ﴾

طريقة تحفيظ القطع المنتخبة باقراء القطع قبل تفسير ما فيها من المفردات اللغوية والاساليب الغريبة ، قلما تأتي بالفائدة المقصودة من استظهار المختارات الشعرية والنثرية « وهي التضلع من متن اللغة والتوسع في أساليب تراكيبها »

لذلك رأينا أن نلفت حضرات المعلمين الى ما يأتي

(١) أن يعد المعلم قبل الشروع في التحفيظ ـ ما تحتوي عليه القطعة من المفردات اللغوية ويكتبها مسلسلة بعضها تحت بعض على شكل عمودي ويكتب امام كل كلمة اللفظ الذي يفسرها

(٢) أن تكون كتابة الاسماء المطلوب تفسيرها على صيغة المفرد، واذا مست الحاجة تقرن بمثنياتها وجموعها · وأن تكون كتابة الافعال ايضا على صيغة الماضي ، واذا دعت الحال تصحب بالمضارع والامر ، وأن يضبط بالشكل ما يلزم من احرف الكلمة لصحة النطق بها

(٣) أن يكلف التلاميذ تفهم الكلمات وتفسيرها . واستظهار جميع ذلك . ويختبرهم فيه بالسؤال والمذاكرة

(٤) بعد التحقق من استثبات التلاميذ الكلمات وتفسيرها ، يقرأ معهم القطعة ويتفهم واياهم معانيها المرادة والاساليب الغريبة التي يظن غموضها على افهامهم، ليكون ذلك بمثابة تطبيق لاستعمال المفردات اللغوية في تراكيب القطعة ثم يكلفهم حفظ تلك القطعة

ويحسن اتباع هذه الطريقة في المطالعة المقصود بها فهم المعنى

ذلك اجدر لاستقرار اللغة في نفوسهم، وحضور مفرداتها وأساليب تراكيبها في اذهانهم ، فيجدون بعد ذلك ما يريدونه من مبانيها ومعانيها طوع مرادهم ، وعلى اطراف ألسنتهم وأسنة أقلامهم .   (للموضوع بقية)

(٢) ثور بن زيد المدني (٣) ثور بن يزيد الحمصي (٤) حسان بن عطية المحاربي (٥) الحسن بن ذكوان (٦) داود بن الحصين (٧) ذكريا بن اسحق (٨) سالم بن عجلان (٩) سلام بن عجلان (١٠) سلام بن مسكين (١١) سيف بن سليمان المكي (١٢) شبل بن عباد (١٣) شريك بن ابي نمر (١٤) صالح بن كيسان (١٥) عبد الله بن عمرو (١٦) عبد الله بن ابي لبيد (١٧) عبد الله بن ابي نجيح (١٨) عبد الاعلى بن عبد الاعلى (١٩) عبد الرحمن بن اسحق المدني (٢٠) عبد الوارث بن سعيد الثوري (٢١) عطاء بن ابي ميمونة (٢٢) العلاء ابن الحارث (٢٣) عمرو بن ابي زائدة (٢٤) عمران بن مسلم القصير (٢٥) عمير بن هانئ (٢٦) عوف الاعرابي (٢٧) كهمس بن المنهال (٢٨) محمد ابن سواء البصري (٢٩) هرون بن موسى الاعور النحوي (٣٠) هشام الدستوائي (٣١) وهب بن منبه (٣٢) يحيى بن حمزة الحضرمي

قال السيوطي: هؤلاء رموا بالقدر، وكلهم ممن روى له الشيخان أو احدهما إه وقال ابن تيمية: في هؤلاء — يعني القدرية — خلق كثير من العلماء والعباد، كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم. وقال الامام احمد: لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا اكثر اهل البصرة، قال ابن تيمية: وهذا لأن مسألة خلق افعال العباد وارادة الكائنات مسألة مشكلة إه

* *

(١٠) بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

كما ان اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهومه لغة واصطلاحا ووجودا، فان الفِرَق التي تنوع

(٩) رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما

من المقرر في الاصول ان ائمة الرواية والأثر لم يتجافوا الرواية عن المبدّعين ، فقد تحملوا عن الشيعة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم. ومع تصلب الشيخين في الرواة وتحرّيهما ، لم يريا مانعا من الرواية عن أعلام من رمي ببدعة ، انتجاعا للعلم واستقاء للحكمة من مناهلها . وقد سبر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اسماء من رمي بذلك ممن خرج له البخاري. وسرد الحافظ السيوطي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) منهم من خرج له الشيخان او احدهما . واما من رمي بذلك ممن روى لهم غير الشيخين فقد تكفلت به كتب الرجال . ومن اشهرها الآن (نقد الرجال) للحافظ الذهبي

ولما كان بحثنا في الجهمية والمعتزلة رأيت مما يتممه ايراد من سُمّي من رجالهما في الصحيحين ليعلم بذلك تسامح المحدثين في الاخذ عمن رمي ببدعة — اذا كان ثقة صدوقا — وفي تلقي السنة منه طرحا للتعصب ، واعترافا بقدر ذوي الفضل

(١) (بشر بن السري) قال السيوطي : رمي برأي جهم — وهو نفي صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن — وقال الذهبي : حديثه في الكتب الستة ، روى عنه الامام أحمد ، وقال كان متقنا للحديث عجبا . وقد زعم الذهبي انه رجع عن التجهم ، لكن يبطله تعصب الحميدي عليه ، وقوله : جهمي لا يحل ان يكتب عنه ، فمع كونه جهميا روى عنه الائمة المشاهير ، ولم يحفلوا بقول الحميدي ولا غيره فيه

المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه : هذا ما احتج به الغزالي . وعجيب من مثله ان يعد هذا دليلا على تأثيمهم ! واي مناسبة بين الدعوى والدليل ؟ على ان دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي ائمة الحديث عن كثير منهم، وحمل السنن النبوية عنهم ، وجعلهم في الآثار حجة بينهم وبين ربهم ، وقد سبق لنا عدة ممن روى لهم الشيخان من الجهمية والمعتزلة والقدرية . وبقي ممن رويا لهم من الاباضية والمرجئة والشيعة عدد عديد كما تراه في مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر والتدريب شرح التقريب للسيوطي وميزان الاعتدال للذهبي . وقدمنا ما قاله الامام أحمد رحمه الله ورضي عنه : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم (ثم قال) لكن من كان داعية لم يخرجوا له ولهذا لم يخرج اصحاب الصحيح لمن كان داعية إه

وقد اشتهر هذا (اعني أن من كان داعية الى بدعته لم يخرجوا له) مع ان العراقيّ اعترض ذلك بان الشيخين احتجا بالدعاة ،فاحتج البخاري بعمران بن حطان الخارجي ، واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني ، وكان داعية الى الارجاء ، فانى يستقيم مع ذلك دعوى هجران السلف لهم ، وقطع الصحبة معهم ، وهم قد حملوا عنهم من السنة ما لم يوجد عند غيرهم ، واصبح مرويّهم حجة دامغة ابد الآباد ؟ . نعم كان بعض السلف سلق بعض متقدمي الجهمية والقدرية بألسنة حداد ، ورموهم بداهم برآء منه ، وكان ذلك ايام ضعفهم وقلتهم ، اما وقد انتشر مذهبهم بعد ،ودالت

اجتهادها في مسائل الكلام ، ربما تربو على مجتهدي الفروع ، وكيف لا تكون من المجدين وهي تستدل وتحكم ، وتبرهن وتقضي ، وتجادل خصومها بمآخذها ، وترى ان ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يعقد على سواه ، ولا يدان الحق تعالى بغيره ؟

وجليّ ان ما يبعث على بذل الجهد في الفروع ، هو نظير ما يبعث عليه في الاصول أو اعظم ، فان مسألة الرؤية وخلق الاعمال وخلق القرآن وارادة الكائنات ، لما تشابهت الآيات والاخبار فيها ، ذهب كل فريق الى ما رآه اوفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأليق بعظمة الله سبحانه وثبات دينه ، فكانوا لذلك مجتهدين ، وفي اجتهادهم مأجورين ، وان كانوا في القرب من الحق متفاوتين

نعم لا يمكن ان يقال في مسائل الاصول ان كل مجتهد فيها مصيب ، وان الحق فيها متعدد ، كما قاله الاكثرون في غيرها من مسائل الفروع المجتهد فيها ، وذلك لان مسائل الاصول امور ذاتية لا تختلف بالاضافة ، ولا تحتمل اجتهادين يمكن ان يكون الامر على هذا أو ذاك ، بل لابد من كونه على احدهما البتة ، والامور الذاتية لا تتبع الاعتقاد ، بل الاعتقاد تتبعها ، فلذلك كان المصيب فيها واحدا ، والحق منها واحداً ، والمخطئ معذوراً غير آثم ، لأنه بذل وسعه ، واستنفد طاقته ، وما يراه غيره نصا يراه هو غير نص ، فالحقيقة عند احدهما مجاز عند الآخر ، وبالعكس .

وقد ذهب الغزالي الى ان الآثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الاصول . وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم ، وقطع الصحبة معهم ، وتشديد الانكار عليهم ، مع ترك التشديد على

إلا انه ليس على باذل جهده ملام ، والسلام

وقد حكى السبكي في طبقاته عن ابيه انه وقف لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة) افتتح بذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ظنا منه انه منهم على عقيدتهم (قال السبكي) وهذا نهاية في التعصب، فانما ينسب الى المرء من مشى على منواله إه وجلي ان الذي اوصلهم الى عد الصحابة منهم ، هو الشغف بمذهبهم ، والاعتقاد بأنه الحق والصواب . ولا غرو فان الولع بمذهب يحاول ان يرد الكتاب والسنة وخيار الناس اليه ، بيد ان من هؤلاء مجتهدين ، ومنهم مقلدون ، وبينهما بون عظيم ، فان المجتهدين يؤثرون مذهبهم لما يرشدهم الدليل اليه ، فهم يستدلون ثم يعتقدون ، واما المقلدون فهم يؤثرون مذهبهم حبا او عصبية ، فيعتقدون ثم يستدلون لما يعتقدون ، فان رأوا خلافه اعرضوا عنه : « فما أضيع البرهان عند المقلد »

قال الامام أحمد بن المختار الرازي في مقدمة كتابه (حجج القرآن) لما استخرج منه حجج كل طائفة ما مثاله : وما من فرقة الا ولها حجة من الكتاب ، وما من طائفة الا وفيها علماء ، نحارير فضلاء ، لهم في عقائدهم مصنفات ، وفي قواعدهم مؤلفات ، وكل منهم يؤول دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه ، وما منهم من أحد الا ويعتقد انه هو المحق السعيد ، وان مخالفه لفي ضلال بعيد « كل حزب بما لديهم فرحون » (قال) وليس قصدنا بيان مقولات المتكلمين ، من المتأخرين والمتقدمين ، ولكن القصد ان نذكر جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب ، ثم نذكر حجج الحديث ، لكل قوم من القديم والحديث ، لكيلا يعجل

الدولة لهم ، ودخل فيه قوم من العلماء والعباد ، فلم يسع من عاصرهم من ائمة الحديث الا التحمل عنهم وانصافهم ، كما رأيت في عبارة الامام احمد المتقدمة

فتبين مما ذكرناه ان ماعول عليه الغزاليّ في المستصفى لا يصح دليلا ولا شبهة مع ماعرفت من تخريج الشيخين عنهم ، بله غيرهما ، ممن نزل شرطه في تخريجه عن شرطهما ، كأصحاب السنن والمسانيد والمعاجم ، فان هذه الكتب ملأى بالمبدّعين من الفرق كلها ، كما يعرفه من سبر طبقات الرجال ، ورأى رموز من خرج لهم من الرواة المشاهير

وبالجملة فكون هذه الفرق مجتهدة لها ماللمجتهدين، امر لا يرتاب فيه منصف ، والمجتهد معذور بل مأجور وان اخطأ ، واذا انتفى الاثم عن المجتهد فاني يصح نبزه بالالقاب السوءى والحفيظة عليه ؟وهل فرّق الائمة وجعلها شيعا واذهب ريحها الا هذا التنابز والإزراء المعيب ، مع مايجمع الكل من اخوة الاسلام ؟

ولقد انصف العلامة المقبلي في قوله في بحث الكلام مع المعتزلة من كتابه العلم الشامخ ما مثاله : اني لست بمعتزلي ولا اشعري ، ولا أرضى بغير الانتساب الى الاسلام ، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، واعدّ الجميع اخوانا ، واحسبهم على الحق اعوانا . انتهى

ومن طالع كتاب (حجج القرآن) للامام احمد الرازي الحنفي رحمه الله ، ورأى تمسك كل فرقة من فرق الاسلام بآيات واخبار ذهب بها اجتهادها الى انها نصوص أو ظواهر فيما تذهب اليه ، عذرها ورحمها ، وعلم أنها لم تكل جزافا ، وانما وزنت الامر بمعيار ما ادى اليه النظر ، وتوخت الحق جهدها . نعم ليس كل من يتوخى الحق يصيبه ،

يخطىء فيما يتأوله من القرآن ، ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوع عن هذه الأمة ، والكفر لا يكون الا بعد البيان (قال) والائمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة ، ويقولون: القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم امروا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لانهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا الناس، فقتلوا لاجل الفساد في الارض ، وحفظا لدين الناس ان يضلوهم إه

هذا ما حكاه الامام ابن تيمية في شبهة من امر بقتلهم ، وقد حكى الشبهتين بصيغة التمريض ، ليشير الى ان ما زعموه دليلا ليس بدليل ولا شبهة ، فان سفك دم المعصوم انما يكون بامر قاطع ، قد نص عليه نصا لا احتمال فيه ولا اشتباه اذ مثله يكون من المحكمات الواضحات ، والاحكام الجليات ، لا مما تتجاذبه الآراء ، وتترادّه الاقوال ، لانه لا اعظم بعد الشرك من سفك دم المعصوم ، وكل من اتى بالشهادتين فقد عصم دمه الا بحقه المنصوص عليه ، والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة لا حاجة الى ايرادها ، وكلها متفقه على ان كل من اظهر الاسلام فقد عصم دمه وماله ، وإن كان يخفي جحوداً أو تعطيلا كالمنافقين ، لان لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر

اذا كان هذا الحكم في العصمة يعم المنافقين ، فكيف لا يتناول من لا يشك في ايمانه ، ويبذل وسعه لحفظ العقيدة ؟ فانى يستحل دمه لمجرد انه تأول بابا من ابواب العلم ، خالف فيه رأي غيره ، مع انه لم يجحد من الدين شيئا ؟

طاعن بطعنه في فرقة ، ولا يغلو قادح بقدحه في طائفة

وكتابه هذا بديع جدا، رتبه على ثلاثين بابا ، في كل باب فصول جمة، وقال رحمه الله في خاتمته ماصورته : هذا آخر ما اوردنا من حجج القرآن ، لجميع اهل الملل والاديان ، وهي (بمجموعها حجة) على اصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل، وينسبون مخالفيهم الى التعطيل(وحجة ايضا) على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل ، والتخطئة والتجهيل ، (وحجة ايضا) على من ينكر النظر في كتب الاصول ، أو يقول فيها بالمنقول دون المعقول (وحجة ايضا) على من يكفر أهل القبلة ، أو يميز طائفة بالقلة ، أو يخرجهم ببدعة عن الملة (وحجة ايضا) على من يجزم على مجتهد واحد بالاصابة ، أو يعجل في تضليل فرقة وعصابة .(وحجة أيضا) على العلماء القاصرين أيضا في العربية ، الغالين في الجدل والعصبية إه

* *

(١١) شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية

لما دالت لكل منهم الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

قدمنا ان شيوخ الرواية ، وأعلام الأثر ، كانوا يغرون الامراء بمخالفيهم ، لما يذيعونه من تكفيرهم وزندقتهم ، وتم لهم الامر في مثل غيلان والجعد ومحمد بن سعيد المصلوب وامثالهم ، — كما حكيناه قبل .

قال الامام ابن تيمية في بعض فتاويه :ان السلف الذين كفروا الجهمية، قالوا يستتابون فان تابوا والا قتلوا (قال ابن تيمية)لكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقا ، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب ، فانه لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر ، اذ كثير من الناس

السابلة بالقتل والنهب واخلال الأمن ، فالعموم هو في كل من اتصف بذلك ، في أي زمان ومكان ، فمن أين يشمل عموم الآية من كان مؤمنا قانتا محافظاً على شعائر دينه ، متأولا في ابواب من العلم ماتتسع له اللغة ، ولا يأباه اللسان ، وهو لم يرِدْ من لفظ الآية لامنطوقا ولامفهوما ، ولم تنزل في مثله . وفي الحقيقة هذا جليٌّ لايحتاج الى ان ينبه على مثله ، لان هذه الفرق المتأولة مؤمنة موحدة مطيعة لله ورسوله ، ليست محاربة لله ورسوله ، ولا محادة لهما ، ولا ساعية في الارض بالفساد قتلا ونهبا ، فمن المحال ان يدعى شمول الآية لها ، وهل يعم المؤمنين مانزل في الكافرين ؟ والقائل بذلك من السلف مخطئ في اجتهاده ، أو أنه لم يبذل الوسع فيه ، ولذلك خالف فيه الائمة المحققون واجمعوا على عدم تكفيرهم كما سيأتي مأثورا

وكأن الذي سبب لهم ما سبب من الاضطهاد ، هو ضعفهم في اول الامر وقلتهم ، ولذلك لما كثروا وقوي حزبهم ، وتمذهب لهم في عهدهم من كل ورع وتقي ، من هو قدوة وعدل رضيٌ ، لم ير مخالفوهم بداً من تحمل الحديث والعلم عنهم ، حرصا على الحكمة ان تضيع بموت اهلها ، كما قدمنا عن الامام احمد ، في اعتذاره عن الرواية عن القدرية ، مع انهم فرقة من الجهمية ـ هذا ما كان من امر الاثرية ، في اضطهاد الجهمية ـ

واما الجهمية (المعتزلة) فقد اعتذروا عن اضطهاد خصومهم ـ الاثرية ـ لما دالت لهم الدولة ، بما قدمناه من نص كتاب المأمون في المحنة المشهورة ، وبما اوضح بعضه ايضا خطيبهم (الجاحظ) فقد قال[1] :

(١) نقلا عما طبع له في حاشية الكامل للمبرد ج ٢ ص (١٣١) فما بعدها

ومن هذا كل ما ذكروه في قتل الزنديق ، فانه لا حجة فيه قاطعة ، ولا بينة ناصعة ، كما أوضحته في تعليقاتي على (الروضة الندية) للسيد صديق حسن خان ، والمدقق يرى انه لا يمكن ان يؤتى في مسألة قتل الزنديق ببرهان من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا من نص محكم ولا من ظاهرٍ ولا من آحاد لا صحيح ولا حسن ، لان الزنديق ان اظهر الاسلام واسر الإلحاد فحكمه كالمنافق ، وبالاجماع هو معصوم الدم . وان جهر بالكفر فلا يحكم عليه بالردة الا بعد ان تزاح كل علة ، ولا يبقى لمرتاب شبهة ، وهناك تجري عليه احكام المرتدين

وقد تقرر اجماعا ان الحدود تدرأ بالشبهات ، فمن عكس القضية ان يجلب الحدود بالشبهات ، والبحث يدريه حق الدراية من تطلب لكل فرع دليله من الكتاب او السنة ، ولم يعول الا عليهما

وبالجملة فدعوى كفر مثل هذه الفرق مردودة بما ذكرنا . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتابه « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ان الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، او الامتناع عن متابعته ، كما سنأثره عنه بعد مفصلا في بحث « حظر الائمة المحققين ، من رمي فرق المسلمين بالتكفير » فسقط دعوى هدر دمهم بالتكفير

واما دعوى استحلال دمهم بانهم من السعاة في الفساد في الارض ، فمردودة بان الآية لا تعم مثلهم قط وان جرينا على ان العبرة بعموم اللفظ ، لأن العموم في الآية انما هو فيما شابه الحالة التي نزلت فيها أعني فيمن كان محاربا لله ورسوله محادًّا لهما ، متظاهراً بالكفر بالدين ، ساعيا بافساد

حديث . قال ليس انا متكلم (ثم قال الجاحظ) وزعم[١] يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا ، فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقا ومحدثا . فقال له ابن ابي دؤاد: أليس قد كان الله يقدر ان يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وان يذهب بهذا القرآن و يأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال نعم . قال: فهل كان يجوز هذا في العلم ؟ وهل كان جائزاً ان يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره؟ قال : لا، وقال له روينا في تثبيت ما نقول الآثار، وتلونا عليك الآية من الكتاب، وأريناك الشاهد من العقول التي بها لزم الناس الفرائض، وبها يفصلون بين الحق والباطل ؛ فعارضنا انت الآن بواحدة من الثلاث ، فلم يكن ذلك عنده .

(ثم قال الجاحظ) وعبتم علينا إكفارنا إياكم، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث ، وقلتم تكفروننا على انكار شيء يحتمل التأويل ، ويثبت بالاحاديث؟ فقد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث ، وان لا تكفروا احدا خالفكم في شيء ، وانتم اسرع الناس الى اكفارنا ، والى عداوتنا والنصب لنا اه . كلام الجاحظ

فانظر الى حججهم وحجاجهم ، واعتذار الخليفة وقتئذ بالخوف على الاسلام من خصومهم ، تعلم انه بلغ عقدهم بمذهبهم مبلغا لا غاية وراءه من التيقن والتصلب ، مع ان كل ماذكروه لا يحل اضطهادهم لمخالفيهم ، اذ الرأي انما يدفع بالحجة والبرهان ، لا بقوة السلطة والسلطان .

واعجب ما جاء في كلام الجاحظ قوله « وعبتم علينا اكفارنا اياكم

(١) يعني الامام احمد ايضا

وبعد فنحن لم نكفر الا من اوسعناه حجة ، ولم نمتحن الا اهل ال
وليس كشف المتهم من التجسس ، ولا امتحان الظنين من هتك الا
ولو كان كل كشف هتكا ، وكل امتحان تجسسا ، لكان القاضي ا
الناس لستر ، واشد الناس كشفا لعورة ، (قال) والذين خالفوا في ال
انما ارادوا نفي التشبيه فغلطوا ، والذين انكروا أمر الميزان انما كر
ان تكون الاعمال اجساما واجراما غلاظا ، فان كانوا قد اصابوا فلا
عليهم ، وان كانوا قد اخطأوا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر ، و
وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه للخالق بالمخلوق ، فبين المذهبين
الفرق ، وقد قال صاحبكم [١] للخليفة المعتصم — يوم جمع الف
والمتكلمين والقضاة والمخاصين ، إعذاراً وانذارا — : امتحنتني و
تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتني من بين
هذه الأمة . قال المعتصم : وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك
يكن قد حبسك على تهمة ، لامضى الحكم فيك ، ولو لم يخفك على الا
ما عرض لك ، فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من ص
الاعتساف ، ولا من طريق كشف العورة ، اذا كانت حالك هذه ا
وسبيلك هذه السبيل .

(ثم قال الجاحظ) وكان آخر ما حج [٢] فيه ان احمد ابن ابي
قال له : أليس لا شيء الا قديم او حديث ؟ قال : نعم ، قال او ليس ال
شيئا ؟ قال نعم ، قال : أوليس لا قديم الا الله قال : نعم ، قال : فالقرآ

(١) يعني الامام أحمد رحمه الله يخاطب به الاثرية
(٢) يعني الامام احمد رحمه الله

طويلة ، ثم بانت براءته له او للواثق بعده ، فخلى سبيله ، وكان شاعرا ايضا ، فكان يهجوا حمد بن ابي دؤاد بقوله :

لقد اصبحت تنسب في إياد * بأن يكني ابوك ابا دُؤاد
فلو كان آسمه عمرو بن معدي * دعيت الى زبيد أو مراد
لئن افسدت بالتخويف عيشي * لما اصلحت عيشك في إياد
وان تك قد اصبت طريف مال * فبخلك باليسير من التلاد

هذا ما قصه الاصفهاني ، وبه يظهر مبلغ تعصب ابن ابي دؤاد في مذهبه ، حتى صار يستحل لاجله الوشاية والسعاية بالابرياء والاتقياء ، ولقد آذى بذلك نفسه فاصبح ممقوتا منسي الفضائل على كثرتهافيه ، حتى قال عنه الذهبي في الميزان : جهمي بغيض

وحكي السبكي في ترجمة محمد بن الحسن البحاث من كبار قضاة الشافعية : أن الصاحب بن عباد عرض عليه مرة القضاء ، على شرط انتحال مذهبه — يعني الاعتزال — فامتنع وقال : لا ابيع الدين بالدنيا : فتمثل له الصاحب بقول القائل :

فلا تجعلني للقضاة فريسة * فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة * وايديهم دون الشصوص شصوص (١)

= شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري اه وللامام ابن قتيبة كتاب في الرد على الشعوبية سماه (كتاب العرب) ظفرت بكراريس من أوله مخطوطة ، وقد نشرناها في مجلة المقتبس في الجزء (١١) من المجلد (٤)

(٢) جمع شص (بالكسر) حديدة عقفاء يصاد بها السمك (ويفتح) والشص اللص الحاذق اه قاموس

ـ الى قوله ـ : وانتم اسرع الناس الى اكفارنا » اذ يدل ان الشدة والعداء والحدة أصارت الفريقين الى استحلال ايقاع كل بالآخر ما يستطيعه من ضروب الايذاء بالقول والفعل ، حتى صار يخيل للمرء ان ذات هذه المذاهب من شأنها ان تملأ قلوب ذويها بغضا ونفارا من مخالفيها ، وانها منبت للإحن ، ومصدر للمحن والفتن . ولقد اثر هذا النبذ في اتباع الفريقين تأثيرا لم تحمد عقباه ، اذ لا تمحوه من انفس كل منهم كرور الايام ، ولا مرور الاعوام ، ما دام يقرأ في زبر كل فريق خلاف عقد الآخر ، والتشنيع عليه ، ولم ينج من هذه الحفائظ والشحناء الا من نفض غبار التقليد ، وأوى من الاجتهاد الى ركن شديد .

ولقد يعجب المرء من (احمد ابن ابي دؤاد) وله من وفرة العقل ، وكبر الفهم والنبل ، ما اصاره من افراد الرجال ، كما يدريه من قرأ اخباره في مثل تاريخ ابن خلكان ، ومع ذلك يغري الملوك بمن خالف مذهبه ، ويسعى لديهم بما يعجل نكالهم ، وقد اثر عنه من ذلك ما شوه وجه حياته ، وكسف شمس فضائله ، فقد بلغ به التعصب لمذهبه ما أصاره يؤذي من أهل مذهبه من يخالف بعض مسائل منه . ومن ذلك ما حكاه ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني في اخبار سعيد ابن حميد البغدادي الكاتب الشاعر المشهور ان اباه كان وجها من وجوه المعتزلة فخالف احمد بن ابي دؤاد في بعض مذهبه ، فاغري به المتعصم ، وقال إنه شعوبي [1] زنديق ، فحبسه مدة

(١) في الاساس : فلان شعوبي ومن الشعوبية ، وهم الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم فضلا على غيرهم : والشين مضمومة . وفي التاج : قال ابن منظور : وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب =

الاسلام وحرية العقيدة
وكتاب الدعوة الاسلامية

أرسل محمد سعدي بك مكاتب جريدة اقدام التركية في لندن مقالة الى جريدته في الآستانة اقتبسها عن فصل لمجلة (الشرق الادنى) الانكليزية نشرته بمناسبة صدور كتاب الاستاذ ارنولد الذي سماه « الدعوة الاسلامية The Preaching of Islam » ونحن نترجم هذه المقالة عن جريدة اقدام وهذا نصها :

« كان للكتاب الجديد الذي أصدره الاستاذ { ارنولد } وقع عظيم عند الراغبين في درس أحوال العالم الاسلامي . لانه بينما كانت الكتب التي سبق انتشارها بشأن الشريعة الاسلامية وصاحبها مملوءة بالاكاذيب والاغلاط اذا بكتاب الاستاذ { ارنولد } قد كشف النقاب عما فيها من البهتان بما امتاز به كتابه من التحقيق

وقد أبان لنا هذا الكتاب أحوال الاسلام منذ ظهر في أم القرى الى أن عم أقطار الدنيا فكان دينا عاما للناس أجمعين ، وان فيه من الفصول النافعة عن كيفية انتشار الاسلام بين العرب فالأتراك ما يصح أن يكون تاريخا لهذا الدين

وان الاستاذ ارنولد قد دحض بمتانته وبلاغته وحكمته تلك الفرية التي اخترعها بعض المسيحيين المتعصبين عن انتشار الاسلام بالسيف في بدء ظهوره حتى قال في رد ذلك : « ان الاسلام لم يستعن بالسيف بقدر ما استعانت النصرانية بالنار والمال »

ثم قال : « وان (خرافة السيف) هذه التي يذكرها المتعصبون من النصارى بحدة وتحمس ليس لها أصل في الحقيقية لان التقاليد التي جرى عليها الاسلام والحكمة العامة التي جاء بها القرآن دائرتان حول تعويد البشر السلام والصلاح . والاسلام دين من السهل نشره وقد أرشد محمد (صلى الله عليه وسلم) كل المسلمين الى ضرورة السعي لهذه الغاية بتعليمه اياهم أن يعلموا غيرهم مايعلمونه . وهذه الهداية النبوية قد عملت في نشر الاسلام مالا تعمله قوة السياسة والجيش . ونحن نرى الآن كيف أن الحكومات الاسلامية كلها أشرفت على الهلاك ومع ذلك كان الاقبال على الاسلام أعظم من الاقبال على أي دين آخر ، والداخلون فيه يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وهذا يظهر للباحث من النظر في أبسط الاحصائيات ، وفي هذه الامور مايدلنا على أس قطعي وهو أن الاسلام قام على أساس قوة حكمية معنوية لايحتاج معها الى قوة مادية لنشر دعوته

فأجابه البحاث بديهة بقوله :

سوى عصبة منهم تخص بعفة * ولله في حكم العموم خصوص

خصوصهم زان البلاد وانما * يزين خواتيم الملوك فصوص

وهذا ايضا مما يستنكر من مثل الصاحب ، وهو ما هو . ولقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : ليست تحضرني عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بغايات المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر ، الخ . ومع هـذا فهو يحول دون ذوي الكفاءة في القضاء الا بتقليدهم مذهبه ، ولكن لاعجب مادامت مسائل المذاهب صارت عند مقلديها عقائد، والمعتقد لا يرفع لسوي عقيدته رأسا، ولا يقيم لغيرها وزنا ، ولا يعير لمخالفه اذنا ، وبالله التوفيق

وقد اشار لضروب اضطهادهم ، وما آلت اليه عاقبة امرهم، الامام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، في خلال فتوى له بقوله : وقد اشتهر الامام احمد بمحنة هؤلاء الجهمية فانهم اظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه ، وان القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالي ، ودعوا الناس الى ذلك ، وعاقبوا من لم يجبهم اما بالقتل واما بقطع الرزق ، واما بالعزل عن الولاية ،واما بالحبس والضرب، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى اظهر الله به باطلهم، ونصر اهل الايمان والسنة عليهم، واذلهم بعد العز ، واخملهم بعد الشهرة، واشتهر عند خواص الامة وعوامها : ان القرآن كلام الله ، غير مخلوق، واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر اهـ وما كان اغنى الفئتين عن الغلوّ والفتون ، فانا لله وانا اليه راجعون

(لها بقية)

عن نقيصة الرهبانية وعن مهنة التبشير والرئاسة الدينية ، أما الدعوة الى الاسلام فهي واجبة على كل مسلم لا في مقابل أجرة من متاع الدنيا كما هي الحال في النصرانية بل في سبيل الله ولله ، والفرق بين الدعوتين ظاهر

« وان الدعوتين تظهران بما لهما من الاثر في أفريقية ، فالدعوة الى الاسلام يقوم بها هناك التجار المسلمون وان لهؤلاء التجار فضلا حقيقيا في القضاء على تجارة الرقيق كما أن لهم الهمة العالية في نشر الاسلام . وانما يقاومون عادة الرق لانه يؤلمهم أن يباع اخوانهم المسلمون كما تباع السلع . ويرون هذا منافيا لرابطة الإخاء ، ولذلك كان النجاح الحقيقي في منع الرق من أفريقية من نصيب الاسلام

« وكذلك اذا أردنا أن نقول الحقيقة بشرف وانصاف فلا بد من القول بأن الذي علم الزنوج مزية النظافة والقناعة والاخلاق الانسانية هو الاسلام أيضا ، ولهذا كان الاسلام جديرا بما كان له فى الاقطار الافريقية من الحب في القلوب والاقبال عليه من الجميع والنظر اليه بأنه معجزة خارقة »

ومن الناس من قال ان الاسلام دين لا تدخل فيه الا الامم التي في الشرق المتوسط وذلك لما جاء في هذا الدين من الاحكام القاسية التي تنافي مبادئ المدنية فكان جواب الاستاذ ارنولد على هذه التهمة بما يأتي :

« ان في هذا القول مغالطة وهو مخالف للواقع لان الاسلام قد انتشر في الصين وبلاد المغول والتتر وفي الامم الكثيرة في شرق آسيا وفي وسطها وهؤلاء يعدون بالملايين وفي كل يوم تنضم اليوم ألوف جديدة من الناس » اهـ

ذلك هو كتاب المستر أرنولد الذي نشره حديثاً فأبان به أسباب ارتقاء الاسلام وتقدمه ذاكرا ذلك بلسان نزيه وانصاف عال

ويقول الكاتب الفاضل المستر « ويليم مكسويل » الذي صدق على هذه المسائل : « ان الحالة السيئة التي وصل اليها العالم الاسلامي لا عار فيها على الاسلام مطلقا . والسبب الحقيقي لتدني المسلمين هو أن الاتراك المهيمنين على الاسلام في هذه الايام بينما كان يجب عليهم أن يأخذوا بروح الهداية الاسلامية والمعاني القرآنية تركوا كل هذا وانصرفوا الى الالفاظ والاشكال وصاروا يهربون من الارتقاء والتجدد والحياة في صغير أمورهم وكبيرها »

وان الذي يقرأ كتاب الاستاذ أرنولد باهتمام خاص يجد فيه الاسباب التي تنعش الاسلام وتبعث فيه روح الحياة » انتهى المؤيد

« ومما يدعو الى الحيرة والعجب أن كل انتصار كان للعرب في حروبهم وكل استيلاء كان لهم في فتوحهم لم يكن شيء منه في شكل « حرب دينية » الا أن هذا العمل العظيم الذي قام به العرب لم يكن مما يسر أولئك المسيحيين فصوروه بالصورة التي شاؤها له وتوجهت أنظار كل مؤرخيهم الى أن الاسلام انتشر بقوة السيف، أما الوسائل الاخرى التي كانت للاسلام في انتشاره فكانت مجهولة عند أولئك المؤرخين

« الحقيقة ان الجيش العربي لم يطرق ديار فارس وبيزانس ليغير دين سكانها، بل ان مسألة الدين كانت آخر شيء يخطر على بال الجيش العربي

« الباعث الحقيقي على تلك النهضة العربية العامة هو أن هذه الامة الشجاعة النشيطة قد أحست وهي في البادية بحاجتها الى التبسط في الثروة والعمران فدفعتها هذه الحاجة الى ممالك جيرانها وكان اندفاعها عاما ومنتظما وكانت حركته مسيرة بالتأثير الطبيعي الذي لتلك الحكومات الملهمة في المدينة المنورة، وهذه الحكومة أسست بحكمة محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الذين أخذوا الهداية عنه فعاش بها الاسلام الى اليوم وسيبقى بها دينا رسميا عاما عائشا الى الابد، ونحن اذا نظرنا في الامر نظرة انصاف يتبين لنا ان انتشار الدين الاسلامي لم تساعد عليه نهضة ذلك الجيش العربي الفاتح الظافر بل الذي ساعد على انتشاره الحالة النفسية التي كان فيها سكان البلاد المفتوحة

« وان نصارى الشرق بعد الفتح العربي كانوا متمتعين بحرية الدين الحقيقية الزاهرة الى حد ان النصارى الشرقيين كانوا يرجحون العيشة في الادارة الاسلامية لما رأوا من أن الحرية المذهبية عند بني دينهم في الغرب كانت لفظا مجرداً عن معناها الصحيح

« الدين الاسلامي دين منطقي فطري منزه كل التنزه عن الاساطير والخرافات، وهو قائم على الاحكام الصادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض ولهذا صار الاسلام مقبولا في كل الاقطار »

***

ومن الناس من يزعم أن الاسلام ليس دينا اجتماعيا ولكن الاستاذ ارنولد يدحض هذا الزعم بقوله: « الاسلام دين عملي جاء بالهداية الحكيمة لكثير من الفلاسفة والشعراء والعلماء الالهيين والحكماء. وقد مر على هذه الارض زمان كادت تختنق فيه بظلمة الجهل فأدركها الاسلام بمدارسه الجامعة، ومن ذا الذي ينكر الفوائد العظمى التي نالتها أوربا من هذه المدارس الاسلامية ومما بعثته الينا من العلوم والفلسفة ؟

« واذا شاء القارئ دليلا أعظم من هذا نقول له حسب الاسلام أن يكون منزها

المرأة قبل الاسلام وبعده

مقال في مسألة تعدد الزوجات نشره بالانكليزية في اوروبة السيد أمير علي العلامة العصري الشهير بدفاعه عن الاسلام وترجمه بالعربية أحمد افندي نجيب ونشره في المؤيد . وهذه ترجمته :

١

في غضون التطورات الاجتماعية الاولى كان تعدد الزوجات أمرا لامناص للعالم منه البتة . ذلك لان هروب القبائل التي ما كانت تهدأ ثائرتها قط . والنتائج الطبيعية اللازمة لذلك من نقص عدد الذكور وزيادة عدد النساء أوجدت بالضرورة تلك العادة التي تعتبر بحق في أيامنا هذه احدى الآفات التي لابد للعالم من التخلص منها

فاذا تصفحنا تاريخ الامم الشرقية في تلك العصور الخوالي وجدنا تعدد الزوجات عادة مألوفة ومتبعة ولقد زادها ثباتاً ورسوخا بين الناس حينئذ ما كان من أمر ملوك ذلك الوقت الذين كانوا يزعمون انهم يحكمون بوحي من عند الله فانهم بما كان لهم من هذه السيطرة الكبرى قد صبغوا تلك العادة بصبغة رسمية وذلك بتزوجهم هم أنفسهم بأكثر من امرأة واحدة . فاذا تتبعنا تاريخ الهندوس مثلا وجدنا أن تعدد الزوجات عندهم عادة متبعة من قديم الزمان شأنهم في ذلك شأن البابليين والاشوريين والفرس فانهم هم أيضاً لم يكن عندهم حد يقفون عنده في الزواج ، واذا تتبعنا تاريخ الامم والشعوب الاخرى وجدنا أن الطبقة العليا من البراهمة حتى في هذه الازمنة الحديثة تتزوج بما تشاء من النساء من غير حرج .

وهكذا كان شأن الاسرائيليين قبل موسى وبعده فان شريعة ذلك النبي لم تتصادم مع تلك العادة بل تمشت معها في طريقها القديم . نعم ان تلمود بيت المقدس (كتاب تقاليد اليهود) نص على أنه لا يحق لرجل أن يتزوج بأكثر من العدد الذي في استطاعته أن يعول أمره ، وأن (الربانيين) قرروا فيما بينهم أن الرجل لاينبغي أن يتزوج باكثر من أربع نساء ، ولكننا نرى (القرايين) منهم لايذهبون مذهبهم ولا يسلمون بتحديد ما

أما الفرس فقد كان دينهم حينئذ يعد من يتزوج بأكثر من امرأة بحسن الجزاء. وأما الفينيقيون فقد انحط الزواج عندهم الى درجة الفحش بمعنى ان الرجل أصبح يعقر ما شاء من النساء بغير حرج . وأما شعوب تراسيا وليديا وبلاسجيا ـ تلك

(المنار) : ان (أرنولد) من فضلاء الانكليز المستقلين في رأيهم، المنصفين في حكمهم، الذين قلنا أن عددهم في الاوربيين لايحصى، وهو قد عاشر المسلمين في الهند واطلع على كثير من كتبهم ، فلم يأخذ علمه بالاسلام عن دعاة النصرانية ولا عن رجال السياسة الذين قلنا فيهم إنهم يغشون أهل الانصاف من أقوامهم بما يشوهون به الاسلام . وكتابه هذا ليس جديدا بل ألفه منذ أعوام ، وربما نشر بالطبع نشرا جديدا

كتب الرجل كتابه على بصيرة وعلم يزينهما الانصاف فقل غلطه في اخباره وفي آرائه أيضا . فمما يخطئه به كل مسلم قوله — بحسن النية وقصد المدح — « ان احكام الاسلام صادرة من أرباب العقول السليمة بدون غرض » على أنها عبارة يمكن تفسيرها تفسيرا صحيحا بان الاحكام الاسلامية المستنبطة من الكتاب والسنة انما استنبطها علماء عقلاء اتبعوا فيها الحق والمصلحة لا الأغراض والاهواء . وانما نخطئ مايتبادر الى الافهام من ان مراده بما ذكر أصل الاسلام من كتابه وسنة الداعي اليه صلى الله عليه وسلم ، وان ذلك كان نتاج عدة عقول سليمة . ومن لم يؤمن بالوحي لامندوحة له عن مثل هذا الرأي . وكذلك قوله « ان مسالة الدين كانت آخر ما يخطر في بال الجيش العربي الفاتح » والصواب عندنا ان هداية الناس الى الاسلام كانت أول مايخطر في بال اولئك الفاتحين ولكن بدون اكراه ولا اجبار ، فكانوا يعتقدون ان فتحهم للبلاد وحماية حرية الدين فيها مع العدل والمساواة هو الذي يظهر لاهلها المستعدين للتمييز بطلان ماقلدوا فيه سلفهم ، وحقيقة ما عليه الفاتحون لبلادهم ، فكان لدخول الناس في الاسلام افواجا سببان : (احدهما) ما كانت عليه الشعوب التي فتح العرب بلادها من الخرافات والتقاليد الباطلة (وثانيهما) مارأوه من فضائل العرب وعدلهم وحريتهم وحقيقة دينهم . فكانت حالهم النفسية أعظم داع الى دينهم الحق ، واقتصر هو على السبب الاول .

نعم انه أصاب في قوله : إن فتوحاتهم ما كانت دينية بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون . وهو التنكيل بالمخالف او يرجع عن دينه فهذا المعنى ما خطر في بال أحد من فاتحي العرب في وقت ما ولا يبيحه الاسلام . وأما قوله ان الاسلام لايحتاج الى دعاة ومبشرين فهو انما يصح اذا أقامه أهله ، اما وقد صار جمهور أهله منحرفين عن هدايته العليا بالفعل ، ودعاة النصرانية يهاجمونه بالتضليل والافك ، فقد وجب ان يتربى ويتعلم طائفة من المسلمين كيف يدعون اليه ببيان حقيقته ، وكيف يدافعون عنه باظهار أباطيل خصومه .

واما قول (وليم مكسويل) ان سبب ضعف المسلمين هو ترك الترك لروح هداية القرآن ، فهو وان أقره مكاتب اقدام وادارة تحريرها من الترك يحتاج الى شرح طويل .

قيمة الزواج مطلقا وان لم يحرمه أو يأمر بمنعه على أي شكل كان

على أن تعدد الزوجات بقي بالرغم من ذلك كله جاريا بمجراه الاصلي في البلاد الرومانية الى ان جاء جوستنيان فوضع القوانين لابطال هذا التعدد ، ولكن هذا الابطال الذي جاءت به تلك القوانين لم يؤثر تأثيره المطلوب وبقي تعدد الزوجات معمولا به ومتبعاً الى ان استنكرته الهيئة الاجتماعية الحديثة فأبطلته

واذا أردنا أن لا نتوسع في ذكر مانصته تلك القوانين في معاملة النساء اللواتي سبق زواجهن برجل واحد نقول: انها خصت المرأة الاولى بكل المميزات ، وأبقت النساء الاخرى في أشد حالات التعاسة والشقاء ، وزد على هذا ان أولادهن يحرمون من ارث أبيهم ومن كل حق اجتماعي آخر

وانه يجمل بنا في هذا المقام أن نلاحظ ان تعدد الزوجات بالصورة التي ذكرناها آنفا ما كان خاصاً بالطبقة العليا من الشعب في(رومية) بل تعداها الى كل الطبقات ولم يستثن من ذلك طبقة رجال الدين الذين نسوا أقسام العزوبة التي أقسموها وأصبح الرجل منهم يجمع في بيته أكثر من امرأة شرعيات كن أو غير شرعيات

وان التاريخ ليثبت أن تعدد الزوجات ما كان مستنكرا الى وقت قريب جداً ولقد ذكر (سنت اوغستين) نفسه ان ليس في تعدد الزوجات من اثم أو عيب مطلقا وقال انه مادامت شريعة البلاد تبيح تعدد الزوجات فلا شيء في ذلك بتاتا : وقال (هلم) ان المصلحين الالمانيين أقروا على صلاحية الجمع بين امرأتين أو ثلاث اذا كانت المرأة عاقراً أو اذا كان فيها مايماثل ذلك من النقص، وقال بعض أصحاب الرأي من الاوربيين أيضا انه لاعيب مطلقا في تعدد الزوجات وان المسيح نفسه لم يصرح قط بابطال هذه العادة : ولقد استطرد هؤلاء المفكرون الى القول بان وحدة الزوجية المنتشرة في اوروبا الآن هي عادة من عوائد الالمانيين أو الرومانيين الاغريق، وهذا قول مخالف للواقع والتاريخ . ذلك لان هؤلاء القوم استدلوا على صحة قولهم بشهادة اثنين من كتاب الرومان ولكن هذه الشهادة ـ على كونها لم تثبت ـ لم يعززها كتاب آخرون . فان هذين الكاتبين مشهوران بطمس معالم الحقائق اتباعا لأهوائها . والواقع اننا اذا تمشينا مع (تاسيتش)ـ وهو أحد هذين الكاتبين ـ فيما زعمه عن وحدة الزوجية بين الالمان ـ فاننا نرى أنفسنا امام حقيقة تاريخية تفسد عليه زعمه ، وهذه الحقيقة ذكرها أغلب المؤرخين وهي وجود أثر من آثار تعدد الزوجات القديمة في الطبقة العليا من الالمان في القرن التاسع عشر .

الشعوب التي قطنت في أماكن شتى من أوروبا وغرب أسيا ـ فقد باتت عادة تعدد الزوجات عندهم حدا يقصر عنه الوصف

هذا ما كان من تعدد الزوجات في الشرق القديم. وأما الغرب فقد كانت منزلة المرأة في (أثينا) مهد المدنية والحضارة منه كمنزلة المتاع تعرض في الاسواق وتنقل من يد الى يد، وبالجملة يحق عليها كل ما كان يحق على أثاث البيت الصرف. كان الاثينيون فوق ذلك يعتبرون المرأة شيطاناً لا غنى عنه في ترتيب المنزل وتربية الاطفال، وكان يحق للرجل منهم أن يتخذ ما شاء من النساء بغير حساب، وأما الشارع في اسبارطه وان كان لم يأذن للرجل باتخاذ أكثر من زوجة الا في ظروف مخصوصة ـ فقد أجاز للمرأة أن تتخذ أكثر من بعل واحد

هذا ـ وأما الدولة الرومانية فانه يحتمل أن الظروف المخصوصة التي تكونت فيها هذه الدولة أبت أن تجعل تعدد الزوجات مشروعاً في بدء حياتها. ومهما يكن من أمر حكاية اغتصاب نسوة الصابيين المشهورة وقيمتها التاريخية فلا ريب عندي ان وجود هذه الحكاية وتناقلها من السلف الى الخلف من شأنه ارشادنا صراحة الى الاسباب التي ساعدت على وضع تلك القوانين الاولية للزواج في الدولة الرومانية رغما من بقاء عادة تعدد الزوجات في البلاد المحيطة بها (برومية) من كل جانب، خصوصاً بين الانزسكانيين. ولقد كان نتيجة احتكاك الرومانيين عدة قرون مع بقية شعوب ايطاليا والحروب والفتوحات التي وقعت حينئذ كذلك، وكل ما كان من أمر الابهة والفخفخة التي جاءتهم على أثر نجاحهم في الاستعمار ـ كان نتيجة ذلك كله أن سقطت منزلة العقود الزوجية المقدسة وأصبح الرجال يعيشون مع النساء بغير عقد أو كتاب، يعني ان النساء جميعا أصبحن في منزلة السراري والحظايا. ومما زاد هذه الحالة قوة وثباتاً ما كان من أمر قوانين البلاد التي اضطرت الى الاعتراف بهذه الحالة رسميا ـ فالحرية المطلقة التي أعطيت للمرأة حينئذ، وضياع ذلك الرباط الذي كان يربطها بالرجل، والحالة الناشئة عن ذلك من استبدال الرجل لنسائه أو نقلهن من يد الى يد ـ كلها أمور تدل صراحة على وجود عادة تعدد الزوجات بالفعل، وان وجدت تحت اسم مستعار

هذا وبينما هذه الامور جارية على ما بينا في الغرب كانت المسيحية قد ظهرت في الشرق وبدأ نورها يتألق في أفق العالم الروماني بأسره، ولا ريب ان هناك أسباباً كثيرة منها الروح وتأثيرها على تعاليم المسيح قد حدت (بنبي الناصرة) الى أن يضع من

خصوصا ولسنا في حاجة الى القول بأن هذا زعم فاسد باطل كما سنبينه بعد .

أن محمدا (ص) وجد تعدد الزوجات عادة معمولا بها بين قومه كما وجدها معمولا بها في كافة الاصقاع المجاورة لبلاده . نعم ان الامبرطورية المسيحية حاولت بما وضعته من القوانين أن تضع حدا لتلك الحالة المحزنة كما ذكرنا في الفصل السالف ولكن نتيجة هذا العمل كانت على غير ما يراه أصحاب هذه القوانين ، فان تعدد الزوجات سار في تياره القديم بغير انقطاع ، ونساء الرجل الواحد خلا الاولى منهن بقين على حالتهن الاولى من التعاسة والشقاء

أما في بلاد الفرس فقد كان سقوط الآداب وانحطاطها حوالي الوقت الذي ظهر فيه النبي امرا موجبا للدهشة والحزن معا ، فانه لم يكن ثم قانون للزواج مطلقا . واذا كان ثم قانون من هذا القبيل فقد كان مهملا وغير معمولا به أصلا . ولما كانت قوانين البلاد لم تحدد على كل حال العدد الذي يقف الرجل عنده في الزواج كان من أمر الفارسيين أن استمرؤا هذا المرعى الخصيب وصار الرجل منهم يتخذ ما شاء من الزوجات ، زائدا على السراري والحظيات (رولنجر صحيفة ٤٠٦)

ولقد كان بين العرب الاقدمين واليهود عدا ما قلناه عن عادة تعدد الزوجات عادة أخرى هي الزواج بشروط مخصوصة ، وكذا الزواج لمدة معينة ، ولا ريب أن وجود مثل هذه الحالة في شبه جزيرة العرب كان من شأنه تحطيم وجود الامة الاجتماعي باسره ، الا ان الله قيض لها من يرفع شأنها ويأخذ بيدها من هذه الوهدة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ورفع من شأن المرأة فارتفع البناء الاجتماعي باكمله

لقد كان مركز المرأة بين اليهود والعرب في اقصى دركات الانحطاط ، فقد كان شأن الموسوية في بيت أبيها شأن الخادمة . كان والدها يستطيع ان يبيعها بيع السلع ، وكان اخوتها يستطيعون ان يتصرفوا فيها كما يشاءون بعد موته ، وأنكى من ذلك انه كان لا يحق لها ارث أبيها الا اذا لم يكن له خلف من الذكور . أما بين العرب الذين كانوا كثيري الاحتكاك بجيرانهم المتحضرين فقد كانت قيمتها عندهم قيمة المتاع الصرف ، أي كانت المرأة جزءاً من أملاك الوالد أو الزوج ، ومن تترمل من نساء الآباء تصبح فيما بعد من نساء الابناء بحق الارث . ومن هنا نعلم معنى كلمة (نكاح المقت) التي ذكرتها الشريعة الاسلامية في شأن من يتزوج من الابناء بنساء الآباء حينما حرمت على العرب تلك العادة . ولقد بلغ من كراهية هؤلاء القوم للاناث من أولادهم انهم

الحقيقة ان (تاسيتش) اراد من ذكر هذه الاكذوبة في كتابه (أخلاق الالمان) استفزاز عواطف بني وطنه الرومانيين لمجاراة الاخلاق الموهومة لجيرانهم الالمانيين ليصلحوا من شؤونهم و يقلعوا عن الشهوات واتخاذ السراري والحظيات .

هذا واذا استأنفنا البحث عن تاريخ تعدد الزوجات في الدولة الرومانية وجدنا ان هذه العادة كان معترفا بها في أواخر الجمهورية وفي بداية الامبراطورية وان الاعتراف بهذه العادة ظاهر من المنشور الذي أذاعه القانون بأمر الحكومة حينئذ لابطال هذه العادة ولكن هذا المنشور لم ينجح نجاحه المطلوب فيكفينا لاثبات ذلك ان الامبراطرة (هناريس واركاديوس) اللذين حكما في نهاية القرن الرابع، و(قسطنطين) وولده فيما بعد، لازموا العادة القديمة . على أن (ثلاتتين الثاني) أصدر منشوراً بعد ذلك أيضاً اذن فيه لمن يريد من الرعية أن يتزوج بعدة نساء، وليس في تاريخ الكنيسة مايدلنا على أن رجال الدين عارضوا هذا القانون بل بقي معمولا به لدى من خلفه من الامبراطرة حتى جاء (جوستنيان) كما أسلفنا فأعاد منعها . ومن العبث أن يظن ان هذه القوانين الجديدة وضعت تطبيقا لاحكام دينية مسيحية فان أكبر مستشاري هذا الرجل (جوستنيان) ماكان يعترف بوجود الله ومع ذلك فان هذه القوانين لم تحول ذلك التيار الجارف قيد شبر، وكل مايقال فيها انها كانت فاتحة حياة فكرية للعالم الجديد. واذا كانت وحدة الزوجية قد انتشرت في أوروبا الآن فليس ذلك نتيجة من نتائج هذه القوانين وغيرها وانما هي نتيجة عمل تفكيري محض انتهى اليها المجتمع الجديد بعد تجارب عدة من القرون



بعد أن بينا في مقالتنا السالف تاريخ تعدد الزوجات في العالم باسهاب نعود اليوم فنذكر أن أكبر غلطة يرتكبها الكتاب المسيحيون في هذا العصر هي ما يزعمونه من أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) هو أول من شرع تعدد الزوجات للخلق وأجازه لهم . نعم انه بطل اليوم رأي القائلين بان محمدا هو أول من أوجد تعدد الزوجات في العالم وأول من قال به ، لا لأن هذا الرأي قد ظهر انه مخالف للحقيقة والتاريخ فقط ، بل لان من يقول به لنا يلصق بنفسه تهمة الجهل الفاضح باساس هذه المسألة الاجتماعية القديمة — أقول نعم أنه بطل اليوم هذا الرأي ولكن زعمهم أن النبي أجاز هذه العادة وصرح بها كما ذكرنا ما زال مذهب المسيحيين عموما والمتعلمين منهم

طائفة المعتزلة في أيام حكم المأمون ، وعلموا الناس ان الاسلام يقضي بالتزوج بامرأة واحدة . وانه ان تكن المطاردات العنيفة التي طاردهم بها (المتوكل) قد وقفت انتشار هذه الآراء الصائبة في العالم الاسلامي ، فلا ريب في أن الطبقات المستنيرة من المسلمين ظلت تعتقد أن تعدد الزوجات مخالف لتعاليم نبيهم الكريم ، كما هو مخالف المجتمع المدني الحديث

ان تعدد الزوجات تابع على كل حال لتطورات الزمان ، ففي ظروف مخصوصة وفي احوال اجتماعية مخصوصة يكون تعدد الزوجات كما ذكرنا في أول الفصل السالف لازما ومحتم الوجود لحماية النساء من الفقر الذي يجلب معه كل رذيلة . والواقع اننا اذا استقصينا أسباب انحطاط الآداب الخيف في عواصم أوربا المتمدنة فاننا لانجد لذلك سببا أقوى من هذا الفقر المدقع الذي يدفع النساء الى ركوب هذا المركب الخشن والالتجاء الى بؤرات الفساد حيث يبعن أعراضهن ابتغاء القوت واللباس . ولقد قال (الا باهوك والسيدة دوق غوردون) : ان ثم أحوالا مخصوصة مجردة عن كل اعتبار ديني تدفع الناس في الشرق الى التزوج باكثر من امرأة واحدة . ان تقدم الحركة الفكرية في العالم وتغيير تلك الاحوال المخصوصة قد حديا بالناس الى ابطال هذه العادة والتبرئ منها الآن ، ولذلك نرى ان تلك البلاد الاسلامية التي زالت منها تلك الاحوال المخصوصة أصبح أهلها ينظرون الى هذه العادة بعين السخط فعلا ، ويعدونها مخالفة للشرع والدين تماما ، وأما البلاد التي ما زالت فيها أحوال المجتمع على نقيض ذلك فان تعدد الزوجات فيها باق ولازم البقاء حتما .

ورب معترض يقول : ان عبارة الشرع في هذا الموضوع تحتمل تأويل الفقهاء واختلافهم ، وان تعدد الزوجات لا يبطل اذا الا بعد عناء طويل ، وان وراء العقبة الاجتماعية عقبة دينية أخرى . واننا مع اعترافنا بوجاهة هذا الاعتراض وانه يستحق في الواقع اعتبار المسلمين الذين يرغبون في تخليص دينهم من الشبهات نقول : ان موافقة القوانين أيا كان نوعها لاحوال كل زمان ومكان هو دليل نفعها وخيرها للناس ، وان قانون الزوجية الموجود في الآيات القرآنية الشريفة تنطبق عليه هذه الصفات تمام الانطباق ، فان ذلك القانون يوافق تمام الموافقة أحوال المجتمع المدني الحاضر كما يوافق أحوال المجتمع القديم ، فلا هو اذا يتغافل عن حاجات الانسانية الراقية ، ولا هو يتناسى أن ثم شعوبا وقبائل في الارض تجر عليها وحدة الزوجية أشد المصائب والمها . ففي الوقت الذي تفهم عبارة القرآن كما هو المقصود منها تماما ، وفي الوقت الذي تطبق تطبيقا

كانوا يحرقونهن(١) احياء. وهذه العادة أبطلها النبي كما أبطل عادة ذبح الاطفال ضحية للآلهة

هذا ـ أما في امبراطوريتي الفرس و بيزانطية فقد كان شأن المرأة من الانحطاط شأنها في كل جاورها من البلاد . وانه في ذلك الوقت الذي كان فيه البناء الاجتماعي للعالم يتهدم من كل جانب ـ في ذلك الوقت الذي أخذت فيه الصيحات ترتفع من كل فج طالبة الاصلاح الحقيقي للمجتمع ـ في ذلك الوقت الذي اقتنع فيه العالم كافة بنقص القوانين والشرائع الموجودة حينئذ ـ أقول في ذلك الوقت العسير جاء النبي باصلاحاته وأخذ يدعو الناس الى العمل بها. وان من يتأمل في تلك الاصلاحات يرى ان (احترام المرأة) ركن من اركانها الهامة، وعماد من عمدها القوية، وانه ليكفينا ان نبرهن هنا على تأثير هذه التعاليم الجديدة في اخلاق من تبع هذا النبي الكريم من العرب بما كان من احترام هؤلاء القوم لابنته وحبهم لها حبا جعلهم يلقبونها بسيدة الجنة وسيدة النور . وهذا تحول غريب بالنسبة لمعاملة المرأة وتغيير معتقدهم فيها . ولا ينبغي ان ننسى مع ذلك ان تأثير هذه التعاليم في أخلاق النساء أنفسهن قد أكسبهن ذلك الاحترام ، فمن ذا الذي يجهل ذلك الطهر والعفاف اللذين كانا يتوجان فاطمة الزهراء ؟ ومن ذا الذي لم يسمع عن ربيعة وآلاف غيرها من النساء الفضليات

هذا وان من الشرائع التي جاء بها النبي في شأن النساء ما كان من ابطاله عادة التزوج بشروط ، وانه إن يكن قد أباح الزواج المؤقت أولا فانه حرمه في العام الثالث من الهجرة ، ولقد أعطى النساء فوق ذلك حقوقا ما كانت لهن من قبل، وأهم تلك الحقوق ما كان من مساواته لهن بالرجال في تقلد وظائف القضاء بين الناس، زد على هذا أنه قيد عادة تعدد الزوجات بقيود هي عين النهي المطلق ، فانه ـ على كونه خفض عدد النساء اللاتي يصح للرجل التزوج بهن معا الى أربع فقط ـ قد اشترط لذلك المساواة التامة بينهن تطبيقا للآية الشريفة (فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة) ولقد كانت هذه الآية التي تلت آية الاذن بالتزوج بذلك العدد(٢) موضوع بحث المفكرين من علماء الاسلام في العالم أجمع، فان العدل والمساواة بين النساء ليس معناه المساواة بينهن في المأكل والملبس فقط، بل يقتضي المساواة في الحب(٣) والاخلاص لهن جميعا . ولما كانت المساواة في مسائل الشعور والاحساس هي عين المستحيل يكون هذا الشرط في منزلة المنع التام للتزوج بأكثر من امرأة واحدة . ولقد أخذ بهذا الرأي فعلا

(١) المنار : المعروف انهم يدفنونهن (٢) الصواب ان هذا الشرط جاء بعد الاذن في آية واحدة (٣) العدل في الحب لا يجب لانه ليس اختياريا وهلا استدل بقوله تعالى « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء »

مجرد التمتع . وأمثل طرق المنع الاشتراط في العقد على الأولى ان لايتزوج عليها ، وهو شرط يبيحه بعض الفقهاء ويدل عليه الحديث الصحيح . وللحاكم المسلم ان يمنع المباح الذي تخشى مفسدته

١ – سقوط مسقط « *

La chute de Mascate.

مسقط هي الثغر العربي البحري حاضرة بلاد عمان على حرف بحرها في عرض ٢٣ درجة و٢٧ دقيقة من الشمال وفي طول ٥٦ درجة و١٥ دقيقة من الشرق فيها نحو ٣٥ الف من السكان وميناؤها حسن وكان قد حصنها سابقاً البرتغاليون: وتجارتها مع بمبي وخليج فارس نافقة ، والميناء الصغير الذي يجاورها واسمه « مطرح » يعد من مرافقها وكان قد فتحها البوكرك في سنة ١٥٠٧ فامتلكها البرتغاليون الى سنة ١٦٤٨ ثم خرجت من أيديهم وتقلبت عليها الاحوال حتى أصبحت هدفاً للنفوذ الانكليزي الى هذه الايام الاخيرة فجاءتنا الاخبار ان الانكليز احتلوها وغدت من أملاكهم . ولا بد من أن نعرض على القراء مجمل الانباء منذ أقرب عهد الينا أي منذ عهد السيد سعيد بن سلطان لتقوم في الفكر صورة الحقيقة منذ نشأتها الى هذا العهد . وقد استندنا في أغلب هذه الرواية على حضرة سليمان افندي الدخيل صاحب الرياض فنقول :

كان لمسقط في عهد السيد سعيد بن سلطان شأن يذكر أصبحت فيه حاضرة إمارة كبيرة على سيف الخليج الفارسي تمتد على الثغور البحرية المجاورة لها حتى جزيرة البحرين التي لم يتغلب عليها مع أنه حارب أهلها أشد المحاربة . ومن الثغور التي كانت تضاف الى الامارة المذكورة (لنجة) و(بندر عباس) وما يجاورهما من البلاد الايرانية الواقعة على خليج فارس . لا بل امتدت أجنحة امارته الى ساحل شرقي افريقية مثل بلاد (لامو) و (منباسة) و (الانقزيجة) و (بندر السلام) و(هنزوان) و(الجزيرة الخضراء) و(زنجبار وغيرها)

وكان قد أقام له حاضرتين وهما(مسقط) للبلاد الواقعة في بحري عمان وفارس (وزنجبار) للاقطار الافريقية. وعقد معاهدة مع والي البصرة ومثلها مع دولة الهند ليحافظ على استقلاله وأمور دياره حتى ان فرنسة أقرت له بلقب سلطان العرب أو أمبراطورهم وقد نالت رعيته من الرفاهية ورغد العيش مالم تنله تلك الاقطار في سابق الاعصار ، وكان له أسطول ذو حول وطول يمخر أبحر الهند وفارس وعمان .

* « منقولة بحروفها من مجلة لغة العرب البغدادية المفيدة

موافقا لاحوال الزمان ، تزول هذه العادة وتمحي بلا صعوبة البتة . ولا ريب ان هذا الوقت الذي يفحص فيه المسلمون أقوال نبيهم فحصا جديداً ويضربون عرض الحائط بتفاسير بعض رجال الدين ليس ببعيدان شاء الله

وان أوربا التي يذكر تاريخها ماكان من تصرف رجال دينها في كثير من العصور بأقوال كتبها كتصرف رجالنا تنفيذا لنفس هذه الاغراض الدينية أولى بها أن تنظر بصبر وتؤدة الى مساعي رجال ديننا الحديثين لاطلاق الافكار الحرة من أسرها القديم، وتطبيقها تطبيقا يوافق الجيل الحاضر ، بدل ان تعجل علينا وعلى ديننا بصب الشتائم كل يوم . وان الوقت الذي تتحرر فيه الشريعة الغراء وتطلق من سجن وضعها فيه بعض رجالنا يصبح من السهل على الشارع في كل بلد اسلامي أن يضع قانونا يطبق فيه الشريعة السمحة على منع تعدد الزوجات. ولاريب ان هذه النتيجة التي تبعث على الغبطة والسرور ستتحقق حتما بعد ان بدأ مسلمو العالم المستنيرين بفحص كلام القرآن والنبي الكريم غير متأثرين بالافكار العتيقة التي ثبت فشلها الآن

وانه يسرنا ان نتيجة هذا الفحص هي على ما كنا ننتظر ، فان القول بوحدة الزوجة يرتفع اليوم من كل جوانب العالم الاسلامي

والواقع ان كراهية تعدد الزوجات وشعور الناس بضرره من الوجهة الاجتماعية ان لم يكن من الوجهة الادبية قد أخذا بالمسلمين في الهند الى نزع هذه العادة من بينهم ، وأصبحت الشروط التي اتفق الناس هناك على وضعها في عقود الزواج انه لا يصح الاقتران بأخرى مع وجود الزوجة الاولى . وعلى ذلك ترى ان ٩٥ في المئة من مسلمي الهند يقتصرون اليوم على التزوج بواحدة ، وفي بلاد فارس لا يتعدى المتزوجون بأكثر من امرأة اثنين في المئة وان أملنا وطيد في ان علماء المسلمين يجتمعون في مؤتمر ديني ليقرروا فيما بينهم قاعده منع تعدد الزوجات . اه

(المنار) بينا من قبل ان تعدد الزوجات خلاف الاصل في نظام الفطرة والشرع ولكن قد يحتاج اليه فاذا قل الرجال في بلد أو بلاد بالحروب أوالمهاجرة فقد يكون من مصلحة النساء أولا والهيئة الاجتماعية ثانياً ان يتزوج الاغنياء الفضلاء القادرون على الانفاق والعدل بين النساء أكثر من واحدة لتقليل شقائهن وصيانتهن من الفسق ولتكثير نسل الامة . وقد يقع مثل هذه الضرورة لبعض الافراد . فأكمل الشرائع في هذه المسألة هي الشريعة الاسلامية التي تتسع لاباحة هذا الامر عند الحاجة اليه ومنعه عند توقع المفسدة منه . وقد ضيقت في شروطه بحيث تتعذر في غير حال الضرورة واقامة المصلحة دون

ابن صالح والشيخ عبد الله بن سعيد وعقدوا مجلسا خفيا في (سمائم) من بني الريحة {١} وقرروا أن يبعثوا الشيخ عبد الله بن حميد الى جميع ديار عمان ليدعو أهلها الى النهوض مع الشيوخ المذكورين والى محاربة السيد فيصل لكونه أبى تلبية مطالبهم. فجرى الامر على ماقرروه ومكنوا الصاح في قبائل عمان المختلفة وربطوا بعضها ببعض ليكونوا يداً واحدة على السيد السلطان. ثم سار الشيخ عبد الله بن حميد الى (تنوف) {٢} بليدة قريبة من «نزوة» وواجه شيخها حمير الامامي الذي أمر للحال بجمع علماء الاباضية وذاكرهم في الامر فقر رأيهم على تعيين امام ومبايعته، فأقاموا عليهم الشيخ سالم بن راشد الخروصي {٣} ودخلوا « نزوة » سرا ودعوا سكانها الى المبايعة فبايعوا الامام وكان في مقدمتهم بنو يام والكنود {٤}

فلما بلغ الخبر أمير نزوة وهو السيد سيف بن حمد من أبناء بني سعيد هجم عليهم بعسكره كبحاً لجماحهم. لكنهم أبلوا بلاء حسناً وقتلوا من بني سعيد خاصة أكثر من ٢٥ رجلا وجرحوا الوالي ثم بعد ذلك أخذت نزوة أو قل: سلمت نفسها بدون ممانعة لضعف أهلها وقوة محاربيهم، وللحال أخرجت العساكر من القلعة الحصينة {٥} واحتلها أتباع الامام

اما الوالي فانه لما رأى الحال على تلك الصورة لجأ الى أحد المساجد فطلبوا اليه ان يطاوع الامام والا يعامل معاملة الاسير، فاستمهلهم ساعة قبل الجواب فلما امهلوه انتحر .

قبض الامام على زمام الامر في نزوة ولما قرت فيها قدمه أرسل يقول لسكان بيت سليط (٦) اما الطاعة واما الحرب . فسالموه وأطاعوه . ثم سار وقد قسم جنده الى طائفتين وجه الطائفة الاولى الى (بركة الموز) (٧) والطائفة الاخرى الى الرستاق (٨) وما كادت تصل تلك الجنود الى تلك الديار الا وانقاد سكانها للهاجمين

(١] بنو الريحة قبيلة كثيرة العدد عتيدة العدد أصلها من ذبيان (٢) تنوف واقعة على سفح الجبل الاخضر المشهور بكثرة الاشجار وبما يتفتق عند حضيضه من الانهار وهو يبعد عن مسقط مسير خمسة أيام واما نزوة وتسمى اليوم نزوى فهي عاصمة بلاد عمان في سابق العهد وهي الى يومنا هذا مدينة كبيرة فيها ما يقرب من ٣٦٠ مسجداً كذا على رواية سليمان افندي الدخيل ولعل الاصح ٣٦ مسجداً بحذف الصفر وفيها جامع كتب عليه انه « حول مسجداً في سنة ٧٠ للهجرة » وكان في السابق كنيسة للنصارى (٣) هذا الامام تابع لتسعة ائمة تقدموه وكلهم من قبيلة خروص القوية (٤) وهما قبيلتان مشهورتان في تلك المدينة (٥) هذه القلعة من القلاع المنيعة القديمة قال عنها سليمان افندي الدخيل انها قوية البناء لا تؤثر فيها المدافع الجديدة (كذا) ولعله يريد بالمدافع الجديدة تلك التي يتخذها الصبيان من ... الكاغد ؟ ! «٦» بلد حصين منيع «٧» وهي بلدة كبيرة منيعة « ٨ » وهي من العواصم القديمة

بقيت تلك الدولة في نمو وزهو الى أن توفى السيد سعيد فانقسمت دولته بين أبنائه قسمين : شطر عربي وشطر افريقي ، فكان الشطر الافريقي نصيب السيد ماجد ومن بعده السيد برغش ووقع الشطر العربي حصة للسيد ثويني الذي قتله ابنه السيد سالم ليستولي على سلطنته ، وما بدأ هذا الرجل بالقبض على زمام الامر الا واستعرت نيران الفتن واندلعت ألسنة اللهيب الى تلك الديار ولم تخمد الا بتغلب السيد تركي عليها وهو ابن السيد سعيد أخي السيد ثويني. وبقيت الامور تجري في مجراها الى عهد السيد فيصل بن تركي السلطان العربي الحالي ، فتقاسم الانكليز والالمانيون تلك البلاد في معاهدات سنة ١٨٩٠ وأفضت ثغور فارس والبحرين والكويت الى حماية الانكليز . وهكذا أخذت البلاد تخرج من أيدي أصحابها .

ولما اخترع الافرنج البواخر وسيروها على متان البحار وشحنوها آلات جهنمية وبقي العرب على حالتهم الاولى من اتخاذ السفن الشراعية أو ذوات المقاذيف ضعفت قواهم في المحاربة وتأخروا عن سائر الامم التي كانت تزداد قواها بازدياد عدد بواخرها وبوارجها ومدرعاتها فاضطر أمير مسقط أن يسايس الافرنج والانكليز خوفاً من أن تفلت بلاده من يديه قهرا وقسرا بدون أن يتمكن من معارضة المتغلبين الطامحة أبصارهم الى دياره . فاضطر الى منع النخاسة (بيع الرقيق) ثم الى منع بيع الاسلحة ثم الى غير هذه المطالب مما أوغر صدور العرب عليه ودفعهم الى الخروج عليه .

وأول من نفث في صدور الناس روح العصيان هو الشيخ عبد الله السالمي من (الشرقية) فانه دعاهم الى أن يبايعوه وقد كان بلده (ضبية)ومسكنه في بلد(القابل) الذي أميرها الشيخ عيسى بن صالح . وأول من بايعه هو هذا الشيخ وكانت المبايعة سرا. والغاية من هذا الخروج اقامة السيد فيصل { اماما شرعيا } على الاباضية في مسقط يكون نافذ القول والاحكام لاسلطاناً ، ولهذا كتبا اليه كتاباً ليطلعاه على ماجال في فكرهما فأبى السيد فيصل قائلا انه « سلطان وامام معاً » وانه حر القول والفعل في مملكته يعمل مايشاء ويقول مايشاء .

فلما بلغ ذلك الخبر الى الشيخين امتعضا وانضم اليهما جمع شايعوهما في أفكارهما، ثم طلبوا جميعهم الى السيد فيصل أن يقطع دابر المومسات من مسقط وعمان وأن يمنع شرب المسكرات والدخان وتجول المبشرين في تلك البلاد ـ الى غير هذه المطالب، فأبى كل الاباء قائلا : ان الانسان خلق حرا ولا يحق لي أن أقيده بقيود

فلما رأوا انه رفض كل ماطلبوه منه اجتمع الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى

(الحوث) رجع على أعقابه وذهب الى بلاد (السيب) بدون ان يرى العدو بل علم ان العدو قد احتل (الحوث) قبل ان يصل اليه وبايعه أهله فحقق سعي جيش السيد فيصل . ـ وأما جيش الامام الذي كان قد احتل (الرستاق) فانه تجاوزه وأمعن في البلاد حتى دخل (العوابي) وفيها ابناء السيد فيصل وهما حمود وحمد، ومعهما السيد (هلال) والي (بركة) فلما رأوا صولة العدو فروا هاربين من القتل فأخذها الامام وأخرج منها العسكر الموجود فيها وامتلك الاسلحة المذخرة هناك وباعها للعشائر

استمرت هذه المحاربة نحو أربعين يوما . وفي الآخر رأى السيد فيصل ان لاطاقة له على مقابلة العدو فاستنجد بالانكليز فامدوه بست بوارج هائلة. وبخمسمائة جندي ، واعديه ان يساعدوه في كلما يطلب، وان لايبعدوا في البر أكثر من مسافة ساعة . وقد احتلت الجنود الانكليزية بعض القلاع وأخذوا يقاومون العدو أشد المقاومة وأصبحوا أصحاب الامر والنهي في عمان

ولما قرت قدم الانكليز في مسقط وفي سائر ديار عمان وأصبحوا فيها أصحاب الامر والنهي نشروا فيها أجنحة الامن والراحة والسكون، حتى ان أحد تلك الارجاء كتب الى جريدة الدستور البصرية « ان السكينة قد عادت الى ربوعها بعد ان اتخذ الانكليز جميع وسائل الحرب لصد العدو عن مهاجمتها لا بل شرعوا المذاكرة في أمور الصلح بينهم وبين الامام الاباضي » فتبارك مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . اه بنصه

(المنار) نشر في جرائد مصر والعراق وسورية عدة مقالات في اخبار هذه الفتنة لم نر فيها أوفى من هذه المقالة المختصرة المفيدة . واذا صح ماقاله الراوي من ان الشيخ عبد الله السالمي والشيخ عيسى بن صالح كتبا الى السيد فيصل رحمه الله تعالى بما ذكر ، وانه أجابهما بما ذكر (في ص ٩٤٢) فقد أعذرا اليه، واللوم عليه اكبر من اللوم على غيره. نعم اننا نعلم انه صار مغلوبا على أمره للانكليز في حاضرة مسقط ، وانه لم يعد يستطيع منع المبشرين ـ الذين هم أصل كل فتنة في كل البلاد التي يحلون فيها فيفسدون على اهلها جامعتهم ويفرقون كلمتهم، ويمهدون السبل لازالة استقلالهم اذا كان لهم استقلال ـ ولا منع المومسات والمسكرات بدون اذن الانكليز، ولن يأذنوا بذلك. ولكنه لاينبغي مع هذا ان يجيب بما قيل إنه أجاب به من الرضا بدعوة المسلمين الى ترك دينهم الحق، وإباحة الفجور والفسق ، وعدها من الحرية التي لا يجوز تقييدها ، اذ لا يوجد في

بدون معارضة . ثم زحفوا على بلاد الحزم (١) فبايع أهله الامام . ثم زحفوا الى ولاية العوابي (٢) فلم يقاومهم فيها أحد . وفي تلك الاثناء كانت الطائفة الثانية من الجند قد زحفت من (بركة الموز) الى (ولاية نزكي) (٣) وقالوا لواليها : ان أنت وافقتنا على أمرنا أقرناك اماماً . فسلمهم القلعة بدون محاربة وللحال لفوا رأسه بعمامة وقالوا له : « كن مستعداً لان تكون خليفة (!!!) بعد امامنا هذا (!) .

لما سمع السيد فيصل هذه الامور جيش جيشاً فيه ٥ آلاف جندي وأمر عليه ابنه السيد ناذر فلما وصل الى قرب موقع الامام الجديد في (سمائم) قلب له جيشه ظهر المجن فانحاز الى جيش الخصم ولم يبق معه الا فرقة من البلوص وأولاد بني سعيد وكلهم لايتجاوز عددهم التسعين . فلما رأى هذه الخيانة لجأ الى حصن سمائم فدخله ولبث فيه محصورا مدافعا بالمدافع التي كانت هناك دفعاً لهجمات عدوه الشديدة

اما قبائل ذلك الموطن فانها لم تنفعه فتيلا لانها كلها خانته وانحازت الى الامام الجديد الذي اشتد ساعده لما رأى من الفوز المبين، ومع ماتوفق له من انضمام القوم اليه لم يستفد من محاصرة السيد ناذر عظيم فائدة لانه كان يدحرهم شر دحر بما كان يطرد عليهم من قذائف مدافعه . ولهذا رأى الامام من الاوفق له ان يتركه وشأنه ويحاصر البلد محاصرة ضيقة بحيث يبقى السيد ناذر وهو في حصنه في بؤرة البلد

ثم ان الشيوخ تفرقوا بجنودهم فسار الشيخ حمير بجنوده الى (سمائم السفلى) وسار الشيخ عيسى الى بلد (سرور) فبايعه أهلها . وسار الامام ومعه الشيخ عبدالله الى سمائم العليا (٤) محاصرين السيد ناذراً . ثم انهم لما لم يروا نتيجة اتعاب محاصرتهم حفروا سرباً أو نفقاً تحت الارض على بعد ربع ساعة (كذا ولعل في هذه الرواية غلواً عظيما ولا سيما لان الارض هناك ذات حجارة صلبة سوداء تكاد تكون كالحرة) ينتهي الى القلعة ونسفوا بالبارود شيئاً يسيراً من الحصن ولم يصب أحد بضرر لا من المحاصرين ولا من المحاصرين، لكن لما أعادوا الكرة وأخذوا ينسفون الحصن للمرة الثانية رجع مفعول البارود على جند الامام وأهلك من قومه نفوساً كثيرة .

اما الشيخ عيسى فانه أوغل في البلاد وبايعه أهلها وما زال يمعن فيها حتى وصل الى بلد (فنكا) فارسل السيد فيصل عليه جيشاً جراراً وعند وصوله الى بلد

« ١ » وهي بلاد فيها قلعة حصينة اذا دخلها الدخيل لا يهتدي الى الخروج منها الا مع دليل يهديه « ٢ » ولاية حصينة هي من أول املاك السيد فيصل « ٣ » يمين والي هذه الولاية باسم من الامام فيصل وابن عمه (٤) سمائم أو سمائل السفلى وسمائم أو سمائل العليا وسرور كلها بلاد واسعة على مسافة يومين الى اربعة ايام من مسقط

الشيخ علي يوسف
٢

سياسته العامة والعثمانية خاصة

كان الشيخ علي كاتبا سياسيا ، وكانت سياسته اسلاميه عثمانية مصرية . ثم لما اظهر الاتحاديون العصبية التركية، واضطهاد العرب والعربية ، كانت سياسته اسلامية عربية أولا ثم عثمانية . أعني انه يخدم الدولة العثمانية في كل ما يستطيعه الا اذا كان معارضا للاسلام او العرب ، وقد خدمها أجل خدمة في تأسيسه لجمعية الهلال الاحمر في مصر، فهو الذي سن هذه السنة الحسنة في مصر فاستفادت الدولة منها تلك الألوف الكثيرة من الجنيهات مع بعثات طبية منظمة أدّت لها الخدمة النافعة في حربي طرابلس والبلقان، كما كان له في مؤيده اليد البيضاء في اعانتها من قبل على حرب اليونان

كان للمؤيد التأثير العظيم فيما عليه المصريون الآن من التعلق الشديد بالدولة العثمانية والحب الخالص لها . وقد كانوا يمقتون الترك وحكم الترك مقتا شديدا لانهم لم يروا من آثار حكمهم ولم يحفظوا من اخبار حكامهم ما يوجب غير ذلك . وقد تجلى ذلك في الثورة العرابية أظهر التجلي ، فكان زعماؤها عازمين على جعل حكومتهم مصرية محضة يتولى ادارتها المصريون دون الترك والمستتركين من الشركس وغيرهم . فلما وقعت البلاد تحت سيطرة الاحتلال الاجنبي ثقل ذلك على المسلمين طبعا ، وأحسوا بضعفهم، فحدث عند بعض المشتغلين بالسياسة فكرة التعلق بالدولة والرجاء فيها . وكبر ذلك ونمي بل وجد وظهر منذ تولى الأريكة الخديوية العزيز (الحاجّ عباس حلمي الثاني) وفقه الله وأيده ، فانه بما سنه من زيارة الآستانة في كل عام ، أوجد في مصر حركة سياسية وطنية لم تكن في غابر الايام ، وجرأ المصريين على مالم يكونوا يتجرؤن عليه من قبل، وولى وجوههم شطر تلك العاصمة ، وأنطق السنتهم واجرى أقلامهم، بما لم يكن يعهد من احد منهم ، وكان المؤيد خطيب هذا المنبر ، أو منبر خطباء هذه السياسة ، ولكن مصر لم تستفد شيئا مما كانت ترجوه من هذه السياسة. وانما استفادت منه الدولة تعلق السواد الاعظم من المصريين بها وحبهم إياها ، فكان من أثره جمع الاعانات لها في كل حرب تدخل فيها

لا موضع هنا لبيان أثر هذه السياسة فى معاملة الانكليز لمصر وللدولة العثمانية ،

الارض مملكة تبيح لكل أحد أن يفعل ما يشاء ، غير مراعية استعداد الرعية ، ولا عواقب الامور الادبية والسياسية ، ولا تهيج الاحقاد الدينية . فالانكليز وهم اعرق الافرنج في الحرية لا يبيحون للكاثوليك ان يظهروا شعائر مذهبهم في مثل عيد الفصح في لندره ، ولا يسمحون للمبشرين من أهل دينهم ومذهبهم ان يدعوا الى النصرانية جهرا في جميع بلاد السودان المصري الانكليزي ، ويقال انه ليس في بلادهم مواخير علنية للبغاء . فهل كان السيد فيصل أوسع من الانكليز حرية وسياسة؟ ام تلك الرواية عنه كاذبة ؟ وإلا فأين الاسلام ؟ واين العقل والذكاء ؟ انني استبعد جداً ان يكون الغرور بهذه الالفاظ التي يلوكها بيننا الافرنج والمتفرنجون قد وصل حتى عثل السيد فيصل الى ذلك الحد الذي يدل عليه الجواب الذي عزي اليه، وعسى ان يكتب الي نجله النجيب صديقي السيد نادر (١) ما هو الحق في هذه المسألة

وقد صرحت المقالة بأن الانكليز قد احتلوا سواحل عمان كلها ، وصاروا اصحاب الامر والنهي فيها ، فاذا صح الخبر فلا بد ان يعملوا كل ذلك باسم سلطان مسقط ، ويسموا عملهم خدمة ومعاونة له ، حتى لاينفر منهم سائر أهل الخليج الفارسي من شيوخ العرب الذين يريدون الاستيلاء على بلادهم مثل (لنجه) و (دبي) بالفتح السلمي ، كاستيلائهم التدريجي على القسم الجنوبي من بلاد ايران . وأهل الشرق قد جُنّوا بالألفاظ فهم يعولون عليها ، ويهتمون بها مالا يهتمون بالحقائق .

الآن أقول انني لما كنت في ضيافة السيد فيصل منذ سنة ونصف تقريبا ورأيت حال حاضرته مسقط قلت له: انني اتوقع ان ينصب قومك الاباضية إماما لهم ويخرجوا عليك باسم الدين ، فارى أن تجتهد في تلافي الامر قبل وقوعه ، وتتدارك الفتنة قبل اشتعال نارها ، بأن تجمع كلمة قبائل عمان وتؤلف من شيوخهم مجلس شورى ، وتجعل عاصمة المملكة في الجبل الاخضر ، وتنظم أمور المالية، وتقيم العدل الشرعي في داخلية البلاد ، ولا يضرك بعدها العجز عن بعض الامور في حاضرة مسقط لمكان النفوذ الاجنبي فيها . وفصلت له القول في ذلك تفصيلا ، ولكنني فهمت منه انه ليس لديه من الرجال ، من يستطيع القيام بهذه الاعمال ، ومن الغريب ان ما توقعته قد وقع بعد سنة فقط

---

(١) نادر بالدال المهملة لا المعجمة كما تكرر في مقالة لغة العرب . ونحن اعلم بضبط اسمه لاننا لقيناه وسمعنا والده وأهله يذكرون اسمه ويخاطبونه به ، وبيننا صلة بالمكاتبة

وهو جعل السلطة في أيدي الضباط واشتغالهم بالسياسة وقد قال في هذا الموضوع كلمته المشهورة في بيروت في أول العهد باعلان الدستور ، وسكر الناس كلهم بخمرة الفرح والسرور ، وهي « ان السيف والسياسة لايجتمعان في غمد واحد » قال ذلك لما رأى بعض صغار الضباط الاتحاديين في بيروت يتصرف في الحكومة تصرف الحاكم المطلق المستبد. ثم تبين أن ضرر اشتغال الضباط بالسياسة والادارة قد اضعف الدولة وقسم القوة فيها على نفسها ، وكان أهم اسباب الخذلان في الحرب البلقانية الاخيرة كما صرح به القائد الالماني الكبير (البارون فندر غلتز) باشا منظم الجيش العثماني

ويقولون ان التقلب والذبذبة في السياسة العثمانية هو ما جرى عليه خصوم الفقيد الذين صدق عليهم المثل « رمتني بدائها وانسلت » ذلك بأنهم ينتصرون لصاحب القوة أخطأ أم أصاب ، نهض بالدولة ام هوى بها . فكانوا يقدسون السلطان عبد الحميد ويقولون في طلاب الدستور والاصلاح منه اشد مما قال مالك في الخمر . وكانت قاعدة سياستهم ما وضعه لهم زعيمهم مصطفى كامل باشا من الغلو في السلطان عبد الحميد والتشنيع على طلاب الاصلاح والدستور منه ، حتى انه اوجب على من ينطق بالشهادتين - الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة لمحمد (ص) بالرسالة - ان يتلوهما بالشهادة للسلطان عبد الحميد الخ وقد صرحوا في جريدتهم اللواء قبل اعلان الدستور بيوم واحد بأن طلاب الدستور اعداء الدولة الخونة لأنه يضر الدولة ويفسدها . . . بل كانوا بعد إعلان الدستور ايضا يصيحون في وجوه بعض العثمانيين المبتهجين به . ثم لما استقرت السلطة لجمعية إعلان الدستور وصار بيدهم المال والقوة قدسوهم كما كانوا يقدسون السلطان عبد الحميد ، وصاروا يلعنون خصومهم كما كانوا يلعنونهم عند ما كانوا خصوم السلطان عبد الحميد

هذا ملخص ما رد به أنصار الشيخ علي على خصومه في مسألة ثباته على سياسته العثمانية في جوهرها ، وهو انه كان يتبع المصلحة ويدور معها ، وهم يتبعون رجال السلطة ويدورون معهم . وقد فتح ههنا الباب لخصم ثالث يقول : ان الشيخ عليا كان من أنصار السلطان عبد الحميد أيضا ، بل هو استاذ مصطفى كامل في الغلو فيه ، وقد نال من رتبه واوسمته اكثر مما نال مصطفى كامل ، وبقي ثابتا على الثناء عليه فلم ينقلب عليه بعد سقوطه ، كما انقلب عليه تلاميذ مصطفى كامل ، وكنا ننتظر ان يعد أنصاره هذا من ثباته . ولكنك تذكر عنهم أن الشيخ كان يتبع في خدمة الدولة العلية المصلحة ، لا الرجال الذين بيدهم المال والقوة ، فهل كان الشيخ علي يجهل ان السلطان عبد الحميد مخرب للدولة أم لا ؟ ان قلت: نعم! فما هو بالسياسي ، وان: قلت لا!

ولا لبيان تأثير هـذا الحب والتعلق من الخديو وأمته في نفس السلطان عبد الحميد ثم في نفوس من خلعوه وخلفوه في هذه الدولة ، ولا لبيان سيرتهم مع عزيز مصر ، ولا مع الانكليز فيما يتعلق بسياسة مصر . لأن موضوعنا سياسة « الشيخ علي يوسف في المؤيد وفي نفسه » وخلاصة القول فيها انها كانت اسلامية في كل حال - عثمانية مصرية معا أيام كانت الآمال والأماني تنوط بالدولة حل المسألة المصرية باخراج الانكليز من مصر - ثم عثمانية محضة مصرية محضة بعد ما خابت تلك الآمال ، وطاحت تلك الاماني والاحلام ، التي كان يقال في مثلها « حياتنا بين يدي المابين »

ثم عربية عثمانية في العهد الاخير ، كما اشرنا الى ذلك في فاتحة الكلام . بل صارت خدمته للدولة في هذا العهد داخلة في سياسته الاسلامية العامة . وسيأتي الكلام في سياسته المصرية خاصة .

يقول أعداؤه وخصومه في السياسة من قومه انه كان متقلبا في سياسته ، ويعدون عليه من ذلك ما قد يعد له . والسياسة متقلبة بنفسها ، فالذي يجمد على حال واحدة لا يستطيع ان يكون سياسيا ، لان الاحوال تتغير دائما ، والسياسي هو الذي يدور معها كيفما دارت . وفي الحكم والامثال « دوام حال من المحال » وانما يعاب على الرجل أن يكون متقلبا في المقاصد لا في الوسائل

فعلى هذه القواعد التي لا نزاع فيها يرد أنصار الفقيد شبهة خصومه بانه كان في سياسته أثبت من الأطواد . أما سياسته الاسلامية فالامر فيها ظاهر ، ولم يتهمه بالتحول عنها متهم ، وأما سياسته العثمانية فقد ثبت عليها حتى الممات أيضا . وآخر خدمة خدم بها الدولة تأسيس جمعية الهلال الاحمر المصرية ، وكان عضوا عاملا في جمعية اعانة الحرب أيضا . نعم انه شن على جمعية الاتحاد والترقي حربا عوانا لاعتقاده ان ما سارت عليه في سياسة الدولة وادارتها كان ضاراً بالدولة العلية والامة العثمانية عامة ، وقومه العرب خاصة ، ومضعفا للرابطة بين الدولة وبين مصر .. ومنافيا للسياسة الاسلامية أيضا ولم يكن رحمه الله منفردا بهذا الاجتهاد بل كان متفقا فيه مع جماهير العثمانيين من الترك والعرب الذين الفوا عدة أحزاب لمقاومة الجمعية ، وصار اكثر اعضاء مجلس الامة عليها فاضطرت الى حله بالارادة السلطانية . ثم ان الجمعية نفسها صرحت بأنها كانت مخطئة في كثير من أعمالها ومقاصدها وانها رجعت عنها ، ومنها تتريك العرب وغيرهم من الاقوام العثمانيين

فظهر للمتتبع للحوادث انه قد ظهر انه كان مصيبا في انتقاده ، وكان آخر ما ظهر للجمهور من ضرر سياستها هو أول شيء كان أول من انتقده عليها جهرا ،

ظنكم ورأيكم في نيته . والا كنتم طالبين للتلذذ بمدح الدولة والسلطان ، لا لمعرفة الحقيقة التي يتبعها الصلاح والفساد . فتشايعون السلطان على ما يضر ، وتتكلون عليه في امر الاسلام وأمر مصر ؛ وكل ذلك من بناء المصلحة على وعث من الرمل . بدلا من بنائها على الصخر ، وهو ان تعرف الامة حقيقة حال دولتها وحكومتها ، وتعتمد على سعيها وعملها في إصلاح نفسها واصلاحها .

ومما أعرفه للشيخ علي رحمه الله تعالى من المزية في سياسته العثمانية ، بل في اخلاقه وسجاياه الفطرية ، انه كان كلما ازداد علما وخبرة باحوال الدولة ازداد ميلا الى مساعدة طلاب الاصلاح من العثمانيين على ما يطلبونه ، ولكن مع روية واعتدال ، ومحافظة على كرامة السلطان لعدة أسباب (منها) مراعاة صلة الولاء بينه وبين الخديو التي كان هذا يحافظ عليها فلا ينقطع عن زيارة ذاك سنة من السنين . (ومنها) ماكان يراه اولا من نفع تعلق المصريين به في المسألة المصرية (ومنها) اتقاء ان يظنوا أنه صار خصما للدولة . (ومنها) ان مفاجأة الناس بخلاف ما يرونه ربما يفضي الى ضد ما يراد منه ، وينفرهم من المؤيد ، فلماذا لم يعد خصومه هذا من ثباته على حفظ كرامة السلطان ، ويعدون مساعدته لطلاب لاصلاح من التقلب في السياسة وعدم الثبات ؟

لا اذكر من الشواهد على رغبته في معرفة حقيقة حال الدولة ومساعدة طلاب الاصلاح فيها ما كان بينه وبين مراد بك صاحب جريدة (ميزان) الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي الاولى ، ولا ما كان من صلته بمحمود باشا الداماد ، فان هذا مما لا أعرف حقيقته وخفاياه . وإ كتفي بأصح الشواهد وأثبتها وهو ما وقع لي معه .

إنما كثر اجتماعي به وكان مبدأ محبتي له في سنة ١٣١٦ اذ كنت أطبع (المنار) بمطبعته في أواخر سنته الاولى وأوائل سنته الثانية قبل شراء مطبعة له ، وما كان اسرع ما وثق بي على قلة ثقته بالناس . ولما رأيته يحدثني بحرية واستقلال فكر ، ويقبل مني ما أذكره له من الانتقاد على الدولة والسلطان ، خلافا لاكثر من عرفت في مصر من الاخوان ، رغبت اليه في جعل المؤيد لسانا لطلب الاصلاح في الدولة ، فقال لي : اكتب ماتشاء من رأيك في ذلك مع الاعتدال وحفظ كرامة السلطان ، وذلك كاف في ايصال هذه الافكار والآراء الى الناس . فكتبت عدة مقالات في موضوع حاجة الدولة الى الاصلاح وما يجب منه في هذا العصر . فكان ينشرها في صدر المؤيد غالبا كما ينشر غيرها من مقالاتي التي كنت اذيلها بامضا (م . ر) ويعزوها هو الى « احد افاضل الكتاب المجيدين »

فما هو بالناصح الذي يتبع المصلحة . وانما الناصح في هذه المسألة هو المقطم دون المؤيد ودون اللواء الذي تلقى عنه السياسة الحميدية كالمصرية ، ثم أربى عليه في الغلو فيها وغش الناس بمدح ذلك السلطان المخرب . فما قول انصار الشيخ الذي يبالغون في مدح سياسته فيغرقون في هذا ؟ وما قولك وانت تبحث في سياسته بحث المؤرخ الصادق المنصف ؟

أقول ان آخر ما أعرف من شوط أنصار سياسة المؤيد في هذه المسألة ان السلطان كان هو الدولة ، فكان لابد لمن ينتصر لها لكونها إسلامية وللتقوي بها على الاحتلال الاجنبي في مصر من مدح السلطان والدفاع عنه كيفما كانت سيرته في سياسته وادارته المملكة . والسياسي لايكون صوفيا ولاناسكا يلتزم الحق من كل وجه ، بل يلتزم مصلحته والمنفعة التي اتخذها قاعدة لسياسته . والمقطم ما كان يذم السلطان ويندد بمخازيه انتصاراً للحق وغيرة على الدولة ، بل ليصرف عن الدولة قلوب المصريين ويقطع حبل رجائهم فيها خدمة للاحتلال ، لاجل هذا كان في حجاج وخصام دائم مع المؤيد ثم مع اللواء الذي اتبع سنن المؤيد وغلا فيها غلوا كبيراً . واما الانتفاع برتب السلطان واوسمته فلا يلام عليه مثل الشيخ علي ولا مصطفى كامل ، لان المتصدي للزعامة السياسية يحتاج الى ذلك لانه يزيد في جاهه ويعلي من كلمته ، ويؤهله للقاء عظماء الحكام والسياسيين أصحاب المناصب فيعدونه من طبقتهم . وانما يعاب بمثله من يخدم المصلحة العامة تعبداً لله تعالى ، أو من يبني خدمته على مقاومة تمييز بعض الناس على بعض بهذه الرتب التي تضعها الحكومة ويطلب إبطالها ، ليتفاضل الناس بعلومهم وأعمالهم ، لا بالألقاب اللفظية ، ولاحلي الأوسمة الفضية والذهبية

أما أنا فأقول إن كلا من المؤيد واللواء ــ ومثلهما الاهرام ــ قد أضر المسلمين والعثمانيين عامة والمصريين خاصة بما جرين عليه من الاسراف في مدح السلطان عبد الحميد والدفاع عنه ، ولولا ان جمهور المسلمين كانوا يحملون ذم المقطم لسياسته وادارته وتنديده به على سوء النية ويظنون ان أخباره غير صادقة ، ولولا تلك الردود عليه لكان نفع ما نشره عظيما ، ولقد كان يكون النفع أعظم لو كان المؤيد واللواء ينشران مثل تلك الاخبار ويبنون عليها مطالبة السلطان بالاصلاح ، مشايعة لطلابه من العثمانيين مع الاعتدال .

وقد كنت أقول لمن اذاكرهم في ذلك من عقلاء المصريين : إن المقطم ينشر بعض ما يعلم ، ويعلم بعض مايقع . وانه يجب عليكم أن تعتبروا بأخباره ، مهما كان

واما اللواء فقد بدأ سياسته العثمانية عما تلقفه من سياسة المؤيد في طفوليته، (أي المؤيد) وغلا فيها كدأبه وعادته ،وكان كلما زادصاحبه معرفة بسوء حال السلطان عبد الحميد وزبانيته، يزداد غلوا في اطرائه وتقديسه،وإسرافا في التشنيع على طلاب الاصلاح للدولة . ذلك بأنه كان له راتب مالي يأخذه من (المابين) فوق مانال من الرتب والاوسمة لنفسه ولكثير من المصريين، وفوق المال الذي كان يأخذه بأسماء أخرى كعقد الاحتفالات السنوية بعيد الجلوس السلطاني في أوربة . ووراء ذلك ما لايحسن ذكره في هذه الترجمة . فاذا كان هذا هو اثبات المحمود عند الذين يطعنون في الشيخ علي لتحوله عنه ، فأعدل مانحكم به في هذه القضية قول الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « مراجعة الحق خير من التمادي فى الباطل »

على اننا رأينا ان الشيخ ثبت على خدمته للدولة في تقوية حقوقها في مصر ، وناهيك بتلك الغارة الشعواء التي شنها على حكومة بلاده في مسألة القضاء الشرعي اذ أرادت بضغط الانكليز ان تبطل جعل تولية قاضي مصر الاكبر من حقوق السلطان يرسله من الآستانة ، وفي إعانة المصريين لها بالأموال ، ولا سيما في أزمنة الحروب والشدائد . وفي تقوية الصلة بين عابدين والمابين (كما يقال في عرف هذا العصر) وقد ختم ذلك بأفضل خاتمة ، وهي تأسيس جمعية الهلال الاحمر ، واستقال أخيرا من لجنة إعانة الحرب البلقانية لأنه اقترح أن ترسل اللجنة الى الدولة ما بقي في صندوقها من المال ــ وهو مبلغ كبير ــ بعد انتهاء الحرب ، فأبى الرئيس واكثر الاعضاء ذلك.

فليدلنا المعارضون على خدمة غيره لها ، اتي تضاهي خدمته وتغني غناءها . ومن سبر غور السياسة يعلم ان حملته على الاتحاديين كانت انفع للدولة في سياستها ومصلحتها الدائمة من تلك الاعانات المالية ، لأنها تفيد في اصلاح سياستها الدائمة . والاعانة منفعة موقتة عارضة ، ورحم الله الاستاذ الامام حيث قال : « ما وعظك مثل لائم ، ولا قوّمك مثل مقاوم »

سياسته المصرية

كانت مقاومة الاحتلال والسعي لجلاء الجيش الانكليزي عن مصر من قواعد سياسة المؤيد الاساسية ، وقد كان ذلك مرجوًّا لأن حكومة لندرة كانت تصرح رسميا بأن احتلالها للبلاد المصرية موقت وانها ستنجلي عنها ، ولأن دول أوربة كانت معارضة لها في احتلالها معرقلة لكل مايثبت قدمها ، واشدهن في ذلك فرنسة ، ولأن

ما كنت أظن يومئذ ان أحدا من المتعلمين المدركين في مصر ينكر عليه نشر تلك المقالات لانني كنت أنشر في المنار ما هو اشد منها في تمثيل الخلل والفساد ، ومايجب على الامة والدولة من الاصلاح . حتى دخلت عليه يوما فاذا هو في جدال مع محمد بك فريد في مقالة من تلك المقالات . كان فريد يقول له ان نشر مثل هذه المقالة يعد خروجا من المؤيد عن خطته ، وان ذلك قد ساء اخوانهم الوطنيين جداً .... وقد علمت منه بعد ذلك ان كثيرا من أصحابه كلموه بهذا اللسان ، ولم يرأن يذكر لي ذلك حتى سمعت بأذني . وأطلعني ايضا على رسالة جاءته من تونس واخرى من جاوه في الرد على مقالة من مقالات (المنار) ساءت كثيراً من الناس في تلك الاقطار ، إذ عدوا النصيحة لجهلهم عداوة للدولة وخروجا عليها ، ولـكنه لم ينشرهما لانه كان يرى ان ما ينشره المنار حق ، وقد كتب بمداد الغيرة والاخلاص للدولة .

أليس هـذا دليلا على كونه كان يراعي المصلحة العامة ، ويحب إصلاح الدولة ويساعد المصلحين ، بشرط ان لا يضر بنفسه ولا بجريدته ? بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ولعله لولا ظهور جريدة اللواء والتزامها خطة الغلو في تقديس السلطان عبد الحميد وفي المسألة المصرية ووقوفها للمؤيد بالمرصاد ، وإساءتها تأويل كل ماينشر فيه بقلم الروية والاعتدال ، لما وقف المؤيد بالمصريين عند ما عهدوا في السياسة العثمانية ، بل لسدد وقارب في السير الى الغاية التي تجب ، وهي معرفة حقيقة حال الدولة ومعرفة حقيقة أنفسهم ، ومكانهم منها ومكانها منهم ، وما يجب عليهم لها ولانفسهم ، ولـكانت مصر حينئذ هي المعين الاكبر لاحرار العثمانيين على ما كانوا يطلبون من الاصلاح ، ولوصلوا بذلك الى خير مما كان من اكراه الجيش السلطان على اعلان الدستور ثم خلعه بقوة السلاح ، وما ترتب على ذلك من الشقاق والخذلان ، الذي نشكو من سوء عواقبه الآن .

وجملة القول في سياسة المؤيد العثمانية إنها بنيت أولا على اساس المسألة المصرية ، وقصد بها تقوية الصلة بين الدولة ومصر ، وبين السلطان والخديو . وكان الشيخ علي لا يعرف في أول العهد بها من أمر الدولة والسلطان شيئا ، الا ما اقتضته الحال من تلك الحركة الخديوية ووافق ماجبل عليه من النزعة الاسلامية . ثم انه صار كلما زاد علما بالدولة واختبارا يتلطف في النصح ، ويساعد طلاب الاصلاح من العثمانيين ، مع مراعاة ما كان يرمي اليـه من تقوية الصلة بين مصر والدولة العلية ، والمحافظة على كرامة السلطان ان لم يكن لذاته فلما هو متحمل به من لقب الخلافة الاسلامية ، ولما بينه وبين عزيز مصر من الرابطة الرسمية

من أريكة الملك ، ومعارضة المخالفين له في السياسة والرأي ، وخسر كثيرا من الاصدقاء الذين لا ينكر مالهم عليه أو على الامة من الفضل ، لان هؤلاء يرون أن الاخلاص للبلاد في خدمة الأمير انما تكون بحسب اعتقادهم ورأيهم وان لم يرضه احيانا.

وقد كانت اضاعته لبعض هؤلاء الاصدقاء الاوفياء أنهض حجج من رموه بقلة الثبات وعدم الوفاء ، ويقل من يعرف كنه هذه الوقائع ويزنها بالقسطاس المستقيم ، ويقل في هذا القليل من يبين للناس ماهو الراجح والمرجوح في هذا الميزان ، للتعريف بحقيقة هذا الرجل الذي يقل مثله في الرجال

انا سمعنا بعض الذين رثوا الرجل في منظومهم ومنثورهم قد وصفوه بأنه أوفى الاصدقاء، في هذا الزمن الذي قل فيه الوفاء، وانني — ولا أنكر ان بعض الناس غلوا في اطرائه ـ أقول انه كان ذا وفاء يقل من يفضله به .وأما الذين يصفونه بعدم الوفاء فنهم صاحب الهوى المتبع الذي يتكلم بسوء قصد ، ومنهم المنصف الذي ينتقد ما يقول

اما سيء القصد فلا علاج لمرضه ولا جواب لقوله . وأما المنصف فله عندي جواب استخرجته من الشواهد التي عرفتها في هذا الباب ولعلها أوضحها واكبرها ، وهو ان الرجل كان سياسيا قبل كل شيء ، فهو ما ترك صداقة صديق الا في سبيل السياسة ، والا بعد ان تعذر عليه الجمع بين صداقته وبين ما تقتضيه تلك السياسة . وما لي لا أصرح فأقول كان اذا غضب مولاه ، الذي تدور سياسته على قطب وعاه ، على أحد اصدقائه ، يبذل كل ما يراه في وسعه من وسائل ارضائه ، فان لم يستطع حافظ على مودته بالقدر الممكن . فاذا رأي انه مضطرا الى هجره هجره هجرا جيلا ، واذا اضطر الى كتابة ما يسوءه لايتعدى حد الضرورة التي تقتضيها السياسة الا قليلا . واذا استطاع في أثناء ذلك ان يخدمه بشيء خدمه، ان لم يكن ذلك في الجهر ، فمن وراء الستر . وهل يستطيع السياسي الذي يخدم الامراء والملوك أكثر من هذا ؟

كأني ببعض هؤلاء المنصفين يقول اذا قرأ هذا : « ان عندي انتقاداً آخر على الرجل وهو انه ما كان يقف في مثل هذا عند حد المصلحة العامة أو عند الحق ومقتضى الفضيلة » وانني أذكر هؤلاء ـ الذين تمثل بعضهم أمامي الآن ـ بما قلته من قبل في السياسي الذي يشتغل بالسياسة فضلا عن كونه لا يزن أعماله بالميزان الذي يزن به الصوفي أو فيلسوف الأخلاق ، وليس ما شرحته من سيرة الرجل في هذه المسألة بالذي يكثر في عصرنا من تصل به الفضيلة الى مثله . ولا هو بالذي يرتقي الى وضعه في ميزان سياسة عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، ولا بالذي

الدولة العثمانية كان يحسب لها حساب كبير في هذا . فلما عرف الفقيد حقيقة الدولة العثمانية ، ومنتهى شوطها في المسألة المصرية ، ورأى كيف رجعت فرنسة القهقرى في حادثة (فشوده) الشهيرة ، ثم كيف عقدت (سنة ١٩٠٤) مع انكلترة الاتفاق على ترك حقوقها لها بمصر ، في مقابلة مساعدتها على احتلال مماكة مراكش ، ثم كيف تتابعت سائر الدول الكبرى على اقرار انكلترة على احتلالها في مصر ، واعطائها العهود على عدم معارضتها فيه - لما علم ذلك رأى ان العمل النافع لمصر انما يكون فيها وفي لندرة ، لأن الجذب والدفع صار محصورا بين المصريين والانكليز ، فلا رجاء في احد يساعد المصريين مساعدة يرجى نفعها الا بعض احرار الانكليز محبي الانصاف أو المعارضين لحكومتهم في سياستها الاستعمارية . فحصر عمله في هذين الامرين ، فقامت عليه قيامة جريدة اللواء وأنصارها ، وسموا المؤيد بالمقطم الاحمر ، لأن الوطنية وخدمة مصر عندهم تجلى في شيئين : مطالبة الانكليز بالجلاء عن مصر ، وشتم نظار الحكومة وذم كل عمل تعمله في مصر . أما الفقيد فقد اغتنم فرصة إصرار اللواء على الغلو في المعارضة للسير على ماأوجبه عليه تغير السياسة الخارجية وطول التجربة والاختبار من الاعتدال في المعارضة ، واقامة الحجة لمصر بأن فيها من يتكلم ، يناضل بالحجة والبرهان ، لا بالتمويه ومكابرة الحس والعيان ، وكان يرى ان الحماقة والجهل ، قد تكون مجنا الروية والعقل ، فيكره أن يصادر اللواء في حريته ، على ايذائه له ولوطنه .

أما عمله في مصر لمصر فطرقه وأنواعه كثيرة ، منها ماهو خاص بتنبيه الاهالي وارشادهم الى ماينفعهم في التربية والتعليم والآداب والفضائل ، وفي الكسب والاقتصاد والتعاون على الخير ، ومنها مايتعلق بحقوق الامة على الحكومة ، والتعارض والتجاذب بين مصر والمحتلين

وكان ركن سياسته المصرية الركين تأييد نفوذ الامير الشرعي (الخديو) وسلطته في كل أمر ، والتوسل الى ذلك بكل مايمكن ، ويحتج بأن كل مازاد في سلطته ونفوذه فهو ربح لمصر على الاحتلال ، وكل مانقص منها فهو مزيد في سلطة الاحتلال ونفوذه . فكل أمر للامير فيه رأي أو قصد فهو الخادم الأمين له فيه ، ينصره برأيه وقلمه ولسانه ، وان خالف رأي نفسه ، الا أنه في هذه الحالة قد يتلطف في عرض رأيه على مسامع الامير قبل الشروع في العمل ، فان قبل فذاك ، والا أخذ بقول الشاعر : * سيد القول مايقول الرئيس * وقد ثبت على هذه السياسة واستقام على هذه الطريقة طول حياته ، ولقي في ذلك من الألاقي مايلقاه أمثاله من كيد الحاسدين له على قربه

من سفك دماء المسلمين في جزيرة العرب مهد الاسلام وحرزه لأجل توسيع سلطته في بلاد امراء آل سعود وتكثير ماله وإعلاء رتبه الرسمية العثمانية عند من يرضيهم هذا وهو ما يتهمه به المشتغلون بالسياسة في ديار الشام والعراق حتى الآن . وان من هؤلاء من هم أعلم بالشرع وأحكام الاسلام منه ومن الصدر الاعظم أيضا

مايجب على أمراء جزيرة العرب الآن

أما نحن فنقول له ان أفضل خدمة يخدم بها الاسلام والدولة الاسلامية أيدها الله بتوفيقه وتسديده ، هو أن يساعد على مايجمع كلمة المسلمين لا على ما يفرقها بأي اسم كان ، واول مايجب عليه من ذلك عقد الاتفاق بينه وبين جاره الامير ابن سعود والعهد والميثاق على السلم والامان وان لا يبغي أحدهما على الآخر ولا يقاتله البتة ، واذا وقع خلاف بينهما على شيء يحكمان فيه من يرضيان حكمه ، وعلى ان يتعاونا على تأمين جميع البلاد التي يصل نفوذهما اليها ، ومنع غزو الاعراب بعضهم لبعض فيها ، وعلى نشر العلم الديني وما يعد فرض كفاية من علوم الدنيا في بلادهما ، وعلى تنظيم قوتهما الحربية على قاعدة قول الله عزوجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) والمرابطة فيها لحفظ الحرمين الشريفين وما هو سياج لهما من جزيرة العرب . وان يتحدا على هذا مع اميري اليمن الامام والادريسي ، فبهذا يرضيان الله ورسوله والمؤمنين ، ويكفيان الدولة مؤنة إرسال الحملات العسكرية المرة بعد المرة الى العراق والشام واليمن ونجد ، وسفك دماء المسلمين فيها لاخضاع العرب او حفظ الأمن ، أو جمع السلاح وما اشبه هذه الاسباب والحجج ، التي كثيرا ما كانت باطلة ، ناشئة عن وشاية سافلة ، أو نية سيئة . واقترح ان يتضمن هذا العهد والميثاق إعانة الدولة على كل حرب تكون بينها وبين أعداء الاسلام بكل ما يقدران عليه من قوتهما الحربية

الا وليعلم الامير ابن الرشيد وفقه الله تعالى وأرشده الى مايحبه ويرضاه انه لاشيء اضر على الاسلام من تنازع اهله وتفرقهم وسفك بعضهم دماء بعض ، وانه لولا هذا التفرق والشقاق ما زال ملك الاسلام من الشرق والغرب ، ولم يبق له الا هذه البقعة المهددة بالزوال في كل يوم ، وأن الدولة العثمانية أيدها الله بتوفيقه لاتقدر أن تحمي بعسكر الاناضول عاصمتها وبلادها الاوربية والاسيوية ثم تحمي به الحرمين وجزيرة العرب ، وانما يقدر على ذلك العرب وحدهم اذا اتفقوا . وليعلم أن زوال قوة العرب من الجزيرة ستفضي الى وقوعها في قبضة الاجانب في أسرع وقت وأقربه فلا يبقى للمسلمين استقلال ولا حرية في الأرض ، الا بقدر ماتنعم به أوربة عليهم.

يعد من مقامات الصديقين ، المشروحة في كتابي احياء العلوم ومدارج السالكين
أين هذه السيرة ممن كان اذا سخط من أحد لانه لم يعظمه التعظيم الذي يحبه لنفسه ، يغلو جهد طاقته في ذمه وإيذائه ، ويقعد له بكل طريق يسير فيه ولو الى خدمة الملة والامة، فيضع له العواثير ، ويحفر له الاحافير ، ولا يرقب فيه الاّ ولا ذمة ؟ أيجوز أن يقرن هذا بذاك ؟ كلا إن ذلك ظلم وجهل بأقدار الرجال ، لا يذهب الى مثله الا بلداء العوام واغرار الاطفال . (للترجمة بقية)

باب الاخبار والآراء

كتاب ابن الرشيد الى الصدر الاعظم

ذكر في بعض الصحف أن سعود باشا الرشيد كتب الى الصدارة العظمى كتابا قال فيه:
« علمنا أن بعض الناس يقومون الآن في بعض الولايات طالبين من الدولة العلية مطالب مجحفة بحقوق الدولة ومنافية للدين الاسلامي الحنيف . الامر الذي ساءنا جدا . وعليه ليكن معلوما لدولتكم ولدى العالم الاسلامي أجمع اننا لانقبل هذه الشؤون المضرة بالدين الاسلامي والدولة . واننا مستعدون مع كافة جنودنا وقبائلنا للقيام بما تأمرنا به الدولة العلية ولا نحيد عن اوامر خليفتنا المعظم » اهـ
ونحن نقول « أفلح الأعرابي ان صدق » في قوله انه لايرضى بما ينافي الدين وانه لايقبل الشؤون المضرة بالدين والدولة . نقول هذا ونحن لانعلم ماهي المطالب التي يعنيها إذ لم يبلغنا أن الناس طلبوا في بعض الولايات ما ذكره ، ولو أنه أشار الى تلك المطالب لعلمنا مبلغ صحة حكمه عليها، وهل هو مصيب فيه او مخطئ ؟ وهل قال قوله عن علم باحكام دين الله ام لا ؟
ويا ليت شعري إذا علم الامير ابن الرشيد ارشدنا الله وإياه الى نصر الدين والدولة - ان بعض الناس يطلبون من الدولة منع الفواحش والمنكرات كالسكر والزنا والربا والمجاهرة بالفطر في رمضان نهارا من دار الملك والخلافة ومن غيرها من البلاد العثمانية واقامة الحدود الشرعية فيها كلها ، وعدم بيع شيء من ارضها أو معادنها للاجانب ، هل يكون مستعدا مع جنوده وقبائله لنصرتهم وشد أزرهم ؟ فان كان ينصرهم ولو بلسانه وقلمه فليعلن هذا كما أعلن ذاك ، وإن لم يفعل علم العالم الاسلامي أجمع انه غير مستعد الآن الا لما كان يعده له السلطان عبد الحميد من قبل،

أثم الجميع ، وانه يجب على المسلمين الهجرة من البلاد التي ليس لهم حرية فيها في إظهار دينهم والدفاع عنه . وانا مع هذا نفضل ان يسكت هؤلاء المعتدون عنا ونسكت عنهم على أن مجالهم أوسع في الرد علينا ، لانا نؤمن بنبيهم وكتابهم الذي أنزله الله عليه ونعد الطعن فيه كفراً كالطعن في نبينا بلا فرق . فلا نستطيع أن نقول كما يقولون ، ولا ان نخوض كما يخوضون

الا انه لم يكن يظن أحد من الناس ان الحرية التي كانت مصر تفاخر فيها أوربة من كل وجه تتضاءل بعد لورد كرومر حتى يطمع الطامعون فيها بمثل ما ذكرنا ، وهي التي رفعت اسم انكلترة حتى صار جميع مسلمي الأرض يفضلونها على جميع دول أوربة ، ضعفت في مصر الحرية السياسية فخفف على الناس المصاب فيها راحتهم من أولئك الأحداث السفهاء ، فاذا اضطهدت الحرية الدينية فأي شيء يخفف على المسلمين مصابها ويعزيهم عنها ؟ على ان الذي ظهر لنا ان أولي الشأن قد اقنعوا أولئك السعاة الحالين بأنهم هم المعتدون وانه يصدق على رد المنار عليهم « واحدة بواحدة – بل بمئات – والبادئ أظلم »

مسألة الارمن وتعصب أوربة الديني

لم تكد دولتنا تمضي عقد الصلح بينها وبين اليونان ، وتنفض يدها من حرب البلقان حتى فاجأتها الدولة الروسية بما ليس في الحسبان ، اذ اقترحت أن تكون الولايات الخمس التي يقيم فيها الارمن مستقلة في ادارتها يتولاها كلها حاكم أوروبي أو عثماني مسيحي تختاره الدول الكبرى ويعينه السلطان (كمتصرف لبنان بل نفوذ الدولة فيه أضعف) وأن تكون مجالسها العمومية نصفها من الارمن والنصف الآخر من غيرهم ! وفرنسة وانكلترة تؤيدان روسية في طلبها ! فليتأمل العاقل كيف يدخل التعصب الديني في أعمال أوربة وسياستها ! هذه الولايات فيها زهاء خمس ملايين من المسلمين وثلاثة أرباع المليون من الارمن ، وفيها كثير من اليهود أيضاً . وتريد دول الانسانية والمدنية أن يكون نصف الاعضاء الذين يديرون أمرها من النصارى مع جعل الحاكم منهم . فان كانت المسألة دينية فما هو المرجح لدين النصارى ؟ وان كانت جنسية ففي تلك الولايات الترك والعرب والكرد واللاز والاسرائيليين فلم لم يكن لكل جنس أعضاء يمثلونه ؟ ؟

الا وليعلم ابن الرشيد وغيره ان دول أوربة يراجع بعضهم بعضاً القول في تحديد مناطق نفوذهم السياسي والاقتصادي في البلاد العربية والاناضول ، وأنهم يتشاحون في قسمتها كما يتشاحون في قسمة المال ، لأن صاحب كل منطقة يتفقون على إعطائها له يعد نفسه مالكا لها بحق الفتح السلمي ، ولم يبق من عذر لأحد في الاغترار باعترافهم باسم الدولة . فان بقاء هذا الاسم أنفع لهم من عدمه ، لأنهم يستعملون به نفوذها الصوري والمعنوي لادارة البلاد واخضاع المسلمين فيوفرون مالهم ورجالهم . فاذا اتفقوا على القسمة كما هو المنتظر في كل يوم ، وانفردت كل دولة بالنفوذ في ساحل من سواحل جزيرة العرب . فقل على الجزيرة والحجاز السلام ، لان حياتها المادية خرجت من أيدي اهل الاسلام . فمن كان لديه غيرة وقوة فليفكر في استعمالهما لتلافي هذه الاخطار ، لا لتهديد طلاب الاصلاح في الولايات .

حرية المسلمين الدينية بمصر

لدعاة النصرانية (المبشرين) عدة مدارس ومستشفيات وصحف في مصر لاغرض لهم منها الا تنصير المسلمين ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم العلم وعمل الخير ، ثم انهم ينشرون في كل سنة عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام ، وتنفير المسلمين من الاسلام . دع النشرات والأوراق الصغيرة التي ينثرونها في المستشفيات ، والخطب التي يلقونها فيها وفي سائر معاهد التبشير . وقد عز عليهم مع هذا ان يكون للمسلمين في هذا القطر الاسلامي كله صحيفة اسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الاسلام ، فسعوا بواسطة بعض قناصلهم الى لورد كتشنر ورغبوا اليه أن يأمر الحكومة المصرية بالغاء مجلة المنار وإبطال صدورها ، وبمحاكمة صاحبها هو والدكتور صدقي الذي يساعده في الرد عليهم ! أليس من عجائب الغلو في تعصب القوم أن يسعى الى هذا أو يحدث به أو يفكر فيه بعض أبناء الأمتين الامريكية والانكليزية ، أعرق أمم الافرنج في احترام الحرية ؟

وقد مثلنا عما ينشر في المنار من الرد على النصارى فأجبنا : إننا أقدمنا على هذا العمل مدافعين لا مهاجمين ، وان هؤلاء المبشرين قد كتبوا في الطعن في ديننا اضعاف ما كتبنا ، وان هذا الرد واجب علينا شرعا بل هو من فرائض الكفاية اذا لم يقم به بعض المسلمين

مستحضرات محمد علي نصوحي

التي حازت الشهرة التامة لحسن تأثيرها السريع في انحاء العالم المعمور ونالت النياشين والمداليات الذهبية والفضية من عموم دول أوربا
أسماء وبيان استعمال هذه الأدوية الموضحة أدناه

۱٥ كبسول نصوحي لشفاء السيلان المزمن والحاد ومزيل الالتهابات
۱۲ اكسير نصوحي مزيل الانتفاخ والآلام ومنظم الحيض عند السيدات
۱۲ حبوب نصوحي لتقوية المعدة والاعصاب والدم ويقوي الجسم عموما
۱۲ ماء الحياة للشعر يمنع سقوطه تأكيداً ويقوي البصيلات الشعرية بمسافة قليلة
۱۰ صبغة العروس تعيد الشعر الاسود والكوستاناوى الى لونه الاصلي
۱۰ ماء الشباب يزيل الكلف والقشف ويكسب الجسم نعومة ولطافة
۱۰ زيت الحياة للشعر يطول ويطري الشعر ويمنع القشرة معا .
۱۰ اكسير العشبة المركب منقي للدم ويشفي الامراض الزهرية و(الربو)
۰۸ حقنة نصوحي خاصة لمنع السيلان الحديث والمزمن من غير ألم
۰٦ خلاصة الكينا المركبة لتقوية المعدة والامعاء وتمنع الآلام التي تحصل في الظهر
۰٥ حبوب ملينة ضد الامساك الذي يتولد منه انتفاخ البطن والبواسير من غير مغص
۰٥ أودنتين دواء للاسنان يمنع التسوس ويسكن الآلام حالا بسرعة عجيبة
۰٥ حبوب صدرية لازالة السعال وخروج البلغم بسهولة من الصدر بغير تعب
۰٥ نقط نصوحي للوقاية من الكليرا ومكروباتها وتصليح المعدة وازالة المغص
۰٥ مسحوق للشعر يزيله في مسافة ٤ دقائق بغاية السهولة من غير خطر
۰۳ قطرة نصوحي لازالة الالتهابات المزمنة والحديثة ويجلو البصر
۰٥ اكزيمول ضد أمراض الاكزيما الحديثة والمزمنة على اختلاف أنواعها
۰٤ مسحوق الصفا لاجل جلاء الاسنان وتقوية اللثة وحفظهما
۰۳ نشوق صحي ضد الزكام ويشفي النوازل وينعش للجسم

ويوجد بمحلاتنا عدة مقويات ومن ضمنها (حبوب الصقانقور الهندي) والمستودع العمومي بمعمله الكيماوي بأجزاخانة نصوحي بأول شارع عبد العزيز بقرب العتبة الخضراء .

خاتمة السنة السادسة عشرة

نختم سنتنا السادسة عشرة بمثل ما افتتحناها به من حمد الله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب والال، وقد وقع ما كنا في تلك الفاتحة نوقعناه، وظهرت بوادر ما كنا نخشاه ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ومالي وقد انذرت و بينت الا أن اقول كما قال يعقوب نبي الله « إنما اشكو بثي وحزني الى الله ، واعلم من الله ما لا تعلمون »

ان غفلة هـذه الامة عن نفسها ، وتماريها بالنذر الخاصة بأمر هلاكها بزوال استقلالها ، لم يدع لنا مجالا للتنبيه على تقصير المقصرين منها في حقوق المنار ، والنسبة في ذلك بين الاصناف والاجناس والاقطار ، كما كنا نفعل في خواتيم السنين بقصد الموعظة والاعتبار ، وإنما يتعظ ويعتبر من لا يعقل ان قيامه بحقوق ابناء جنسه ، هو عين إقامته وحفظه لحقوق نفسه ، «وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يعقلون»

الانتقاد على المنار

ندعو القراء على رأس كل سنة الى انتقادما يرونه منتقدا في المنار . ونذكر في خاتمـة السنة جملة ما ورد علينا من الانتقاد ، ونبين رأينا فيما لم نكن بيناه من قبل ، ولم ينتقد احدعلينا فيهذه السنة شيئا الاعبارة فيمقالة من مقالات الدكتورمحمد توفيق صدقي في الطعن في الاوربيين ، انكرها بعض الحكام قولا لا كتابة . وهي - وان كان مثلها لاينكر في أوربة نفسها ، وما كان ينكر في مصر قبل هـذه الايام - ليست ممـا أرضى بمثلها للمنار ولو رأيتها قبل الطبع لاصلحتها . وقد طبع في هـذه السنة عدة نبذ من ردّ الدكتور على النصاري لم أرها قبل الطبع ولم اصحح فيهـا شيئاً ، ولا عهدت اليه بتصحيح شيءمنها، وقد جرى هذا خلاف عادتي لكثرة الشواغل.

وانتقد بعض أهل البحرين الاجابة عن أسئلة من سأل منهم عن حكم مناسك الحج ، ولم ينكروا الاجابة نفسها . ووجه انكارهم ان السائل معترض على الاسلام لامستفيد. واذا صح هذا تكون اجابته أولى كما سنوضحه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

وقد منعت الحكومة العثمانية دخول المنار الى ولاياتها في أثناء هذه السنة ثم اذنت بدخوله فلهذا لم تصل بعض الإجزاء الى المشتركين في وقتها ، ولمن لم يصل اليه شيء ان يطلبه وان فات الوقت المحدد في نظام الادارة لطلب الاجزاء المفقودة

ونسأل الله تعالى ان يوفقنا ويوفق أمتنا ، لما يرفع مقته وغضبه عنا ، فطوبى للمعتبرين المشمرين ، وويل للغافلين المصرين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.

اعلان من ادارة مجلة المنار بمصر

(المراسلات)

(١) ينبغي ان تكون جميع المراسلات المتعلقة بالادارة من طلب كتب او اشتراك او اجزاء مفقودة او تغيير عنوان او طبع مطبوعات بعنوان (ادارة مجلة المنار بمصر) وما كان منها خصوصيا أو ما يختص بالتحرير والاستفتاء يجب بأن يكتب باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر)

واذا كانت المراسلة مشتملة على عدة مواضيع فليكتب كل موضوع على حدة بورقة خاصة لان ذلك ادعى لانجاز العمل وتلبية الطلب

(الحوالات)

(٢) جميع الحوالات من بدل اشتراك أو ثمن كتب أو أجزاء من ادارة المنار و أجرة طبع أو تجليد يجب أن ترسل باسم « السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار بمصر » وأما الكتب التي تطلب من مكتبة المنار فترسل حوالاتها باسم (عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر)

(الاشتراك)

(٣) ان اشتراك المنار ٨٠ قرشا صحيحا في مصر والسودان المصري و ١٩ شلنا في انكلترة والهند وكندا وزنجبار ورأس الرجاء الصالح والترنسفال والاورانج الحرة وكفرورية وسائر المستعمرات البريطانية و٢٢ فرنكا في فرنسة وأفريقية الشمالية والغربية (كتونس والجزائر) ومراكش و٩ روابل في روسية ومستعمراتها و ٢٠ شلنا في الصين واليابان وافغانستان وبلاد العجم والحمرة ومسقط وعمان والبحرين وسائر البلا التي يحصل منها الاشتراك بواسطة مكاتب البوستة الانكليزية و٢٢ كورن و٢١ هلر في النمسة والمجر وما الحق بهما كالبوسنة والهرسك و٤ بسوس و ٦١ سنتا في الجمهورية الفضية (الارجنتين) واميركة الجنوبية وفنزويلا و١٨ ماركا و٩٠ فننا في المانية وسائر مستعمراتها و ١١ فلورينا و١٨ سنتا في هولاندة وسائر مستعمراتها ور ٤ يالات (دولار) وتسعة وعشرون سنتا في الولايات المتحدة الامريكية وجزائر الفيلبين و٤ ريالات مجيدية في بلاد الدولة العلية

وعلى طالب الاشتراك أن يرسل القيمة مع الطلب حوالة باسم السيد محمد رشيد رضا منشئ المنار بمصر على البوستة أو أحد المصارف (البنوك) او تجار القاهرة أما يدفعها لوكيل المنار في بلده ان كان هناك وكيل وكذلك الذين يطلبون مطبوعات الاجزاء المفقودة

(المسؤلية)

(٤) ان ادارة المنار غير مسئولة عن المراسلات اذا فقدت من البريد الا اذا كانت مسجلة على حساب المرسل اليه وقيمة التسجيل لجميع أعداد المنار في السنة ٦ قروش لمصر والسودان و٣ فرنكات و١١ سنتيم أوشلنان و٥ بنسات ونصف للخارج ولكل مراسلة ٥ مليات لمصر والسودان وقرش صحيح (صاغ) أو ٢٦ سنتيما أو بنسان ونصف بنس للخارج . ولكل طرد زنته ٥ كيلو عشرة قروش الى آسية الوسطى و ٨ قروش الى أوربة و ١٢ قرش الى الهند الشرقية الانكليزية وبغداد والبصرة والمحمرة ومسقط والكويت وعدن ومكاتب البوسطة الانكليزية في الشرق

(٥) كل ما يرسل الى مكتبة المنار يجب أن يكون بعنوان «عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر» ومنه تطلب الكتب غير المطبوعة بمطبعة المنار أيضا ومفردات مطبوعات المنار وفهرس (كتالوج) المكتبة وهو يرسل لمن يطلبه مجانا

الادارة

فهرس المجلد الخامس عشر

تأخر اصدار هذا الفهرس سنة مما جعل المشتركين يلحون بطلبه من كافة العالم وسيصدر مع العدد الاول من سنة ١٣٣٢ مجلد ١٧ وسيتبعه ان شاء الله فهرس السادس عشر وحسبنا هذا البيان ردا على المكتوبات الكثيرة بطلبه .

صالح مخاص رضا

فرصة

يمكن الاشتراك بالمنار بنصف القيمة عن السنة السابعة عشرة سنة ١٣٣٢ بأعداد محدودة بشرط ان يدفع القيمة سلفا وأن يكون المشترك ممن يستحق المساعدة امتدت هذه الفرصة الى نهاية ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ تحقيقا لرغبة المتبرع

وهذه المساعدة مقتصرة على مصر والسودان والبلاد الخارجية ما عدا البلاد العثمانية لأن الادارة متبرعة بنصف القيمة هنالك من نفسها

❁ الرّوزنامة الاهلية ❁

قد امتازت هذه الروزنامة على أكثر الروزنامات العربية لاحتوائها على التواريخ العربية والتركية والافرنجية والقبطية ولما فيها من الفوائد التاريخية والادبية وتطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنها ٣ قروش